

الجمهورية العربية اللبنانية
جامعة بيروت الإسلامية
كلية الدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا

ظاهرة التطرف الديني

في

المجتمع الإسلامي المعاصر

مفهومها - أسبابها - آثارها - علاجها

بحث معد

لنيل شهادة الماجستير

في الدراسات الإسلامية

الأستاذ المشرف

الدكتور أحمد اللدن

إعداد وتأليف

سفير أحمد الجراد

٢٠

المقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بنور العلم المبدد لظلمات الجهالة، وأتقنا بسالوحي من السقوط في درك الضلالة، وأنعم علينا بإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، إرشادا للعباد ودلالة، وجعل الصراط المستقيم طريق رُؤم النجاة وقصاد العدالة، فأبان الطريق للسالكين، وأوضح مهيده سبيل السعادة للمفلحين، وأقام الحجّة على الناس أجمعين. فاللهم لك الحمد بكل ما حمدك به أكرم العباد، وأشكر الزهاد، وبك أستعين، وعلمي أن لا إله غيرك، ولا رب سواك.

وبك أعتصم من الأهواء المردية والبدع المضلة، فما خاب من احتسى بحماك، وأستهديك صراط أهل النعمة فلا أضل، ولا تفضب.

وأشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك، البشير النذير، والسراج المزهر المنير، خير الأنبياء مقاما، وأصدقهم كلاما، لينة تمامهم، ومسك ختامهم، رافع الإصر والأغلال، الداعي إلى خير الأخلاق وأبسر الأعمال، أرسله الله ﷺ والناس صنفان:

- مغضوب عليهم جفاة.

- وضلال متطرفون غلاة.

فجاء بالدين الوسط، وحذر من الوركس والشطط، فما أصبح بالعباد نعمة إلا هو طريقها، وما رام العقلاء غاية إلا هو دليلها، فضلى الله على محمد وعلى آل محمد، كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنه حميد مجيد.

أما بعد: فإن من أحق العلوم بالنساطر، وأنفعها عند الجمع والتجوير، تبيان وجه الحق فيما تتعاوره الأفهام، بالجهل تارة، وتارة لما عرض من الأوهام، في ضوء علم الشريعة علم السيادة، ومفتاح الهدى ونهج السعادة، إذ ذلك من أفضل النوافل، وأعظمها نفعاً وعائدة، وأوفرها خيرا وفائدة.

- موضوع البحث:

كثر في السنوات الأخيرة - وخاصة إثر الإعلان عن الحملة الأمريكية على ما

أس

التطرف في مختلف الكتابات والأحاديث والخطب، وفي كثير من الاجتماعات والندوات والمؤتمرات التي تعقد على مدار العام في المؤسسات والهيئات المحلية والإقليمية والدولية، وندد الكتاب والباحثون، وزعماء الدول وقادتها بالتطرف الموصل إلى الإرهاب وبالمتطرفين، ووصفت جماعات هنا وهناك بأنها متطرفة.

وظاهرة التطرف الديني تشكل في المجتمعات العربية والإسلامية أحد مظاهر التطرف بصورة عامة، فلا يمكن بأي حال الحديث عن تطرف باتجاه واحد وبلون واحد، حتى وإن حاولت جهات كثيرة تصويره بهذا الشكل، بل إن التطرف في الجهة الأخرى المناقض تماما للتطرف الديني لا يقل شأنًا عنه، وقد يكون أحد أسباب بروزه باعتباره رد فعل طبيعي عاكسه في الاتجاه وزاد عليه قوة، وجعل منه ضدا نوعيا ومعادلا موضوعيا.

حيث تبرز ظاهرة التطرف الديني والسياسي على سطح المجتمعات العربية والإسلامية، وتلقي بضلالها عليه، وتؤثر مقدار الاعتماد عن إمكانية التوافق بين الأنظمة السياسية والأيدلوجيات والاتجاهات المختلفة داخل المجتمع الواحد أو المجتمعات المتعايشة جنبًا إلى جنب في عالم لا يمكن الفصل بين المؤثرات المتداخلة في تكوينه بفعل السقالات النوعية في القرن الأخير، وبمقدار ما يقترب العالم من كونه قرية صغيرة إلا أن ذلك لا يصلح أن يكون مؤشرا على التجانس، بل ربما العكس هو الصحيح.

والحديث عن التطرف قد أخذ بعدا وحيزا أكبر في هذا العصر، وذلك بسبب بروز جماعات إسلامية وقعت ببعض مظاهر التطرف، وهم من المنتمين للدعوة الإسلامية، فاقم الغير بالتطرف، وتم تعميم هذا المصطلح للأسف الشديد بشكل عام على كل متمسك بتعاليم الدين، لذلك أصبح السؤال الملح الآن..

هل التطرف العقائدي وباء أم عارض؟

وهل يتخطى مجتمعات دون غيرها .. أم أنه يصيب كل المجتمعات؟

وهل يصيب الجماعات فقط .. أم أنه يصيب الأفراد والجماعات معا؟

والبدء يجب أن نقول: لا يوجد مجتمع ليس فيه متطرفون، فالمجتمعات عادة تتكون

من أطراف أثنية ودينية وسياسية عريضة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وحتى

قوميون، ولكن الفرق هو في تلك المجتمعات المفتحة فكريا يكون تأثير المتطرفين على الجمهور ضئيلا جدا، وأحيانا معدوما، بل إن الوضع الثقافي المنفتح يؤدي إلى عزل المتطرفين فكريا وتطويقهم، والسعي إلى معالجة أوضاعهم من خلال الحوار الديني والسياسي والثقافي، في حين أنه في المجتمعات المغلقة يكون تأثير المتطرفين كبيرا جدا على الدرجة التي يتحولون فيها إلى مركز جذب واستقطاب، وتلك هي خطورتهم في مثل هذه المجتمعات.

وبالمحصلة فإنه تقف خلف كل سلوك جملة دوافع وعوامل تفسر أسبابا كاملة تعلق انتهاج السلوك المعين، وظاهرة التطرف لها أسبابها ودوافعها، علينا تحديدها بشكل واضح للوصول إلى جوهر الحلول وجذورها، ولا شك أننا سنكون في حالة إرباك إذا لم نعرف حقا الأسباب التي تدفعنا وتسيرنا، لذلك كان لزاما علينا أن نتحاشى الأحكام المتسارعة لظاهرة التطرف، والسعي لتأصيل المسألة ضمن مفهوم البحث العلمي الهادف، وبالله المستعان.

- أهداف البحث:

الهدف من هذا البحث هو الوصول إلى ثلاثة أمور، هي من الأهمية بمكان كبير:

١- حقيقة التطرف.

أ- معناه.

ب- تقاطعه مع بعض المصطلحات المقاربة بالمعنى.

ج- جذوره.

٢- مظاهر التطرف الموجودة، ونقدها في ضوء النصوص والقواعد الشرعية.

إذ البحث عبارة عن دراسة نقدية وبيانية وتوضيحية لبعض مظاهر التطرف، وآثارها ومجالاتها، واعتماد البيان الشرعي التأصيلي للرد على أبرز هذه المظاهر.

مع بيان بعض الشبهات المعاصرة لجماعات متطرفة ومناقشتها، وبيان مدخل الزلل والخطأ في تفسير النصوص التي استند إليها أصحاب هذا التوجه في فتاواهم هذه.

٣- تسليط الضوء بشكل مركز على الأسباب للوصول إلى العلاج الأنجح لهذه الظاهرة معتمدا في ذلك أسلوب البحث العلمي والميداني والتبويسي في توضيح الأسباب

وإيجاد الحلول وبالتالي العلاج، لذلك كان من الضروري أفراد فصل مستقل لكل من الأسباب والعلاج.

- أهمية الموضوع:

إن لهذا الموضوع أهمية بالغة، في ذاته وفي زمنه، وفيما يتعلق بمستقبل الدعوة الإسلامية، فضلا عن رد المزاعم الدولية والعدائية الداعية إلى حصر التطرف في التعاليم الإسلامية دون سواها من الديانات الأخرى.

فمن حيث الموضوع ذاته فهو يتعلق بعقيدة المسلمين، وتقويتها من شوائب التطرف والتشدد، وبالتالي .. الغلو من جانب، ويتعلق بالدعوة الإسلامية، والدعاة من جانب آخر.

- ومن حيث زمن الموضوع .. فإن البحث يكتب في الظروف التالية:

١ - بروز أعمال متطرفة وأفكار متطرفة وآراء تصب في ذات الجانب من بعض المنتمين إلى التيارات الإسلامية، وهذه الأعمال والآراء لا بد من نقدها وإعادة تمهيد المسار الصحيح نصحا للأمة.

٢ - غياب معنى التطرف في الشريعة الإسلامية عن أذهان معظم الناس وعدم تحديد هذا المصطلح، وبيان حقيقته بوقوع الناس في التوهم والخلط بين التطرف والإرهاب، ومنعا كذلك من الانزلاق حول مفاهيم للتطرف يطرحها أعداء الدين من علمانيين وجهات غريبة متعددة.

٣ - اتخاذ محاربة التطرف ذريعة لمحاربة الإسلام، مما يستلزم رفع الستار عن ميدان من أخطر ميادين الصراع بين الإسلام والكفر.

ومن حيث مستقبل الدعوة؛ فإنه لا بد من تصحيح مسار الدعوة الإسلامية، وبحث موضوع التطرف الديني يمكن أن يساعد على ذلك بصفة أساسية في ثلاثة جوانب:

١ - التأصيل:

إذ لا بد من البحث الشرعي المبني على أصول الشرع وقواعد الاستنباط لكثير من

الدراسات والبحوث التي تناولت الموضوع، مما يستلزم رفع الستار عن ميدان من أخطر ميادين الصراع بين الإسلام والكفر.

واقع في الإفراط، وبين جاف واقع في التفريط، ضاع الحق والتبس عند كثير من الناس، فكان هذا البحث الحد الفاصل بين الإفراط والتفريط، وإيضاح مقاصد الشريعة الإسلامية، ورسالتها الخالدة.

٢ - التحصين:

إذ إن التطرف ليس مشكلة آنية، فالحوادث اليوم يمكن أن يزول، لكن قد يطرأ مرة أخرى؛ إذا وجد عوامله.. فلا بد من بيان التطرف وأسبابه وضرره ومظاهره، وعوامل انتشاره، لتقطع المشكلة، ويحصن الدعاة والمجتمع ضدها، فلا تتكرر مرة أخرى.

٣ - الحماية:

فإن وجود التطرف سبب في عرقلة تقدم الصحوة الإسلامية المدعومة بأفكار الدعوة الإسلامية المعتدلة هذه العرقلة ربما أوجدت المسوغات لضرب الصحوة الإسلامية، فكان لا بد من إبعاد العوائق والعقبات أمام الدعوة الإسلامية وحماتها من كل ما يتسبب في عرقلتها، والوقوف في طريقها.

- بيان حقيقة التطرف العالمي:

إن البحث في التطرف وأفكاره بشكل عالمي في كل أمة من الأمم، وحنسارة من الحضارات كان ضروريا في هذا البحث لرد شبهة العلمانيين وأعداء الدين بشكل عام، والذين يزعمون أن التطرف الديني ظاهرة محصورة في المجتمعات الإسلامية فقط، متناسين أو متجاهلين عن عمد التطرف عند اليهود والنصارى والمهند السيخية، وبعض الأديان المصرية القديمة.

لذلك كان البحث في هذه الموضوعات زادا جيدا لكل باحث للوصول إلى معسى مفاده: أن التطرف ظاهرة عالمية لا تنحصر في مجتمع من المجتمعات، وحصرها في المجتمع الإسلامي فقط ما هو إلا مقدمة لضرب الإسلام والمسلمين في عقيدتهم، والنيل من تقدم الصحوة الإسلامية المتقدمة بشكل ظاهر.

- أسباب اختيار الموضوع:

نظرا لأهمية الموضوع فقد عزمنا بعد الاستشارة والاستشارة على تسجيله، وذلك

للأسباب التالية:

١ - رغبتي في موضوع ذي نفع وفائدة للإسلام والمسلمين.

٢ - جدة الموضوع، وندرة الدراسات الجادة فيه.

٣ - رغبتي في موضوع يجمع بين الفكر والفقہ، ضمن منظومة متعاونة مؤصلة بشكل شرعي، تجمع بين نصوص الفقہ والاجتهادات الفكرية الجادة والمادفة في هذا الموضوع.

٤ - إزالة الشبه التي وقع فيها الكثير ممن ينتمون إلى الحركات الإسلامية، كذلك بيان حقيقة الإسلام ومنهجه المعتدل والوسطي في جميع قضاياها.

- خطة البحث:

لقد استخرت الله سبحانه وأثبت للبحث خطة اجتهدت في ترتيبها وتقسيمها، بحيث تكون العقد الذي ينتظم جزئيات البحث.

وكان أبرز ملامح تلك الخطة ما يلي:

المقدمة وتشمل على:

- ١- الاستفتاح.
- ٢- موضوع البحث.
- ٣- أهداف البحث.
- ٤- أهمية الموضوع.
- ٥- أسباب اختيار الموضوع.
- ٦- خطة البحث.
- ٧- منهج البحث.
- ٨- مصادر البحث.
- ٩- الصعوبات التي واجهت الباحث.
- ١٠- شكر وتقدير.

الفصل الأول

وهو فصل تمهيدي

المبحث الأول: التطرف ومصطلحات مقاربة.

المبحث الثاني: التطرف الديني ظاهرة شاذة لدى الشرائع السماوية السابقة والأديان القديمة.

المبحث الثالث: جذور التطرف الديني.

أ — الجذور التاريخية.

ب — الجذور النفسية.

ج — الجذور الفكرية.

الفصل الثاني

وعنوانه: الإسلام دين الوسطية والاعتدال في العقيدة والشريعة.

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: حرية التفكير والاعتقاد في الإسلام.

المبحث الثاني: الإسلام والشرائع السابقة.

المبحث الثالث: الوسطية في العقائد والعبادات والمعاملات.

الفصل الثالث

وعنوانه: أسباب التطرف في المجتمع الإسلامي المعاصر.

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: الأسباب المباشرة.

أولاً: الفهم الخاطئ لنصوص الكتاب والسنة.

ثانياً: الكبت الفكري الممارس من قبل السلطات الحاكمة على العلماء والعامّة على السواء.

ثالثاً: الفساد العقدي والحلقي في حياة الأمة.

رابعاً: التعصب للجماعة أو الطائفة.

خامساً: القصور والتبعية في مناهج التعليم.

سادساً: شيوع الظلم بشئى صورته وأشكاله.

المبحث الثاني: الأسباب غير المباشرة

- ١- أسباب اقتصادية.
- ٢- أسباب سياسية.
- ٣- أسباب اجتماعية.
- ٤- أسباب ثقافية.
- ٥- أسباب تتعلق بدور الإعلام.

المبحث الثالث: الأسباب العلمية للتطرف

- ١- الجهل بالقرآن الكريم.
- ٢- الجهل بالسنة المطهرة.
- ٣- الجهل بقدر السلف وأهل العلم.
- ٤- الجهل بتحقيق الإيمان وعلاقته بالأعمال.
- ٥- الجهل بمراتب الأحكام.
- ٦- الجهل بمراتب الناس.

الفصل الرابع

وعنوانه: مجالات التطرف.

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: التطرف الاعتقادي.

المبحث الثاني: التطرف السلوكي (العمل).

المبحث الثالث: التطرف في الحكم على الناس.

الفصل الخامس

وعنوانه: آثار ومظاهر ومخاطر التطرف.

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: حقيقة الولاء والبراء.

المبحث الثاني: آثار ومظاهر ومخاطر التطرف عند بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة.

المبحث الرابع: دور الأعداء في تضخيم ظاهرة التطرف عند المسلمين.

الفصل السادس

وعنوانه: سبل العلاج.

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

- المبحث الأول: كيف تعالج هذه الظاهرة؟
- المبحث الثاني: أثر الإيمان بالله وشريعته في علاج التطرف.
- المبحث الثالث: الجهات والمؤسسات التي لا بد أن تعنى بالتعامل مع التطرف.
- المبحث الرابع: توصيات ونتائج خاصة لعلاج ظاهرة التطرف.

الخاتمة

وتتضمن:

أ - نتائج البحث التي وصل إليها الباحث.

ب - التوصيات.

- منهج البحث:

لقد بذلت وسعي أن أخرج نهما علميا خالصا غير مشوب بغرض من هوى أو تعصب لرأي، بل - بحمد الله - حرصت أن أدرس كل جزئية من جزئيات البحث غير صادر عن رأي أنتصر له، أو فكرة أتمسك لها، فكنت قد أحلص إلى ما كنت أظن أنني سأخالفه.

ولا أبرئ نفسي بهذا من شوائب الإلحاح والحماسة في تقرير بعض المسائل، ولكنني حسي أن ذلك صادر عن قناعة ويقين تام، بما أراه حقا، مما توصلت عن طريق الأدلة والحجج، فكان الدليل هو الموجه، ولم يكن الرأي هو الموجه، أو المؤول للدليل.

أما تحرير وصياغة هذا البحث .. فيمكن إجمال جوانب المنهج في النقاط التالية:

أولا: المادة العلمية.

١ - اعتمدت نقل الآراء الخاصة بكل شخص أو فئة من المصادر الأصلية، ولم أعتمد على المصادر الناقدة أو الناقله لهذا المصدر أو ذاك إلا في حالات نادرة، وذلك

عندما لا يتوفر المصدر الأصلي، فيكون الأخذ بالنقل عن المصدر الأصل أمر ضمني لازم، ومع ذلك تم توثيق النقل بشكل دقيق.

٢ - اعتمدت الاهتمام بأمانات المسائل والآراء والأدلة، وأعرضت عن كل ما أراه من الآراء الثابتة، أو الأقوال الغير دقيقة، في هذا الموضوع، حيث رأيت أن الخلل والزلزل كثيرا عند أهل التطرف، أو عند بعض ناقدتهم، ولو ناقشت كل ما قالوه .. لما انتهى بي الأمر، ولطال البحث بشكل كبير، ولا أحسب إلا أنه قد يخرج عن المسار المحدد له في العنوان.

٣ - تعمدت الإكثار في أقوال العلم في مناقشة آراء المتطرفين، وخصوصا العلماء الموثوق بعلمهم عند معظم الفرق؛ كالصحابة ورؤوس التابعين والطيبري وابن تيمية ونحوهم.

٤ - أطلت الحديث عن الجذور التاريخية والفسية والفكرية في هذه الدراسة، وذلك بهدف توثيق هذه المرحلة توثيقا يتعرف من خلاله القارئ على حقيقة الأصل أو الجذر لظاهرة التطرف، وليكون الضوء الذي ينطلق من خلاله في تفسير كثير من مظاهر التطرف في الحياة المعاصرة.

٥ - بينت أهمية الوسطية في هذه الدراسة، وذلك لأن الهدف الرئيس من هذه الدراسة نيل التطرف بكامل أنواعه، واعتماد الوسطية كمنهج أو مثل في التفكير والتصرف، وذلك هو شأن الإسلام عموما.

- الحواشي والتوثيق:

لقد وشيت هذا البحث بحواش كان من أبرز استعمالاتها:

- أ - عزو الآيات القرآنية إلى سورها وذكر أرقامها.
- ب - تخريج الأحاديث بشكل غير موسع، بل اعتمدت ذكر الحديث في مظهره فقط.
- ج - عرفت بالأعلام الذين وردت أسمائهم في هذا البحث تعريفا موجزا، ولم أفرق بين علم مشهور وغيره، حتى ما كان من أعلام غربيين فقد تم تعريفهم ما أمكن.
- د - توثيق القول، وقد كان لهجي في هذا التوثيق متمثلا في:

- أ - عند الإحالة إلى كتاب أصدر باسم المؤلف، ثم الكتاب ثم الجزء والصفحة، وأستثنى من ذلك مراجع التراجم، حيث ذكرت اسم المؤلف في أول ذكر للمرجع فقط، نظرا لتكرار مراجع التراجم في كل صفحة تقريبا.
- ب - عند الإحالة إلى كتاب ذكر اسم صاحبه في الأصل أكتفي بذكر اسم الكتاب.
- ج - عند الإحالة إلى مرجع ذكر اسمه واسم مؤلفه في الصلب أكتفي بذكر الجزء والصفحة.
- د - عندما أذكر الكلام في الصلب غفلا عن ذكر اسم القائل فإنني أصدر باسم القائل ثم المصدر، هكذا (شيخ الإسلام، الفتاوى، ١٠ / ٢٢٠).
- هـ - عند تكرار النقل من مصدر واحد ولم يفصل بين النقلين حاشية أخرى أوثق النص بقولي: (المصدر نفسه) إلا إذا كان اسم الكتاب قصيرا.. فإني أكرر اسم الكتاب.
- و - عند الإحالة إلى مرجع أجنبي أذكر اسمه في الحاشية باللغة العربية، مثل: (الموسوعة البريطانية).

- علامات الترقيم:

وقد استخدمت علامات الترقيم في هذا البحث، وأخص بالبيان من العلامات الآتية:

- ١ - ﴿ ﴾ القوس المزهر للآيات القرآنية.
- ٢ - « » القوس المكسور للأحاديث النبوية الشريفة.
- ٣ - [] القوس المضلع للدلالة على زيادة داخل الاقتباس الحرفي؛ من شرح أو توضيح أو تعليق أو تصحيح.
- ٤ - () القوس العادي للدلالة على نص أو فقرة مقتبسة داخل فقرة أخرى .
- ٥ - الشرطة (-) وأستعملها في أول السطر للدلالة على تقسيم معين لم أرقم له، وبعد الأرقام، وللدلالة على الجمل المعترضة داخل البحث.

- الفهارس

عُنيَت في ختام البحث بوضع فهرس فنية تكون مفاتيح للبحث، ونجوما للفسارى

يهتدي بها، فكانت على الشكل التالي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الأعلام المترجمة.

٤- فهرس الأبيات الشعرية.

٥- فهرس المراجع والمصادر.

٦- فهرس الأبحاث والموضوعات.

- مصادر البحث:

يمكن تصنيف المصادر التي صدر عنها هذا البحث إلى ثلاثة أصناف:

الصف الأول:

المصادر التأصيلية، وأعني بها الكتاب والسنة وكتب أهل العلم من سلف هذه

الأمة، فكان الكتاب هو المعين الأول الذي استقيت منه، ثم مضيت إلى جامع الأصول

وجمعت منه النصوص المتعلقة بالبحث، ونظمت عقدها ليسهل علي مراجعتها.

ووضعت كل نص منها موضعه، فكانت نجوما مزهرة في سماء هذا البحث.

ثم نثيت بكتب أهل العلم، فحرصت على قراءة واستعراض مؤلفات عدة، ونقلت

منها ما يناسب البحث وما يتعلق بموضوعه، ثم رصّعت جيد هذا البحث بتلك النقول التي

منها:

- ما كان مفسرا لمعنى أخذته من نص.

- ما كان شاهدا لرأى من آراء أهل العلم المختلفة.

- وما كان ردا على طوائف من أهل التطرف السابقين، ويرد به على نظرائهم

المعاصرين.

الصف الثاني:

كتب المتطرفين الغلاة والمتهمين بالتطرف.

فلقد تم بحمد الله وتوفيقه توفير مجموعة من كتب العديد من الجماعات الإسلامية ذات التوجه المتطرف من أمثال (جماعة المسلمين) ويسمى الإعلام (جماعة التكفير والهجرة).

وبعض الحركات الأخرى ذات التوجه التكفيري، كما أتاح لي فرصة البحث والتنقيب فيها بشكل جيد وتدوين ما يحتاجه البحث من هذه النقول ودراستها وصولاً إلى مرحلة الرد على بعضها.

الصف الثالث:

ما كتب حول ظاهرة التطرف في حياة المسلمين المعاصرة.
وقد مثلت هذه المصادر إشكالا كبيرا بالنسبة لي حيث حصلت على:
- آلاف الأوراق من الصحف، وخصوصاً الخليجية منها، حول التطرف وجماعات المتطرفين.

- عشرات الكتب حول مشكلة التطرف، فأما الصحف فلم أستفد منها شيئاً، بل هي غناء حيث اتضح لي أن معالجة الموضوع عبرها كان للإثارة والتسهيل، لا للعلاج والتقييم، وغاية ما استفدته منها حسن تصور لبعض جوانب الموضوع.
وأما الكتب فمعظمها صادر لغرض تجاري، وخصوصاً أن كثيراً منها كان مجموعة من اللقاءات والحوارات المنشورة في الصحف، والتي جمعها الصحفيون المختصون بالموضوع، وبالتالي فإن مثل هذه الكتب عادة تكون بعيدة كل البعد عن توصيف الظاهرة توصيفاً دقيقاً، وصولاً إلى علاج مناسب أو تشخيص يرجع إلى أسباب دقيقة، وما إلى ذلك.

وقليل من هذه الكتب كان يعالج الموضوع بعلم بالشرع وعلم بالواقع، عسى تفرقت في أسلوب وجودة المعالجة، وقد استفدت من هذه الكتب، لكنني لم أجعلها عمدة في هذا البحث.

كما تجدر الإشارة إلى أنني استفدت بشكل رئيس من الكتب التي صدرت عن مؤتمرات انعقدت في العديد من البلاد الإسلامية والتي تحمل العنوان ذاته، أو ما يقاربه، فكان فيها نوع من التشخيص والتحليل لظاهرة التطرف، ولكن من وجهات نظر مختلفة،

فكان الاطلاع على هذه الاختلافات في وجهات النظر عظيم الفائدة بالنسبة لموضوع البحث، فاعتمدت بعض حالات التشخيص والتحليل وأضفت إليها ما كان مناسباً من وجهة نظري، والهدف إغناء البحث بشكل يستوعب كامل جزئيات البحث.

- الصعوبات التي واجهت الباحث:

لقد برزت في طريق البحث صعوبات عدة، يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

١- المصادر العلمية: لقد كان أول الصعوبات عند الشروع في البحث قلة المصادر حيث كانت مصادر البحث عقبة كأداء؛ إذ صعب علي توفير بعض المراجع، وخصوصاً كتب المهتمين بالتطرف والكثير من الكتب التي كتبت حول ظاهرة التطرف، إذ كان وجودها بين يدي للبحث أمراً صعباً مما اضطرني للسفر إلى بعض البلدان العربية حيث أحضرت معظم الكتب المهمة بهذا الموضوع والنشرات والدوريات التي تدرس هذه الظاهرة، وللأسف الشديد برزت صعوبة أخرى حيث أمضيت وقتاً في مطالعة هذه الكتب والمقالات والدوريات، فكانت قليلة الغناء، كثيرة العناء، فلم استفد منها إلا القليل.

٢- المصطلحات: يرافق التطرف العديد من المصطلحات الأخرى كالشدد والغلو والإرهاب والعنف والتنطع والتعصب... إلخ.

هذه المصطلحات وتداخلها مع بعضها البعض وعدم التفرقة فيما بينها في قواميس التعاريف العالمية جعل المهمة شاقة في تحديد مسار البحث، وخصوصاً أن الصحف العالمية المعاصرة تخلط خلطاً كبيراً بين التطرف والإرهاب، والكثير من الكتب المعاصرة تخلط كذلك بين التطرف والغلو.

هذا التداخل جعل البحث يتجه نحو تحديد كل مصطلح على حدة، وإيجاد علاقة ما بين المصطلحات المقاربة لمفهوم التطرف مع بعضها البعض ومفهوم التطرف والخروج في النهاية حول مفهوم ازدواجية واتحاد التطرف والإرهاب والغلو، كنتيجة بحثية. إذ إن القواسم المشتركة فيما بينها كبيرة جداً، بحيث أن الحديث عن الغلو هو ذاته الحديث عن التطرف الذي يسبق الإرهاب المؤدي إلى العنف كنتيجة نهائية.

- ٣- كثرة الأحاديث الواردة في البحث والتي يلزم تخريجها وقتا طويلا جدا، وقد استهلك هذا التخريج الكثير من الوقت والجهد مما شكل علي ضغطا كبيرا، فعامل الوقت مهم جدا في مثل هذه الدراسة.
- ٤- أن هناك معلومات كثيرة تعبت عليها وجمعتها ولكني رأيت أنها غير حقيقة بأن أكتيها في البحث، لسبب من الأسباب، وقد مثلت هذه النقطة صعوبة كبيرة حيث أخذ مني هذا الجمع وقتا وجهدا كبيرا.
- ٥- أن مظاهر التطرف يجر بعضها بعضا، ولذلك فإن البحث فيها يستلزم بعض التكرار، وقد حاولت جهدي تلافي هذا التكرار، ببحث كل موضوع في موضعه الخليق به، ثم الإحالة على ذلك الموضوع.
- ٦- أن هذا البحث جاء في وقت أصابت البلدين الجارين سوريا ولبنان شوائب سياسية معقدة، مما زاد عامل الضغط النفسي لدي، والذي دفعني للتفكير بمآل الأمور لو ازدادت قضايا السياسة تدهورا، مما كان له أثر في تقليص عدد الزيارات إلى الأستاذ المشرف والاستغناء عن الزيارات بالاتصالات الهاتفية، لمتابعة التوجيه والاستفادة الكاملة من نصائح الدكتور المشرف حفظه الله.
- ٧- من الصعوبات أيضا تعقد الموضوع، وكثرة المواضع المشتبهة فيه، ولذلك أحجم كثير من الباحثين عن المغامرة باقتحام لجنته، وأشفق كثير ممن أعرف علي منه، ولكن عون الله وفضله سهل علي ما استصعبته، فله الحمد والمنة.
- ٨- أن الباحث في مثل هذا البحث يقف موقف القاضي الحاكم على المسلمين، حيث يحكم بالتطرف على شخص أو فئة، مما شكل صعوبة نفسية عليه، سهلها استشعار قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾^(١).
- ٩- أن هناك جوانب عديدة في هذا البحث استشكلت على الباحث كثيرا حتى سهل الله ﷻ فهمها، وبالتالي تبويبها عن طريق توجيهات فضيلة المشرف والاستفادة من إجابات بعض أهل العلم عما طرحته عليهم من أسئلة.

شكر وتقدير

إني لأرى حقاً علي صدر هذا البحث أن أزجي الشكر الوافي والثناء العاطر إلى كل من أعانني في عملي هذا بأي شكل من أشكال العون.
وأول الشكر وآخره ومبدأ الحمد ومنتهاه هو لولي الحمد ومستحقه، ذي المنن الجزيلة، خالقي ورازقي ومولاي، فله الحمد وإليه الحمد، ومنه الحمد، حمدا لا ينتهي لحسده، ولا مبلغ لأمدته.

ثم لحالي العزيز الذي عوضني فقد والدي رحمه الله تعالى في صغري المهندس مهدي صالح الجراد .. ووالدي المصون حفظهما الله، فقد كان فضلهما علي عظيمًا، فليس البحث ولا الباحث إلا من حسناهما، فقد كانا نعم السند في كل شيء.
الله أسأل أن يبارك لي في عمريهما.

كما أحص بالشكر والثناء والتقدير فضيلة الشيخ الدكتور محمود عكام، الذي كان فضله عليّ بعد فضل الله كبيراً؛ توجيهها وتصحيحا لمسار البحث.
ثم لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية، الذي كان رحب الصدر والبيت؛ حيث كان لآرائه وتوجيهاته الأثر الكبير في تقويم هذا البحث.

ثم فضيلة الأستاذ الدكتور بركات الهبود، الموجه والمعين والمساعد الأول عليّ تخطي جميع الأزمات في تمام هذا البحث، فهو الأب الروحي والأستاذ القدوة علماً وحلمًا.

وأطرز شكراً جزيلاً لمرصعاً للأخ المحقق والباحث الشيخ محمد مصطفى الخطيب، الذي رافقني مسيرة هذا العمل جولةً جولةً، شراً بشير، وذراعاً بذراع، فجزاه الله خير الجزاء، وحشره مع النبيين والشهداء.

والنسيح الخاص من الشكر للجندي المجهول، الذي أبي لإحلاصه أن أذكر اسمه، وآثر أن يظل اسمه في ديوان الملائكة، لا في قراطيس العبيد، أسأل المولى الكريم، أن يهب له في خير وعافية.. عمراً مديداً، وحظاً سعيداً.

والشكر الكبير والخاص لأصحاب الفضيلة المناقشين الكرامين على ما أمضيا من وقت وأذبا من جهد في سبيل قراءة هذا البحث لتقويمه وتسديده.
وستام الشكر والوفاء والامتنان لفضيلة الأستاذ المشرف على هذه الرسالة الدكتور المربي، والعالم الفاضل الشيخ أحمد اللدن على ما قدمه من نصائح ثرية وغنية، جعلت للبحث رونقا ومنهجا يحترم بين المناهج، فضلا عن الحلم والعلم الذي تميز بهما، والتي غرقت في بحرهما، حفظه الله وأيده.

وفي ختام هذه المقدمة:

أعترف بأن هذه المحاولة هي أول الدرج في درب الأبحاث العلمية الجادة، فلا زلت في بداية الطريق، ولذلك فإن ما توصلت إليه من نتائج ربما احتاج إلى تسديد، وما قمت به من جهد ربما احتاج إلى إكمال وتأييد؛ فإن أكن وصلت إلى الغاية التي رمتها، وأنضيت راحلتي من أجلها .. فذلك فضل الله علي، وإن أكن قصرت عنها أو ضللت الطريق إليها.. فذلك مني ومن الشيطان، وأسأل الله المغفرة عما سلف وكان من الذنوب والعصيان، وأستمد منه العون؛ فهو وحده المستعان، وعليه التكلان.
والحمد لله رب العالمين

وكتبه:

سفير بن أحمد الجراد

في ضحى يوم السبت

الثامن والعشرين من شهر محرم / ١٤٢٧ هـ

الموافق ٢٥ / ٢ / ٢٠٠٦ م



الفصل الأول
التعريف والنشأة



ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:
المبحث الأول: التطرف ومصطلحات مقاربة.
المبحث الثاني: التطرف الديني ظاهرة شاذة لدى الشرائع السماوية السابقة
والأديان القديمة.
المبحث الثالث: جذور التطرف الديني.

استهلال:

العلم بحقائق الأشياء والوعي بمعانيها يعد مدخلاً أساسياً لتصورها، وفي المأثور من أقوال أسلافنا: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وقد عُي العلماء المسلمون بالألفاظ الشرعية والمصطلحات اللغوية، وحرصوا على تحديدها؛ حيث إن مصدر العلم بمعنى قول الشارع يرجع إلى أمرين: اللغة التي تكلم بها، ومقصود الشارع من الألفاظ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك.

لقد أصبحت المصطلحات أدوات في الصراع الحضاري والفكري بين الأمم، وفي داخل الأمة الواحدة، إذ يهتم أعداء أي مبدأ أو فكر في صراعهم مع المبادئ الأخرى بالألفاظ والمصطلحات، وحين يكون القوم يعادون الحق فإنهم يعرفون الألفاظ والمعاني، ويغيون القول الحق فيها.

وإنما كان المصطلح أداة في الصراع لأنه الوعاء المعبر عن العقيدة، أو الفكر، أو الرأي، ولذلك فإن كسر ذلك الوعاء غرض رئيس للمعادين يمثل خطورة كبرى على العقائد، أو الآراء أو الأفكار لأي أمة، وبهذا كان الحفاظ على مصطلحات الأمة من جهة، ومخاربة مصطلحات الأمم المعادية من جهة أخرى ركنين أصليين في عملية الصراع. واليوم في هذا العصر قد ملأت قضية ما يسمى بـ (التطرف) الدنيا، وشغلت الناس، وأصبحت حديثاً مشتركاً بكل اللغات، وعلى اختلاف الحضارات، ولكن وإن نطق الجميع بالكلمة فإنهم يختلفون في تحديد معناها، فلا تكاد تعريفات (التطرف) تقع تحت الحصر، وكلُّ مقررٍ بنسبية المصطلح، وعدم تحده وعدم الاتفاق على معناه، ومع أن الجميع يدعى للإسهام في حرب (التطرف) والإرهاب) وتلك معضلة كبرى، توجب على العقلاء أن يدرسوا الأمر إذ كان هماً عاماً.

إن ديننا دينٌ "تميز فيما تميز به بدقة ألفاظه، وتحديد معانيها وبناء الأحكام على ذلك، فليس أمة عنت بنصوص وحيها فدرست الألفاظ ومعانيها، دراسة لغوية ودراسة يتبع فيها استعمالات الشارع لتلك الألفاظ كهذه الأمة.

أما وقد شاع هذا المصطلح فإن هذه الدراسة دراسة قصد بها بيان المصطلحات المتعلقة بهذا الموضوع، وأثرها في الصراع الحضاري بين الأمم توصلنا إلى معرفة تاريخها واستعمالاتها، وما ذكر عند الناس في معناها، ثم ذكر الألفاظ الشرعية المستعملة في هذا الباب.

وانطلاقاً من أن فهم مصطلحات البحث هو مفتاح فهم مرامي الباحث ومقاصده؛ لأن تلك المصطلحات - في الغالب - ألفاظ جامعة يبنى عليها كثير من مسائل البحث وموضوعاته.

وفي هذا البحث كثير من المصطلحات التي يمكن تصنيفها إلى صنفين:

- الصنف الأول: مصطلح التطرف، وهو المصطلح الرئيس في هذا البحث.

- الصنف الثاني: مصطلحات مقارنة، وهي من صميم موضوعه.

وذلك مثل (الغلو - العنف - الإرهاب - التشدد).

وكلا الصنفين حقيق بالبيان والشرح، بيد أن الصنف الأول هو الأصل في هذا البحث، ولتعميق التشابه وإبراز التقاطعات المشتركة بين الصنفين جاء الحديث عن تحديد وتفصيل التعريفات في الصنف الثاني وصولاً إلى تعريف مشترك نطلق منه - بعونه تعالى - لتحديد وجهة البحث.

المبحث الأول
التطرف ومصطلحات مقارنة

التطرف لغة

التطرف لغة :

قال ابن فارس^(١): الطاء والراء والفاء أصلان:
فالأول: يدل على حد الشيء وحرفه.
والثاني: يدل على حركة فيه^(٢).
طرف الشيء في اللغة ما يقرب من نهايته، وقيل: ما زاد عن النصف.
قال الجصاص^(٣): طرف الشيء إما أن يكون ابتداءه ونهايته، ويبعد أن يكون مسا
قرب من الوسط طرفاً^(٤).
قال المناوي^(٥) في (التوقيف على مهمات التعاريف):
التطرف: الوقوف في الطرف، والطرف بالتحريك: جانب الشيء، ويستعمل في
الأجسام والأوقات وغيرها.

١ - ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين : من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه السديع
المسدي والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قروين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى السري
فوفي فيها سنة ٣٥٩ هـ، وإليها نسيته. من تصانيفه: مقياس اللغة، المجلد، الصحاحي في علم العربية، ألف خزنة
الصاحب ابن عباد، وجامع التأويل في تفسير القرآن، وكتاب التلاوة في الكلمات المكونة من ثلاثة حروف متماثلة،
وله شعر حسن.. ابن خلكان ١ / ٣٥ والأبوابي: ٣٩٢ والبيهقي: ٢١٤/٣ وآداب اللغة ٣٠٩/٢.
٢ - معجم مقياس اللغة لابن فارس ٢ / ٩٠ .
٣ - الجصاص: أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص : فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها
سنة ٣٧٠ هـ. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وحوطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب أحكام القرآن. تساريخ
بغداد: ٤ / ٣٢٠ والنياب ٩٧/١ ومعجم البلدان ٥٥/٢.
٤ - أحكام القرآن ٣ / ٢٥٠.
٥ - المناوي: محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوي ثم القاهري، الشافعي، صدر الدين، أبو المعالي : قاض،
عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب في الحكم، وولي إنشاء دار العدل، ثم قضاء الديار وولي إنشاء دار العدل، ثم
قضاء الديار المصرية استقلالاً سنة ٧٩١ هـ وحدث سيرته. وصرف بعد شهرين، ثم أعيد توفي سنة ٨٠٣ هـ.

واصطلاحاً: مجاوزة حد الاعتدال.
والعلاقة بين المعنيين اللغوي والعرفي واضحة، فكل شيء له وسط وطرفان، فإذا
جاوز الإنسان وسط شيء إلى أحد طرفيه قيل له: تطرف في هذا الشيء، أو: تطرف في
كذا، أي: جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط.
وعلى ذلك فالتطرف يصدق على التسبب، كما يصدق على الغلو، وينتظم في
سلوكه الإفراط، ومجاوزة الحد، والتفريط والتقصير علي حد سواء؛ لأن في كل منهما
حنوحاً إلى الطرف وبعداً عن الجادة والوسط.
فالتقصير في التكاليف الشرعية والتفريط فيها تطرف، كما أن الغلو والتشدد فيها
تطرف^(١).

جاء في لسان العرب لابن منظور^(٢) قوله: تطرف الشيء صار طرفاً وتطرفت
الشمس أي دنت للغروب^(٣)، وأورد بيتاً من الشعر نصه:
وفي الحمي مطروفاً يلاحظ ظله خيوط لأيدي اللامسات ركوض
وفي الشوع:

جاء في القرآن الكريم ﴿ وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾^(٤).

١ - التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي - تحقيق محمد رضوان - دار الفكر ط أول سنة ١٩٩٠م.
٢ - ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويعسي الإفريقي،
صاحب لسان العرب: الإمام اللغوي الحجة. من نسل ربيع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر وقيل: في طرابلس
العرب وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس. وعاد إلى مصر فتوفى فيها سنة ٧١١هـ، وقد
ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمى في آخر عمره. قال ابن حجر: كان مغرياً باختصار كتب الأدب المطولسة.
وقال الصغدي: لا أعرف في كتب الأدب شيئاً إلا وقد اختصره. أشهر كتبه لسان العرب عشرون مجلداً، جمع فقه
أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً. ومن كتبه عنتار الأغاني. فوات الوفيات ٢: ٢٦٥ وبغية الوعاة ١٠٦
ونكت الهميان: ٢٧٥ والدرر الكامنة: ٢٦٢/٤ وحسن المحاضرة: ٢١٩/١.
٣ - لسان العرب مادة (طرف).
٤ - طه: ١٣٠.

قال ابن كثير^(١) في تفسيره للآية: ﴿ وَمِنْ آتَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾^(٢) أي من ساعاته فتعجد به، وحمله بعضهم على المغرب والعشاء، وأطراف النهار في مقابلة آتاء الليل^(٣).

وفسر المراغي^(٤) قوله تعالى ﴿ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ بقول الرسول ﷺ: « لن يلبح النار أحد صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها »^(٥).

ويعني المراغي صلاة الفجر، وصلاة العصر.

التطرف هو تفعل - بتشديد العين - من طرف يطرف طرفا بالتحريك، وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما: إما الطرف الأدنى أو الأقصى^(٦) ومنه أطلقوه على الناحية وطائفة الشيء.. ومفهوم التطرف في العرف الدارج - في هذا الزمان - الغلو في عقيدة أو فكرة أو مذهب أو غيره يختص به دين أو جماعة أو حزب.

ولهذا فالتطرف يوصف به طوائف من اليهود ومن النصارى، فئمة أحزاب يمينية متطرفة أو يسارية متطرفة. فقد وصفت بالتطرف الديني والحركي والسياسي.

ويمكن أن نبين ملامح التطرف في ضوء النصوص الشرعية وتصنيفه بحسب متعلقه

إلى ما يلي :

١ - أن يكون التطرف متعلقا بفقهاء النصوص، وذلك بأحد أمرين :

١ - ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين : حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ، ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤ هـ، تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه البداية والنهاية في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٦٧ و تفسير القرآن الكريم و الاجتهاد في طلب الجهاد له مصنفات أدبية، وله مماليك منها مئة جارية ومئة غلام وغير ذلك شذرات الذهب:

١٩/٥. والدرر الكامنة: ٣٧٣/١ واليدر الطالع: ١٥٣/١ وشذرات الذهب: ٢٣١/٦ والبداية والنهاية: ٣٢٤/١٤.

٢ - طه: ١٣٠.

٣ - تفسير ابن كثير (١٦٦/٣).

٤ - تفسير المراغي ١٦٢/٦، دار إحياء التراث.

٥ - رواه مسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما بسرهم: ١٦٣٤، وأحمد في مسند الشاميين باب: حديث عمارة بن روية برقم: ١٦٧٦٩.

٦ - القاموس المحيط، و شرحه تاج العروس و لسان العرب و معجم مقاييس اللغة، و الصحاح و المصباح المنير مادة (طرف).

أ - تفسير النصوص تفسيراً متشدداً يتعارض مع السمة العامة للشريعة، ومقاصدها الأساسية فيشدد على نفسه، وعلى الآخرين.

ب - تكلف التعمق في معاني التزويل لما لم يكلف به المسلم، ومن هنا نشأت الفرق كلها أو أكثرها^(١).

٢ - أن يكون التطرف متعلقاً بالأحكام، وذلك بأحد أمرين :

أ - إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله عبادة وترهباً، وهذا معياره الذي يحدده الطاقة الذاتية، حيث إن تجاوز الطاقة وإن كان بممارسة شيء مشروع الأصل يعتبر تطرفاً وغلواً.

والقضية في هذا نسبة مناطها قدرة الشخص ومدى تحمله، يقبول الإمام الشاطبي^(٢): الفرق بين المشقة التي لا تعد مشقة عادة، أو التي تعد مشقة، هو أنه إن كان العمل يؤدي الدوام عليه إلى الانقطاع عنه، أو عن بعضه، أو وقوع خلل في صاحبه في نفسه، أو ماله، أو حال من أحواله، فالمشقة هنا خارجة عن المعتاد.

وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فطاقات في الغالب.. فلا يعد في العادة مشقة^(٣) وإن سميت كلفة، فأحوال الناس كلها كلفة في هذه الدار؛ في أكله وشربه وسائر تصرفاته، ولكن جعل له قدرة عليها بحيث تكون تلك التصرفات تحت قهره، لا أن يكون هو تحت قهر التصرفات.. فكذلك التكاليف.

ب. تحريم الطيبات التي أباحها الله على وجه التعبد، فهذا من التطرف كما يتضح ذلك من بعض روايات حديث النفر الثلاثة حيث حرم بعضهم على نفسه أكل اللحم.

ج. ترك الضرورات أو بعضها، وذلك كالأكل والشرب والنوم والنكاح، فتركها يعتبر تطرفاً، ويتضح ذلك من قصة النفر الثلاثة أيضاً^(٤).

١ - الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ٨٩.

٢ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الفرناطي الشهير بالشاطبي : أصولي حافظ . من أهل غرناطة . كان من أئمة المالكية . من كتبه (الموافقات في أصول الفقه - ط) أربع مجلدات ، و (المجالس) شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، توفي سنة ٧٩٠هـ . فهرس الفهارس ١/١٣٤، الديباج ٤٦ - ٥٠ .

٣ - الموافقات ج ٢، ص ١٢٣ .

٤ - ينظر كمال أبو الجهد، التطرف غير الجريمة ص ٣٦ - ٣٧ .

٣ - أن يكون التطرف متعلقا بالموقف من الآخرين حيث يقف الإنسان من البعض موقف المادح العالي الذي يوصل ممدوحه إلى درجة العظمة. ويقف من البعض الآخر موقف الذم العالي الذي يصم مخالفه بالكفر والمروق من الدين، مع أنه من أهل الإسلام.

فيتضح مما سبق أن :

أ - التطرف في حقيقته حركة في اتجاه القاعدة الشرعية والأوامر الإلهية، ولكنها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حددها الشارع^(١) فهو مبالغة في الالتزام بالدين، وليس خروجاً عنه في الأصل، بل هو نابع من الرغبة في الالتزام به.

ب - التطرف ليس دائماً فعلاً بل يدخل في الترك أيضاً، فترك الحلال وتحرمه ضرب من ضروب التطرف، هذا إذا كان على سبيل التدين، والالتزام بالدين.

ج - نسبة التطرف أو الغلو إلى الدين بقوله: التطرف الديني (أو) الغلو الديني (تجوز في العبارة إذ الغلو إنما هو أسلوب التدين لا الدين نفسه)^(٢) ولذلك جاء التعبير القرآني بقول: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٣) وقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين»^(٤).

د - الحكم على العمل بأنه تطرف يجب أن يتأق فيه، وينظر إلى العمل بدقة، فقد يحكم عليه بأنه تطرف مع أنه سليم، ولكن الوسيلة إليه قد تكون من باب التطرف، فيقع الخلط من هذا الباب.

هـ - ليس من التطرف طلب الأكمل في العبادة، ولكن من التطرف والغلو الإلتقال على النفس إلى درجة الملل، قال بعض العلماء: وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المودي إلى الملل أو المبالغة في التطسوع المفضي إلى ترك الأفضل^(٥).

١ - المصدر السابق.

٢ - ينظر محمد سعيد العشماوي التطرف في الدين وأبعاده مجلة المنار، عدد ٣٦، ص ٨١.

٣ - المائدة: ٧٧.

٤ - رواه السنائي كتاب: مناسك الحج باب: النقاط الحصى، وابن ماجه كتاب: المناسك باب: قدر حصى الرمي برقم: ٣٠٢٩، وأحمد في: مسند بني هاشم باب مسند عبد الله بن عباس برقم: ١٨٥٤.

٥ - ابن القيم: إنباء، ج ١، ص ١٠٠.

ز - ليس من العدل أن تصف إنسانا بالتطرف؛ لأنه التزم وأبى فقهيًا متشددا - من وجهة النظر المخالفة - إذا كان التزامه بناء على أمرين :

- اجتهاد سائق شرعا لمن بلغ درجة الاجتهاد.

- تقليد لعالم شرع موثوق في دينه وعلمه لمن لم يبلغ درجة الاجتهاد وتوفر أحد هذين الشرطين دليل على صحة الالتزام وخلوه من اتباع الهوى، ذلك أن متبعي الحق يفعلون ما يؤمرون به من حسن القصد، والاجتهاد لمن قدر عليه، أو التقليد لمن لم يقدر على الاجتهاد، ثم الأخذ في العمل بما قام الاعتقاد على صحته، وبمعكس ذلك أهل الأهواء فإنهم ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾^(١) ويجزمون بما يقولون بالظن والهوى جزما لا يقبل النقيض مع عدم العلم، فيعتقدون ما لم يؤمروا باعتقاده، ويقصدون ما لم يؤمروا بقصده، ويجهلون اجتهادا غير مأذون فيه، وهم بذلك مسيون متعرضون لعذاب الله، مع العلم أنه قد يقترن بالهوى شبهة فيصبح حقيقا بوصف الإساءة^(٢).

التطرف اصطلاحاً :

لقد أطلق العلماء قديما كلمة المتطرف على المخالف للشرع، والتطرف على القول المخالف للشرع، وعلى الفعل المخالف للشرع.

ومن الأول ما قاله ابن تيمية^(٣)؛ وكثيرا ما قد يغلط بعض المتطرفين من الفقهاء في مثل هذا المقام، فإنه يسأل عن شرط واقف، أو يمين حالف، ونحو ذلك، فيرى أول الكلام

١ - النجم: ٢٣.

٢ - بنظر ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٩، ص ٤٣.

٣ - ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الحضرمي النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران ونحوه إلى دمشق فانسج واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فترى أفتى بها، فقصدتها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسنج مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ، واعتقل لها سنة ٧٢٠ هـ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته سنة ٧٢٨ هـ. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلعه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف-

مطلقاً أو عاماً، وقد قيد في آخره، فتارة يجعل هذا من باب تعارض السدليين، ويحكم عليهما بالأحكام المعروفة للدلائل المتعارضة من التكافؤ والترجيح، وتارة يصرى أن هذا الكلام متناقض لاختلاف آخره وأوله، وتارة يتلدد تلدد المتحير^(١).

ومن الثاني - المتعلق بالقول - ما قال ابن تيمية في «المسودة»: «ومن الناس من لا يحكي إلا القولين المتطرفين دون الوسط»^(٢).

ومن الثالث: ما قاله القرطبي^(٣): «وتكره القبلة للصائم؛ من أجل ما يخف عليه من التطرف إلى الجماع والإنزال»^(٤).

وعلى ذلك يمكن القول: إن المقصود بالتطرف عند العلماء: القائل أو القول، أو الفعل المخالف للشريعة.

دلالة التطرف في بعض لغات العالم^(٥):

تعني دلالة التطرف اللغوية في أغلب اللغات اقتعاد الطرف أو الجانب الأقصى من الخط. وعلى ذلك فهو يناقض التوسط الذي يعني اقتعاد وسط الخط. ولا يختلف الأمر في دلالة اللغة العربية عن دلالة الكلمة التي تعنيه في اللغات اللاتينية والأجملوساكسونية.

إن كلمة "Extrmisme" في الفرنسية التي تعني نزعة التطرف، لها نفس الدلالة التي

- كرامة، وفي فوات الوفيات ألفاً تبلغ ثلاث مئة مجلد. فوات الوفيات ٣٥/١ ٤٥ والسدر الكامنة ١٤٤/١ والبدية والنهاية ١٣٥/١٤.

١ - مجموع الفتاوى. ٣١ / ١١٤

٢ - المسودة ١ / ٢٠٩.

٣ - القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري المرحوم الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمكة ابن حصيب في شمالي أسبوط، بمصر وتوفي فيها سنة ٦٧١ هـ. من كتبه الجامع لأحكام القرآن عشرون جزءاً، يعرف بتفسير القرطبي، وفتح الخرص بالزهد والفتاوى والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى والتذكار في أفضل الأذكار والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة مجلداً. في دار الكتب، طبع مختصره للشعراني. والتقريب لكتاب التمهيد، وكان ورعاً متعبداً، طارحاً للتكليف، يمضي بنوب واحد وعلى رأسه طاقية. الجامع لأحكام القرآن: مقدمة المجلد الأول. وفتح الطيب ١/٤٢٨ والديباج: ٣١٧.

٤ - الكافي ١ / ١٢٧.

٥ - المصدر: الخليج - ٢٣/٤/٢٠٠٤ بقلم: د. عبد المادى م طالب. بتصرف.

تفهم من كلمة "Extremism" في اللغات الإنجليزية والفرنسية. وكلتا هاتين متصلتان بكلمتي "Extremité" الفرنسية و "Extremity" الإنجليزية، وتدلان على الطرف أو الجانب الأقصى .

إن هذا البعد المكاني يتحول إلى بعد فلسفي بحكم أن مقتعد الطرف الأقصى يصبح في الحياة العامة منظورا إليه على أنه انغزالي انطوائي، شاذ داخل المجتمع، وبعيد عن الجماعة التي تلتزم وحدانها وتؤسس فيما بينها صفا واحدا متراضا بعضه مع بعض، يتفرد عنه المتطرف مقتعد الخط الأقصى سواء اقتعد اليمين أو اليسار .

وسرعان ما يتحول هذا البعد إلى معيار تقييمي خلقي يوزن به مقتعد الوسط. وهذا هو التوسط في دلالاته المادية الأصلية، أن المتوسط أو الواسطة يضع نفسه في مكان بعيد عن الطرف ويبقى فيه غير غريب عن محيط من يجاورونه من شماله أو يمينه .

وفي مركبة شراعية تخرق بصعوبة أمواج البحر المتلاطمة ومعرضة للأعاصير والأنواء والحياة هي مركبة من هذا النوع يكون المتوسط في مكان أمان بعيد عن الطرف مكان الانزلاق الذي يعرض مقتعده للسقوط والتردي، لأنه نقطة الخطر، أو تكون حظوظ السلامة لمقتعد الوسط أوفر من حظوظ الهلاك والغرق. ومن هنا يركز تعريف المتطرف على البعد الخلفي فنقول عنه إنه الخلق الذميم الذي يُردي صاحبه ويوقعه في المحاطر التي تنتهي به إلى مخاطر الهلاك والضياع .

وعلى ذلك دُمّت أدبيات الأمم المتطرف ومدحت التوسط، وشاع بينها أن خير الأمور أوسطها .

نقرأ في أدبيات العرب على تعاقب العصور التأكيد على خيرية اقتعاد الوسط، والالتزام بالتوسط، والتنديد باقتعاد الطرف، والابتعاد عن التطرف . جاءت هذه الحكمة على لسان حكيم عربي قال :

ولا تَغُلْ في شيءٍ من الأمرِ واقتصدْ
كِلَا طرفي قَصْدِ الأمورِ ذمِيمٌ^(١)
ونظم أحدهم حكمة "خير الأمور أوسطها" فقال :

١ - البيت لأبي سليمان الخطابي كما في (بنيمة الدهر) للشمالي (٣٨٥/٤).

خير الأمور الوسطُ حب التناهي غَلَطُ^(١)

ومن الأدبيات التي تلتقي عليها الحضارات وضع أفضل الناس وأغلى الأشياء في الوسط. لقد كان قائد الجيش البري الكلاسيكي يقتعد مكان الوسط بين فصائل الجنود لا يتقدمه ولا يتأخر عنه حفاظاً عليه، ولتأتى له التحكم في صفوف الجيش بوجوده في وسطه. وواسطة العقد أنفس جواهره وأغلاها، وتوضع في وسط العنق .
ومن يضع نفسه في أقصى الطرف لا يكون له إلا خياران كلاهما صعب أو أحدهما مستحيل. فيما أن يُجهد نفسه ليظل ثابتاً في موقعه لا يبارحه، ولا يتأتى له ذلك إلا نادراً، وإما أن يسقط فيهلك. وهذا ما يوحى به قول الشاعر القديم :

ونحن أناسٌ لا تَوَسُّطُ بيننا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ^(٢)

والتطرف ظاهرة متعددة الأبعاد. منها الفكري والثقافي، والسديني، والسياسي، ومنها الاجتماعي، والنفساني، والسادي. وجميع هذه الأبعاد تأثيراتها على السلوك الفردي والجماعي، وعلى علاقة المتطرف بالمجتمع ونوعية التعامل مع الآخر. وتتمنى بالتطرف النظم السياسية، كما تتكيف به الأيديولوجيات، والمذاهب، والمعتقدات. وقد يفرق في ظلماته المجتهدون من فقهاء الديانات السماوية مسلمين ويهودا ونصارى فيؤوِّلون التعامل والنصوص الدينية في وجهة التطرف والانغلاق .

وجميع هذه الأبعاد على اختلاف حُمولاتها وتنوع مضامينها تلتقي على شذوذ هذه الظاهرة. إذ أغلبية المجتمعات صغراها وكبرها لا تنجح إلى التطرف ولا تتخذ لها سلوكاً وخلقاً وتعاملاً، باستثناء المجتمعات التي تجعل من التطرف جزءاً من عقيدتها المذهبية السياسية، أو من دينها الذي يدعو إلى التطرف والغلو، أو يفهمه الشواذ على أنه كذلك. أما عندما يكون التطرف دينياً فالمبتلى بهذا الداء يقفز بسرعة من الحكم بالخطأ والضلال على غيره إلى الحكم بتكفيره وإقصائه عن الجماعة، وحتى تصفيته جسدياً والتقرب بدمه إلى الله، واعتبار اغتياله جهاداً في سبيل الله قد يمتد إلى شنّ حرب مقدسة على المجتمع

١ - البيت لابن الهبارية كما في (شعر ابن الهبارية) ص ١٢٨ .

٢ - البيت لأبي فراس الحمداني من قصيدته التي مطلعها : (أراك عصي الدمع شيمتك الصبر) .

وهو في ديوانه ص (١٦٦) .

الذي يصنفه المتطرف المنغلق في زمرة المغضوب عليهم والضالين. وهذا هو الفكر الاستصالي الأحادي، وهذا هو ما ينبغي أن يُطلق عليه الإرهاب بجميع المقاييس . ما أكثر مقولات الحكمة التي نددت بالتطرف وأدانته وحزمته! وما أكثر المفكرين العالميين المتألقين في فهم الظواهر الاجتماعية الذين أجمعوا على اعتبار التطرف مرضاً وحتى وباء معدياً، واستنتجوا أنه يناهض فضائل العدل والتسامح والتقدم كما ورد ذلك في "المعجم الفلسفي المحمول".

واشتهرت عن التطرف مقولة "فرانسوا ماري أركيت"^(١) "الذي قال: "إن التطرف حالة مَرَضِيَّة تتشكل نتيجة أعراض مرضية تراكمية تفسر بمضاعفات خطيئة، وتبتدئ بالتعصب لشخص أو رأي، مروراً بمرحلة الحماس لهما، فمرحلة التشاؤم والنظير من الواقع، لتصل إلى مرحلة الكراهية والبغضاء للأفراد والمجتمعات، وتنتهي أخيراً إلى نفي العُثْرِيَّة"^(٢).

ويعطي القاموس الفلسفي عن التطرف تعريفاً مختصراً هو: "التطرف اندفاعٌ غير متوازن إلى التحمس المطلق لفكر واحد يصبح معه صاحبه أحادي الشعور، وفي حالة اضطراب نفسي يُفقد حاسة التمييز بين الحسن والأحسن، والسئى والأسوأ"^(٣). ونقرأ لآخر قوله: "ليس المتطرف إلا قاتلاً يجتري الاغتيال إما فعلاً وعملياً، أو مرشّحاً للقيام به، أو محرّضاً عليه، بما يجعله مشاركاً في جريمة الاغتيال"^(٤). ونضيف إلى هذا التعريف أن المتطرف بشذوذه وانعزاله عن المجموع، وإنكاره على المجتمع ما يدين به من أخلاق ومثل، ومجاهرته بالاستنكار لها ينذر في الأمة بذور الفرقة والفتنة. ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ ﴾^(٥) كما جاء في القرآن الكريم .

- ١ - كاتب فرنسي مشهور، يعرف بـ (فولتير)، متخصص بالفكر الليبرالي، له العديد من العديد من الكتب والمؤلفات.
- ٢ - فولتير والحياة السياسية. أردوهان دافين، ترجمة وائل منصور. ص ٧٧ .
- ٣ - القاموس الفلسفي ص ٦٠١ .
- ٤ - هذا القول منسوب للدكتور طه جابر علواني، عن مقال: حقيقة التطرف. صحيفة السياسة الكويتية عدد ١٩٩٩/٢/٢٣ .
- ٥ - القرة: ١٩١ .

وعن التطرف يقول الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت^(١): "إن التطرف في المعنى العام للكلمة يعني النطق بأقوال وممارسة أعمال تتجاوز حدود التعقل البشري"^(٢). أما "إميل شارتيي" الفيلسوف الفرنسي المشهور باسم "ألان" فقد أثرت عنه مقولته: "إن يتجه شخص أو أكثر إلى حصر المجتمع في نفسهما أو جماعتهما وإلى اختصار المجتمع في الذين يتفقون معهما، فهذا خيال مستحيل. وهو التطرف بعينه"^(٣).

وكل ذلك يعني الانطلاق إلى التطرف من خانة اللا توازن. أي من قاعدة لا تنضبط بمتاميس ولا تعرف الوقوف عند حد. وهو ما يُفسح المجال لمسزاهة وتماهي التطرف مع ظواهر لا أخلاقية، كالعنف، والإرهاب، والعدوانية، والاعتقال، واستعمال القوة، والنجوى إلى الثورة المسلحة، وإخراص اللسان، وإطلاق نار القتل والعدوان.

وبالمحصلة:

فإن التطرف بصفة عامة هو: (كل ابتعاد عن المركز تجاه الطرف، بغض النظر عن اتجاه تلك الحركة).

فالابتعاد عن الالتزام الديني الصحيح - مثلا - من خلال المغالاة في الممارسات الدينية .. يعتبر تطرفاً دينياً، كما يعتبر التحلل من كل القيم والالتزامات الدينية تطرفاً أيضاً.

والتعريف الذي نراه جمعا للغة والاصطلاح وما تفرضه راهنية المرحلة من أحداث يغيب فيها تحديد المصطلحات بدقة .. أجد أن (التطرف) إنما هو:

١ - إيمانويل كانت

(٢٢ أبريل، ١٧٢٤ - ١٢ فبراير، ١٨٠٤) فيلسوف وعالم ألماني برز في المجالات التالية: (فيزياء فلكية، رياضيات، جغرافية، علم الإنسان) من بروسيا، يُعتبرَ عموماً أحد أكثر المفكرين المؤثرين في المجتمع الغربي و الأوربي الحديث والفيلسوف الرئيسي الأخير لعصر التنوير. عرّف كانت التنوير، في مقاله الفاترة ما التنوير؟ ، على أنه عصر تشكل تحت شعار: "الجرأة من أجل المعرفة". مما غمى غمط من التّفكير الداخلي حال من قواعد السلطة الخارجية.

كان لكانت تأثير حاسم على الرومانسية والمثالية فلسفات القرن التاسع عشر. كما شكل عمله نقطة بداية لفلاسفة القرن العشرين. إيمانويل كانت من الموسوعة الإنكليزية ٢/٣٦٥.

٢ - اختلاف المفكرين، محمد عبد الله رايح، ص ٨٨.

٣ - المصدر السابق ص ٨٩.

(ذهاب في الرأي والموقف - أو بالفعل - إلى حدوده القصوى، وقد يبلغ
التطرف حده في الذهاب إليها جميعاً).
ويزداد التطرف فحاجة ووحشية بتأكيد أصحابه تكرار هذا المسار في كل مرة،
وعلى أكثر من صعيد على نحو ما تذهب بعض الوقائع والأحداث التي يخلقها متطرفون
أخذ يتزايد عددهم، وأصبحت أعمالهم أكثر شيوعاً وحضوراً ووحشية في عالم اليوم.



مصطلحات مقارنة

- ❖ الغلو
- ❖ الإرهاب
- ❖ التشدد
- ❖ العنف



معنى الغلو

معنى الغلو في اللغة:

بالرجوع إلى المصادر والمعجمات اللغوية ظهر أن الغلو هو: مجاوزة الحد وتعديه.

قال الجوهري^(١) في الصحاح :

غلا في الأمر يغلو غلوا، أي جاوز فيه الحد.

وقال الفيروز آبادي^(٢) في القاموس :

غلا غلاء فهو غالٌ وغلِي ضد الرخص وغللا في الأمر غلوا جاوز حده.

ووافق الزبيدي^(٣) في تاج العروس.

١ - إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: أول من حاول الطيران ومات في سبيله سنة ٣٩٣هـ. لغوي، من الأئمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلة. أشهر كتبه الصحاح مجلدان. وله كتاب في العروض ومقدمته في النحو أصله من فاراب، ودخل العراق صغيراً، وسافر إلى الحجاز قطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. وصنع جناحين من خشب وريطهما بحبل، وصعد سطح داره، ونادى في الناس: لقد صنعت ما لم أنسق إليه وسأطير الساعة. فاردحم أهل نيسابور ينظرون إليه، فتأبط الجناحين ونمض هما، فحانه اختراعه، فسقط إلى الأرض قتيلاً. تهذيب التهذيب لابن حجر: ٢٨٩/١، الجواهر المضية: ١٤٨/١ وتاريخ بغداد: ٢٤٣/٦.

٢ - الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر محمد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، من أئمة اللغة والأدب. ولد بكارزين بكسر الراء وتفتح من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وحال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد سنة ٧٩٦ هـ فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها. وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفى في زبيد سنة ٨١٧ هـ. أشهر كتبه القاموس المحيط أربعة أجزاء. والمعجم المطبوعة في معالم طابة. هدية ١٧٦/٢.

٣ - مرتضى الزبيدي: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسين الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط في العراق ومولده بالهند في بلحرام ومنشأه في زبيد باليمن رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله وأغالت عليه الهدايا والتحف، وكانه ملسوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر. وزاد اعتقاد الناس فيه حتى كان في أهل المغرب كثيرون يزعمون أن من حج ولم يزر الزبيدي ويصله بشيء لم يكن حجه كاملاً! وتوفى بالطاعون في مصر سنة ١٢٠٥ هـ. من كتبه تاج العروس في شرح القاموس. ملحق البدر الطالع: ٢٠٦/٢ ونشر العسرف: ٧١٦/٢.

وقال ابن منظور في اللسان :

أصل الغلاء:الارتفاع وبجوارزة القدر في كل شيء.. يقال:غاليت صدق المرأة أي أغليت. ومنه قول عمر: (ألا لا تغالوا في صدقات النساء)^(١)، وفي رواية: (لا تغالوا في صدقات النساء). أي لا تبالغوا في كثرة الصدقات.
وغلا في الدين والأمر يغلون غلوا:جاوز حده.
قال:قال بعضهم:غلوت في الأمر غلوا وغلانية وغلانيا إذا جاوزت في الحد وأفرطت فيه، ويقال للشيء إذا ارتفع:قد غلا.
قال ذو الرمة^(٢) :

فما زال يغلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد ما نزيدها

وقال الفيومي في المصباح المنير :

وغلا في الدين غلوا من باب قعد وتصلب وتشدد حتى جاوز الحد وفي التزئيل:
﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾^(٣)
وغال في أمره مغالاة بالغ^(٤).
وقال ابن فارس في المعجم :

١ - رواه الترمذي كتاب: النكاح برقم: ١١١٤.

٢ - ذو الرمة: غيلان بن عتبة بن مخيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة : شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. قال أبو عمرو بن العلاء : فتح الشعر بمرئ القيس وحتم بذئ الرمة. وكان شديد القصر، دميما، يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشيب وكأه أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. وكان مقبما بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيراً. وامتاز بإجادة التشبيه. قال جرير : لو حرس ذو الرمة بعد قصيدته : ما بال عينك منها الماء ينسكب لكان أشعر الناس. وقال الأضمعي : لو أدركت ذا الرمة لأشرت عليه أن يدع كثيراً من شعره، فكان ذلك خيراً له. وعشق مية المقرية واشتهر بها. له ديوان شعر في مجلد ضخم. توفي بأصبهان، وقيل : بالبادية سنة ١١٧هـ. وفيات الأعيان: ٤٠٤/١، والشعر والشعراء: ٢٠٦ ومعاهد التنصيص: ٢٦٠/٣ وخرانسة الأدب للبغدادي: ٥١/١ - ٥٣.

٣ - النساء: ١٧١.

٤ - كلهم في مادة (غلا).

غلو: العين واللام المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاعٍ ومجازةٍ قدرٍ،
يقال: غلا السعير يغلو غلا وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غ لوا إذا جاوز حسده
أهـ.

وكذا نحوه في المجلد^(١).

ومما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع والزيادة ومجازة
الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد.

ومنه قوله ﷺ في حديث أبي ذر^(٢): أي الرقاب أفضل؟ قال: «أنفسها أغلاها ثنا
وأنفعتها عند أهلها»^(٣).

وحديث النعمان بن بشير^(٤) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أهون أهل النار
عذابا يوم القيامة رجل على أحمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي

١ - في المجلد مادة غلا والمعجم مادة غلو.

٢ - أبو ذر الغفاري: جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار، من كنانة بن خزيمه، أبو ذر: صحابي،
من كبارهم. قدم الإسلام، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامسا. يضرب به المثل في الصلح. وهو أول من حُسي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام. هاجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بادية الشام، فأقام إلى
أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم،
فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية وكان والي الشام إلى عثمان الخليفة فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها واستأنف
نشر رأيه في تقييح منع الأغنياء أموالهم عن الفقراء، فعلت الشكوى منه، فأمره عثمان بالرحلة إلى الرينة من قرى
المدينة فسكنها إلى أن مات. وكان كريما لا يجزن من المال قليلا ولا كثيرا، ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به.
روى له البخاري ومسلم ٢٨١ حديثا. الاستيعاب: ٢٤٢/١، تهذيب ابن عساکر: ٤٠٨/٣، جبهة الأنساب: ٣٦٤

٣ - رواه ابن ماجه كتاب: الأحكام باب: العتق برقم: ٢٥٣٣.

٤ - النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أبو عبد الله: أمير، خطيب، شاعر، من أصله
الضحاية. من أهل المدينة. له ١٢٤ حديثا. وجهته نائلة زوجة عثمان بن مريض عثمان، إلى معاوية، فسزل الشام.
وشهد صفين مع معاوية. وولي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة ٥٣ هـ وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على
الكوفة، تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يريد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. ومرد
أهل حمص، فخرج هاربا، فاتبه خالد بن علي الكلابي فقتله سنة ٦٥ هـ. وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد
المجرة. قال ابن حزم: افتتح مروان دولته بقتله، وسبق إليه رأسه من حمص. وقيل: قتل يوم مرج راهط. قال سماك
بن حرب: كان من أحطب من سمعت. وهو الذي تنسب إليه معرة النعمان بلسد أبي العلاء المعسري: كانت
تعرف بالمعرة، ومر بها النعمان صاحب الترجمة فمات له ولد، فدفعه فيها، فنسبت إليه. وكانت له ذرية في المدينة
وبغداد. تهذيب: ٤٤٧/١ وجبهة الأنساب: ٣٤٥، وأسد الغابة: ٢٢/٥، والإصابة: ت: ٨٧٣٠.

المرجل»^(١).

فغلا الثمن: إذا ارتفع وزاد سعره.

وغلت القدر: إذا زادت حرارتها وارتفعت.

وغلا في مشيه: إذا أسرع وزاد فيه.

وتغالى اللحم: ارتفع وذهب، ومنه قول لبيد بن أبي ربيعة^(٢) :

فإذا تغالى لحمها وتحسرت وتقطعت بعد الكلال حذافها

وعليه فحقيقة الغلو : هو: الزيادة ومجازة الحد الشرعي الواجب.

الغلو في الشرع:

قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٣).

وقال سبحانه في آية المائدة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ

وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾^(٤).

وقال سبحانه في آيات عديدة جاءت في النهي عن الطغيان - وهو غلو في الغي -

كما قال تعالى في آخر سورة طه لبني إسرائيل:

﴿وَلَا تَطْفُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾^(٥).

١ - رواه البخاري كتاب: الرقاق باب: صفة الجنة والنار برقم: ٦٥٦١، ومسلم كتاب: الإيمان باب: أهون أهل النار عذاباً برقم: ٢١٣ .

٢ - لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري : أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وآله وبعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، قيل : هو ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء بصلحه الجليس الصالح وسكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً كانت وفاته سنة ٤١هـ. وهو أحد أصحاب المعلقة. ومطلع معلقته : عفت الديار محلها فمقامها بمي، تأبد غولها فرجامها وكان كريماً : نذر أن لا تلب الصبا إلا نحر وأطعم. جمع بعض شعره في ديوان صغير، ترجم إلى الألمانية. خزنة الأدب للبغدادي: ٣٣٧/١ ومطالع البدور: ٥٢/١، وسمط اللألي: ١٣، والشعر والشعراء:

٢٤٣ ٢٣١

٣ - النساء: ١٧١.

٤ - المائدة: ٧٧.

٥ - طه: ٨٨.

وقوله عن فرعون وملئه في غير آية: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾^(١).
وقال في آخر سورة هود: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

ومما ورد في السنة أيضاً: ما رواه أحمد^(٣) بإسناده عن عبد الرحمن بن شبل قال:
سمعت رسول الله يقول: «اقرأوا القرآن ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به»^(٤).
وفي حديث ابن عباس قال: قال لي رسول الله غداة العقبة وهو على ناقته: «القط
لي حصي»، فلقطت له سبع حصيات هن حصي القذف، فجعل ينفضهن في كفه
ويقول: «أمثال هؤلاء فارموا»، ثم قال: «يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنه
أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(٥).

فكما سبق يتبين أن الكتاب والسنة يخصصان عموم اللغة، وأن الغلو هو: الإفراط
في مجاوزة المقدار المعتر شرعاً في أمرٍ من أمور الدين.
وفي ضوء النصوص السابقة يمكن تحديد معنى الغلو في الشرع والضوابط التي تحدد
المعنى، وتحد من تركه معنى نسبياً متغيراً بتغير الأحوال والأشخاص.

١ - النازعات: ١٧.

٢ - هود: ١١٢.

٣ - ابن حنبل: أحمد محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة.
أصله من مرو، وكان أبوه والي سرحس. وولد ببغداد. فنشأ متكباً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة
إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والنفور والمغرب والجزائر والعراق وقارس وخراسان والنجبال
والأطراف. وصنف المسند مجتوي على ثلاثين ألف حديث. وله كتب في التاريخ والناسخ والمنسوخ والرد على
الزندقة فيما ادعت به من مشابهة القرآن والتفسير وفضائل الصحابة والمناسك وكان أعمر اللون، حسن الوجه،
طويل القامة، بلس الأبيض وبخضب رأسه ولحيته بالحناء. وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل
أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم فسح ابن حنبل ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق
سنة ٢٢٠ هـ. ولم يصبه شر في زمن الواثق بالله بعد المعتصم ولما توفى الواثق وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم أكرم
الإمام ابن حنبل وقدمه، ومكث مدة لا يولي أحداً إلا بمشورته، وتوفى الإمام وهو على تقدمه عند المتوكل سنة
٢٤١ هـ. ابن عساکر: ٢٨/٢ وحلية: ١٦١/٩ وصفة الصغرة: ١٩٠/٢ وتاريخ بغداد: ٤١٢/٤ والبدایة والنهاية:
٣٢٥/١٠ - ٣٤٣.

٤ - رواه أحمد مسند المكيين برقم: ١٥١٠٣.

٥ - رواه النسائي كتاب: مناسك الحج باب: النقاط الحصى برقم: ٣٠٥٧.

وقبل بيان ذلك أعرض بعض تعاريف أهل العلم للعلو :

- ١ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العلو: مجاوزة الحد بأن يزداد في الشيء في حمده، أو ذمه، على ما يستحقه ونحو ذلك^(١) وبنحو هذا التعريف عرفه الشيخ^(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب^(٣).
 - ٢ - وعرف الحافظ ابن حجر^(٤) العلو بأنه المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد^(٥) ويمثل هذا التعريف عرفه الإمام الشاطبي^(٦).
- هذه التعاريف كلها متقاربة، وتفيد أن العلو هو: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة. والحدود: هي النهايات لما يجوز من المباح المأمور به، وغير المأمور به^(٧).
- ويزيد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الأمر وضوحاً فيحدد ضابط العلو، فيقول: وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله:

١ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الحليم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ج ١، ص ٢٨٩.

٢ - تيسير العزيز الحميد ص ٢٥٦.

٣ - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، من آل الشيخ: فقيه من أهل نجد، من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. مولده بالدرعية. كان بارعاً في التفسير والحديث والفقه. وشي به بعض المنافقين إلى إبراهيم (باشا) ابن محمد علي، بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم، وأظهر بين يديه آلات السهو والمنكر إنفاضة له، ثم أخرجه إلى المقررة وأمر المساكين أن يطلقوا عليه الرصاص جميعاً، فمزقوا جسمه. له (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - ط) والاصل من تأليف جده، من بعده، وأكمله، كانت وفاته سنة (١٨١٨ م). مشاهير علماء نجد ص ٤٤.

٤ - ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: مسن أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان بفلسطين ومولده بالقاهرة وتوفي فيها سنة ٨٥٢ هـ. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنده وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: انتشرت مصنفاته في حياته وقادماً الملوك وكتبها الأكابر وكان فصيح اللسان، رابية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار التأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم عتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة أربعة مجلدات، ولسان الميراث. التبر المسبوك: ٢١ وخطط مبارك: ٦٩/٩، آداب اللغة: ١٧٥/٣ والفهرس التمهيدي: ٣٨٢ و ٤٣٦ والبدر الطالع: ٧٩/١.

٥ - فتح الباري ج ١٣، ص ٢٧٨.

٦ - الاعتصام، ج ٣، ص ٣٠٤.

٧ - ابن تيمية، الفتاوى ج ٣، ص ٣٦٢.

﴿ وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَجَلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾^(١)

وذلك لأن الحق واسطة بين الإفراط والتفريط، يقول عمر بن عبد العزيز^(٢) في كتاب أرسله إلى رجل يسأله عن القدر وقد قصر قوم دولهم فحفوا، وطمح عنهم أقسوام فغلوا، وإهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم. وقال الحسن^(٣): سنتكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما، بين العالي والجاني^(٤).

١ - طه: ٨١، تيسير العزيز الحميد ص. ٢٥٦.

٢ - عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان ابن عبد الملك بالشام. وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ، فبوع في مسجد دمشق. وسكن الناس في أيامه، ففتح سب علي بن أبي طالب (وكان ممن تقدمه من الأمويين يسبونه على المنابر) ولم تطل مدته، قيل: دس له السم وهو بدر سمعان من أرض المعرفة، فتوفي به. ومدة خلافته سنتان ونصف. وأخياره في عدله وحسن سياسته كثيرة. وكان يدعى "أشج بن أمية" رغبته دابة وهو غلام فشخته. وقيل في صفته: "كان نحيف الجسم، غائر العينين، يجتبه أثر الشحمة، وحطه الشيب، أبيض، رقيق الوجه مليحاً". وفي كتاب الإسلام والحضارة العربية: "كانت طريفته في إدارة ولايته إطلاق الحرصة للعامل، لا يتشاور الخليفة إلا في أهم المهمات مما يشكل عليه أمره، توفي سنة ١٠١ هـ. حلية البشر ٢: ١١٥ - ١١٢، وإيضاح المكتون ١: ٢٤٧.

٣ - الحسن البصري: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وجر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيته في القلوب فكان يدخل على السؤلاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار قال الغسالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقرهم هدبا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تنصب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد انبليت بهذا الأمر فانظر لي أعواناً يعينوني عليه. فأجابته الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تزيدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يبردونك، فاستمع بالله. أخياره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في فضائل مكة توفى بالبصرة سنة ١١٠ هـ. نيل الوطر ١/٣٥٨ - ٣٦٤.

٤ - رواد الدارمي ج ١، ص. ٦٣.

وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين التفريط والإفراط، وهو معنى قول مطرف بن عبد الله^(١): (الحسنة بين السئتين^(٢)) وبه تعلم أن من جانب التفريط والإفراط فقد اهتدى^(٣).

علاقة الغلو بالتطرف:

الغلو - في الحقيقة - أعلى مراتب الإفراط في الجملة. فالغلو في الكفن مثلا هو المغالاة في ثمنه والإفراط فيه.

والغلو أخص من التطرف؛ إذ إن التطرف هو مجاوزة الحد، والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطا أو تفريطا، أو بعبارة أخرى: سلبا أو إيجابا، زيادة أو نقصا، سواء كان غلوا أم لا، إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر، وهو الغلو في قول القائل:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فالغلو أخص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص، في حال النقص يسمى غلوا إذا بالغ في النقص، فيقال: غللا في النقص، كما في قول اليهود حفاء في حق المسيح ابن مريم عليهما الصلاة والسلام. وكذلك في الزيادة إذا بالغ فيها كقول النصارى في المسيح ابن مريم غلوا.

والتطرف: الانحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو، لكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجازة، ليس فقط. بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف.

وبالنتيجة:

الغلو: هو تجاوز الحد، والغلو في الدين هو التشدد والتصلب.

والتطرف: هو تجاوز حد الاعتدال والتوسط والركون إلى أقصى الأطراف.

١ - مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري، أبو عبد الله: زاهد من كبار التابعين. له كلمات في الحكمة مأثورة، وأخبار. ثقة في ما رواه من الحديث. ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة سنة ٨٧هـ. حلية الأولياء: ٢/ ١٩٨، ٢١٢ ورغبة الأمل ٣/ ٦٨، ٦٩ ومرة الجنان: وفيات سنة ٩٥ وتغذيب: ١٧٣/١٠.

٢ - نص قوله هو: خير الأمور أوسطها، الحسنة بين السئتين، وشر الأمور المحففة، ينظر ابن رجب الحنبلي، المحجة في سير الدجلة ص. ١٨.

٣ - الشنقيطي، أضواء البيان ج ١، ص. ٤٩٤.

ولذلك عرّف الغلو بأنه مجاوزة الحد بأن يزداد في الشيء عن حده.
لذلك نقول: (كل غلو تطرف... وليس كل تطرف غلواً).

الإرهاب

الإرهاب في مصادر اللغة

جاء في لسان العرب، ما يأتي (ر ه ب) بمعنى خاف والاسم الرهب، كقوله تعالى: ﴿ مِنْ الرَّهْبِ ﴾^(١) أي معنى الرهبة، ومنه: لا رهانية في الإسلام كاعتناق السلاسل، والاختصاص، وما أشبه ذلك مما كانت الرهانة تتكلفه، وقد وضعها الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأصلها من الرهينة: الخوف، وترك ملاذ الحياة كالنساء^(٢). وفي المعجم لابن فارس: (ر ه ب الرء والهاء والباء أصلان: أحدهما يدل على خوف، والآخر يدل على دقة وخفة، فالأول الرهبة، تقول: رهيت الشيء رهبا، ورهبة، ومن الباب الإرهاب، وهو قذع الإبل من الحوض، وذيادها. والأصل الآخر الرهب، الناقة المهزولة)^(٣).

وفي المعجم الوسيط: (الإرهابيون: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية)^(٤).

وفي المنجد: كلمة الإرهابي تدل على كل من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطة^(٥). والملاحظ أن تعريف الإرهابي والإرهابيين في المرجعين الأخيرين: المعجم الوسيط والمنجد، قد أصبح معنى الإرهاب فيهما يدل على كل من يسلك سبيل العنف لتحقيق غرض سياسي، فردا كان أو جماعة أو دولة، وهذا معنى خاص، من إحداث الخوف، الوارد بصيغة العموم، في المصدرين السابقين: لسان العرب ومعجم مقاييس اللغة، وهو أي المعنى الأخير الخاص، قريب من قول ابن فارس: (قذع الإبل من الحوض) لما في كل من العنف، فصرف الإبل عن حوض الماء يتم عادة بزجرها وتعنيفها.

١ - الفصص: ٣٢ .

٢ - لسان العرب لابن منظور ج ٨، ص ٣٣٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، وأبضا ج ٥، ص ٣٨ بتصرف.

٣ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج، ص ٤٠، مادة رهب.

٤ - معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص ٢٨، ط، القاهرة ١٩٧٢م.

٥ - المنجد ص ٢٨٠ دار الشروق، بيروت.

وأما الأصل الثاني الذي ذهب إليه ابن فارس عند قوله: (الناقة المهزولة) الذي يدل على الضعف؛ فلأن العنف المسلط على من وقع تعنيفهم يحصل لهم ذلك بالخوف، والعلاقة الجامعة: الإخافة في الطرفين، الفاعل والمفعول به، هذا على مستوى اللغة بصفة عامة، لكونها تمثل العقل الجمعي، والإطار العام للفكر الكلي بالنسبة للمجتمع الذي يتكلمها، وتصل بين أفرادها عبر المكان، وأجياله عبر الزمان، وعن طريقها يتم نقل التجارب والخبرات، متضمنة الأحاسيس والمشاعر، لتحقيق وظيفة التواصل بين السابِق واللاحق في محيط المجتمع.

وبناء على ذلك فإن المعنى العام الذي نحن بصدده (الإرهاب - الإخافة) هو المعنى الأصيل في اللغة قديماً، والمراد الآن عند قراءة النصوص التي تحترم سلامة اللغة. وتأسيساً على ما تقدم فإن أي معنى آخر إضافي سيكون مستحداً، لسبب أو آخر قد طرأ على الكلمة وأثر في معناها.

الإرهاب في القرآن والسنة

ورد في بعض آيات القرآن الكريم ذكر لكلمة الإرهاب، في مناسبات متعددة من سوره، وبصيغ مختلفة، منها قول الله في سورة البقرة: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾^(١).

قال ابن كثير في تفسيره: (وإيائي فارهبون) أي فاحشون، ترهيب، والرهبة مسن أجل الرجوع إلى الحق، والانتعاض بما عسى أن يتول بهم من العقاب^(٢).

ويمثل ما تقدم، فسر قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَجَدَّؤْا إِيَّائِي أَنْتُمْ بِإِيمَانِكُمْ هُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هُنَالِكَ بِلَهُمْ رَبِّهِمْ كَذِبًا ﴾^(٣)، (أي: ارهبوا أن تشركوا بي شيئاً وأخلصوا لي الطاعة)^(٤).

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾^(٥).

١ - البقرة: ٤٠.

٢ - إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج، ص. ٧٩ - ٨٠.

٣ - النحل: ٥١.

٤ - إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج، ص. ٣٥٥.

قال: (رغبا فيما عندنا، ورهبة مما عندنا، خائفين، الخشوع هو الخوف المستمر، خاشعين أي متواضعين)^(١).

وفسر قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾^(٢).

فسرها بقوله: (ترهبون أي تخوفون به عدو الله وعدوكم، هم المنافقون)^(٣). ولا يختلف الشوكاني^(٤)، صاحب تفسير فتح القدير، عما ذهب إليه ابن كثير، في شرحه لمعنى الإرهاب في الآيات القرآنية السابقة، من ذلك تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ فَيَأْتِي فَارْهُبُونَ ﴾^(٥).

قال: (فآخشون أن أنزل عليكم ما أنزلتكم من قبلكم من العذاب والعقاب، بما أخلفوا ما عاهدوا الله عليه، وعصوا أوامره، وأكثروا في الأرض الفساد)^(٦). وجاء في فتح القدير أيضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَيَأْتِي فَارْهُبُونَ ﴾^(٧).

ما نصه: (لما بين سبحانه أن مخلوقاته السماوية والأرضية منقادة له خاضعة لجلاله، أتبع ذلك بالنهي عن الشرك بقوله: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَيَأْتِي فَارْهُبُونَ ﴾^(٨)، فنهى سبحانه عن اتخاذ إلهين اثنين ثم نقل الكلام سبحانه من

١ - إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ١٨٨.

٢ - الأنفال: ٦٠.

٣ - إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٣٠٨.

٤ - الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد حوران، باليمن ونشأ بصنعاء. وولي قضاها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. له ١١٤ مؤلفا، منها نيل الأوطار من أسرار منقذ الأحيار ثماني مجلدات، و البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة والتعقيبات على الموضوعات و الدرر البهية في المسائل و فتح القدير في التفسير، و إرشاد الفحول في أصول الفقه، وغير ذلك. البدر الطالع: ٢: ٢١٤ - ٢٢٥ ونيل الوطر: ٣/١.

٥ - النحل: ٥١.

٦ - فتح القدير للشوكاني ج، ص ٨، ط، ١٤٢٠ هـ ١٩٩١ م.

الغيبية إلى المتكلم عن طريق الالتفات لزيادة الترهيب فقال: ﴿فَيَأَيُّ فَسَارُهُبُونَ﴾ أي إن كنتم راهبين شيئا فإياي فارهبون، لا غيري، وأنه الذي يجب أن يخصص بالرهبة منه، والرغبة إليه).

وورد في تفسير المراغي عند شرحه لقول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (١).

قال: (الإرهاب والترهيب: الإيقاع في الرهبة، وهي الخوف المقترب بالاضطراب) (٢). ويزداد معنى الآية وضوحا عند النظر إليها في ضوء الآية التي سبقتها، وذكر فيها الخوف من خيانة المعاهدين بسبب نقضهم العهد، قال تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٣).

كما يزداد المعنى وضوحا أيضا وتأكيذا، عند مواصلة القراءة إلى تمام الآية التي تليها، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَنِعْ لَهَا﴾ (٤).

حيث يتجلى أن معنى ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (٥) هو من أجل منع العدوان والظلم، ولحماية أمة الإسلام التي أمرت بالتزام الحق والعدل، وأمرت بتحصيل القوة لتثبيتها إزاء الناس كافة، ولأن الاستعداد المستمر والجاهزية للجهد عند الاقتضاء يدفع الحرب ويمنع وقوعها بسبب خوف من يعتزم نقض العهد، ويبتدئ الاعتداء، ويضمحل الخيانة والعدو، وإرهابه إرهاب مشروع، ولا يتحقق له ذلك، ويحصل له الخوف والرهبة الزاجرة إلا متى علم بشدة قوة المسلمين. فالآية التي تأمر المسلمين بوجوب تحصيل القوة، وتوفير أسياها ومقوماتها، بما يتناسب مع كل عصر، إنما لتكون رادعا وزاجرا يرهب كل من تسول له نفسه مباغتتهم بالحرب، فيضرر المسلمون، وتتعطل رسالة الإسلام الذي يسعى إلى تحقيق السلام، ويأمر بالجنوح له؛ لأنه - أي: الإسلام - من بين مقاصده

١ - الأنفال: ٦٠.

٢ - أحمد المصطفى المراغي: تفسير المراغي ج ١٠، ص ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥م.

٣ - الأنفال: ٥٨.

٤ - الأنفال: ٦١.

وغاياته، وفي تحصيل القوة سد لأبواب المفساد والحروب، وحفظ للأمن، وحلب مصالح ومنافع العباد، فهناك الجمع باتقاء الفتن، ويسعد الجميع بانفتاح أبواب التعاون وتنمو روابط المودة ويزدهر العمران في الأرض قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١).

ويتمحض من ذلك أن الإرهاب المأمور به الوارد في القرآن الكريم، إنما هو خاص، يتعلق بالمعتدين، لصدهم عن عدوانهم متى حصل منهم، وليس هو إرهاباً عدوانياً بالمعنى المعاصر، المرفوض إسلامياً.

ولعل ما نلاحظه لدى بعض الدول اليوم، عند إقامة المعارض العسكرية، وإظهار القوة ما يقرب المعنى المشار إليه بإظهارهم للعدد والعدة والاستعداد والجاهزية لحماية الوطن والمواطنين، ولا يوصف هذا بالإرهاب، وإن ينتج عنه نوع من الرهبة عند الأعداء متى كانت القوة كافية لإحداث الخوف والرهبة، ولا شك أن في كثير مما يلقي في أوساط الإعلام الدولي من الأحاديث على الإرهاب يختلط فيه الحابل بالنابل، والصدق بضده، وتتدخل في توجيهه المصالح الخاصة.

وقد نصت آيات القرآن الكريم في أكثر من موطن على تحريم الاعتداء على غير المحاربين، وأمر سبحانه فقط بقتال الذين يقاتلون المسلمين، ونهى عن العدوان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

وقد أخطأ خطأ كبيراً من نسب إلى الإسلام إباحة الإرهاب بالمعنى المعاصر من حيث هو اعتداء صريح على الآمنين، وزعم أن مجرد المخالف هو عدو في نظر المسلمين ضاربا بالواقع عرض الحائط، متماديا في حقه الشديد على الإسلام الذي يأمر بالعدل والإحسان، وإتناء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

ويرسم منهج الحوار مع المخالف والتي هي أحسن ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(١).

ويستفاد مما تقدم أن عدم تحصيل القوة تفريط من الأمة في مصالحها، وتقصير في إتيان ما أمرت بحفظه وصيانتها بصفة عامة: من حفظ الدين، والأنفس، والدماء والأعراض والأوطان، والعمل على تحقيق الأمن والسلام للجميع.

ويتقرر أيضا أن العدو في الإسلام هو المحارب لله ولرسوله وللمؤمنين ومن يساعده على العدوان، وليس العدو مجرد المخالف للمسلمين، أيا كان وجه الخلاف معه، سواء في الرأي ووجهات النظر، أو في النظم والتشريع أو في الثقافة والحضارة، أو في القيم أو في الدين والمبادئ، طالما أن الاختلاف لا يرتقي إلى العدوان، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢) وقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٣).

إن حسن المعاملة والوفاء للمخالفين من غير من ورد استنناؤهم حصرا، مطلب مشروع ومرغوب فيه؛ لأنه تتطلبه مصالح العباد، وبه يتحقق ازدهار العمران البشري ويجسم معنى التعاون والتنافس في فعل الخير الذي أمر الشارع به، وعليها جرى العمل منذ عهد الرسول ﷺ وطوال مراحل تاريخ المسلمين، في تعايشهم وتجارهم مع غيرهم، ومن شأن ذلك فتح أبواب التعاون وتبادل الآراء، وإتاحة فرص الدعوة إلى الإسلام، وإظهار حقائقه للآخرين، وإطلاعهم على محاسنه ومعارفه وفضائله، وبالإفادة مسن العلوم والمعارف ووجوه المنافع المختلفة بين الناس جميعا، على أسس العدل والاعتدال والوسطية الحقة، ونبذ الغلو والتطرف والعنف وفق منهج واضح متميز لا لبس فيه ولا غموض، منهج الحوار الثقافي واحترام الخصوصيات الثقافية، كما سبق ذكره في آيات الجدل والتي

١ - العنكبوت: ٤٦.

٢ - البقرة: ٢٥٦.

هي أحسن وعدم الإكراه، ومما جاء في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يعاقب من هدده بالقتل، وتركه وخلى سبيله^(١).

تعدد المفاهيم حول مصطلح الإرهاب:

ظهر لي - من خلال التتبع والاستقراء - أن الإرهاب المعبر عن نوعية خاصة من الجرائم المعاصرة: مصطلح محدث، لم أجد له تعريفاً في المصطلحات الشرعية لدى العلماء القدامى؛ لأن أول ظهور واستخدام له - بهذه الصورة - لم يطلق إلا منذ قرنين ونصف إبان الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩ - ١٧٩٤ م)^(٢). وهذا يعني أنه نابع من فكر أوربي، ويرد المراجع الباطلة التي تصف الإسلام به.

وقد اختلف العلماء والمفكرون في جميع أنحاء العالم على اختلاف أديانهم اختلافات كثيرة في تحديد معناه، وضبط مفهومه حتى الآن وهذا ما زاد مصطلحه غموضاً وتعقيداً، والسبب في ذلك - في نظري - يعود لأمرين:

الأمر الأول: الاختلاف في طبيعة العمل الذي يمارسه الإرهابي.

فقد تعددت وجهات النظر في ذلك، فالإرهابي يعد في نظر بعضهم مجاهداً أو مناضلاً من أجل الحرية، وفي نظر بعضهم الآخر مجرماً يستحق العقاب.

الأمر الثاني: الالتباس القائم بينه وبين بعض المصطلحات الفقهية كالحراية والبعي والكفاح المسلح من أجل التحرر، والجهاد المشروع.

وبناء عليه كثرت التعريفات، وتشعبت الرؤى بين العلماء المفكرين في ضبط مفهومه وتحديد معناه.

ويمكن لي أن أخلص تعريفات الإرهاب الواردة في المعجمات والقواميس والمنظمات الدولية، وبعض المفكرين فيما يأتي:

١ - نص الحديث المنفق عليه المروي عن جابر رضي الله عنه انه قال: فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقلنا: «إن هذا اخترط علي سبيلي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، قال: فمن يمنعك مني؟ قلت: الله -

أولاً - تعريف المعجمات والقواميس للإرهاب:

أ - تعريف المعجمات للإرهاب بأنه: ذلك النشاط، أو تلك الوسائل المستخدمة لنشر وبث الرعب^(١).

ب - تعرفه القواميس بأنه وصف يطلق على كل من يلجأ إلى استخدام العنف لتحقيق أهداف معينة^(٢).

ثانياً - تعريفات المنظمات الدولية:

أ - تعريف الأمم المتحدة للإرهاب بأنه:

تلك الأعمال التي تعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة أو تهدد الحريات الأساسية، أو تنتهك كرامة الإنسان^(٣).

ب - تعريف خبراء الأمم المتحدة بأنه:

استراتيجية عنف محرم دولياً، تحفزها بواعث عقديّة (أيديولوجية) تنسوخى إحداهن الرعب داخل المجتمع لتحقيق الوصول إلى السلطة أو تقويضها^(٤).

ج - تعريف القانون الدولي بأنه:

جملة من الأفعال التي حرمتها القوانين الوطنية لمعظم الدول^(٥).

د - تعريف الخارجية الأمريكية بأنه:

عنف تولده دوافع سياسية وينفذ - مع سبق الإصرار - ضد مدنيين لا صلة لهم بالحرب، أو ضد عسكريين عزل من السلاح تقوم به جماعات وطنية، أو عملاء سريون^(٦).

١ - انظر معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية، مادة رعب، ومعجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مادة (رعب).

٢ - انظر معجم العلوم الاجتماعية، والمعجم الوسيط، والمحدد، والرائد مادة (رعب).

٣ - انظر: الإرهاب يؤسس دولة، للدكتور هشام الكيلاني ص ١٧.

٤ - انظر: الإرهاب الدولي للدكتور محمد عزيز شكري ص ٤٨.

٥ - انظر المصدر نفسه ص ٥١.

٦ - انظر: الإرهاب والدين في الولايات المتحدة الأمريكية، لجيمس موفاك، مجلة الدبلوماسية، عدد أكتوبر (

هـ - تعريف الاتفاقية العربية بأنه:

كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أيا كانت دوافعه أو أغراضه، يقع تنفيذه لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو تسريعهم، أو تعريض حياتهم أو حرياتهم وأمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق أو الأملاك (العامة والخاصة) أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر^(١).

و - تعريف المجمع الفقهي الإسلامي بأنه:

عدوان يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان (دينه - دمه - وعقله - ماله - وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية وإخافة السبل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو تسريعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر. ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة، أو، بأحد المرافق العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهي الله سبحانه وتعالى عنها^(٢).

ز - تعريف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر :

فقد ذكر تعريفاً للإرهاب وذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م فقال عنه: (هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض . ومن حق الدولة التي يقع على أرضها هذا الإرهاب الأثيم أن تبحث عن المجرمين وأن تقدمهم للهيئات القضائية لكي تقول كلمتها العادلة فيهم)^(٣)

١ - انظر المادة الأولى من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، جريدة الرياض الصادرة بتاريخ ٢٩ / ١١ / ١٤١٨ هـ العدد (١٠٨١٨).

٢ - انظر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، جريدة الرياض الصادرة بتاريخ ٢٩ / ١١ / ١٤١٨ هـ العدد (١٠٨١٨).

مناقشة التعريفات

من خلال استعراض التعريفات وجدت أننا اتخذت مسلكين مختلفين لبيان مفهوم الإرهاب.

المسلك الأول وصف الإرهاب بأنه: عنف وعدوان.

وقد ذهب إليه كل من تعريفات خبراء منظمة الأمم المتحدة، والاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، والمجمع الفقهي الإسلامي، والخارجية الأمريكية. ومن هذه المجموعات من أضاف إلى العنف: التهديد بالعنف كالاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب.

المسلك الثاني: وصف الإرهاب بأنه: رعب

وقد ذهب إلى هذا المسلك كل من تعريف القاموس السياسي ومعجم الدبلوماسية ومعجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ومعجم العلوم الاجتماعية، والرائد.

ويلاحظ على ذلك ما يلي:

أ - أن التعريفات التي سلكت المسلك الثاني: ارتكزت على التعريف اللغوي للإرهاب بينما أهملته التعريفات التي سلكت المسلك الأول، ولا شك أن مراعاة المعنى اللغوي في التعريفات الاصطلاحية أولى من إغفاله.

أضف إلى هذا أن بعض التعريفات التي سلكت المسلك الأول، قررت أن هذا العنف يهدف إلى إيجاد حالة رعب، وهو ما ذهب إليه الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، والمجمع الفقهي الإسلامي.

ب - أن بعض التعريفات ذكرت الهدف من الإرهاب، والأعمال الإرهابية سواء منها التي عرّفت الإرهاب بأنه: عنف، أم تلك التي عرفته بأنه رعب.

وقد ذهب إلى هذا كل من تعريف خبراء الأمم المتحدة الإقليميين والاتفاقية العربية المشتركة لمكافحة الإرهاب، وتعريف القاموس السياسي، وقاموس علم العلاقات الدولية، ومعجم الدبلوماسية والشؤون الدولية، ومعجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، وذهب إليه أيضا المعجم الوسيط، والمنجد والرائد.

ج - يلحظ أن بعض التعريفات أوضحت: أن الإرهاب تقوم به جماعة منظمة، وهو ما ذهب إليه معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية.

عناصر الإرهاب:

من خلال ما سبق يتبين أن تعريف الإرهاب يقوم على ثلاثة عناصر أساسية وهي:

١- أعمال معينة وصفت بأنها عنف أو رعب على خلاف بين التعريفات في ذلك كما ذكرنا.

٢- هدف أو مقصد معين يستهدفه الإرهاب، سواء كان هذا الهدف الوصول إلى السلطة، أو إسقاطها، أو إخضاع الآخرين لسلطان ممارسي الإرهاب، أو نحو ذلك من الأهداف السيئة^(١).

٣- جماعة منظمة تقوم بالإرهاب، وتسعى إلى تحقيق أهدافها المرسومة. فهذه العناصر الأساسية التي اشتهرت فيها التعريفات السابقة. التعريفات القريبة من الصواب:

يتضح مما سبق أن أقرب هذه التعريفات إلى تصوير حقيقة الإرهاب هي التعريفات التي اشتملت على جميع العناصر الأساسية التي ذكرناها للإرهاب. وبناء عليه يمكن القول: إن هذه العناصر قد اجتمعت في تعريفات كل من المجمع الفقهي الإسلامي إذ كان ممن سلك المسلك الأول الذي عرف الإرهاب بأنه عنف أو عدوان.

وفي الجانب الذي عرف الإرهاب أنه رعب .. نجد أن تعريف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية جمع العناصر الثلاثة الأساسية.

فهذه التعريفات تضمنت العناصر الأساسية للإرهاب فهي إذن متقاربة في معناها وفي صياغتها.

وإذا كان لي أن أفاضل بينها في: أقدم عليها تعريف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية؛ لأنه يفضل عليها في تضمينه المعنى اللغوي للإرهاب، وهو الرعب والفرع.

غير أن هذا التعريف والتعريفات التي اشتركت معه في العناصر الأساسية يلحظ عليها التطويل والتكرار، وهذا عيب من عيوب التعريفات يحتم علينا صياغة تعريف يخلص ما أمكن من ذلك.

التعريف المقترح للإرهاب:

بعد أن ناقشت التعريفات، وذكرت أقربها للصواب والأرجح في نظري، رأيت أن التعريف الجامع والمانع للإرهاب من وجهة نظري هو ما جاء ذكره وبيانه في كتاب (حقيفة الإرهاب المفاهيم والجذور)⁽¹⁾؛ إذ جاء فيه:

(رعب تنشره جماعة منظمة - عامة أو خاصة - على نطاق واسع، أو محدود عن طريق استخدام وسائل العنف، أو التهديد بما، لتحقيق أهداف غير مشروعة في الإسلام).
فقوله: (الإرهاب رعب) استحضار لعناه اللغوي الذي قرره علماء اللغة؛ حيث ينبغي مراعاة المعنى اللغوي - قدر المستطاع - في المعنى الاصطلاحي، ومن ثم الإضافة إليه بما يجعل التعريف جامعاً مانعاً.

- الشرح العام للتعريف:

وقوله: (تنشره جماعة منظمة) قيد تخرج به الجرائم العادية والفردية؛ فإنها لا تنشر الرعب في الغالب إلا في محيط الضحية وما حولها، بخلاف الإرهاب فإنه ينشر الرعب والفرع على نطاق واسع في المجتمع.

وقوله: (عامة أو خاصة) يشمل الإرهاب الذي تقوم به الدولة أو أحد قطاعاتها، كما يشمل الإرهاب الذي يقوم به بعض الأفراد الذين يملكون مقوماته ووسائله.

وقوله: (عن طريق استخدام وسائل العنف) يدخل فيه جميع أعمال التخريب أو التفجير، أو الاختطاف، ونحو ذلك، ويخرج به الرعب الذي ينتج عن وقسوع الكوارث الطبيعية، كالعواصف والزلازل، والفيضانات والحرائق، ونحو ذلك، فهذا الرعب والفرع لا يدخل تحت مسمى الإرهاب.

وقوله: (أو التهديد به) لأن التهديد يحقق ما يحققه العنف ذاته من نشر الرعب والفرع بين الناس، بل قد يكون التهديد أشد وقعاً على النفوس من الفعل المهدد به ذاته،

١ - للدكتور مطيع الله بن دخيل الله الصرهيد الحربي.

وقد ثبت في الواقع أن التهديدات التي يلوح بها الإرهابيون على ضحاياهم تشبه فيهم الرعب والفرع الكبير، كما لو أن الأفعال المهدد بها من قتل وسواه قد وقعت بالفعل عليهم، ومن هنا كان الأبلغ في تصوير الإرهاب إضافة التهديد بالعنف، لكونه وسيلة لنشر الرعب وزعزعة الأمن.

وقوله: (لتحقيق أهداف غير مشروعة في الإسلام) قيد يخرج به كل ما يحقق أهدافا مشروعة في الإسلام، كجهاد الكفار المحاربين، وصد الغزاة المختلفين، وقتال البغاة، وقطاع الطرق، كما يخرج به ما يراه أعداء الإسلام مشروعا لا تؤيده الشريعة الإسلامية. ولا شك أن الإرهاب الذي يمارس في مجتمع ما يسعى لتحقيق هدف معين ترسمه الجماعة القائمة به، وفي الغالب الأعم يكون هذا الهدف سياسيا، بمعنى أنه يتوخى تحقيق نتائج ذات طابع سياسي، كالوصول إلى السلطة، أو تفويض السلطة القائمة لصالحه أو لصالحه أو لصالح غيره، أو الضغط على السلطة لحملها على توجهات أو اعتقادات معينة، أو الانتقام من السلطة التي عارضت أهدافه ووقفت أمام توجهاته^(١).

وبنظرة عامة لهذا التعريف نجد أن الإرهاب ليس له دين أو وطن أو جنسية معينة فهو يصيب الجميع حيث لا توجد حدود جغرافية له فمسرحة عملياته يشمل كل أجزاء الكرة الأرضية كما لا يوجد شكل معين لجرائم الإرهاب فيمكن أن يأخذ شكل خطف طائرات وتغيير مسارها بالقوة أو تدميرها أو أخذ ركانها رهائن أو قتلهم أو تتخذ شكل تفجيرات للمباني وغيرها أو احتلال مواقع واستعمال السموم أو الغازات الضارة، وإجمالا كل ما يُعتدى فيه على الأشخاص من اغتالات وغيرها والأموال ووسائل النقل بأنواعها المختلفة، ولا شك أن التقدم العلمي والتقني الذي يشهده العالم اليوم أدى إلى زيادة خطورة جرائم الإرهاب وتعقيدها سواء من حيث تسهيل الاتصال بين العناصر الإرهابية وتنسيق عملياتها أو من حيث

١ - (حقيقة الإرهاب المفاهيم والمفرد) ص ٤ - ١٢ .

المساعدة على ابتكار مواد وأساليب إجرامية متقدمة^(١) أو زيادة مرتكبي تلك الجرائم مما أدى إلى ازدياد الإرهاب على جميع المستويات وأصبح من أهم الأخطار التي تواجه المجتمع الدولي وبالتأمل لا يعد إرهاباً الكفاح المسلح للشعوب الخاضعة للاحتلال الأجنبي من أحسن تحرير أرضها المحتلة والحصول على حقها في تقرير مصيرها واستقلالها وفقاً لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها وأن الدفاع عن الأوطان فطرة غريزية عند البشر جميعاً وأنهم مارسوا هذا الحق منذ أقدم عهودهم وما زالوا يمارسونه حتى اليوم وهم بهذه الممارسة يعتقدون أنهم يقومون بعمل مشروع بل إن من واجبه القيام بهذا العمل حتى لو فقدوا حياتهم في هذا السبيل . هؤلاء الذين يدافعون عن أوطانهم لم يكونوا بحاجة إلى قرار من أحد أو من هيئة كي يمارسوا هذا الحق لأنه — كما قلت منطور في غرائزهم لا يمكنهم التحلي عنه أو حتى الاستهانة به وقد جاءت القوانين البشرية كلها وقبلها الشرائع السماوية لتؤكد هذا الحق وتأمّر الناس بممارسته مهما كلفهم من ثمن . وكان الإسلام من ضمن هذه الشرائع التي أمرت أتباعها بالدفاع عن بلادهم وعدت موقم في هذا السبيل طريقاً إلى الجنة وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحض على الجهاد وعلى الدفاع عن الأوطان ورسولنا الكريم ﷺ أمرنا بالدفاع عن أوطاننا وعد ذلك واجبا على كل القادرين من الرجال والنساء . وعلى غرار قوانين الأمم المتحدة جاءت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التي وقعها وزراء الداخلية العرب فقد جاء في المادة الثانية من هذه الاتفاقية :

(١) مجلة الأمن (وزارة الداخلية) العدد ٥٨ ص ٣٤

(لا تُعد جريمة حالات الكفاح بمختلف الوسائل بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير وفقاً لمبادئ القانون الدولي) (١) كما أن رابطة العالم الإسلامي أكدت في بيان مكة الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في مكة في الفترة ما بين ٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢ هـ الحق للجميع في الدفاع عن أوطانهم وأعراضهم ضد المحتلين الغاصبين وأن هذا الحق مشروع في كل الشرائع الإلهية والقوانين الوضعية لقد وقع الخلاف الواضح بين المصطلحات في تعريف الإرهاب حتى لوحظ على بعضها العموم وعلى الآخر التخصص لكن وبعد التحقيق تبين لنا أن كلمة الإرهاب ترجمة من terrorism إلى إرهاب باللغة العربية، ترجمة غير صحيحة لغوياً لأن الخوف من القتل أو الجرح أو التدمير هو مجرد خوف مادي يعبر عنه بالرعب وليس الرهبة، لأن الرهبة في اللغة العربية عادة استخدام للتعبير عن الخوف المشوب بالاحترام لا الخوف والفزع الناجم عن تهديد قوة مادية أو حيوانية أو طبيعية فذلك إما هو رعب أو ذعر وليس رهبة والكلمة الصحيحة التي تقابل المفردة الإنجليزية terrorism هي إرعاب . ولكن مجمع اللغة العربية أقر استخدام كلمة إرهاب التي لها رواج واستعمال واسع في الرأي العام العربي وجرى الناس على استعمالها وأصبحت متداولة ومتعارف عليها .

علاقة الإرهاب بالتطرف:

إذا كان التطرف هو تجاوز الحد وأفرط عن الاعتدال فإن حقيقة الإرهاب المذموم في الإسلام يكون أكثر من ذلك حيث تجاوز مرحلة التطرف إلى مرحلة أخرى تنطوي على فرض الرأي أو المعتقدات بالقوة، أو بمعنى آخر فإنه إذا كان التطرف عادة يقوم على العنف الفكري فإن الإرهاب يعتمد على العنف الفكري والمادي معا . فالتطرف، سواء كان إفراطاً أو تفريطاً، مذموم في الإسلام لأن الإسلام هو الصراط المستقيم الذي وقع وسطاً بين الإفراط والتفريط .

وبالمحصلة: فالتطرف يرتبط بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتوافق أو متعارف عليه سياسياً واجتماعياً وثقافياً ودينيّاً، دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات فعلية مادية منطرفة أو عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة، أما إذا ارتبط التطرف بالعنف المادي، أو التهديد بالعنف .. فإنه يتحول إلى إرهاب.

علماً أن التطرف غالباً ما يكون في دائرة الفكر، وقد ينعكس هذا الفكر على السلوك، وذلك في أشكال متعددة قد يأخذ بعضها شكل القول أو الكتابة أو غيرها من وسائل التعبير عن الرأي، وقد يتجسد الفكر المتطرف في أتماط أخرى كارتداء زي معين، أو الامتناع عن سلوك معين .. أما عندما يتحول الفكر المتطرف إلى أتماط عنيفة من السلوك من اعتداء على الحريات أو الممتلكات أو الأرواح، فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب .. والواقع هو: أن التطرف هو اتجاه فكري محدد بينما الإرهاب هو وسيلة لفرض ذلك الاتجاه على الآخرين بفعل القوة.

لذلك نقول: إن (الإرهاب غذاء التطرف) .

التشدد

التشدد لغة:

تدور أحرف هذه الكلمة الأصلية على القوة والصلابة « فالشين والدال » أصل يدل على قوة في الشيء^(١).

والشدة - بالكسر - اسم من الاشتداد، ومنه: (الشديد والتشدد)، قال طرفة^(٢):

أرى الموت بتمام الكرام ويصطفي عقيلة مال الباطل المتشدد^(٣)

وشادّه مشادة وشداداً: غالبه، وفي الحديث: « لن يشاد هذا الدين أحد .. إلا غلبه »^(٤).
أي غلبه الدين.

والمشادة: المغالبة والمقاواة، والمقاومة والمشادة في الشيء: التشدد فيه^(٥).

التشدد في الاصطلاح:

لم أجد من علماء المسلمين القدامى من عرفه اصطلاحاً، أما في العصر الحديث.. فقد عرفه الدكتور عزيز ياسين النصري^(٦) بأنه:

(عدم قبول الحق عند ظهور الدليل، بناء على ميل إلى جهة أو طرف أو جماعة أو مذهب أو فكر سياسي أو طائفي^(٧)).

١ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة مادة (شدد).

٢ - طرفة بن العبد: طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى. ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فحمله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى المكعب عامله على البحرين وعمان بأمره فيه يقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بما، فقتله المكعب، شاباً، في هجر قيل: ابن عشرين عاماً، وقيل: ابن ست وعشرين. أشهر شعره معلقته، ومطلعها: حلولة أطلال بركة نهدم وقد شرحها كثيرون من العلماء. وكان هجاء، غير فاحش القول. تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره. جمهرة أشعار العرب: ٣٢ و ٨٣، والتبيري: ٨/٤، وحرارة الأدب: ٤١٤/١ - ٤١٧ شرح شواهد المغني: ٢٧٢، والزوزني: ٢٨، والشعر والشعراء: ٤٩.

٣ - البيت من معلقته المشهورة ينظر ابن النحاس (شرح القصائد المشهورات) (٨٣ / ١).

٤ - رواد البحاري كتاب: الإيمان باب: الدين بسر برقم: ٣٩.

٥ - انظر (أساس البلاغة) للزمخشري مادة (شدد).

٦ - باحث من تونس ترأس عمادة كلية الآداب بجامعة الزيتونة، ولد وتوفي في تونس. انظر (مجلة صوت الأهر عدد (٢٠٠١/٣/١٤).

٧ - (مظاهر الغلو والتشدد في طالبان) ص (١٣٧) دار الوعد تونس.

والتشدد لا يكون إلا بالارتباط الشخصي بفكر أو جماعة، والجد في نصرتها والانغلاق على مبادئها.

العلاقة بين التشدد والتطرف:

العلاقة بين التطرف والتشدد علاقة اقتضاء وجوار، بحيث قد يتحول التطرف إلى التشدد والعنف، وبينهما تبادل وترايط في المعنى.

إذ قد يكون التشدد تشدداً دينياً أو مذهبياً أو سياسياً أو طائفيًا أو عنصرياً، وهو سلوك خطير قد ينحدر نحو الأسوأ، ثم يؤدي إلى التطرف والهلاك والخراب، بسبب التشدد وعم الانفتاح وعدم التسامح، أيًا كان نوع التعصب، ومهما كان شكله أو مصدره، ولعل أخطر أشكال التشدد هو التشدد الديني والتشدد القومي حيث تمارسهما بعض الجماعات أو الأنظمة الدكتاتورية أو تخرض عليهما.

والتطرف هو الشدة والإفراط في شيء، أو في موقف معين هو أقصى الاتجاه أو النهاية والطرف أو هو الحد الأقصى، وحين يقال: (إجراء متطرف) يعني ذلك الإجراء السذي يكون إلى أبعد حد، وهو التشدد، وحين يبلغ شخص ما في فكرة أو في موقف معين دون تسامح أو مرونة يقال عنه: شخص متطرف في موقفه أو معتقده أو مذهبه السياسي أو الديني أو القومي.

كتاب العنْف

العنف لغة:

بالرجوع إلى المعجمات اللغوية في مادة (عنف) وجدنا أنها مثلثة العين بالرفع والفتح والكسر، وهو ضد الرفق، وهو الشديد في القول والفعل.

حيث أن (العين والنون والفاء) أصل صحيح يدل على خلاف الرفق^(١).
يقال: اعتنف الأمر: أخذ بهشدة، والعنيف الشديد من القول والفعل، يقال: عَنَّفَ عُنْفًا فهو عنيف، ومنه يسمى من ليس له رفق بركوب الخيل عنيفاً^(٢).

العنف في الشرع:

جاء في العنف من الأحاديث الشريفة ما يأتي :

١ - في صحيح البخاري، في الأدب:

عن عائشة رضي الله عنها: « أن يهوداً أتوا الرسول فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله، وغضب الله عليكم، قال: مهلاً يا عائشة عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش، فقالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في »^(٣).

٢ - وفي صحيح مسلم^(٤) في البر والصلة والأدب :

١ - معجم مقاييس اللغة، مادة (عنف).

٢ - ينظر (الصحاح) للجوهري، و(لسان العرب) لابن منظور، و(القاموس المحيط) للفيروز أبادي كلهم مادة (عنف).

٣ - البخاري كتاب: الأدب باب: الرفق في الأمر كله برقم: ٥٦٨٣.

٤ - الإمام مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين : حافظ، من أئمة الهدى. ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور سنة ٢٦١هـ. أشهر كتبه صحيح مسلم جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة، في الحديث، وقد شرحه كثيرون. ومن كتبه المسند الكبير رتبته على الرجال، و الجامع مرتب على الأبواب. والبداية والنهاية: ٣٣/١١، تذكرة الحفاظ: ١٥٠/٢، ومذهبي: ١٢٦/١٠، وابن خلكان ٩١/٢ وفهرسة ابن خسير ٢١٢ وتاريخ بغداد: ١٠٠/١٣.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله قال: « يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه »^(١).

٣ - وفي موطأ الإمام مالك^(٢) - الجامع - ما يؤمر به من العمل في السفر، قال: « إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق، ويرضى به، ويعين عليه ما لا يعين على العنف »^(٣).

وفي الحديث أن رسول الله قال: « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »^(٤).

وحاصل ما تقدم، مما تدل عليه اللغة، وما جرى عليه البيان في التفسير والحديث: أن معنى العنف سواء من جنس الأفكار والتصورات، أم من جنس السلوك والوقائع، هو أخذ الأمور بشدة، والإقبال عليها بما يجاوز حد الوسط والاعتدال، وبجانبه اليسر اللين والسماحة.

العنف في الاصطلاح:

لم أجد من عرف العنف اصطلاحاً بشكل دقيق في أغلب المراجع التي اطلعت عليها إلا ما كان من تعريف خاص للدكتور محمود عكام جاء على النحو التالي:

العنف: (تسرع في اختيار السلاح لمواجهة مخالف الرأي).

ثم أردف مفسراً تعريفه بنبيذ الإسلام للعنف إذ قال: (القرآن الكريم يقول:

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾^(٥) .

١ - رواء مسلم كتاب: التبر والصلوة والآداب باب: فضل الرفق برقم: ٢٥٩٣.

٢ - الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبغي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده في المدينة ووفاته بها سنة ١٧٩هـ. كان صلوا في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، وشي به فضربه سياطا اغتلت لها كفه. ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم بسؤي، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه. وسأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به، فصنف الموطأ. وله رسالة في الوعظ.

٣ - رواء مالك كتاب: الجامع باب: ما يؤمر به من العمل في السفر برقم: ١٨٣٤.

٤ - رواء البخاري كتاب: الأدب باب: الخذر من الغضب برقم: ٦١١٤.

٥ - النحل: ١٢٥.

ويقول القرآن الكريم أيضاً: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ (١) (٢).

علاقة العنف بالتطرف:

إن التقارب بين العنف والتطرف يتضح من خلال اعتبار العنف مظهراً من مظاهر التطرف، فهو بمثابة وصف ومظهر.
ومن هنا.. فإن العنف هو مكون أساسي في فعل المتطرف، حيث لا يمكن تصور تطرف دون عنف، يؤدي إلى إرهاب.

١ - البقرة: ٨٣.

٢ - م- كتاب (تعلقات مصاحح مسانيدات / د محمد عكاش، دار فضلت.

المبحث الثاني
التطرف الديني ظاهرة شاذة
لدى الشرائع السماوية السابقة والأديان القديمة

التطرف الديني عند اليهود

تتسم الصهيونية كمفكرة وحركة ومنظمات وكيان بالإرهاب والعنصرية والتطرف والتمييز العنصري والإبادة الجماعية لغير اليهود وتعتمد على التراث التوراتي والتلمودي الذي يعتبر أنه شعب الله المختار اختاره يهوه على شعوب الأرض قاطبة. حيث تخرض التوراة على الإرهاب والتطرف والوحشية في معاملة غير اليهود وتدعو أتباعها إلى إلقاء الخوف والرعب في نفوس الناس كي تترك أرضها وممتلكاتها تحت رطاة الإرهاب والإبادة وسفك الدماء وترحل أمام اليهود لكي تغلي المناطق التي يريدونها اليهود بعد أن ينفذ اليهود فيها حملات الإبادة والتدمير وحرق القرى والمدن حتى تكون خالية من أصحابها^(١).

وحيث تنطلق عنصرية الشعب الإسرائيلي من التعاليم اليهودية المشبعة بالعنف والانتقام والتمييز والاستعلاء والإبادة الجماعية التي تنص على أن اليهودي وحده هو الإنسان وأن كل شيء مسخر لخدمته وأن اليهود جزء من العزة الإلهية وأن الدنيا وما فيها ملك لهم عليهم حق التسلط.

يقول د. أفابيان عن التلمود وأثره في الحياة اليهودية:

الحياة اليهودية حتى هذا اليوم مؤسسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية فقطوسنا وكتاب صلواتنا واحتفالاتنا وقوانيننا زواجنا بالإضافة إلى قوانيننا وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود والتلمود هو الذي تعزى إليه الصفات التي يتميز بها اليهودي^(٢).

١ - العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية، د: غازي حسين، ص ١١.
٢ - ظفر الإسلام حان، التلمود: تاريخه وتعاليمه، دار الفانوس - بيروت ١٩٧٢، ص ٣٤-٣٥.

كما يعتبر التلمود أن قتل اليهودي لا يعد جريمة عند اليهود بل فعل يرضى عنه

الله.

وجاء في التلمود أن الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني فإذا رأته واقفاً في نحر أو مهدداً
بخطر فيحرم عليك أن تنقذه منه لأن السبعة شعوب الذين كانوا في أرض كنعان المراد
قتلهم من اليهود لم يقتلوا عن آخرهم بل هرب بعضهم واحتلظ باقي أمم الأرض لذلك
قال ميمارند أنه يلزم قتل الأجنبي لأنه من المحتمل أن يكون من نسل السبعة شعوب وعلى
اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع^(١).

وجاء فيه أمر الله اليهود بنهب أموال المسيحين وأخذها بأي طريقة كانت سواء
استعملوا الخيلة أو السرقة أو الربا وعلى اليهود أن يعتبروا المسيحين حيوانات غير عاقلة
ويعاملوهم معاملة الحيوانات الدينية (و) كنائس المسيحين كبيوت الضالين ومعابد الأصنام
فيجب على اليهود تحريبها (و) أناجيل النصارى عين الضلال ويلزم تسميتها بكتب الظلم
والخطايا ويجب على اليهود إحراقها ولو كان اسم الله فيها .

أسفار اليهود والتطرف:

التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، وسفر يشوع.

هذه هي أسفار اليهود، ومن أهمها وأوضحها دعوة للتطرف سفر يشوع حيث
يؤرخ سفر يشوع لحياة يشوع بن نون الذي هاجم أريحا وحاصرها واحتلها وحرقها بمن
فيها من الأحياء حتى الحمير وسجل السفر الحروب التي خاضها بنو إسرائيل ضد
خصومهم والمذابح التي ارتكبوها بحقهم ويزعم يشوع أن الرب هو الذي أمره القيام بتلك
المذابح الجماعية وباركها وقدسها وجعلها جزءاً لا يتجزأ من الدين اليهودي القائم على
الإرهاب والذبح والإبادة الجماعية وسفك الدماء .

كان يشوع محاربا ظلماً متطرفاً إرهابياً مستبداً سفاكاً للدماء أمراً بالقتل والذبح
والإبادة الجماعية خالياً بعقله وقلبه من الرحمة وبجرداً حتى من الشعور الإنساني تماماً
كالإرهابي أرييل شارون وكان يتلذذ بمنظر أعدائه وهم يذبحون وتقر بطون نساءهم
وتذبح أطفالهم وتدمر مساكنهم وتحرق محاصيلهم وكانت السعادة تغمره لمنظر السدماء

وهي تجري بغزارة والجنث ملقاة على الأرض والبهائم تقتل والمنازل تهدم والمحاصيل تحرق
كقادة إسرائيل والجيش الإسرائيلي في بداية هذا القرن^(١).

وهكذا كوّن سفر يشوع العقلية اليهودية المعاصرة حيث ينشأ عليه الأطفال
ويدرسه طلبة المدارس اليهود أينما وجدوا ويتعلمون الاعتزاز والافتخار والإعجاب
بفتوحات يوشع ومواقفه تجاه خصومه ويطلب الخانجامون والأساتذة وقادة الأحزاب
والمنظمات اليهودية "اليهود" بالافتداء بيشوع في تعاملهم مع العرب والمسلمين.

يعد سفر يشوع مصدر التطرف والإرهاب اليهودي الأساسي ومدرسة الإرهاب
اليهودي والدافع والباعث لإسرائيل لارتكاب المذابح والإبادة الجماعية للفلسطينيين
والعرب والسبب الرئيسي لارتكابها ويقتدي قادة إسرائيل ومنهم شارون وبريز بالإرهابي
الأول في التاريخ البشري الذي حرق مدينة أريحا ودمرها وقتل من فيها حتى الحيوانات.

وقادت التعاليم الوحشية والإرهابية والمنترفة الواردة في سفر يشوع إلى ارتكاب
مذابح ومجازر دير ياسين وكفر قاسم وبحر البقر وأبو زعبل وداعل وصرنا وشاتيلا ومجزرة
المسجد الإبراهيمي في الخليل ومجزرة المسجد الأقصى في القدس ومجزرة قانا وتدمير مدينة
القنطرة المصرية والقنيطرة السورية و٤٥٠ قرية ومدينة فلسطينية^(٢).

ويشكل سفر يشوع الشخصية اليهودية المعاصرة القائمة على العنف والإرهاب
والعنصرية والحقد والكراهية والاستعلاء ويعتبر اليهود أن الإيمان به هو الذي يقرهم إلى الله
وبالتالي أصبح جزءاً لا يتجزأ من الدين اليهودي.

ويدعو التلمود إلى فرض إرادة اليهود بالقوة على الشعوب الأخرى ويقول:

يجب ضرب الغرباء ضربة قاصمة لأن واحدهم قد يكون منحدرًا من شعوب
الكنعانيين السبعة وبالتالي يمتد التحريض على العنف والإبادة من التوراة إلى التلمود حيث
دون التلمود عصر ما بعد التوراة وحافظ عليها وقام بشرحها وتفسيرها ويمتلئ بالعنصرية
والوحشية والمهجمة والحقد والكراهية على جميع البشر غير اليهود^(٣).

١ - العنصرية والإبادة الجماعية ص ١٥.

٢ - المصدر السابق، ص ١٥.

وغدت تعاليم التوراة والتلمود الإرهاب والعنصرية والنهب والسلب والقتل والحرق في عقول المفكرين والسياسيين اليهود من أمثال هرتزل^(١) وجابوتنسكي وبيغن^(٢)

(٢)

١ - تودور هرتزل، المولود عام ١٨٦٠ في بودابست بالغر، قاد العمل السياسي والفكري والثقافي لإقامة دولة إسرائيل في فلسطين، التي لم يرها في حياته. وقد تبلور حلم هرتزل بتنظيم المؤتمر الصهيوني الشهير في سال بسويسرا عام ١٨٩٧ وهو لم يتجاوز الساعة والثلاثين من عمره، ورأس المنظمة اليهودية العالمية التي انبثقت عن ذلك المؤتمر. وظل هرتزل حتى وفاته عام ١٩٠٤ يسمى بقرة، وفي كل الإنجاءات إلى تحقيق هذا الحلم، حتى تمسك بالفعل بإعلان قيام دولة إسرائيل في فلسطين في ١٥ مايو عام ١٩٤٨، وتكريماً له تم نقل رفاته إلى فلسطين ليدفن بها عام ١٩٤٩. اعرف أعدائك، للدكتور محمد الخطيب.

٢ - وُلد مناحيم بيغن في ١٦ أغسطس ١٩١٣ في روسيا البيضاء ودرس فيها حتى أتمى المرحلة الثانوية ومن ثمّة، سافر إلى بولندا في عام ١٩٣٨ حيث جامعة "وارسو" لدراسة القانون. تعرّف بيغن على العمل الصهيوني من خلال منظمة "بيتار" البولندية التي ترأسها في عام ١٩٣٩. حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الرئيس المصري الراحل أنور السادات.

الهجرة إلى فلسطين

في العام ١٩٣٩، احتاحت القوات الألمانية النازية بولندا في بداية الحرب العالمية الثانية فاضطر بيغن إلى النفاذ بجلده ومغادرة بولندا إلى الإتحاد السوفيتي. ولم يستقل السوفييت بيغن بالأحضان، بل ألغوا القبض عليه وقامت السلطات السوفيتية بنفيه إلى صحراء سيبيريا في عام ١٩٤٠. وبعد عام في سيبيريا، أطلقت السلطات السوفيتية سراحه حيث قام بالانضمام إلى صفوف الجيش البولندي لمدة عام واحد ومن بعدها قرر الهجرة إلى فلسطين في عام ١٩٤٢. في عام ١٩٧٧، تمكّن مناحيم بيغن من أن يصبح سادس رئيس وزراء إسرائيل. ومن أهم الأحداث التي حدثت في فترة رئاسته التي استمرت حتى عام ١٩٨٣ :

- ترأس الوفد الإسرائيلي المُفاوض مع الوفد المصري، وتمحضت المفاوضات عن توقيع أول معاهدة سلام بين دولة عربية وإسرائيل. وتمتقت المعاهدة في عام ١٩٧٩.
- أقلعت الطائرات الحربية الإسرائيلية متوجهة إلى العراق في عام ١٩٨١ بهدف ضرب المفاعل النووي العراقي. وصرح بيغن عندها "أنا لئن نسمح بأي حال من الأحوال أن نتمكّن أعداءنا من تطوير أسلحة السدمار الشامل لاستخدامها ضد الشعب الإسرائيلي". وفي عام ١٩٨٢، انطلقت القوات الإسرائيلية شمسلا داخل الأراضي اللبنانية واستقرت في جنوب لبنان فترة ١٨ سنة بمجّة ضرب المقاومة الفلسطينية.

أقواله

"لا مزيد من الحروب، لا مزيد من إراقة الدماء، لا مزيد من التهديدات" - خطاب إذاعي موجّه إلى الشعب المصري في ١١ نوفمبر ١٩٧٧.

- بعد موت زوجته "أليرا"، تدهورت حالة بين الصحبة فقام الرجل على تقديم استقالتة من رئاسة الوزراء في أغسطس ١٩٨٣ وظل يصارع المرض حتى فارق الحياة في ٩ مارس ١٩٩٢ عن عمر يناهز الـ ٧٨ عام.

١ - إسحق شامير - ١٥ أكتوبر ١٩١٥. رئيس الوزراء الإسرائيلي السابع ١٩٨٣ إلى ١٩٨٤ وفي الفترة الثانية من ١٩٨٦ إلى ١٩٩٢.

وُلد شامير في بولندا وهاجر إلى فلسطين في عام ١٩٣٥. كان اسم العائلة آنذاك "جازيرينيكي" وغيره فيما بعد ليصبح "شامير". قام بالانضمام إلى المنظمة الإرهابية ارجون وعندما حدث الإنشقاق بالإرجون في عام ١٩٤٠ ونجم عن الإنشقاق ولادة عصابة شتيرن على يد "ابراهيم شتيرن"، إنضم شامير لجناع شتيرن المتطرف. وعندما قامت القوات البريطانية بقتل ابراهيم شتيرن في عام ١٩٤٢، تولى شامير مع إثنان من أفراد عصابة شتيرن زعامة العصابة.

بعد حرب الـ ١٩٤٨، إنضم شامير إلى الجهاز الإسرائيلي التحسسي (موساد) من الفترة ١٩٥٥ إلى ١٩٦٥ وقام بالتغوز بكرسي في الكنيست الإسرائيلي في عام ١٩٧٣. تولى شامير رئاسة الكنيست الإسرائيلي في عام ١٩٧٧ وأصبح وزيراً للخارجية في عام ١٩٨٠.

يُصنف شامير باليمين المتشدد حيث عارض مؤتمر كامب ديفيد للسلام مع المصريين وعارض الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان.

في عام ١٩٩١، شاركت حكومة شامير بمؤتمر مدريد للسلام. ويذكر أن حكومة شامير لم ترد على الصواريخ العراقية التي أطلقتها الجيش العراقي على إسرائيل إبان حرب الخليج الثانية. فقد ألحّت الولايات المتحدة على شامير أن لا يقوم بالرد على الصواريخ العراقية لكي لا يُحدث الرد الإسرائيلي شرخاً في التحالف العربي الأمريكي في حرب الخليج الثانية.

إسحاق شامير من الموسوعة الإنجليزية ، ٤٨٧/٢.

٢ - إسحق رايبين، ١ مارس ١٩٢٢ إلى ٤ نوفمبر ١٩٩٥. رجل سياسي و جنرال عسكري سابق في الجيش الإسرائيلي وخامس رئيس وزراء إسرائيلي في فترتين. الفترة الأولى من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ وفي الفترة الثانية من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٥ حينما اغتالة متطرف يهودي، فيصبح رايبين أول رئيس وزراء إسرائيلي يموت اغتيالاً، وبعد من أشهر رحلات البالماح المنفرعة من الهاجاناه العسكرية.

وُلد رايبين في مدينة القدس إبان الإنتداب البريطاني لفلسطين ودرس في المدارس العسكرية الإسرائيلية حتى وصل إلى رتبة رئيس أركان في الجيش الإسرائيلي. وبعد أن تقاعد رايبين من الحياة العسكرية، إنخرط رايبين في السلك الدبلوماسي كسفير لإسرائيل لدى الولايات المتحدة الأمريكية ابتداءً من عام ١٩٨٣. أمّا بالنسبة لحياته السياسية الداخلية، فقد حصل على مقعد في الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٧٣ ثمّ أقره لمنصب وزير العمل.

في عام ١٩٧٤، تمّ انتخاب رايبين كرئيس لحزب العمل وخلف جولدا مائير في رئاسة الوزراء. واشتهر رايبين في الفترة الأولى لرئاسة الوزراء بعملية "مطار عنينة"، فقد أعطى رايبين أوامره للجيش الإسرائيلي لانتقاد ركاب -

- الطائرة الإسرائيلية المحطوفة بعد إقلاعها من إسرائيل. وخسر إسحاق راين رئاسة الوزراء فيما بعد لمناحيم بيغن إلا أنه ظل رئيساً لحزب العمال المعمرين. في عام ١٩٩٢، تمكن راين من الفوز بمنصب رئيس الوزراء للمرة الثانية ولعب دوراً أساسياً في معاهدة أوسلو للسلام التي أنجبت السلطة الفلسطينية وأعطتها السيطرة الجزئية على كل من قطاع غزة والضفة الغربية. وفي الفترة الثانية لرئاسة راين للوزراء، توصلت إسرائيل لاتفاقية سلام مع الأردن مع أشاع كسير في بغعة المستوطنات الإسرائيلية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة.

ولدوره الريادي في اتفاقية أوسلو للسلام، فقد تم منح راين جائزة نوبل للسلام عام ١٩٩٤ مع كل من ياسر عرفات رئيس السلطة الفلسطينية، وشيمون بيريز وزير خارجيته.

وفي ٤ نوفمبر ١٩٩٥، وخلال مهرجان خطابي مؤيد للسلام في ميدان الملك في مدينة تل أبيب، أقدم البمبيني المتطرف إيجال أمير على إطلاق النار على إسحق راين وكانت الإصابة مميتة إذ مات على إثرها على سرير العمليات في المستشفى ساعة محاولة الأطباء إنقاذ حياته.

إسحاق راين من الموسوعة الإنجليزية، ٢٢٥/١.

١ - بنيامين نتياهو. وُلد في ٢١ أكتوبر ١٩٤٩ وتاسع رئيس وزراء إسرائيل من الفترة ١٩٩٦ إلى ١٩٩٩ وعضو في حزب الليكود الإسرائيلي. خدم في القوات الخاصة للجيش الإسرائيلي وأب لطفلين.

كرئيس للوزراء الإسرائيلي،فاوض ياسر عرفات في المفاوضات المشهورة بـ "مفاوضات مر واي" والتي يسرى البعض أن نتياهو حاول إعاقة أي تقدم في سير المفاوضات بخلاف رئاسة الوزارة التي سبقته والتي انتهت. فقد قطعت تلك الحكومات تقدماً ملموساً بالمقارنة مع عهد نتياهو. وأُتصف عهد نتياهو بالهدوء النسبي باستثناء بعض العمليات الانتحارية الفلسطينية داخل إسرائيل. وفي عام ١٩٩٦، إتفق نتياهو مع رئيس بلدية القدس على الإستمرار في نفق السور الغربي للمسجد الأقصى مما أشعل شرارة فلسطينية استمرت ٣ أيام سقط خلالها القتلى من الجانب الفلسطيني والإسرائيلي.

وبعد هزيمة نتياهو على يد غريمه "يهود باراك" في الإنتخابات العامة عام ١٩٩٩، إعتزل نتياهو العمل السياسي بشكل مؤقت.

في عام ٢٠٠٢، ترك حزب العمل المشاركة في الحكومة الإسرائيلية وأصبح منصب وزير الخارجية شاغراً فقام رئيس الوزراء "إريل شارون" بتعيين نتياهو لمنصب وزير الخارجية. وعمل نتياهو على منافسة شارون لرئاسة حزب الليكود إلا أنه فشل في المنازلة. وبعد إنتخابات ٢٠٠٣، تم تعيين نتياهو كوزير للمالية في حكومة شارون الإنتلافية. وتحدث الإشارة أن نتياهو لا يؤمن مبدأً وطن مستقل للفلسطينيين.

قام نتياهو على تأليف العديد من الكتب منها: "مخاربة الإرهاب" و "مكان بين الأمم". وقد نتياهو أخوه الأكبر عام ١٩٧٦ نتيجة إقتحام الطائرة الإسرائيلية المحطوفة في مدينة "عنتية" الأردنية. بنيامين نتياهو من الموسوعة الإنجليزية، ٢٣٤/٣.

عقيدة التمييز العنصري عند اليهود

إن من المفارقات العجيبة أن يندد اليهود (بالعنصرية النازية) مع أنهم أعنف دعاة الاستعلاء والتمييز العنصري عبر قرون الدهر.
إن اليهود يعدون أنفسهم من جنس مميز على سائر أجناس بني البشر الذين يطلق عليهم اليهود (الجويم) أو الأميمين. فهم يزعمون أنهم شعب الله المختار، وأنهم أصحاب مميزات جنسية وعقلية وحضارية لم تتوافر لسائر بني البشر.
ويستند اليهود في هذه العقيدة إلى نصوص في توراتهم المخرفة و تلمودهم الموضوع^(١).

وبناءً على هذه العقيدة الباطلة وضع اليهود قوانينهم ومعاملاتهم، ففرقوا بينهم وبين سائر البشر في الأمور السياسية والاجتماعية من ذلك:
١) أن الإسرائيليين محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً، أو يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، على حين أنه مباح للإسرائيليين بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى وقتلها وسلب أموالها^(٢).

٢) إباحة الربا والزنا مع غير اليهود وتحريمه فيما بينهم^(٣).

وهذه مجرد نماذج من نتائج هذه العقيدة العنصرية، والواقع الذي يعانیه إخواننا في فلسطين خير شاهد، حيث يذوقون شتى أنواع العنصرية وأشدّها، وقد ذكر الله عنصريتهم فقال على لسانهم: ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٤).

عقيدة أرض الميعاد عند اليهود

تعد هذه العقيدة من أهم عقائد اليهود التي يؤمنون بها وبينون سياساتهم وعلاقاتهم عليها، ومعناها عندهم: أن الله سبحانه وتعالى قد وعد بني إسرائيل أن يملكهم أرضاً،

١ - انظر هذه النصوص مجمعة في العقيدة اليهودية ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

٢ - انظر: سفر التثنية ١٣ - ١٤ .

٣ - العقيدة اليهودية ص ٣٥٢ .

٤ - آل عمران: ٧٥ .

لكي يقيموا عليها دولة لهم تجمعهم من التشرذم والشتات . وقد اختلفوا فيما بينهم حول تحديد حدود هذه الأرض الموعودة، فمنهم من قال : إنها أرض كنعان فقط، يعني أرض فلسطين، ومنهم من قال : بأنها من النيل إلى الفرات، والمستغرب أن كلتا الطائفتين لديها نصوص من كتابهم المخرف تؤيد ما ذهب إليه ^(١) .

والناظر في هذه النصوص من العهد القديم يجد فيها من الاختلاف وعدم الموضوعية والإجماع ما يجعل القارئ لها يستبعد أن تكون نصوصاً سماوية من عند الله ^(٢) . وكما اختلف اليهود حول حدود أرض الميعاد فقد اختلفوا أيضاً حول موعد تحقيق هذا الوعد وحول الشخص الذي سيحقق لهم هذا الوعد.

أثر عقائد اليهود على الإرهاب والتطرف العالمي

إن الإرهاب الحقيقي واستخدام العنف بطريقة غير مشروعة يمتد بجذوره إلى العقيدة اليهودية الخرفة، والتي تمثلها إسرائيل وتطبقها في واقعنا اليوم، وإن دراسة التاريخ المعاصر للصهيونية، يظهر بجلاء أن الكيان الصهيوني قد تبني الإرهاب على مستوى الأفراد والدول على حد سواء، ولولا خشية الإطالة لسردنا إرهابهم الحالي الذي يشهد به القاصي والداني وقد ألفت في ذلك كتب عديدة، وهناك مواقع في الشبكة العالمية (الإنترنت) خصصت لذلك ^(٣) .

لكننا في هذا البحث معنيون ببيان الجذور التي تربي وتغذي الإرهاب وهي جذور عقائدية، مع ذكر بعض الوقائع المعاصرة التي تبنت هذا التطرف.

إن في عدم معرفة اليهود لله تعالى حقاً، وبما يجب له من صفات الكمال والجلال لأثر كبيراً على سلوكهم وعدوانهم، فمن كان بالله أعرف كان لله أخوف، وكتبهم مليئة بالاستهزاء والانتقاص من حق الله تعالى، ومن اعتدى على الله من سباب أولى أن يعتدي على خلقه.

١ - العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية : د . سعد الدين ص ٣٦٧ - ٣٧٠ .

٢ - عقيدة اليهود في أرض فلسطين : محمد آل عمر ص ٢٢١ . وانظر بعض هذه النصوص في كتبهم (التنية ١١ : ٢٣ - ٢٤ وفيها ذكر أرض كنعان، والملوك ٤ / ٢١ والتنية ١١ / ٣٠ وفيها : (من النيل إلى الفرات) .

٣ - انظر : المركز الإعلامي الفلسطيني، على الإنترنت . وقد خصص دراسات ومقالات وكتباً وصوراً عن الإرهاب الصهيوني.

وكذلك نجد وصفهم لرسول الله تعالى وأتباعه - عليهم السلام - بما يستحي المرء من ذكره يعد احتقاراً وعدواناً عليهم؛ ومن اعتدى على أنبياء الله تعالى فلن يتردد أو يتأخر في العدوان على غيرهم من البشر.

كما أن عدم الإيمان باليوم الآخر يجعل منهم عبداً للمادة وللتراب ولكل ما هو أرضي، وفي اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار وتميزهم العنصر يجعلهم يسوغون كل عمل متطرف وإرهابي في حق غيرهم لأنهم هم الأسياد وما عداهم خدم لهم.

واعتقادهم بأرض الميعاد يجعلهم يستيحيون احتلال أراضي المسلمين وطردهم وقتلهم لإخراجهم منها، وقد تسببت هذه العقيدة في حروب دامية وصراعات طويلة بينهم وبين المسلمين، وقد بين لنا المولى عز وجل في القرآن الكريم فساد عقيدتهم، وحذرنا منهم في أكمل بيان وأجلى حقيقة^(١).

وإن الباحث ليعجب أشد العجب حين يعلم أن توراة بني إسرائيل الحالية تعد سجلاً دقيقاً ومفصلاً لشروهم وأثامهم، وصمم آذانهم عن الاستجابة لله، ومخالفتهم لشريعته، وحياتهم لعهدده، بل كفرانهم به، وعبادتهم الأصنام والأوثان من دونه، وقتل أنبيائهم في أطوار تاريخهم، فما من سفر من أسفارهم إلا يزخر بعبارات السخط والغضب التي صهها الله على بني إسرائيل صياً في كل عهدهم منذ أن أخرجهم الله من مصر، إلى أن أهلكهم بظلمهم، وقضى بجزاب بلادهم، وتقطيعهم في الأرض^(٢).

ويهود اليوم هم الخلف السبي لمن سلف، إننا نجد هؤلاء الخلف ينطلقون من تراث السلف، فورا كل جريمة يرتكبوها نبوة مزعومة تسوغها لهم. يقول هرتزل: (إن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص السواردي في الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين)^(٣).

١ - وقد ألفت كتب عنيت بذلك منها: (معركة الوجود بين القرآن والتلمود)، د. عبد الستار فسح الله السعيد ص ٥٩ وما بعدها، ومرجع الأديان في القرآن، د. عبد الكريم زيدان ص ٣١ - ٦٠ .
٢ - في مقارنة الأديان بحوث ودراسات: د. محمد الشرفاوي ص ٢٤٠ وقد أورد المؤلف نصوصاً على ذلك من الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، وهي أوثق الكتب عندهم.
٣ - عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين لحمد آل عمر ص ٢١٣ .

ويقول بن غوريون^(١): (قد لا تكون فلسطين لنا من طريق الحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني، فهي الأرض التي وعدنا الله، وأعطانا إياها من القرأت إلى النيل)^(٢) .

ولعل أشد ما دونته نبوءاتهم المخرفة تخريباً لليهود على التوسع العدواني الظالم هو: (كل مكان تظوه أحامص أرجلكم لكم أعطيته^(٣) .
فهم مرتبطون عقدياً بكل أرض سكنوا فيها، من أرض الآباء والأجداد مثل كسل فلسطين، وسورية .. العراق، ومصر، الخ.

- ١ - ديفيد بن غوريون ١٦ أكتوبر ١٨٨٦ إلى ١ ديسمبر ١٩٧٣. أول رئيس وزراء لدولة إسرائيل. وُلد بن غوريون في مدينة "بلونسك" البولندية ولتحسنة للصهيونية، هاجر بن غوريون إلى فلسطين في ١٩٠٦. إبتعن بن غوريون الصحافة في بداية حياته العملية وبدأ باستعمال الإسم اليهودي "بن غوريون" عندما مارس حياته السياسية.
كان بن غوريون من طلائع الحركة العمالية الصهيونية في مرحلة تأسيس دولة إسرائيل. وخلال فترة رئاسته لمجلس الوزراء الإسرائيلي الممتد من ٢٥ يناير ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٣ (باستثناء الأعوام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٥)، فقد قاد بن غوريون إسرائيل في حرب ١٩٤٨ التي يُطلق عليها الإسرائيليون، حرب الإستقلال. وبعد بن غوريون من المؤسسين لحزب العمل الإسرائيلي والذي تولى رئاسة الوزراء الإسرائيلية لمدة ٣٠ عاماً منذ تأسيس إسرائيل.
في المرحلة السابقة لتأسيس إسرائيل، كان بن غوريون يُوصف بالمعتدل مقارنة بمنظمة الهاجاناه الصهيونية التي تعامل معها البريطانيون في مواقف متعددة. ومن جانب آخر، فقد شارك بن غوريون بمظاهر المقاومة المسلحة عندما تعاونت الهاجاناه مع منظمة الإرحون التابعة لمناحيم بيغن. ولكن بعد أسابيع من الإعلان الرسمي لقيام دولة إسرائيل، أمر رئيس الوزراء الجديد (بن غوريون) بحل جميع المنظمات المسلحة كالحاجاناه وشتون في سبيل تأسيس جيش الدفاع الإسرائيلي. وهذه التعديلات الجديدة التي طرأت على التنظيمات المسلحة الصهيونية، أمر بن غوريون بإغراق السفينة "التالينا" المحملة بالأسلحة، وكان السلاح الذي على متنها سيؤول إلى منظمة الإرحسون الصهيونية. وإلى اليوم، يظل الأمر الذي أصدره بن غوريون بإغراق السفينة مثاراً للجدل! وقامت بحلة "التام" الأمريكية باحتيابه كأحد أبرز ١٠٠ شخصية عالمية شكّلت القرن العشرين.
في هذه الفترة، أعلن بن غوريون نيته الإنسحاب من الحكومة والانتقال إلى صحراء النقب، ولكنه لم يقدم إستقالته في تلك الفترة إنما استمر في البقاء في النقب ومزاولة مهامه الحكومية.
ديفيد بن غوريون من الموسوعة الإنجليزية.
٢ - عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين ص. ٢١٣
٣ - يشوع (٣/١).

ولقد قال بن غوريون في تسوية عدوان (١٩٥٦م): (إنه يوطد أمن إسرائيل،
ويحميها من العدو، ويحرر أرض الأجداد من الغاصبين).
ولما اعترض أحد الوزراء على احتلال الجولان، وعُلب اعترضه بعدم وجود روابط
توراتية، رد عليه (إيجال آلون)^(١) قائلاً: (إن الجولان قطعة من إسرائيل القديمة لا تقلل

١ - إيجال آلون

لم تتبع شهرة إيجال آلون من كونه عسكرياً متميزاً في حرب ١٩٤٨ التي انتهت بإعلان قيام دولة إسرائيل، ولا من كونه وزيراً للعمل في الفترة ١٩٦٦-١٩٦٧ التي شهدت هزيمة يونيو/ حزيران، وإنما لكونه صاحب نظرية في الأمن الإسرائيلي اعتمدت عليها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية في رسم توجهاتها الإستراتيجية خلال العقود الأربعة الماضية.

الميلاد والنشأة

ولد إيجال آلون في "كفار طابور" بالجليل عام ١٩١٨ لأبوين هاجرا إلى فلسطين من روسيا واشتركا في تأسيس مستوطنة "روشبينا" التي كانت أول مستوطنة في الجليل الأعلى .

التعليم

تلقى إيجال تعليمه الأولي في مستوطنة روشبينا قبل أن ينضم إلى قوات الهاجاناه ويصبح قائداً لأحد كتائبها في الفترة من ١٩٣٦ - ١٩٣٩، وبعد حرب ١٩٤٨ واستقرار الدولة الإسرائيلية أكمل تعليمه في الجامعة العبرية ثم في جامعة أكسفورد في بريطانيا وتخصص في العلوم السياسية.

الوجهات الفكرية

بالرغم من اعتناق إيجال آلون للفكر الاشتراكي فإن نظريته في الأمن الإسرائيلي التي أخذت بها المؤسسة العسكرية والسياسية في إسرائيل هي التي منحت شهرته الواسعة كقائد عسكري وسياسي. وقد لخص آلون نظريته هذه في بحث نشره بعد عام ١٩٦٧ تحت عنوان " الدروس المستفادة من حرب يونيو/ حزيران ١٩٦٧ " ونشرته صحيفة معاريف آنذاك. ومما جاء فيه " إن الأمن لا يتحقق بالضمانات الدولية ولا بالقوات الدولية ولا بمعاهدات السلام، إنه يتحقق فقط بالأرض، تلك الأرض التي تصلح كقواعد صالحة للهجوم الإسرائيلي في المستقبل. والحدود حينئذ يجب أن ترتكز على مواقع طبيعية مثل القنات والأخار والممرات المائية والمرتفعات، على أن تبدأ بالاستيطان المسلح في المناطق التي تسحب منها إسرائيل فذلك خير من الإعلان عن ضمها". ويؤكد آلون على أنه لا يمنع من انضمام الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الأردن شريطة عدم وجود قوات أردنية فيهما وتأمين الحدود الإسرائيلية الأردنية بإقامة مستوطنات أمنية على امتدادها.

حياته السياسية

تأسيس البالماخ

اشترك آلون في تأسيس قوات البالماخ عام ١٩٤١ التي تخصصت في العمل ضد قوات الانتداب البريطاني ونشطت في استقدام المهاجرين اليهود غير الشرعيين إلى فلسطين .

أهمية عن الخليل ونابلس)، وهب زعماء يهود يؤكّدون أن استيلائهم على الأراضي
أراض المحتلة ما هو إلا تحقيق لنبوءات العهد القديم^(١).
وقال (مناحيم بيغن)^(٢) في ٢٨ / ٥ / ١٩٦٨ م : (إن الأراضي العربية المحتلة هي

- أصبح آلون قائدا للبلماخ (فصيل عسكري صهيوني أنشئ قبل قيام دولة إسرائيل) في الفترة من ١٩٤٥-١٩٤٨،
ومع بداية عام ١٩٥٠ استقال من وزارة الدفاع ليبدأ مشواره السياسي.

في اتحاد العمال عام ١٩٥٤ أصبح آلون واحدا من زعماء حزب "أجدوت هاعقودا" أي "اتحاد العمال" الذي
استمد قوته الأساسية من انضمام سكان المستعمرات الزراعية الاشتراكية إليه. وكان الحزب في بدايته جناحا يساريا
داخل حزب الماساي ثم انفصل عنه ليعسود إلى الانحسار معه مسرة ثانية فيما بعد.

وزيرا للعمل والهجرة

انتخب آلون عام ١٩٥٥ عضوا بالكنيست، وفي الفترة من ١٩٦١-١٩٦٧ شغل منصب وزير العمل، وخلال
الفترة من ١٩٦٧-١٩٦٩ كان نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للهجرة.

وزيرا للتعليم والثقافة

بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٤ ظل آلون نائبا لرئيس الوزراء وعمل في الوقت نفسه وزيرا للتعليم والثقافة وعضوا في
اللجنة الوزارية لشؤون الأمن والاقتصاد.

مفاوضا لفصل القوات

اختير آلون عام ١٩٧٤ ضمن الوفد الإسرائيلي في المفاوضات التي جرت بين إسرائيل ومصر وسوريا عام ١٩٧٤
وأسفرت عن فصل القوات المتحاربة.

وزيرا للخارجية

وفي الفترة التي أعقبت حرب ١٩٧٣ شغل منصب وزير الخارجية وظل في هذا المنصب لمدة ثلاث سنوات انتهت
عام ١٩٧٧.

وطوال الفترة من ١٩٧٧ حتى ١٩٨٠ كان آلون عضوا في لجنة الأمن والخارجية بالكنيست واللجنة العليا المختصة
بليبنان.

وفاته

ودع إجمال آلون المسرح السياسي الإسرائيلي بل والحياة عن عمر ناهز ٦٢ عاما. اعراف أعداءك، للدكتور محمد
الخطيب.

١ - صحيفة ميروزاليم العدد ١١/٢٣/١٩٩٢، عن كتاب حقائق يجب أن تعرف لخيري واكيم، ترجمة عيسى
خالد محمد.

٢ - مناخيم بيغن: وكّد مناخيم بيغن في ١٦ اغسطس ١٩١٣ في روسيا البيضاء ودرس فيها حتى أكمل المرحلة
الثانوية ومن ثمّة، سافر إلى بولندا في عام ١٩٣٨ حيث جامعة "وارسو" لدراسة القانون. تعرّف بيغن على العمل-

- الصهيوني من خلال منظمة "بيتار" البولندية التي ترأسها في عام ١٩٣٩. حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الرئيس المصري الراحل أنور السادات.

الهجرة إلى فلسطين

في العام ١٩٣٩، احتاحت القوات الألمانية النازية بولندا في بداية الحرب العالمية الثانية فاضطر بيغن إلى النفاذ بملده ومغادرة بولندا إلى الإتحاد السوفييتي. ولم يستقبل السوفييت بيغن بالأحضان، بل أقوا القبض عليه وقامت السلطات السوفييتية بنفيه إلى صحراء سيبيريا في عام ١٩٤٠. وبعد عام في سيبيريا، أطلقت السلطات السوفييتية سراحه حيث قام بالإنضمام إلى صفوف الجيش البولندي لمدة عام واحد ومن بعدها قرر الهجرة إلى فلسطين في عام ١٩٤٢.

نشاطه في فلسطين

نتيجة فكر بيغن الصهيوني، عمل على تأسيس منظمة صهيونية عسكرية أطلق عليها اسم "إرجون". واقترب اسم الإرجون بعمليات الإرهاب الفظيعة في حق الشعب الفلسطيني وأسهمت الإرجون في ترحيل الفلسطينيين من ديارهم بفعل العمليات الإرهابية، ومن أشهر عمليات الإرجون الإرهابية على الشعب الفلسطيني، مذعة دير ياسين التي راح ضحيتها ٣٦٠ فلسطيني كما ذكر مناحيم بيغن في كتابه "التمرد. قصة الأرجون". ولإيمان بيغن أن البريطانيين يعيقون تأسيس الدولة الإسرائيلية، فقد نال البريطانيون نصيبهم من الأذى عندما قامت الإرجون بنسف مقر قيادة القوات البريطانية في فندق الملك دارد في عام ١٩٤٨. ولم تستثن هيئة الأمم المتحدة من إرهاب مناحيم بيغن عندما أقدمت الإرجون على اغتيال ممثلها، الكونت "برنادوت" عندما قدم الكونت لإقتراحات هيئة الأمم لحل الإشكالات بين اليهود والفلسطينيين، ولم ترق تلك الإقتراحات لليهود، فتعاونت الإرجون مع عصابة شسترون والمجاهدات على الإجهاز على الكونت في ١٧ سبتمبر ١٩٤٨.

العمل السياسي

بعد الإعلان الرسمي لقيام دولة إسرائيل، قامت الحكومة الإسرائيلية الموقفة بكل جميع التنظيمات العسكرية وكان تنظيم الإرجون من بينها، فتوجه مناحيم بيغن إلى العمل السياسي وتم انتخابه للكنيست الإسرائيلي في عام ١٩٤٩. وزاول العمل السياسي حتى ترأس حزب الليكود في عام ١٩٧٣.

رئيس الوزراء

في عام ١٩٧٧، تمكن مناحيم بيغن من أن يصبح سادس رئيس وزراء لإسرائيل. ومن أهم الأحداث التي حدثت في فترة رئاسته التي استمرت حتى عام ١٩٨٣:

- ترأس الوفد الإسرائيلي للمفاوض مع الوفد المصري، وتمحضت المفاوضات عن توقيع أول معاهدة سلام بين دولة عربية وإسرائيل. وتمحقت المعاهدة في عام ١٩٧٩.
- أفلقت الطائرات الحربية الإسرائيلية متوجهة إلى العراق في عام ١٩٨١ بهدف ضرب المفاعل النووي العراقي. وصرح بيغن عندها "أنا لن نسمح بأي حال من الأحوال أن تمكن أعداءنا من تطوير أسلحة الدمار الشامل لاستخدامها ضد الشعب الإسرائيلي". وفي عام ١٩٨٢، انطلقت القوات الإسرائيلية شمالا داخل الأراضي اللبنانية واستقرت في جنوب لبنان فترة ١٨ سنة بحجة ضرب المقاومة الفلسطينية.

أقواله:

=

أراضٍ إسرائيلية حررتها إسرائيل من الحكم الأجنبي غير الشرعي (١١) .
حتى السور العنصري المقيت الذي اقترح بناءه إسحاق رابين - حمامة السلام
المفترسة - وشرع بيريز في تنفيذه عام ١٩٩٦ م، وهو مثار الجدل حالياً في حكومة شارون
الذي سيحول المناطق الفلسطينية الحالية إلى معتقل كبير للفلسطينيين، استخرجوا له
أسطورة من كتاب القابلاه في شرح التوراة، تنص على أن القدس هي (الملكوت الذي
سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات، حتى لا تصل إليها قوى الظلام، وستعلو جدرانها؛
حتى يعود التوازن إلى العالم) (١٢) .

إذن وراء كل مجزرة ومذبحة وجرمة يهودية نبوءة تورانية مزيفة، أو محرفة، وليس
على الآخرين سوى أن يرضخوا لإرادة الشعب المختار، لأنها - وببساطة - إرادة الله في
زعمهم.

كما أن العقيدة اليهودية المحرفة لم تكن مسطرة في كتبهم القديمة فحسب، بل
كانت حية في مناهجهم التي يربون عليها أطفالهم، وبالفعل أثمرت هذه المناهج وفرحت
ما نراه من إرهاب عبر شاشات التلفزة على مرأى ومسمع العالم كله، ليشهد العالم على
إرهابهم وعدوانهم المتأصل في نفوسهم التي ربيت على مناهج البغي والعدوان، وسأعرض
نموذجاً على هذا وهو رسالة دكتوراة بعنوان (الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال
العبري) للدكتورة سناء عبد اللطيف، حيث تتبعته المؤلفات مناهجهم بالعبرية في دراسة
موضوعية وسأنتقل شيئاً من خاتمتها حيث قالت : يسعى المؤلفون إلى تلقين الأطفال مبادئ
الأيديولوجية الصهيونية بشكل يظهر فيه بوضوح انحياز أدب الأطفال العبري للنسق

- "لا مزيد من الحروب، لا مزيد من إراقة الدماء، لا مزيد من التهديدات" - خطاب إداعي موجه إلى الشعب
المصري في ١١ نوفمبر ١٩٧٧.

"الفلسطينيون وحوش تمتشي على قدمين" - خطاب موجه للكنيست الإسرائيلي في ٢٥ يونيو ١٩٨٢.
نهاية

بعد موت زوجته "ألبرا"، تدهورت حالة يهن الصحية فقام الرجل على تقديم استقالة مسن رئاسة الوزراء في
اغسطس ١٩٨٢ وظل يصارع المرض حتى فارق الحياة في ٩ مارس ١٩٩٢ عن عمر يناهز الـ ٧٨ عام.
مناحيم يهن من الجزيرة نت.

١ - خدعة هرمجدون ص (٢٦) .

٢ - موسوعة اليهودية والصهيونية د. عبد الوهاب المسعود، ٥ / ٤١ / ١٢٥ .

القيمي للحركة الصهيونية، ومتسقاً اتساقاً شديداً مع أهدافها حتى إنه يمكن القول : إن أدب الأطفال العربي يعدُّ صنفونية دعارية وإعلامية، وإنه يعمل بانضباط على إيقاع تعاليم الأيديولوجية الصهيونية.

فالإبادة الجماعية المستمرة ومصادرة الأراضي والمياه والثروات العربية وبناء المستعمرات اليهودية وما هي إلا نتيجة من نتائج تربية التوراة والتلمود لليهود في إسرائيل وخارجها^(١).

إن إرهاب وعنصرية وتطرف الصهيونية يعتمد بالدرجة الأولى على اليهودية السني هي من حيث القدم والسبق الزمني أقدم بكثير من الحركات المتطرف والإرهابية والعنصرية التي ظهرت في تاريخ البشرية وهي أقدم بكثير من العنصرية الأوربية التي ظهرت في القرن التاسع عشر.

لقد ارتبطت الحركة الصهيونية منذ نشأتها بالعنصرية والإرهاب والتطرف وبلغ الإرهاب اليهودي ذروته عشية اغتصاب العصابات الإرهابية اليهودية لجزء من فلسطين العربية وتأسيس الكيان الصهيوني ويعتبر الإرهاب الصهيوني من أهم المرتكبات الأساسية لتنفيذ المشروع الصهيوني فهو ليس مجرد وسيلة قبلية للعقبة اليهودية الرجعية المفرقة بسفك الدماء والانتقام ولا هو رد فعل عشوائي على أضرار لحقت بالمشروع الصهيوني وإنما هو عقيدة ومخطط ورسالة أبدية ودائمة ومستمرة يوجهها المفكر والمسؤول الإسرائيلي السياسي والعسكري للعرب والمسلمين وجميع الشعوب غير اليهودية^(٢).

لقد اختارت العصابات الإرهابية اليهودية العديد من القرى والبلدات العربية لتكون النموذج العملي والدرس التطبيقي لما ورد في التوراة والتلمود من وحشية وهمجية لحمل العرب على الخروج من منازلهم وترحيلهم. وكانت مذبحه دير ياسين نقطة تحول في ترحيل العرب من ديارهم وإحلال مهاجرين يهود محلهم.

١ - الاتهامات الأيديولوجية في أدب الأطفال العربي، د. ستار عبد اللطيف، ص ١٦٦.

٢ - العنصرية والإبادة الجماعية ص ١٦.

وورث الجيش الإسرائيلي أساليب وتجارب المنظمات الإرهابية اليهودية وأصبح قادة المنظمات الإرهابية رؤساء وزارات ووزراء وقادة في الجيش والجمع الإسرائيلي. وتابعت إسرائيل ارتكاب الإرهاب الرسمي المنظم تجاه العرب وبدعم وتأييد كاملين من يهود العالم والدول الاستعمارية وفي طليعتها الولايات المتحدة الأمريكية التي تسرر الهولو كوست الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني بالدفاع عن النفس.

وامتد الإرهاب الإسرائيلي الرسمي وتجاوز المذابح والإبادة الجماعية وتحمسد في حروب عدوانية توسعية واستيطانية في أعوام ١٩٤٨، ١٩٧٨، ١٩٦٧، ١٩٥٦، ١٩٩٦، ١٩٩٣، ١٩٨٢ وتجاوز الإرهاب الإسرائيلي الجانب العسكري وامتد إلى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية وبالتالي تعرض أبناء الشعب العربي في فلسطين ولبنان وسورية والأردن ومصر إلى أبشع صور الإرهاب والعنصرية والإبادة الجماعية التي لا مثيل لها في التاريخ الحديث^(١).

لقد استخدمت الدول الاستعمارية إسرائيل كقاعدة إرهابية عسكرية لتنفيذ مخططاتها والمخططات الصهيونية ولخلق حالة من التوتر وعدم الاستقرار الأمني والسياسي والاجتماعي داخل المنطقة لاستنزاف مواردها وثرواتها وطاقاتها لفرض الهيمنة العسكرية المباشرة عليها بزرع القواعد العسكرية فيها والتواجد المستمر لحاملات الطائرات والقطع البحرية لإرهاب الحكام والمواطنين العرب وقمع النضال العربي بالعنف وتنظيف خزائن المال في دول النفط العربية.

كما تمارس اليهودية العالمية التطرف والإرهاب الفكري والسياسي والضغط والابتزاز من خلال سيطرتها على الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة والتلفزيون لتسويق إرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل.

وتسخر إسرائيل السيارات المفخخة والطرود المتفجرة والاعتقالات السياسية والمال والجنس والكذب والافتراء والتضليل لإثارة الحروب الأهلية وتعذية الأقليات العرقية والطائفية لخلق التناقضات والمشاكل الداخلية وتقوم بتمويل بعض الطوائف وتدريبها وتسليحها للقيام بأعمال إرهابية ضد الوطن والمواطنين العرب.

١ - المصدر السابق ص ١٧.

ويهدف الإرهاب الإسرائيلي إلى تحقيق سياسة الإكراه ويهدد بما يتضمنه من عنف وتطرف ووحشية التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتنمية في البلدان العربية ومستوى حياة المواطن فيها ورفاهيته والتطرف والإرهاب اليهودي هو الوسيلة التي قامت عليها إسرائيل والوسيلة الأساسية لإقامة إسرائيل العظمى والذي يحقق التوسع والضم والترحيل والاستعمار الاستيطاني وتستخدمه إسرائيل لتحقيق مكاسب سياسية أيضا فهو بالحصلة موجه إلى الدول العربية لإجبارها على إلغاء أو تعديل قراراتها السياسية بما يتفق مع المخططات والمصالح الإسرائيلية ويكون ضحاياه من الدرجة الأولى من المواطنين وأفراد القوات المسلحة والمنشآت الاقتصادية العربية ويقود الإرهاب الإسرائيلي إلى تخريب الموارد القومية والتأثير على خطط التنمية وموارد السياحة والاستثمار وبالتالي فالنظر للإرهاب الإسرائيلي أحد المخاطر الهامة التي تهدد أمن الشعوب العربية وتضعف القوة العربية وله أهداف مرحلية واستراتيجية تتجسد بالحروب العدوانية والمذابح والإبادة الجماعية ومصادرة الأراضي العربية وإقامة المستعمرات اليهودية عليها.

لقد نجحت اليهودية العالمية في ربط اسم العرب عموما والفلسطينيين خصوصا بالإرهاب والتطرف فكلما ذكر التطرف والإرهاب أو وقعت حادثة إرهابية يتذكر الناس في أوروبا والولايات المتحدة العرب والمسلمين بينما تظهر إسرائيل بمظهر الدولة الحضارية الغنية بتجارب مكافحة الإرهاب العربي.

إن معظم دول العالم تعرف بأن إسرائيل تمارس باستمرار ارتكاب المجازر الجماعية والحروب العدوانية والاعتداءات اليومية والإرهاب والعنصرية كسياسة رسمية ولكن التطرف والإرهاب يلصق دائما بالمقاومة العربية للاحتلال الإسرائيلي ونجح يهود العالم من جراء سيطرتهم على المؤسسات الإعلامية والسياسية والمالية في الولايات المتحدة وأوربا بلصق كلمة إرهابي بالإنسان العربي.

وعلى سبيل المثال : عندما وقعت جريمة أو كلاهما بدأ على الفور ضباط المخابرات الإسرائيلية بإجراء المقابلات الإذاعية والتلفزيونية والصحفية في أمريكا وأهموا العرب والمسلمين بارتكابها دون أن يقدموا دليلا واحدا على اتهمهم وألصقوا الجرمية

بالعرب والمسلمين على الرغم من أن الشرطة الأمريكية اعتقلت في اليوم نفسه المجرم الأميركي الذي فجر بنابة الحكومة الاتحادية.

وأدت سيطرة اليهود على أجهزة الإعلام الأميركية بالصاق جريمة أو كلاهما بالعرب وبعد أن حقق اليهود وإسرائيل هدفهم تبين أن العرب براء من الجريمة. إن إسرائيل ودول العالم يصفون النضال العربي ضد الاغتنصاب والاحتلال والاستيطان الإسرائيلي بالإرهاب وتويد الولايات المتحدة زعيمة الإرهاب الدولي في العالم الكذب اليهودي وتصف أعداء إسرائيل من العرب والمسلمين بالإرهاب وتصف المنظمات العربية والإسلامية التي تناضل ضد الاحتلال الإسرائيلي لاستعادة القدس العريضة أولى القبلتين وثالث الحرمين ومدينة الإسراء والمعراج بالإرهاب لقد قتل إسرائيل في عامين ١٩٤٨ و ١٩٤٩م حوالي (١٥٠٠) أسير من الأسرى العرب كانوا في معسكر للأسرى قرب مدينة يافا.

وكشفت اعترافات الجنرال الإسرائيلي بيرو قتل الجيش الإسرائيلي للأسرى المصريين خلال حرب السويس العدوانية وبلغ عدد الأسرى المصريين الذين قتلهم إسرائيل في حربي ١٩٥٦ و ١٩٦٧م حوالي (١٣٠٠) أسير بحسب اعترافات ضباط الجيش الإسرائيلي مما يظهر بجلاء الوحشية والهمجية الإسرائيلية في التعامل مع الأسرى العرب ويثبت انتهاك إسرائيل لاتفاقيات لاهاي وجنيف حول أسرى الحرب واستهانتها بأبسط تقاليد الحرب والمبادئ الإنسانية.

ونجحت إسرائيل في حمل ياسر عرفات^(١) على اعتبار الكفاح الفلسطيني المسلح العادل والمشروع إرهاباً وتعهد بوتائق رسمية بإدائه والتخلي عنه وتصفية المناضلين والمجاهدين واحتثات البنية التحتية لكثائب عز الدين القسام وسرايا القدس.

١ - ياسر عرفات

(٤ أغسطس ١٩٢٩ - ١١ نوفمبر ٢٠٠٤)، اسمه الاصل محمد عبد الرؤوف قدوة الحسيني، أما ابو عمار فلقب اشهر به) وهو رئيس السلطة الفلسطينية المنتخب في عام ١٩٩٦. ترأس منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٩، وهو قائد حركة فتح أكبر الحركات داخل المنظمة. فاز مع اسحاق رابين بجائزة نوبل للسلام سنة ١٩٩٤. في يوم الثلاثاء ١٢ أكتوبر ٢٠٠٤ ظهرت أولى علامات التدهور الشديد لصحة ياسر عرفات، فقد أصيب عرفات

فالكيبان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية يعتبران الكفاح المسلح ضد اغتصاب فلسطين ضد الاحتلال والاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي بمثابة إرهاب وتطرف، والمقاومة العربية حركة إرهابية متطرفة.

وتتمد العطرسة والوقاحة الإسرائيلية إلى ما هو أبعد من نعت الكفاح المسلح بالتطرف والإرهاب ومحاربه وتشمل استخدام أحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا العسكرية في الولايات المتحدة الأمريكية من أسلحة القتل والدمار واستخدام إرهاب الدولة الإسرائيلية ضد كل صوت يرتفع لدعم المقاومة المسلحة.

وتعمل البلدان الغربية بدعم إسرائيل على قطع كل يد عربية أو إسلامية تمتد لتقديم المساعدات المالية والعسكرية لحركات المقاومة المسلحة ووصلت الإرهابية والوحشية حداً قامت فيه الطائرات الإسرائيلية بتدمير مقرات منظمة التحرير الفلسطينية في جزرقي صصرا وشاتيليا في العاصمة اللبنانية بيروت فاللتطرف اليهودي يمتد ليصل إلى كل من يتصدى للتحرف والإرهاب الإسرائيلي والأمريكي.

= الجمحة ناحم عن حادئة طائرة، ومرض حلدي (فتيلغو)، ورجعة عامة عولبت بأدوية في العقد الأخير من حياته، وإلتهاب في المعدة أصيب به منذ تشرين أول أكتوبر ٢٠٠٣. وفي السنة الأخيرة من حياته تم تشخيص حرج في المعدة وحصى في كيس المرارة، وعالى ضعفا عاما وتقلب في المزاج، فعانى من تدهور نفسي وضعف جسماني. تدهورت الحالة الصحية للرئيس الفلسطيني عرفات تدهوراً سريعاً في نهاية أكتوبر ٢٠٠٤، قامت على إثره طائرة مروحية على نقله إلى الأردن ومن ثمة أقلته طائرة أخرى إلى مستشفى بيري في فرنسا في ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٤. وظهر الرئيس العليل على شاشة التلفاز مصحوباً بطاقم طبي وقد بدت عليه معالم الوهن مما أتم به. وفي تطور مفاجئ، أخذت وكالات الأنباء الغربية تتداول نبأ موت عرفات في فرنسا وسط نفي تلك الأنباء من قبل مسؤولين فلسطينيين، وقد أعلن التلفزيون الإسرائيلي في ٤ نوفمبر ٢٠٠٤ عن نبأ موت الرئيس عرفات سربرياً وأن أجهزة عرفات الحيوية تعمل عن طريق الأجهزة الإلكترونية لا عن طريق الدماغ. وبعد مرور عدة أيام من النفي والتأكيد على الخبر من مختلف وسائل الإعلام، تم الإعلان الرسمي عن وفاته من قبل السلطة الفلسطينية في ١١ نوفمبر ٢٠٠٤. وقد دفن في مبنى المقاطعة في مدينة رام الله بعد أن تم تشيع جثمانه في مدينة القاهرة، وذلك بعد السرفض الشديد من قبل الحكومة الإسرائيلية لدفن عرفات في مدينة القدس كما كانت رغبة عرفات قبل وفاته. أعلام معاصرون، د. محمد الخطيب، ٢ / ١٢٨.

إن إرهاب الدولة التي تمارسه إسرائيل يعتبر من أخطر الظواهر الإرهابية التي عرفها المجتمع الدولي وذلك العدد الهائل من الضحايا البشرية التي تقتل والحسائر المادية الفادحة التي تصيب البنى التحتية للاقتصادات العربية وانتهاك كافة العهود والمواثيق الدولية^(١). ويقود بالحصلة إلى التوتر وعدم الاستقرار وإلى عرقلة التطور والتقدم في المنطقة وذلك للحيلولة دون وحدة العرب وتقدمهم وتحررهم وإخضاعهم وإذلالهم وتهميد أراضيتهم ونهب ثرواتهم وقمع نضالهم الوطني ومنعهم من ممارسة حقوقهم الوطنية والدينية في مدينة القدس العربية.

كما أن الصمت الدولي على التطرف الإسرائيلي ودفاسع الولايات المتحدة الأمريكية عنه يظهر بجلاء سياسة الكيل بمكيالين ويشجع إسرائيل على الاستمرار في ممارسة الإرهاب والإبادة الجماعية والعنصرية كسياسة رسمية تدرع النازيون بعدم وجود اتفاقيات دولية تحرم ارتكاب الجازر التي اقترفوها وتعاقب عليها.

ولكن اليهود اليوم يرتكبون الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وضد السلام على الرغم من وجود العديد من العهود والمواثيق الدولية التي تحرم ارتكابها وتنص على المعاقبة عليها.

كما لم يكتف اليهود بذلك بل عمدوا إلى نظام الاغتيالات دون تمييز منهم بين رجل وامرأة، مدني أو عسكري، طفل رضيع أو في المدرسة كما حدث لأطفال فلسطين على مرأى العالم دون تحريك ساكن. ونهاية المطاف كانت باغتيال شيخ كبير السن مقعد عاجز على كرسية يظنون أنهم باغتيال الشيخ أحمد ياسين^(٢) ينتصرون وتبعه الرنتيسي^(٣) وانتهى الأمر بعرفات كسابقيه.

١ - العنصرية والإبادة الجماعية، ص ٢٠.

٢ - من أبرز الشخصيات الفلسطينية المناضلة في وجه الاحتلال الإسرائيلي، و مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس.

نشأته

هو الشيخ أحمد اسماعيل ياسين المولود في يونيو/حزيران عام ١٩٣٨ في قرية حورة عسقلان - قضاء الخلد جنوبي قطاع غزة - تزوج مع عائلته إلى قطاع غزة بعد حرب العام ١٩٤٨. ولادة ١١/١١/١٩٤٨ - ١٠/١٠/٢٠٠٢.

- ممارسته للرياضة في عامه السادس عشر . استطاع الشيخ احمد ياسين ان ينهي دراسته الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٨/٥٧ ثم الحصول على فرصة عمل رغم الاعتراض عليه في البداية بسبب حالته الصحية ...
بداية نشاطه السياسي

حين بلوغه العشرين بدأ أحمد ياسين نشاطه السياسي بالمشاركة في المظاهرات التي اندلعت في غزة احتجاجاً على العدوان الثلاثي الذي استهدف مصر عام ١٩٥٦ ، حينها أظهر الشيخ قدرات خطابية وتنظيمية ملموسة حيث استطاع ان ينشط مع رفاة الدعوة إلى رفض الإشراف الدولي على غزة مؤكداً على ضرورة عودة الاقليم إلى الإدارة المصرية .
إنشائه لحركة "حماس"

في عام ١٩٨٧ ميلادية ، اتفق الشيخ احمد ياسين مع مجموعة من قادة العمل الاسلامي في قطاع غزة على تكوين تنظيم إسلامي محاربة الاحتلال الإسرائيلي بغية تحرير فلسطين أطلقوا عليه اسم " حركة المقاومة الإسلامية " المعروفة اختصاراً باسم "حماس" . بدأ دوره في حماس بالانتماء الفلسطينية الأولى التي اندلعت آنذاك والتي اشتهرت بانتماء المساجد ، ومنذ ذلك الحين والشيخ احمد ياسين يعتبر الزعيم الروحي لحركة حماس . ولعل هزيمة ١٩٤٨ من أهم الأحداث التي رسخت في ذهن الشيخ ياسين والتي جعلته في قاعة تامة على إنشاء مقاومة فلسطينية في وجه الاحتلال الإسرائيلي . فرى الشيخ بضرورة تسليح الشعب الفلسطيني والإعتماد على السواعد الوطنية في تحرير فلسطين ، إذ لا يرى الشيخ ياسين من جدوى في الإعتماد على البلدان العربية او المجتمع الدولي في تحرير الأرض الفلسطينية . وكما يروي الشيخ ، "لقد زعت الجيوش العربية التي جاءت تحارب إسرائيل السلاح من أيدينا بحجة أنه لا ينبغي وجود قوة أخرى غير قوة الجيوش ، فارتبط مصيرنا بها ، ولما هزمت هزمتنا وراحت العصابات الصهيونية ترتكب المجازر والمذابح لترويع الآمنين ، ولو كانت أسلحتنا بأيدينا لتفجرت بحريات الأحداث" .
إعقاله

بعد ازدياد أعمال الانتفاضة الأولى ، بدأت السلطات الإسرائيلية التفكير في وسيلة لإيقاف نشاط الشيخ احمد ياسين فداهمت بيته في أغسطس/آب ١٩٨٨ وفشنته وهددته بنفيه إلى لبنان . وعند ازدياد عمليات قتل الجنود الإسرائيليين واعتقال الفلسطينيين المتعاونين مع إسرائيل ، قامت سلطات الاحتلال يوم ١٨ مايو/أيار ١٩٨٩ باعتقاله مع المئات من أعضاء حركة حماس ، و صدر حكم يقضي بسجن الشيخ ياسين مدى الحياة إضافة إلى ١٥ عاماً أخرى عليه في يوم ١٦ أكتوبر/نشرين الأول ١٩٩١ وذلك بسبب تخريبه على احتطاف وقتل الجنود الإسرائيليين وتأسيس حركة حماس .

الإفراج عنه

تم الإفراج عن الشيخ احمد ياسين مقابلضة لعملاء الموساد الذين تم القبض عليهم بعد المحاولة الفاشلة لاعتقال رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل في عاصمة الأردن عمان .

محاولة اغتياله

في ١٣ يونيو ٢٠٠٣ ، أعلنت المصادر الإسرائيلية أن الشيخ ياسين لا يتمتع بحصانة وأنه عرضة لأي عمل عسكري إسرائيلي . وفي ٦ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٣ ، تعرض الشيخ لمحاولة اغتيال إسرائيلية عندما قامت المقاتلات الإسرائيلية من طراز /١٦F بالقاء قبلة زنة ربع طن على أحد المباني في قطاع غزة ، وكان الشيخ احمد ياسين متواجداً في -

والمحصلة ما هي؟ غطرسة يهودية وتطرف علني وتبجح ورفض لقرارات الأمم المتحدة ضمن حلقة معرفية قوامها التطرف والإرهاب.

- شقة داخل مبنى المستهدف مع مرافقه إسماعيل هنية، فاصيب الشيخ ياسين ببحر ح طفيفة جراً القصف. وأعلنت الحكومة الإسرائيلية بعد العارة الجوية ان الشيخ أحمد ياسين كان الهدف الرئيسي من العملية الجوية.

إستشهاده

استشهد الشيخ أحمد ياسين ، وهو يبلغ الخامسة والستين من عمره ، بعد مغادرته مسجد الجمع الإسلامي الكائن في حي الضيرة في قطاع غزة، وإدائه صلاة الفجر في يوم الأول من شهر صفر من عام ١٤٢٥ هجرية الموافق ٢٢ مارس من عام ٢٠٠٤ ميلادية بعملية أشرف عليها رئيس الوزراء الإسرائيلي اريئيل شارون . قامت المروحيات الإسرائيلية التابعة جيش الاحتلال الإسرائيلي بإطلاق ٣ صواريخ تجاه الشيخ المقعد وهو في طريقه الى سيارته مدفوعاً على كرسيه المتحرك من قبل مساعديه، فسقط الشيخ قتيلاً في لحظتها وخرج إثنان من أبناء الشيخ في العملية، وقُتل ٧ من مرافقيه.

١ - الدكتور عبد العزيز الرنتيسي (٨ أكتوبر ١٩٤٧- ١٧ أبريل ٢٠٠٤) مناضل فلسطيني وأحد مؤسسي حركة المقاومة الإسلامية حماس. وقائد الحركة في قطاع غزة قبل إغتياله. ولد في قرية بينا الواقعة بين عسقلان ويافا. لكن في عام ١٩٤٨ نرحت عائلته إلى قطاع غزة. درس طب الأطفال في مصر لمدة ٩ سنوات.

في عام ١٩٩٢، تم نفي ٤١٦ من عناصر منظمة الجهاد الإسلامي وحماس الى جنوب لبنان وكان الرنتيسي من بين المنفيين. وعمل الرنتيسي في فترة نفيه كناطق رسمي باسم المنفيين. وعند عودته الى قطاع غزة في عنام ١٩٩٣، تم إلقاء القبض عليه ولاحقاً تم إطلاق سراحه. وبالإضافة الى إلقاء القبض عليه من قبل الإسرائيليين، فقد نال الرنتيسي نصيبه من الحجز الفلسطيني لإنتفاداته الشديدة لأداء السلطة الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات. وآخر إلقاء قبض عليه من قبل السلطة الفلسطينية كان في عام ١٩٩٩. ولم تُفعل عمليات التوقيف الفلسطينية من إسكات الرنتيسي فكان من أشد المعارضين لأي عمل من شأنه إيقاف العمليات الفلسطينية في إسرائيل.

وبعودة احمد ياسين الى قطاع غزة في أكتوبر ١٩٩٧، عمل الرنتيسي جنباً الى جنب مع أحمد ياسين لإعادة تنظيم صفوف حماس بعد فقدان صلاح شحادة. وقام الرنتيسي بعمل المتحدث الرسمي لتنظيم حماس وكقائد سياسي للتنظيم.

قامت مروحية إسرائيلية تابعة للجيش الإسرائيلي مساء ١٧ أبريل ٢٠٠٤ بإطلاق صاروخ على سيارة الرنتيسي فسقط ولده عماد ومرافق الدكتور ثم لحقهم الدكتور وهو على سرير المستشفى في غرفة الطوارئ.

أقواله

"أرض فلسطين جزء من الإيمان. وقد أعلنها الخليفة عمر بن الخطاب أرضاً للمسلمين قاطبة. ولهذا، لايمق لفرد أو جماعة بيعها أو إهداؤها". - أعلام معاص، ن، محمد الخط، ٦١٧/٣.

التطرف عند اليهود

اتصال الحاضر بالماضي

وها هو ذا التاريخ يعيد نفسه عن طريق الصهيونية العالمية ممثلة في إسرائيل بقيادة (أريئيل شارون)^(١) الذي حرص أبوه على انضمامه

١ - أريئيل شارون وُلد في ٢٧ فبراير ١٩٢٨ لأب بولندي و أم روسية في موسكو وليس بفلسطين كما يشاع عنه في وسائل الاعلام الغربية و الشرقية على حد سواء. وبعد من السياسيين والعسكريين المحضرين على الساحة الإسرائيلية. والرئيس الحادي عشر للحكومة الإسرائيلية.

شارون شخصية مثيرة للجدل في داخل وخارج إسرائيل. فراه البعض كبطل قومي وراه آخرون عثرة في مسيرة السلام. بل ويذهب البعض الى وصفه كمحرم حرب بالنظر الى دوره العسكري في الإحتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام ١٩٨٢، بالإضافة إلى الكثير من الهازر الفظيعة التي ارتكبتها بحق الفلسطينيين طوال حياته.

حياته العسكرية

إنخرط شارون في صفوف منظمة الهاجاناه عام ١٩٤٢ وكان عمره آنذاك ١٤ سنة. وانتقل للعمل في الجيش الإسرائيلي عقب تأسيس دولة إسرائيل. وبعد فترة إنقطاع عن الجيش قضاها شارون على مقاعد الجامعة العبرية، عاود الجيش الإسرائيلي سؤاله للإلتحاق بالجيش وترأس الوحدة ١٠١ ذات المهام الخاصة. وقد أثبتت الوحدة ١٠١ بلاءً حسناً في إستعادة الميعة لدولة إسرائيل بعد حوض الوحدة لمهجمات غايبية في الخطورة الا ان وحدة شارون العسكرية إثارت الجدل بعد مذنبه قبية في خريف ١٩٥٣ والتي راح ضحيتها ٧٠ من المدنيين الأردنيين. اقام بحيرة بشعة في اللد عام ١٩٤٨ حصده ارواح ٤٢٦ فلسطيني بعد ان اعتقلهم داخل المساجد قدم لهم الكواب البول بدل الماء ثم نسف المسجد بمن فيه و امر الفلسطينيين بتلعب ملابسهم ثم فتح عليهم النار

حياته السياسية

حصل شارون على مقعد في الكيبست الإسرائيلي بين الأعوام ١٩٧٣ و ١٩٧٤، وعاود المشاركة في الكيبست من العام ١٩٧٧ الى الوقت الحاضر. وعمل شارون كمنشئ أمين لإسحاق رابين ثم شغل منصب وزير الزراعة بين الأعوام ١٩٧٧ الى ١٩٨١. وفي فترة رئاسة مناحيم بيغن للحكومة الإسرائيلية، عمل شارون كوزير للدفاع. وفي عام ١٩٨٢ وخلال تولي شارون وزارة الدفاع، إرتكبت الميليشيات المسيحية اللبنانية بحيرة فلسطينية في مخيم صبرا وشاتيلا في العاصمة بيروت. وكانت الميليشيات اللبنانية موالية للحكومة الإسرائيلية وأخذت تعليماتها من وزير الدفاع الإسرائيلي لدخول المخيم. وخرج تقرير لجنة التحقيق الإسرائيلية بتسوية وزير الدفاع شارون بسبب الإهمال وليس للتسبب في الحيرة.

في عام ١٩٨٧، صدرت مجلة "التام" الأمريكية بمقال يبين تورط شارون بحيرة صبرا وشاتيلا وقام شارون برفع دعوى قضائية على المجلة، ولم يكن بمقدور مجلة التام تأكيد مزاعمها ضد شارون إلا أن المجلة رعت الدعوى القضائية.

لعصابة الهاغاناد^(١) الصهيونية، وهو ابن العاشرة من عمره؛ ليتدرب على أيدي رجال العصابات الصهيونية، وقد حدثت جريمته الأولى في عام (١٩٤٣ م) بحطف الطفل الفلسطيني (عز الوهابي) ابن أحد المجاهدين، ثم قام بفصل رأسه عن جسده بسكينته الحادة^(٢). وكان يقول: (أشعر بالمتعة الحقيقية وإن أرى دماء الفلسطينيين.. وأنا لا أتورع عن قتل

= في بداية ٢٠٠١، أقام أقارب ضحايا عظيم صبرا وشاتيلا دعوى قضائية في بلجيكا ضد شارون لتورطه في أحداث الخفرة إلا أن محكمة الاستئناف البلجيكية أسقطت القضية كونها غير مقبولة في القضاء البلجيكي في يونيو ٢٠٠٢. وهو الذي اشتعل المواجهة بتدنيسه للمسجد الأقصى .

تولى رئاسة الوزارة عقب تسلمه رئاسة حزب الليكود بعد بنيامين نتنياهو ، واستطاع التغلب يهود ساراك في الانتخابات التشريعية ليقود حكومة يمين ليكودية مارست سياسة اختيالات عنيفة ضد أبرز القيادات الفلسطينية التي تعتبرها إسرائيل إرهابية ، كما باشر في بناء الجدار الفاصل لفصل أراضي إسرائيل عن الضفة الغربية و قطاع غزة . بعد الانتخبات التشريعية الثانية في عهده اضطر شارون لتأليف حكومة ائتلافية مع حزب العمل بقيادة شسيمون بيريز ، لتتابع ممارسة سياسته لتدعيم امن إسرائيل ، و أبرز خطته في هذه الفترة كانت خطة فك الارتباط : بمناخة بناء السور الفاصل و الانسحاب من قطاع غزة مع تفكيك المستوطنات فيه . استغل شارون عملية الانسحاب من غزة بشكل بارع إعلاميا ليصور أن اليهود يقدمون تنازلات ضخمة في حين كان يتخلص من عبء القطاع المردهم سكانيا و النشط بالمقاومة .

في نوفمبر ٢٠٠٥ ينسحب شارون إثر فضائح سياسية من حزب الليكود و يبادر لإنشاء حزب جديد دعاه (كادتا) و يضم إليه بعض الشخصيات البارزة مثل (شيمون بيريز) الذي حصر زعامة حزب العمل مجددا . في ديسمبر ٢٠٠٥ يصاب شارون بمخلطة دماغية خفيفة يدخل إثرها للمستشفى بضعة أيام ، بعد ذلك بأسرع يعلن الأطباء حاجة شارون لعمل جراحي في القلب .

مشاكل صحية

أصيب يوم الأربعاء ٤ يناير ٢٠٠٦ بمخلطة سببها نزيف دماغي حاد وادخل على إثرها مستشفى هداسا حيث أجريت له عملية أولى دامت ٦ ساعات، لكن الأطباء اضطروا إلى اعادته لغرفة العمليات مرة ثانية بعد أن اكتشفوا وجود مناطق أخرى في الدماغ تعاني من النزيف. وقال الأطباء ان حالته خطيرة جداً .

أقواله

"جميعنا يجب أن يتحرك، أن يركض، يجب أن نستولي على مزيد من الللال، يجب أن نوسع بقعة الأرض التي نعيش عليها. فكل ما بين أيدينا لنا، وما ليس بأيدينا يصبح لهم" - أرتيل شارون، وزير الخارجية الإسرائيلي في خطاب عبر الإذاعة الإسرائيلية. ٥ نوفمبر ١٩٩٨.

أرتيل شارون من الموسوعة الإنجليزية، ٦٣١/١.

١ - هي إحدى المنظمات الإرهابية الصهيونية المشهورة.

٢ - انظر صحيفة الوطن السعودية، بقلم أميمة أحمد الجلامية، العدد ٧٢٩ / في ٢١ / ٧ / ١٤٢٣ هـ الموافق لـ ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٢ م ص ١٩ .

أي عربي ولو كان في آخر الدنيا ... وإن قتل عربي أو فلسطيني هو واجب مقدس، ويجب أن يكون أعلى الواجبات وأقدسها لنا جميعاً... إن لدينا أسلحة جديدة، ولدينا عقيدة قتالية كافية لأن نجعل كل دول المنطقة خاضعة لنا... ألا تحملون مثلي بحدود إسرائيل الكبرى التي يجب أن تمتد بدون حدود.. سنضع أقدامنا على رؤوس العرب^(١).

وما زال مستمراً في ذلك، دون رادع يردعه من تحقيق أهدافه الاستعمارية، على مسأرى ومسمع من الدول العظمى التي تنادي بالسلام.

وانطلاقاً من هذه النفسية العدوانية تشكلت أولى المنظمات الإرهابية التي تمارس، وتحرص على العنف والإرهاب في المنطقة، وأهم هذه المنظمات، والتي سأذكرها تسيخا للفائدة والمعرفة بأهم حركات التطرف والعنصرية في إسرائيل، والتي كانت على الشكل التالي:

- ١- حركة (هنتحيا) من حزب حيروت.
- ٢- حركة (أرض إسرائيل الكاملة) التي ولدت من حركة العمل، وأعضاؤها مسن حزبي ماياي وحيروت والمفدال والمابال.
- ٣- حركة (الأرجل السوداء) وهو تنظيم يرتبط بحركة فرنسية مماثلة كانت تعمل ضد استقلال الجزائر.
- ٤- حركة (غوش إيمونيم) وقد انطلقت بعد حرب ١٩٧٣م من مستعمرة كريات أربع في الخليل.
- ٥- المجلس الإقليمي لمستوطنات يهودا والسامرة وغزة.
- ٦- حركة (غال) وهي الأحرف العبرية الأولى لمنظمة إنقاذ إسرائيل.
- ٧- رابطة (أمن التحرك) على طريق يهودا والسامرة.
- ٨- حركة الإرهاب ضد الإرهاب (تي آن تي).
- ٩- حركة (حيروف جدعون) سيف جدعون، وتختص بضرب العمال العرب داخل إسرائيل.
- ١٠- حركات (الحشمونائيم) و (سيوري تسيون) و (ماعتس) وتختص بممارسة الإرهاب في الأماكن المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين^(٢).

١ - صحيفة الوطن السعودية، بقلم أميمة أحمد الجلامه، العدد ٧٢٩ / ٧/٢١ / ١٤٢٣هـ.

٢ - انظر (الإرهاب والعنف السياسي) لمحمد بسري دعس ص ٨٠.

التطرف عند النصارى

سيادة الإرهاب في العالم النصارى

لا بد لنا أن نعرض - بشيء من التفصيل - على سيادة الإرهاب في العالم، للزيادة في معرفة جذوره، وكيف استفحل أمره؛ حتى وصل إلى حالته المعاصرة حيث تطور التطرف والإرهاب في العالم، واستفحل أمره أيام الثورة الفرنسية (١٧٨٩-١٧٩٣م) فقد أطلق وصف الإرهاب لأول مرة على (روبسيير) ورفاقه، واللحنتين المشهورتين بلجستي السلامة العامة والأمن العام. ويصف المؤرخون الأحداث المهولة التي اجتاحت فرنسا ابتداء من خريف ١٧٩٣م بأنها بداية عهد الإرهاب والتطرف المعاصر.

ولزيادة التوضيح .. أعرض التطرف عبر بعض الدول الأوروبية فيما يأتي :

سيادة التطرف في فرنسا :

ساد التطرف فرنسا عندما قام أنصار النظام الثوري الجديد الذي يقوده اليقويون^(١) بتاريخ (٢ / ٩ / ١٧٩٢م) بالزحف على السجون؛ بدعوى تصفية الحساب مع الخونة المعادين للنظام الثوري الجديد في فرنسا.

وبعد مضي سنة على مجازر السجون، عُقد في باريس مؤتمر وطني حضره وفود (٤٨) دائرة، وارتفعت أصواتهم: بأنه حان الوقت لإرهاب المتآمرين على النظام، وتنادوا بضرورة إدراج الإرهاب في جدول الأعمال^(٢).

وفي عام ١٧٩٣م استولى اليقويون المتطرفون والمتعصبون على السلطة في فرنسا بزعامة (ماكسملان روبسيير) عن طريق العنف الغوغائي، وتضامنوا مع لجنة السلامة العامة التي أسسها (دانتون).

يقول ألبير سوبول " وارتدى الإرهاب أحيانا - بقوة الأحداث - طابعا اجتماعيا بعد أن كان سياسيا في جوهره، لأن المفوضين لم يستطيعوا الاعتماد إلا على الجمهور

١ - اليقويون إحدى الفرق المسيحية، وتنسب إلى يعقوب البرذعاني الذي كان راهبا بالقسطنطينية، وكان يقول: (إن المسيح هو الله) تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وقد استولى اليقويون على السلطة في فرنسا بزعامة (روبسيير) عام ١٧٩٣م لتثبيت سلطتهم وإحضاع الآخرين بالقوة. انظر: (تاريخ الثورة الفرنسية) ص ٣١٧، و (الإرهاب الدولي) للدكتور محمد عزيز شكري ص ٢١.

٢ - انظر: (تاريخ الثورة الفرنسية) ص ٣١٧.

الشعبي الثوري، وعلى الأطر اليقويبية"، وكان اليقويبيون يدعون بشكلٍ صريحٍ إلى ممارسة الإرهاب لتثبيت سلطتهم وإخضاع الآخرين بالقوة^(١). فظلت الفوضى مستمرة وسفك الدماء، والرعب والفرع على أشده .

ثانيا - سيادة التطرف والإرهاب في الولايات المتحدة الأمريكية :

اجتاحت الولايات المتحدة - منذ بداية القرن العشرين - موجات من العنف والتطرف، ظهرت على إثرها كثير من الحركات الإرهابية المنطرفة، أهمها فيما يأتي :

١- اجتاحت ولايتي فلادلفيا ونيويورك موجات من العنف والتطرف، استهدفت العباد في الكنائس والأديرة ؛ بسبب التعصب الشديد ضد المذهب الكاثوليكي .

٢- تفجر العنف في منتصف القرن العشرين في كنساس، ونبراسكا بين المنادين بالغاء الرق، وبين المطالبين بإبقائه^(٢).

٣- اجتاحت العنف معاقل السود بعد نهاية الحرب الأميركية سنة (١٩١٠م) والتي بدأت سنة (١٨٧٠م) وكانت تقوم بما جماعات من البيض سُميت ب (الكوكلوسوكس) بقصد ترسيخ سيادة الرجل الأبيض .

٤- مع ظهور الشيوعية وانتشارها صارت اتحادات العمال : تقوم بأعمال تطرف وعنف، ومن أشهرها : جماعة مولي ماغوير، وجماعة فرسان العمل، وجماعة العمل والعمال العالميين^(٣).

٥- بعد الحرب العالمية الثانية : ظهرت النزعات العرقية الدامية، ومنها قيام جماعة بيرتوريكان الوطنية بإطلاق نار المدافع والبنادق على الكونغرس أثناء خطاب ترومان .

٦- في الستينات تم اغتيال الرئيس الأميركي جون كينيدي لأسباب سياسية تتعلق بكوبا، ثم تلاه اغتيال زعيم الحقوق المدنية مارتن لوثر كينج لأسباب عرقية، ثم تلاه اغتيال

١ - انظر: تاريخ الثورة الفرنسية) ص ٣١٧. و (الإرهاب الدولي) للدكتور محمد عزيز شكري ص ٢١.
٢ - انظر: (الإرهاب والدين في الولايات المتحدة الأمريكية) لجيمس جي نونساك، نقلته إلى العربية بحلة الدبلوماسية الصادرة في أكتوبر ١٩٦٦م ص ١٢.
٣ - الشيوعية والتطرف، محمد فتحي بازيد، ص ١٧٧.

روبرت كينيدي شقيق الرئيس الأميركي جورج كينيدي لأسباب سياسية تتعلق بالشرق الأوسط عند خوضه الانتخابات الرئاسية^(١).

٧- في أواخر الستينات : قامت حركة عنف متطرفة مناهضة لحرب فيتنام ضد المؤسسة العسكرية والنظام الجامعي .

٨- في فترة السبعينات : تجددت أعمال العنف والتطرف العرقي بين قوميات مختلفة، عندما قامت رابطة الدفاع اليهودية بالمحوم على مكاتب الطيران الروسية (الإيروفلت) واستهدفت العرب فاغتالت الناطق باسم فلسطين القس عودة .

٩- وفي عام ١٩٨٤م جرت محاولة اغتيال الرئيس الأميركي رونالد ريغان، كما تم تفجير مكتب التحقيقات الفدرالي بأوكلاهوما سي انظر: (٢).

١٠- وفي ال (٥٠) عاما الأخيرة لن ننسى تطرف الولايات المتحدة الأمريكية ضد قضايا العرب والمسلمين؛ سواء هيئة الأمم المتحدة واستخدام حق النقض الفيتو ضد المصالح العربية والإسلامية تأييدا لإسرائيل.

١١- والتطرف والإرهاب والعدوان ضد الدول الإسلامية والعربية كغزو واحتلال العراق وأفغانستان وضرب السودان وحصار ليبيا ومناصرة الهند في قضية كشمير والقائمة تطول وتطول... لتؤكد التطرف والإرهاب الأمريكي.

نماذج من التطرف النصراني عبر التاريخ:

١- مأساة المسلمين في الأندلس:

إنما لمأساة اهتز لها التاريخ، مأساة ما كان يخطر على قلب بشر أن تحصل كما كانت، ولمأساتها إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة، لعمق الجرح وغور الأثر.. هذه الأندلس التي كانت تنعالي فيها تراتيل المؤذنين، أمست نواقيس الكنائس فيها تصم الأذان، حين لا تسمع للتوحيد صوتاً تلك الأرض التي أشرقت بنور الإسلام ثمانيّة

١ - التاريخ يتحدث عن التطرف الأمريكي، ديفيد بار بون، ترجمة عبد الهادي النحلوي، ص ١١٢.

٢ - الإرهاب والدين في الولايات المتحدة الأمريكية، ص ١٢.

قرون، وخلال سنوات معدودة، لم يبق للإسلام فيها أثر، وأصبحت خيراً يذكر؟! (وليس الخبز كالمعينة).^(١)

قد يتوقع الإنسان أن تنتهي الدولة الإسلامية في الأندلس ولكن أن يمحي الإسلام من تلك الأرض، ويحتل ويقتلع فهذا أمر لا يُنظر على بال. لقد سقطت الأندلس (عام ٨٩٧) بعد ثمانية قرون من البناء والتقدم والازدهار... وإشاعة العدل والتسامح مع جميع السكان بأديانهم المختلفة، وإتاحة حرية العبادة وبناء الكنائس والبيع.

وبعد معاهدة التسليم بسنوات قليلة. كيف كان رد الجميل؟! كانت محاكم التفتيش التي يشرف عليها رجال الدين النصارى، تشيع التطرف والإرهاب في كل مكان. تضمنت معاهدة غرناطة شروطاً لحماية المسلمين، وبقاء مساجدهم وأماكنهم، وصادق البابا والقساوسة عليها وذلك (عام ٨٩٧هـ).

فهل كان هؤلاء النصارى أهلاً للعهد؟!

(يقول المؤرخ محمد عبد الله عنان عن صاحب كتاب (أخبار العصر): ثم بعد ذلك دعاهم - أي ملك قشتالة - إلى التنصير، وأكرههم عليه، وذلك في سنة (٩٠٤هـ) فدخلوا في دينهم كرهماً، وصارت الأندلس كلها نصرانية، ولم يبق فيه من يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، إلا من يقوها في قلبه وفي حفية من الناس، وجعلت النسواقيس في صوامعها بعد الأذان، وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله، وتلاوة القرآن^(٢).

فكم فيها من عين باكية وقلب حزين، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين، لم يقدرُوا على الهجرة واللحاق بإخوانهم المسلمين، قلوبهم تشتعل ناراً ودموعهم تسيل سيلاً غزيراً، وينظرون إلى أولادهم وبناتهم، يعبدون الصليبان ويسجدون للأوثان، ويسأكلون الخنزير والميتات، ويشربون الخمر فلا يقدرُونَ على منعهم ولا على تحييمهم، ومن فعل ذلك

(١) سقوط الأندلس: د. ناصر بن سليمان العمر، ص ٦-٨، طبعه دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٢هـ.
٢ - أخبار العصر محمد عبد الله عنان، ص ٤١١.

عوقب بأشد العقاب، فإيا لها من فجعة ما أمرها، ومصيبة ما أعظمها، وطامة ما أكبرها).^(١)

وماذا أذكر من حقد النصارى وتطرف رجال الدين عندهم في هذه الصفحات القليلة؟! وحسي أن أنقل شواهد عن المؤرخين، كسماذج فقط. يقول المقرئ^(٢) في (نفسح الطيب) واصفاً استعداد النصارى لإحدى المعارك: (وجاء الطاغية بجيش لا يحصى.. وذهب إلى طليطلة ودخل على مرجعهم البابا، وسجد له وتضرع، وطلب منه استئصال ما بقي من المسلمين في الأندلس، وأكد عزمه على ذلك).^(٣) ويقول جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب):

(إن الراهب بليدا أبدى ارتياحه لقتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة، كانت مؤلفة من (١٤٠) ألف مهاجر مسلم حينما كانت متجهة إلى أفريقيا).^(٤) لقد امتلأ تاريخ الأندلس بغدر النصارى، حتى طفحت من سطور السدماء، وضحت أوراقه بمثك الأعراس. من ذلك: (دخول ألفونسو السادس طليطلة بعد أن أعطى أهلها الأمان وبعد شهرين فقط نقض العهد وحوّل مسجد المدينة الجامع إلى كنيسة بقوة السلاح، ومن ثم حطم المحراب، ليقام الهيكل مكانه).^(٥)

(١) نهاية الأندلس: د. محمد عبد الله عنان، ص ٢٣١.

انظر تفصيلاً خذ المعاهدة في حاضر العالم الإسلامي: شكيب أرسلان، المجلد الثاني، طبعه ١٣٩٤هـ - الرابعة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص ٢-١٤٢: ((وفيها خمس وخمسون مادة تتضمن عهد المحافظة على أعراض القوم وعقائدهم وديانهم وأموالهم لكن خيانة العهد كانت لهم ديدناً)).

٢ - أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى أبو العباس المقرئ التلمساني: المؤرخ الأدب المحافظ، صاحب نفسح الطيب في غصن الأندلس الرطيب في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي. ولد ونشأ في تلمسان بالمغرب وانتقل إلى فاس، فكان خطيبها والقاضي بها. ومنها إلى القاهرة ١٠٢٧هـ وانتقل في الديار المصرية والشامية والحجازية، وتوفي بمصر ودفن في مقبرة المخاورين سنة ١٠٤١هـ والمقرئ نسبة إلى مقبرة بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة من قرى تلمسان. خلاصة الأثر: ٢٩٧/١ والبدر الطالع: ١١٨/١.

(٣) نفسح الطيب: ج ١، ص ٤٤٩-٤٥٠، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني. وانظر: رسالة سقوط الأندلس.

٤ - حضارة العرب، جوستاف لوبون، ٣/٣١٧.

(٥) التاريخ الأندلسي: د. عبد الح. الج. ص ٤٤٠.

وكانت محاكم التفتيش مضرب المثل في الظلم والقهر والتعذيب، وكانت تلاحق المسلمين بأساليب تقشعر لها القلوب والأبدان فإذا علم أن رجلاً اغتسل يوم الجمعة، يصدر في حقه حكم بالموت، وإذا وحدوا رجلاً بليس الزينة ليوم العيد عرفوا أنه مسلم، فيصدر في حقه حكم الإعدام.^(١)

كانت لديهم آلة اسمها العروسة على صورة فتاة جميلة من النحاس والحديد على شكل تابوت، يخرج من بين ثناياها خناجر حادة، ويقال للمسلم: هذه زوجتك ويطبق عليه التابوت فتخترق أمعاءه وأحشائه، ويقضي عليه بعد لحظات.^(٢)

لقد تفتنوا في ألوان التعذيب الوحشي، والمطاردة للمسلمين وقد صور الشعراء المسلم أبو البقاء الرندي هذه المأساة في قصيدته التي تعني عن عشرات الصفحات، إذ تصور الفاجعة الأليمة تصويراً يقطر ألماً وحرزناً. يقول في مطلعها^(٣):

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يفر بطبيب العيش إنسان
ثم يقول:

فجائع الدهر أنواع متنوعة وللحوادث سلوان يسهلها
وما لما حلل بالإسلام سلوان كما بكى لفراق الإلف هيمان
تلك الحنيفة البيضاء من أسف قد أفقرت ولها بالكفر عمران
على ديار من الإسلام خالسية فيهن إلا نواقيس وصلبان
حيث المساجد قد صارت كنائس ما حتى المنابر ترثي وهي عبيدان
حتى الحاربي تكي وهي جامدة إلى أن يقول متفجعاً معتزلاً:

يا غافلاً وله في الدهر موعظة إن كنت في سنة فالدهر يقظان
يا راكبين عنق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان

(١) سقوط الأندلس: ص ٩-١٠.

(٢) انظر: كتاب مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس: محمد علي قطب، فقيه ما تقشعر منه الأبدان، بيروت،

١٤٠٧هـ.

٣ - انظر القصيدة وشيئا من شعر الرندي في (نقح الطيب) للمفري ٤/٤٨٦ وما بعد.

أعندكم نأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركببان
وانظر إلى هذه الصور الخزينة لمصير المسلمين في ديار أهل الصليب:
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم في بلاد الكفر عبدان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رب أم وطفل حيل بينهما كما تفرق أرواح وأبدان
وظفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت سعت كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العليخ للمكروه مكرهة والعين باكوية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

هذه المآسي الدامية، وهذه الوحشية الظالمة تكررت في التساريخ مع أمتنا، ثم
يتحدث هؤلاء عن الإرهاب الإسلامي، والنظر في الإسلامي!^١
٢- الحروب الصليبية في القدم والحديث:

إن غزو أوروبا لبلاد المسلمين، واتخاذ الصليب شعاراً لهذه الحروب، استجابة لنداء
البابا ورجال الدين من النصارى، يعتبر أكبر دليل على الحقد الدفين، والغلو المتأصل في
نفوس القوم.

لقد كانت القسوة والهمجية من أظهر ملامح تلك الحروب، وأذكر شاهداً واحداً
على ذلك، وهو غدرهم بالمسلمين أثناء احتلال بيت المقدس.

جاء في « تاريخ الخلفاء » للسيوطي^(١) عن أحداث عام ٤٩٢ هـ. (إن الفرنجة
أخذت بيت المقدس بعد حصاره شهر ونصف، وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً، منهم

١ - الجلال السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الحضيري السيوطي، جلال الدين: إسماعيل
حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة بينما مات والده
وعمره خمس سنوات، لما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، متزويماً عس
صحا به جميعاً، كأنه لا يعرف أحداً منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال
والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي وقرأت
في كتاب المنح البادية أنه كان يلقب بابن الكعب، لأن أبيه طلب من أمه أن تأتيه بكعب، ففاجأها المحاضر، فولدته
وهي بين الكعب! من كتبه الإثنان في علوم القرآن و إتمام الدراية لقراء النفاية كلاهما له، في علوم مختلفة، -

جماعة من العلماء والزهاد والعباد. وهدموا المشاهد...^(١) وورد المستنقرون إلى بغداد فأوردوا كلاماً أبكى العيون...^(٢)

وكتب قائد الفرنجة رسالة إلى ملوك أوروبا، يتجح فيها لما حققوه من انتصارات، ومما قال في رسالته: (إن خيولنا تخوض بدماء المسلمين إلى الركب).

قال الشاعر^(٣) يصف مظالم الصليبيين وما حاق بالمسلمين من جراء هذه الحروب، واحتلال بيت المقدس، ويتحدث عن تحويل المساجد إلى أديرة، وارتفاع الصليبان على محاريب تلك المساجد:

أحل الكفر بالإسلام ضيماً يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسلم أمسى سلباً ومسلمة لها حرم سلب
وكم من مسجد جعلوه ديراً على محرابه نصب الصليب
أنسى المسلمات بكل ثغراً؟ وعيش المسلمين إذن يطيب؟

هذا بعض ما ارتكبه الصليبيون، فماذا فعل المسلمون عندما استردوا بيت المقدس؟!

وكيف كانت معاملة صلاح الدين لهم؟!

لقد خيرهم السلطان المسلم بين الرجوع إلى بلادهم آمين، أو البقاء على أن

يدفعوا الجزية فقط، إنهما وسطية الإسلام وتطرف الآخرين).

هذا تاريخنا، تاريخ العدل والسماحة، فأين تاريخ أعدائنا الملتطخ بالعدو وانتهاك

الحرمان وتجاوز القيم الإنسانية؟!

* وفي الحروب الحديثة خلال الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين، كان التطرف

والإرهاب والحقد من أبرز خصائصها.

- وغير ذلك توفي سنة ٩١١هـ. الكواكب السائرة: ٢٢٦/١، وشذرات الذهب: ٥١/٨ والضوء اللامع: ٦٥/٤

وفي حسن المحاضرة: ١٨٨/١ ترجمة له من إنشائه.

(١) يقصد بالمشاهد: المعالم الإسلامية المميزة للحضارة الإسلامية.

(٢) تاريخ الخلفاء: السيرطي، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد، ص ٤٢٧، طبعة القاهرة.

٣ - ذكر الأبيات جمال الدين الأتابكي في (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) ١٥١/٥ من نسبة لأحد.

ففي بلاد الشام: بعد أن حاربت بريطانيا وفرنسا العثمانيين بقوات عربية، باسم الثورة العربية الكبرى، بقيادة الشريف^(١) حسين وقد خدعته بمعاهدات غادرة معروفة تاريخياً، لم يخف الجنرال غورو^(٢) حقدَه عندما دخل دمشق، ووقف على قبر صلاح الدين رحمه الله^(٣) إذ قال: (ها قد عدنا يا صلاح الدين). وقال: (نحن أحفاد - غود فراي - فأين أحفادك يا صلاح الدين؟!). ثم أحرق الفرنسيون أحياء كاملة من المدن السورية^(٤)

١ - الشريف حسين: الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين ابن عون، من أحفاد أبي نجي ابن بركات، الحسيني الفاطمي: أول من قام في المحازر باستقلال العرب عن الترك. وأخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين. ولد في الأستانة، وكان أبوه منفياً بها. وانتقل معه إلى مكة، وتحالف مع الإنكليز ضد العثمانيين وقاد الثورة العربية حتى خرج العثمانيون وجعلوه ملكاً على شبه الجزيرة العربية. وأخباره كثيرة مشهورة توفى في جزيرة قبرص ونقل إلى القدس ودفن فيها سنة ١٣٥٠هـ.

٢ - غورو هنري، جنرال فرنسي شارك في الحرب العالمية الأولى، المندوب الرسمي لسورية ولبنان، (١٨٦٧-١٩٤٦م).

٣ - يوسف (الناصر) بن محمد (العزيز) ابن الظاهر غازي ابن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب: آخر ملوك بني أيوب. ولد بقلعة حلب وولي الملك فيها بعد وفاة والده سنة ٦٣٤ هـ وعمره نحو سبع سنين، فقام وزراء أبيه بتدبير مملكته، لا يرضون أمراً قبل الرجوع إلى "جدته" الصاحبة "ضيفة خاتون" أخت الملك الكامل، إلى أن توفيت (سنة ٦٤٠) فجلس يوسف في دار العدل، وأمر ونهى، وعمره ١٣ سنة. وأحبته وعيته. وأضاف إلى دولة "حلب" بلاد الجزيرة وحران والرها والرقّة ورأس عين وحمص، ثم دمشق (سنة ٦٤٨) وأطاعه صاحب الموصل وماردين. وهاجم مصر (في هذه السنة) فدخلها عنوة، بعد قتال، ثم ظهرت عليه طائفة من عسكراها فافترم إلى الشام، واستقر في دمشق. وصفاه له الملك نحو عشرة أعوام، حتى كانت غشاة النسر واستيلاؤهم على البلاد، فذهبوا به إلى "هولاكو" في تويريز، فأكرمه أول الأمر، ثم قتل. وكانت للشعراء دولة في أيامه (كما يقول الياقيني) لأنه كان يقول الشعر ويميز عليه وله "ديوان شعر - خ" في عشرة أبواب، أولها الاقيات والزهديات، منه نسخة في الجامع الاعظم بتازة (في المغرب). وهو بابي دار الحديث الناصرية بسفح قاسيون (بدمشق) وتسمى البرانية، والناصرية التي داخل دمشق تسمى الجوانية. وكان حوادا حليماً إلى حد الضعف، توفي سنة ٦٥٩ هـ. إعلام النبلاء: ٢: ٣٠٧ والنجوم الزاهرة: ٧: ٢٠٣ ومرآة الجنان: ٤: ١٥١ والفلاذ الجوهريه ٨٨ وشذرات الذهب: ٥: ٢٩٩ وقيل مرآة الزمان: ١: ٤٦١ و ٢: ١٣٤.

٤ - واقم الاحتلال الفرنسي في سورية، محمد أمين، ١٩١٤ - ١٩١٨.

أما الجنرال اللتي قائد القوات البريطانية، فقد قال قولته المشهورة الحاقدة عندما دخل بيت المقدس: (الآن انتهت الحروب الصليبية). هذا حصاد غدرهم لمن وثق بهم، حارب بني دينه، قوى صليبية تستغل غفلة عند المسلمين، فتحارب بهم بني دينهم. وخلال استعمار فرنسا للجزائر: حصل من الاضطهاد والجرائم ما تقشعر منه الأبدان. وقد سجل مؤرخوهم ما يوضح الحقائق التالية:

قال المؤرخ (دبو زايد) عن غنائم الجند الفرنسي خلال غزوهم للقبايل المعادية: (أما الغنيمة من الحيوان فقد بيعت إلى ممثل قنصلية الدانمارك، وأما بقية الغنائم السمامة، فقد عرضت للبيع في سوق باب (عزون). وكان من بين الغنائم أساور نساء وهي لا تزال في أيديهن المقطوعة، وأقراط نساء لا تزال تلتصق بها قطع من آذان، ثم وزع ثمن كل ذلك على السفاكين من رجال الطابور الفرنسي، وأصدرت السلطة في ذلك اليوم أمراً لسكان الجزائر المسلمين بأن يضيفوا ليلاً حوانيتهم، إظهاراً لسرورهم بذلك الانتصار.^(١) ويروي الكونت (يريسون) ذكرياته عن تلك الأحداث فيقول: (لقد كان الزوج من آذان الوطنيين يساوي عشرة فرنكات، وكانت نساؤهم طرائد فاشرة في نظرناسا، والواقع أننا عدنا ومعنا برميل مليء من الآذان التي جمعناها).^(٢)

هل يحق لأحفاد هؤلاء أن يتهموا المسلمين بالتطرف والإرهاب؟!

أما جرائم إيطاليا عندما احتلت ليبيا: فهي مما يدمي القلوب، ويكي العيون.

يقول الأستاذ عبد الرحمن عزام^(٣) - وهو ممن شهدوا هذه الحرب: (إن الناس يبحثون عن أخيار الأندلس، وكيف أجرى الأسبان بالمسلمين هناك، وما لهم وللأندلس ولأمور جرت في القرون الوسطى، فأمام أعينهم طرابلس، فليذهبوا ويشاهدوا بأعينهم في هذه الأيام فظائع لا نقل عما جرى بالأندلس)^(٤).

(١) هذه هي الجزائر: أحمد توفيق المدني، ص ٩٠.

(٢) الجزائر حثف الاستعمار: للكاتب الفرنسي (ليون فيكس).

٣ - عبد الرحمن عزام باشا أمين الجامعة العربية السابق، ووزير الأوقاف والشئون الاجتماعية بمصر، وسفيرها في عدة دول، له كثير من المصنفات.

٤ - إيطاليا الاستعمارية حقائق وأباطيل، عبد الرحمن عزام، ص ٨٨.

(سحق الإيطاليون في هذه الحرب أكثر من عشرين ألفاً، وكان نحو مسن (١٢٠٠) امرأة من نساء الأشراف قد فررن إلى الصحراء قبل وصول الجيش الإيطالي، فأرسلوا قوة في أثرهن وسحبوهن إلى بلدة (الكفرة) حيث حلاهن ضباط الجيش الطلياني، وأنزلوا المعرات بسبعين أسرة شريفة من أشراف (الكفرة) اللواتي كانت الشمس لا ترى وجوههن من الصون والعفاف، وقتل قائد الطليان شيوخ تلك البلدة الذين احتجوا على هنك أعراض السيدات المذكورات، وقال ذلك القائد - فيحه الله - الذي أشرف على تنفيذ أمر الإعدام: (ليأت محمد هذا نبيكم البدوي، الذي أمركم بالجهاد، وينقذكم من أيدينا)^(١).

وتكاد قصص حقدهم لا تنتهي. قال المراسل النمساوي (هرمان دنول): (قُتِلَ الطليان في غير ميدان الحرب كل عربي زاد عمره على (١٤) سنة، وأحرقوا في (٢٦) أكتوبر سنة ١٩١١م) حياً كاملاً خلف بنك روما، بعد أن ذبحوا أكثر سكانه، وكان من بينهم النساء والشيوخ والأطفال.

وقال آنذاك - وهو شاهد عيان: (رحوت طبيبين عسكريين من أطباء المستشفى أن ينقلوا بعض المرضى المصابين المطروحين على الأرض تحت حرارة الشمس فلم يفعلوا، فلجأت إلى راهب من كبار جمعية الصليب الأحمر، وهو الأب (يوسف فيلاكو) وعرضت عليه الأمر وأخبرت شاباً فرنسياً أيضاً بذلك. لكن الأب حول نظره عني ونصح الشباب بأن لا يزعج نفسه بشأن عربي في سكرات الموت وقال: (دعه يموت)^(٢). هذه مجرد شذرات من حقد القوم وخستهم، إذ كان أحدهم يتجرد حتى عن أبسط مبادئ الإنسانية.

* وكان النشيد الذي يردده جنود الصليب وهم يقتحمون معقل الإسلام في ليبيا:^(٣)

أماه... أمني صلاتك ولا تيكي بل اضحكي وتألمي

أنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً..

سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة

١ - المصدر السابق ص ٨٩.

٢ - عن مقال في اللوموند الفرنسية بتاريخ ١١/١١/١٩١٦م، لـ هرمان دنول، ترجمة وائل عيطة.

٣) القومية والغزو الفكري: محمد جلال كشك، ص ٢٨٠.

سأحارب الديانة الإسلامية..

سأقاتل بكل قوتي نحو القرآن... (111)

وقال الأستاذ شكيب أرسلان⁽¹⁾ معلقاً على تلك الأحداث: (إن عدد سكان بركة وطرابلس، قبل غارة إيطاليا عليهم، كان مليوناً ونصف المليون، فلم يبق منهم الآن سوى سبعمائة ألف نسمة، فيكون عددهم قد تناقص إلى النصف بالظلم والعسف والقتل، وما نشأ عن ذلك من رحيل الأهلين).⁽²⁾

وبعد كل ذلك هل يحق لأحفاد هؤلاء الجزائريين أن يتهموا المسلمين بالإرهاب والتطرف؟! ألا يحق لنا أن نتساءل: من هو المتطرف: الضحية أم الجلاذ؟! والله در من قال:

أَتَطْرَفُ إِيمَانَنَا بِاللَّهِ فِي عَصْرٍ تَطْرَفُ بِالْهَوَى وَتَرْتَدِفَا؟
إِنِ التَّطْرَفُ مَا نَرَى مِنْ غَفْلَةٍ مَلِكِ الْعَدُوِّ بِمَا الزَّمَانُ وَأَطْبِقَا
إِنِ التَّطْرَفُ مَا نَرَى مِنْ ظَالِمٍ أَوْدَى بِأَحْلَامِ الشُّعُوبِ وَأَرْهَقَا
إِنِ التَّطْرَفُ وَصْمَةٌ فِي وَجْهِ مَنْ جَعَلُوا صُلَيْبَهُمُ الرِّصَاصَ الْمَرْقَا
إِنِ التَّطْرَفُ أَنْ يَظْلِلَ رِصَاصُنَا مَتَلَعْنَمَا وَرِصَاصَهُمْ مَتَفَوْقَا؟!

٣- محنة المسلمين في البوسنة والمهرسك:

لقد تعرض المسلمون في هذه البلاد إلى مذابح جماعية عبر تاريخهم الطويل على يد نصارى الصرب من الأرثوذكس خاصة، ونصارى الكروات من الكاثوليك.

ففي تاريخهم القديم: عندما دخل كثير من أهل البلقان في الإسلام بعد الفتح العثماني، عاش المسلمون وغيرهم هناك مكرمين، وبرز منهم العلماء والقادة والمفكرون، وعامل الأتراك العثمانيون الصرب وغيرهم من النصارى معاملة طيبة، فلم تضم أياً من

١ - شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، من سلالة التتوحيين ملوك الحيرة: عالم بالأدب، والسياسة، مؤرخ، من أكابر الكتاب، بنعت بأمر البيان. من أعضاء الجمع العلمي العربي. ولد في الشوفيات بلبنان وتعلم في مدرسة دار الحكمة بيروت، وعين مديراً للشوفيات، سنتين، فقام مقام في الشوف ثلاث سنوات. وأقام مدة بمصر. وانتخب نائباً عن حوران في مجلس المبعوثان العثماني. وسكن دمشق في خلال الحرب العامة الأولى، ثم برلين بعدها. وانتقل إلى جنيف بسويسرا فأقام فيها نحو ٢٥ عاماً. وعاد إلى بيروت، فتوفي فيها سنة ١٣٦٦هـ.
(٢) انظر: حاضر العالم الإسلامي: الأستاذ شكيب أرسلان، ج١، ص ٦٤-٧٤.

دويلات وممالك البلقان، ولم تفرض على شعوبها تغيير دينهم، بل تركت لهم حرية ممارسة شعائرهم مكتفية بفرض الجزية.^(١)

ثم تعرض المسلمون في تلك البلاد إلى مذابح جماعية خلال تاريخهم الطويل، منذ أن ضعفت قبضة العثمانيين على تلك البلاد.^(٢)

وذلك يقصد طمس الشخصية الإسلامية والثقافية للمسلمين هناك. وكانت الموجة الأولى للإبادة: تعود إلى سنة (١٧١١هـ) عندما بدأ ملك الجبل الأسود بطرد المسلمين من بلاده تحت شعار (إعادة النصارى الذين اعتنقوا الدين التركي إلى دينهم الأم، إلى الأرثوذكسية)، وقد احتفى فجأة بسبب ذلك ما يقارب عشرين ألف مسلم من بلغراد وحدها.

وخلال انسحاب العثمانيين عام ١٨٠٧م من بلغراد، قتل عدد كبير من المسلمين من أهالي البلاد، وتم تصير الآخرين قسراً، وهجر من بقي من النساء والأطفال إلى رومانيا.

ومن ثم تم تصير قبائل المسلمين جماعياً في جنوب الجبل الأسود بحضور القسس والحرس والشرطة.

واستمر مسلسل الإبادة الجماعية بتحريض من رجال الدين في جميع المناطق، حتى أنه خلال السنة الأولى من حكم الصرب في البوسنة ١٩١٨م تم إحراق (٢٧٠) قرية مسلمة، وقتل آلاف المسلمين، ونزح أكثر من (٣٠٠) ألف مسلم في البوسنة والمهرسك وإقليم سنجاك.^(٣)

وفي الحرب العالمية الثانية (١٩٤١-١٩٤٥م) تعرض المسلمون لأبشع إبادة جماعية في تاريخهم الطويل وقامت بذلك الكتلان الكرواتية المتطرفة، والعصابات الصربية

(١) انظر كتاب: جمهورية البوسنة والمهرسك قلب أوروبا الإسلامي، تأليف: د. أحمد بن علي بمرز وحسين عمير سباهتش (من أبناء البوسنة والمهرسك)، دار الأرض للنشر والخدمات الإعلامية، ١٤١٣هـ.

(٢) المرجع السابق: تاريخ المذابح الجماعية ضد المسلمين في البوسنة والمهرسك، ص ٦٦-٧٥.

المتوحشة، وكان شعارهم آنذاك (تطهير الأرض من المسلمين)، وقدرت ضحايا الإبادة في تلك الفترة بأكثر من (٢٥٠) ألف شخص، أي ما يقارب عشر عدد المسلمين. وقد كتبت جريدة الأهرام عن هذه الفجائع^(١)، كما نشرت مجلة المرأة في سرايفو تحقيقاً عن المجازر الصربية في الحرب العالمية الثانية جاء فيه^(٢): (بروي شهود عيان من القلائل الذين نجوا من سكاكين ومناشير الكنايب الصربية صوراً مروعة من أفاعيلهم البشعة في مناطق جنوب وشرق البوسنة، فقد قاموا بإحراق المسلمين في مساحدهم وبيوتهم، وكانوا يقطعون أثناء النساء بعد اغتصامهن، ويقرون بطون الحوامل للتمثيل بالأجنة، وكانوا يلقون بالرجال في الماء المغلي...)، (ودخلت هذه العصابات مدينة (فونشا) يوم عيد الأضحى سنة ١٩٤٢م، وأخذ قائدها مفتي المدينة، وثبت على رجليه حدوة الخيل بالمسامير، ثم ركب ظهره إلى المسجد الجامع، وقام بذبح المفتي على عتبة باب المسجد قائلاً: هذا أول قربان لربكم في هذا العيد).

أما المرحلة المعاصرة لمأساة هذا الشعب المسلم فتتمثل في معارضة الصرب بشدة لاستقلال البوسنة والهرسك بعد تفكك يوغسلافيا السابقة واستقلال جمهوريات البلقان، ورغم استقلال البوسنة الذي تم في استفتاء شعبي سنة ١٩٩٢م إلا أن هذا الاستقلال رفض بشدة من قبل الصرب، بل من دول أوروبا النصرانية كلها.. فالصرب الذين يعتبرون أنفسهم درع أوروبا ضد الإسلام، أعلنوا أحقادهم بشراسة، ويتمثل ذلك في مسلسل المذابح المستمر حتى الآن، وفي الشعارات المطروحة. يقول أحد أناشيدهم: (من الثاني؟ من الثاني؟ فأنا الأول الذي سيشرّب دم التركي).

ونشيد آخر يردده الصرب: (يا مسلمون يا غربان، ذهب تيشو وأن لسذبحكم

الأوان).^(٣)

(١) الأهرام: في ١٩٤٤/٩/٢٩م.

(٢) مجلة المرأة: العدد (٢)، فبراير ١٩٩٠م، باللغة البوسنية نقلاً عن كتاب: جمهورية البوسنة والهرسك، ص ٧٢.

(٣) جمهورية البوسنة والهرسك قلب أوروبا الإسلامي: ص ٥٨، ٦٢.

أما حقد الكروات وتلوغهم فيصوره تصريح أحد المسؤولين في الحكومة البوسنية إذ يقول: (إن صربيا أفعى تلدغ ليلاً نهاراً، سرّاً وجهاراً، أما كرواتيا فهي أفعى ذات جلد ناعم، لا تلدغ إلا في ظلماء الليل، بعد أن تستيقظ تمكثها من فريستها وهدف كلنا الحيتين الموت).^(١)

إن معركة (كوسوفو) التي انتصر فيها السلطان العثماني (١٣٨٩هـ) مراد علي حياوش الصرب في منطقة البوسنة، كانت سبباً وذكراً سنوية لدى الصرب ليتذكروا أحقادهم، وكان رئيس عصابات الصرب قد صاح في البرلمان الصربي المزعوم: يا لثارات كوسوفو). رغم أن السلطة العثمانية - خلال حكمها لهم، لم تقم بأي عمل غير ديني، أو أخلاقي تجاه أصحاب الديانات الأخرى.^(٢)

لقد تمثلت محنة البوسنة المسلمة في:

أ- طمس التراث والشخصية الإسلامية.

ب- في وحشية الصرب الأرثوذكس: من قتل وتهجير واغتصاب.

ج- في التآمر الصليبي العالمي (صليبية الخنزيرة) والموقف السدولي

المتخاذل.

أ- طمس التراث والشخصية الإسلامية:

لقد تركز حقد الصرب على طمس الآثار الإسلامية من مكاتب ومساجد، وآثار

معمارية حضارية.

فقد جعلوا المكتبة الوطنية في سرايفوا أكادساً من الرماد والطوب والكتب المحترقة

خلال عامين من الحرب، ودمروا التراث المعماري الذي يزيد عمره عن مائة سنة في

جمهورية البوسنة والهرسك بفعل قصف الصرب لها، ولم يتركوا من محتويات المكتبة

الوطنية إلا خمس محتويات التي بلغت (٢,٥) مليون كتاب.

(١) جمهورية البوسنة والهرسك قلب أوروبا الإسلامي: ص ٥٨، ٦٢.

(٢) مجلة الرابطة: عدد وثلاثي عن مأساة البوسنة والهرسك، محرم وصفر وربيع الأول ١٤١٤هـ، ص ٢٠-٢٧.

أما المساجد فقد تم تدمير أكثر من ثمانمائة مسجد، وتدمير العديد من المدارس وعمائر الأوقاف، ما بين تدمير كامل أو إلحاق أضرار فادحة.

ودمروا مدينة (فوجة) بكافة بيوتها التقليدية، أما مسجد (غازي خسرو) في نفس المدينة، وأكبر مسجد في منطقة البلقان كلها، فقد قاموا بقصفه أكثر من ثلاثين مرة. وفي مدينة (برشكو) المختلة وضع الصرب عبوات ناسفة في خمسة مساجد، ثم دمروها في يوم واحد، ولم يتورعوا عن تدمير مقابر المسلمين، فقد سووها بالأرض، وغيروا أسماء المدن والطرق والشوارع والميادين.^(١)

وقد بلغ عدد المساجد والمعالم التاريخية الشهيرة التي دمرت في البوسنة والمهرسك خلال شهري (إبريل ومايو) ١٩٩٢م، (١٨٦) مسجداً.

إذ نشر المكتب الإعلامي لحكومة البوسنة والمهرسك عدداً خاصاً تضمن معلومات حول الأماكن الدينية الموجودة فوق أراضي البوسنة والمهرسك حتى شهر مايو ١٩٩٢م.^(٢) ومن أبعث جرائمهم ضد التراث الحضاري والتاريخي، هجوم الميليشيات الصربية المتوحشة على معهد الدراسات الشرقية في سراييفو في ١٧/٥/١٩٩٢م بالقنابل والصواريخ الحارقة، بحيث ضاعت كافة الوثائق والكتب والمقتنيات والأبحاث في يوم واحد... وكان هذا المركز يحتوي على أكثر من سبعة آلاف وثيقة تاريخية، في مخطوطات بالعربية والتركية والفارسية والبوسنية.^(٣)

ب- وحشية الصرب وأحقادهم الدينية:

لقد أصبح الحديث عن معسكرات الاعتقال والتمثيل بالجثث، وتشريد الملايين، وزرع الخوف في صدور الأطفال، وعبوئهم واغتصاب المسلمات، أصبح كل ذلك حديثاً عادياً لا يثير في المسلمين فضلاً عن غيرهم - موضع ألم أو لحظة غيرة عابرة.^(٤)

(١) مجلة الرابطة: ص ٩-١١. ومجلة البيان: عدد (٤٩)، ص ٧٢.

(٢) مجلة الرابطة: ص ٤٩-٥٣، ص ٧٧.

(٣) مجلة الرابطة: ص ٤٩-٥٣، ص ٧٧.

(٤) البيان: العدد (٥٨)، ص ٨٠.

ومع ضخامة أعداد المعتقلين قام الضرب بتحويل المدارس والصالات الرياضية،
والكنائس العسكرية والسجون والكنائس، إلى معتقلات وصلت في مجموعها إلى (١٧٣)
معتقلاً.

وكانت طريقة التعذيب تفوق في وحشتها ما كان يجري في الحرب العالمية الثانية،
وكانت سياسة التطهير الطائفي هي جوهر السياسة الغربية في البلقان ضد المسلمين. يقول
(نيكولا باستيك) وهو رئيس وزراء صربي سابق في معرض تشجيعه لهذه الحملة: (للألبان
البارزين استعملوا المسدس، وللفلاحين استخدموا الرشاشات والمدافع).^(١)

الأحقاد الصليبية للأرثوذكس فاقت وحشية النار المغول، وهم أمة وثنية همجية.
ففي مدينة (بيلينا) على الحدود مع صربيا، وعند خروج المصلين من المسجد في صلاة
الترابيح (١٤١٢هـ) أخذت القوات الصربية اثنين منهم وذبحتهما على باب المسجد،
ومن ثم بدأت بإطلاق النار على الآخرين، وعندما هرع المصلون إلى المسجد راجعين ألقى
الضرب القنابل في داخله ليقتلوا ما يزيد عن مئة مصل، ثم دخلوا المسجد وسلبوا
المصلين^(٢) تماماً كما فعل اليهود بمصلى المسجد الإبراهيمي.

وهذه مقتطفات من رحلة في أعماق البوسنة، ومشاهدات حية سجلها الدكتور
مانع الجهني^(٣) قال:

(إن ما يجري الآن هو عملية إبادة جماعية لهذا الشعب المسلم مع التهجير العشوائي
والاستيلاء على الممتلكات، وقد أوجدت هذه الحرب الظالمة موجة من اللاجئين لم يعرف
العالم الأوروبي لها مثيلاً منذ الحرب العالمية الثانية، فقد بلغ عددهم ملبسونين ونصف،
تتلففهم الأيدي بين قابل ورافض.. ولقد ظهرت صليبية المعركة في أكثر من سلوك
وحادثة ومن هذه المظاهر:

(١) مجلة الرابطة: ص ٧٦، ٨٠.

(٢) مجلة البيان: العدد (٥٣)، ص ٧٤.

(٣) أمين عام الندوة العالمية للشباب الإسلامي. وهذه فقرات من تقريره في الفترة من ٢٢٢-٢٥ عرم
١٤١٣هـ - عن مجلة الرابطة، ص ٨٨-٩٣.

* توجيه التدمير والقتل إلى المؤسسات الدينية ورموز الإسلام، فقد هدمت المساجد والمدارس الإسلامية وقتل العلماء والمؤذنون واغتصبت المحجبات.

* يعذب بعض الأئمة ويطالبون بالكفر بالإسلام، والإيمان بالمسيحية، أو وضع علامة التثليث شئت أم أبيت ثم يقتل العالم بعد ذلك.

* يجير كثير من المسلمين في المخيمات على أكل لحم الخنزير.

* ذكر الناس والصحافة الكرواتية قصة الشيخ (مصطفى كافوفيتش) الذي رفض صنع علامة الصليب فقطعت أصابعه، ثم أجر على شرب الخمر فرفض، ثم نشره وهو حي يقرأ القرآن وله زوجة وطفلان.

* إن إجراءات أخذ الأطفال تتم بسهولة من المخيمات إلى المؤسسات الكنسية، بينما توضع العراقيل أمام أي جهة إسلامية تريد أن تأخذ الأطفال المسلمين.^(١) وهذه لقطات قصيرة من مسلسل الرعب الوحشي:

- معسكر (أومارسكا) شمال غربي البوسنة، كان يضم ألف معتقل منهم كل النخبة السياسية والثقافية في مدينة (بريجود). كان الصرب يعدمون (١٠-١٥) شخصاً كل بضعة أيام.^(٢)

وقالت إحدى المعتقلات لمراسل شبكة (أي . بي . سي) الأمريكية: (هذا معسكر متوحش، هنا تجري مذابح، قتل في هذه المنطقة (٨٠٠) طفل وامرأة.^(٣))

كان يؤتى بالمسلم فيرقد على ضفة (ساقا) ويوضع رأسه على حجر ويهيا ويذبح لينسكب دمه في النهر.^(٤)

وذكرت مجلة تايم تقريراً مفاده أن الصرب في مدرسة ابتدائية في (براتونساك) استنزفوا دماء خمسمائة مسلم حتى الموت من أجل إمداد الصرب الجرحى بالدم، وكان

(١) عن مجلة الرابطة: ص ٨٨-٩٣.

(٢) نيوزدي والغارديان: ٥/أغسطس/١٩٩٢م.

(٣) أي . بي . سي: الأخبار في برنامج صباح الخير أمريكا، ١٠/أغسطس/١٩٩٢م.

(٤) نيوزدي والغارديان: ٥/أغسطس/١٩٩٢م.

يعلق السجناء في بلدة (فوكاسكا) من أرجلهم وتسمّل عيونهم بألات حادة، وكان لكل صربي يقتل طفلاً مسلماً ما يعادل (٣٠٠) جنين استرليني.^(١)

أما قضية اغتصاب المسلمات: فقد أكثرت التقارير والصحف العالمية والعربية من الحديث عنها، ولا نريد أن نخوض في التفاصيل لأنها ثقيلة على النفس، وهي أعراض مسلمة تنتهك، ولا نخوة معتصم، إنما اغتصاب وحشي منظم، وليس عملاً فردياً، ويقصد منه إذلال المسلمات وتحطيم شخصياتهن، ومما يؤسف له أن كثيراً من المعتدين كانوا من حيران المعتصبات، فقد تنكروا لعلاقات الحوار والمعايشة خلال عشرات السنين، وتذكر بعض التقارير أن الاغتصاب كان يتم أمام محارمهن وأولادهن.^(٢)

جـ- التآمر الصليبي والموقف الدولي المتخاذل:

لقد تكالبت الأحقاد الصليبية وتعاونت على تمزيق شعب مسلم، وإجهاض دولة شرعية اعترفت بها الأمم المتحدة: تكالبت أحقاد الصرب الأرثوذكس وحلفائهم من نفس المذهب، من الروس واليونان ومن شايهم. وأحقاد الكاثوليك من الكروات وحلفائهم من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا ومن سايرهم.

لقد كانت مذبحه صليبية لأهل البوسنة والمهرسك، والشواهد على ذلك كثيرة من فعل عصابات الصرب. فقد قاموا بذبح المسلمين ورسّموا الصليب على أجسادهم، كما قاموا بتدمير المساجد في كل بلدة احتلوها.^(٣)

ونقلت مجلة غربية عن بعض الصرب قولهم: (إن كل المسلمين في الأصل عرب قذرون يمسحون أذبارهم بأيديهم).^(٤)

(١) مجلة نام: ١٧/أغسطس/١٩٩٢م. وانظر: البيان: العدد (٥٥)، ص ٦٠-٦٣، أحمد بن راشد بن سعيد.

(٢) راجع تفصيلات ذلك في مجلة الرابطة: ص ١٩، ١٧٢-١٧٣. ومجلة البيان: العدد (٥٥)، ص ٦٣-٦٥. وما نقله عن الصحف الغربية.

(٣) الأيكو مونست: الواحد من أغسطس سنة ١٩٩٢م.

(٤) مجلة نيو ستشمان سوسيني: ٣١/يوليو/١٩٩٢م.

* وبريطانيا موقفها المتلون أوضحتها الرسالة السرية من رئيس وزراء بريطانيا جون ميجر إلى الوزير البريطاني للشؤون الخارجية دوغلاس هوغ ومما جاء فيها: (الهدف النهائي هو تقسيم البوسنة والهرسك، ومنع قيام الدولة الإسلامية في أوروبا وهو الأمر الذي لا يمكن أن نسمح به أبداً...)^(١).

ويتساءل الآن كلارك وزير الدفاع البريطاني السابق قائلاً: (كيف نستطيع أن نبرر لعوائل الجنود المقتولين أن أبناءهم لم يموتوا في سبيل الملكة أو الوطن، بل لمنع الصرب من قتل المسلمين).^(٢)

* واقترح (توجمان) رئيس جمهورية كرواتيا: (بأن تضم المناطق المأهولة بالصرب إلى صربيا، والمأهولة بالكروات إلى كرواتيا، الأمر الذي يسمح بوجود دولة إسلامية صغيرة في وسط البوسنة) وأضاف: (إن ذلك سيضع حداً لأي مطالب أو محاولات لإنشاء دولة إسلامية كبيرة في قلب أوروبا).^(٣)

* أما الولايات المتحدة فهي الأمم المتحدة ولسانها الناطق بطرس غالي، فعندما تريد شيئاً تتخذ من هذه الهيئة غطاءً قانونياً لتنفيذ أغراضها.

وحينما سئل رئيسها (جورج بوش) عشية قمة ميونيخ عن سبب إحجامه عن التحرك في ظل الوضع المتردي أجاب قائلاً: (إنه ليس مستعداً لأن يرسل الأولاد الأمريكيين في مهمة كهذه) وتعلق (لاسلي غليب) في النيويورك تايمز قائلاً: (إن الغرب ما كان ليتخذ هذا الموقف اللامبالي لو كان ضحايا المجزرة من النصارى).^(٤)

* ويتجلى الحقد الصربي اليهودي في تعاون الشعبين في الجيش اليوغسلافي الاتحادي، ومدهم بالخبزاء العسكريين، إنها معركة واحدة مع المسلمين في البوسنة ومع الإسلام كدين.^(٥)

(١) عن مجلة الرابطة: ص ١٥٤، محرم وصفر - ربيع الأول ١٤١٤هـ - (وفيها نص للرسالة باللغتين العربية والإنجليزية).

(٢) النيوزويك: ٧/سبتمبر/١٩٩٢م.

(٣) المرجع السابق: ١٧/أغسطس/١٩٩٢م.

(٤) النيويورك تايمز: نقلاً عن مجلة البيان: عدد ٥٨، ص ٨٢.

(٥) انظر: البيان: العدد (٥٨)، ص ٨٧.

هذا وإن أكثر الصرب يقولون: إن القتال في البوسنة أمر ضروري لمنع انتشار الإسلام في أوروبا).^(١)

وذكرت مراسلة شبكة (أي . بي . سي) (شيلا ماكينكار) في تقرير لها عن مدينة (اليجا البوسنية): (أن القادة العسكريين الصرب يقولون إنهم يشنون حرباً دينية، نصارى ضد مسلمين، هي نوع من الحرب الصليبية في القرن العشرين).^(٢) لقد كان لأوروبا المسيحية ضلوعاً واضحاً في المؤامرة، وفتوراً قوياً في تسردد الحكومات الأوروبية وتلوناً في مواقفها.

* قال الرئيس الفرنسي عند زيارته لمطار سرايفو: (لن أسمح بقيام دولة أصولية إسلامية في أوروبا) وقال: (إن الحل العسكري مستبعد لأن المعضلة من سيقدم الجنود المطلوبين)^(٣).

وقال الجنرال روسو قائد الفيلق المحارب إلى جانب الكروات، والذي خدم عشرين سنة في الجيش الفرنسي: (إنه سيشارك الجيش الكرواتي في معركة أوروبا ضد الإسلام الناشئ، الذي بات يهدد الحضارة الغربية)^(٤).

* وروسيا الاتحادية ورثة روسيا القيصرية الأرثوذكسية، ما فتئت تمدد مجلس الأمن علناً بحق النقض (الفيتو) ضد أي قرار يتخذه هذا المجلس ضد الصرب المعتدين، وقد اتضحت ملامح مؤامرتهم بانتشار بضع مئات من الجنود الروس على جبال سرايفو بالرغم من اعتراض حكومة البوسنة الشرعية على قدمهم، إلا أن بطرس غالي أكد موافقته على ذلك القدم، أما اليونان فهي الحليف الطبيعي للصرب لأنها على نفس المذهب، وتقوم بتسريب السلاح والمؤن إلى الصرب، حتى لبنان ما قصرت في هذا الشأن.^(٥)

(١) عن مراسل شبكة أي . بي . سي . الأمريكية.

(٢) انظر: مجلة البيان: العدد (٥٥)، ص ٦٧-٦٨، وما نقله الكاتب عن الصحف السابقة، للكاتب أحمد بن راشد بن سعيد.

٣ - الصنداي تايمز ١١/٤/١٩٩٢م.

٤ - البيان ٥٣ ص ٧١.

(٥) وكالات الأنباء الغربية نقلت عن مجلة البيان الأعداد: (٥٣) ص ٧١، العدد (٧٥) ص ٦٤، والعدد (٥٨) ص ٨٣.

أما دولية ومحمية، ويرفض قائد هذه القوات الدولية (مايكل روز) من استدعاء طائرات حلف شمال الأطلسي وبكل جلافة.^(١)
وماذا تصنع هذه الطائرات؟! فقد أصابت في إحدى غاراتها مسدفاً صربياً وفي الأخرى دباباً قديمة!!

(وقد عبر نائب الرئيس البوسني أيوب غاينيش عن موقف الأوروبيين من قضية بلاده فقال: إن أوروبا أظهرت وجهها الحقيقي، وإن تدمير البوسنة وفناء أهلها، سيكون على يد أوروبا، وليس على يد الصرب فقط)^(٢).

ومما يوضح التواطؤ بين دول أوروبا وروسيا ما صرح به (كساراجيتش) زعيم عصابات الصرب البوسنية، وهو يتساءل باستغراب: (لماذا يتظاهر الجميع بذرف الدموع على البوسنة؟ إن هؤلاء - المتظاهرين بدموعهم - يتحدثون إلينا في الغرف المغلقة بطريقة مختلفة)^(٣).

وإن قرارات مجلس الأمن لا تنفذ على المسلمين (فهناك أكثر من ٦٣) قراراً دولياً في قضية البوسنة لم ينفذ منها قرار واحد وكان الصرب يعرفون هذه الحقيقة، فاستمروا في مذابحهم وجرائمهم في ظل الحماية الدولية، ولنكرر مع الرئيس علي عززت قوله: (إن الغرب حينما يتعلق الأمر بالإسلام، مستعد لأن يخون مبادئه وقيمه التي ينادي بها)^(٤).
ولكن لمن تساق الأخبار، وعلى من تعرض الصور؟!

(لقد آن الأوان لإعادة النظر في أشياء مسلمة، كعضوية الأمم المتحدة، واستقلال الصليب الأحمر، ونزاهة المنظمات الدولية، التي هي غريبة الهوى والمنهج واللسان. ماذا لو كان أهل البوسنة المستهدفون، بالإبادة والطرده يهوداً أو نصارى؟! ماذا لو كان مرتكبو المذابح مسلمين؟!

(١) نقل عن وكالات الأنباء في الصحف والإذاعات الخلية والمالية خلال (٢٤-٢٨) نوفمبر ١٩٩٤م.

٢ - البوسنة الجريحة - أيوب غاينيش، مقال في صحيفة الأحرار التركية، عدد ١١/٥/١٩٩١م.

٣ - اللوموند الفرنسية ٧/ سبتمبر/ ١٩٩٣م.

(٤) انظر مجلة البيان: العدد (٨٢) جمادى الآخرة سنة ١٤١٥هـ، مقال: هذه حقيقة مجلس الأمن.

هذه هي الدول الكبرى، وقد تبين حقيقة مواقفها.

أما الشرعية الدولية ممثلة بهيئة الأمم ومجلس الأمن، فلا تزال محجمة عن التدخل ضد أطماع الصرب وأحقادهم، رغم خرقهم لكل اتفاقيات وقف إطلاق النار. إن المسلمين في البوسنة، هم ضمن لعبة سياسية بين الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية، فالمجموعة الأوروبية لا تريد التدخل لإيقاف المذبحة إلا بناءً على قرارات مجلس الأمن، والأمم المتحدة الممثلة في أمينها العام الذي يماطل في اتخاذ أي قرار من شأنه أن يحمي المسلمين.^(١)

إن ما قامت به هيئة الأمم هو حظر السلاح على حكومة البوسنة، وهي تبرر سياسة الصمت لما يجري من حرق وتنجير وقتل المسلمين بأن قوات حفظ السلام لديها أوامر بأن تبقى محايدة مهما يكن من أمر.^(٢)

وقد وصف مندوب البوسنة لدى الأمم المتحدة عملية التستر هذه بأنها خيانية، وانتقد هذا الحياد المزعوم الذي يعني غض الطرف عن وحشية المعتدي ومعاناة الضحية، ومنظمة الصليب الأحمر، كانت تزعم الحياد أيضاً، وقد أخفت معلومات عن اعتقالات جماعية وعمليات تعذيب واغتصاب منظمة.^(٣)

لماذا ترسل الأمم المتحدة (١٤) ألف جندي لحفظ السلام عندما حصلت الحرب بين الصرب والكروات، وضغطت دول أوروبا على صربيا لوقف العدوان، وتتحول هذه الهيئة إلى حمل وديع لا يستطيع إيقاف عدوان الصرب على مسلمي البوسنة بعد ذلك؟! بل إن بطرس غالي يأمر بسحب هذه القوات من (سرايفو) حتى يسهل على الصرب مهمة قصف المدينة وإبادة أهلها.

وها هي القوات الصربية تطبق على جيب (بيهانث) وتكاد تدمر المدينة، وفيها ما يقرب من مئتي ألف مسلم ما بين لاجئ ومقيم، وهو من المناطق التي أعلنت الأمم المتحدة

(١) جمهورية البوسنة والهرسك: أحمد فراز - حسين سياهيتش، ص ١١٦.

(٢) الإندبندنت: ٧ أغسطس ١٩٩٢م.

(٣) البيان: العدد (٥٥)، ص ٦٩، ٧٠.

التطرف عند قدماء المصريين والرومان

إن المتبع للوثائق التاريخية يجد أن الإرهاب قد ظهر منذ القدم في مجتمعات مختلفة، مارسته جماعات من شعوب متعددة:

ففي مصر القديمة دلت البرديات على ممارسة إرهاب دموي بين أحزاب الكهنة، نشأ بسبب الخلاف حول بعض الأفكار والمعتقدات السائدة آنذاك^(١).

وفي البلاد اليونانية أشارت آثار قديمة يرجع تاريخها إلى عام ٤١٠ قبل الميلاد إلى العمليات الإرهابية التي كانت تهدد أمن البلاد، وتتمثل في محاولات قلب نظام الحكم.

وفي عهد الرومان مُرست الأعمال الإرهابية، حيث كانت السلطات الرومانية تصف الإرهابيين ومرتكبي الجرائم السياسية بأنهم (أعداء الأمة)^(٢).

وقد عدت السلطات الرومانية ما يقوم به الإرهابيون من جرائم نوعاً من الحرب الذي يماثل الأعمال الحربية التي تشنها الدول من الخارج^(٣).

ومن أقدم الأمثلة التي يذكرها المؤرخون لتاريخ الإرهاب: تلك الأعمال التي كانت تمارسها الحركة الإرهابية المعروفة بـ : " السيكارين " وهي طائفة دينية على درجة عالية من التنظيم، ظهرت في فلسطين ما بين (٦٦ - ٧٣ م) في القرن الأول الميلادي؛ حيث كانوا يهاجمون أعداءهم في وضوح النهار.

ومن الأعمال التي كانوا يقومون بها حرق الغلال، وإتلاف المحاصيل الزراعية، وتخريب تمديدات المياه في مدينة القدس، وكانت هذه الأعمال تُبارك من قبل رجال الدين المسيحيين^(٤)!

١ - مصر القديمة - عبد الله سيد عبد العال ص ٨٥.

٢ - التاريخ يتحدث عن المدينة العالمية - حسين محمد آل بارشي، ص ١١٧.

٣ - انظر (الإرهاب الدولي وفقاً لقواعد القانون الدولي العام) لنيل حلمي، ص ٢، و (الإرهاب الدولي)

لجسنت درويش، ص ١٧.

٤ - انظر (الإرهاب الدولي) للدكتور محمد عزيز شكري، ص ٢١.

إلا أن مسلمي البوسنة لا يواكب لهم، ولن يسمح لهم أنهم أوروبيون بيض البشرة
ومتساحون) (١).

وصدق الله العظيم: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مَلْتَهُمْ ﴾ (٢).
وبعد كل هذه الصور من إرهاب وتطرف الأعداء وغلوهم، فهلس يحق لهم
ولأحفادهم أن يتشدقوا باتهام المسلمين بالتطرف والإرهاب! وصدق من قال: (رمتني
بدائها وانسلت) (٣).

إن التطرف مذموم أياً كان مصدره، وعواقبه وخيمة، لا ينتج عنه إلا إراقة الدماء
البرية، وتجاوز النصوص الشرعية، هذا وإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) (٤).
وإنما لمؤامرة عالمية تستهدف اجنثات الإسلام وأهله باسم التخويف من الإرهاب
والأصولية. وإلا كيف يتجحجز الجزار بخوفه من ذبيحته ويده السكين يجر به رأسها؟! إنما
لمهزلة حقاً، تتم فصولها في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين.

(١) مجلة البيان: العدد (٥٥)، ص ٧٤، من مقال: (دماء ودموع البوسنة).

٢ - البقرة: ١٢٠.

٣ - مقتبس من قول الشاعر: (رمت المحب بدائها وانسلت)، والبيت لفنيان الشاغوري في ديوانه ص ١٨٧.

٤ - المنبت لا أرضاً قطع... جزء من حديث نبوي شريف أخرجه البيهقي في الكرى ١٨/٣، عن جابر بن عبد
الله عن النبي صلى الله عليه وسلم.

إن الحديث عن تيارات التطرف في الهند حديث متشعب الأبعاد والاتجاهات كثير التشعبات في عقلية الحركات المتطرفة في الهند وليس من السبيل إلى حصرها. ولكن أورد أبرزها وهو تيار التطرف السيخي^(١) والذي كان من أسس عقيدته وتقريبه إلى معبوده وآلمته « لا وجود على أرض الهند إلا للشيخ ورفضوا حتى الهندوس ».

ويقول بل شاكري قائد جماعة (شيف سينا) الهندوسية المتطرفة:

« ليس عندي ما يدعو للغش والخداع، هذه هي هندوستان، والهندوستان تخص الهندوس^(٢) وقد وصل التطرف غايته في عقلية هؤلاء الهندوس إن طلبوا إلى المسلمين ترك القرآن أو ترك الهند فمن ضمن المصنفات التي نشرها « اتركوا القرآن أو اتركوا الهند^(٣) » وفي خطاب ألقاه أحد قواد الجماعات الهندوسية المتطرفة ورد قوله:

« إن المسلمون الهنود أشبه بالسرطان لهذه البلاد، والسرطان مرض لا يرجى منه شفاء، وقد انتشر هذا السرطان في البلاد كلها، والعلاج الوحيد له هو العملية الجراحية، أيها الهندوس، عليكم بالكفاح المسلح واستئصال هذا السرطان من أساسه^(٤) »

هذا مع العلم أنه في الهند يدين واحد من كل ستة أشخاص بالإسلام، ومع ذلك فإنه منا من طائفة من طوائف الشعب الهندي، تتعرض لما يتعرض له المسلمون من ظلم وهوان. تمثلت خير تمثل عند انقسام الهند إلى شطرين وولادة الدولة الباكستانية المسلمة حيث يصور هذه المرحلة من تاريخ المسلمين في الهند أبو الأعلى المودودي^(٥) إذ يقول: « لقد

١ - الشيخ بمبوغة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي واعين إلى دين جديد فيه شيء من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار (لا هندوس ولا مسلمين) وقد عادوا المسلمين خلال تسارحهم بشكل عنيف، كما عادوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم.

ينظر الندوة العالمية للشباب الإعلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - ص ٢٨٣ -

٢ - ينظر مجلة مسلمي الهند عدد سبتمبر ١٩٨٤ صفحة ٤١٩، نقلاً عن سيد خالد حالة المسلمين الهندوس - ص ٧٤١ -

٣ - ينظر مجلة مسلمي الهند عدد سبتمبر ١٩٨٤ صفحة ٣٠٦، نقلاً عن سيد خالد حالة المسلمين الهندوس - ص ٧٤١، ٧٤٢ -

٤ - ينظر مجلة مسلمي الهند عدد سبتمبر ١٩٨٤ صفحة ٣٠٤، نقلاً عن المصدر السابق.

٥ - هو الأستاذ أبو الأعلى المودودي من الدعاة المعاصرين ولد في مدينة أرونك آباد عام ١٩٠٣ هـ، في أسرة فضل وعلم، بنى نفسه بنفسه فتعلم واشتغل بالصحافة، وأسس عام ١٣٦١ هـ الجماعة الإسلامية وكان له دور-

الهند وتيارات التطرف فيها

- تعد الهند من أكبر دول العالم ومناطق العلم تعدداً للديانات والمذاهب منذ قدم الزمان حيث أن التكوين السكاني في الهند عبارة عن مزيج كبير جداً من الصعب حصره من الأثنيات والديانات وفي العصر الحديث يتضح هذا التعدد أكثر من ذي قبل .
وتتعد وسائل التعبير والرفض وصولاً إلى التطرف في هذه الديانات ويتضح ذلك من خلال ممارسات هذه التيارات والديانات للتطرف والعلو وعلى رأس هذه التيارات المتطرفة:

تيار التطرف الهندوسي^(١) الذي يصب جام غضبه وتطرفه على المسلمين.
ولقد تمثل ذلك بهدم الهندوس لكثير من مساجد المسلمين وعمليات القتل الوحشية والدموية التي ترتكب بحق الشعب المسلم هناك. فالدماء المسلمة تراق من جراء الاضطرابات التي يشعلها غلاة الهندوس المتطرفة والتي تنشب بمعدل واحد تقريباً كل يوم^(٢) كما تقوم عقيدة الهندوس على عدم الاعتراف بأن للمسلمين الحق في العيش معهم حيث يقول: م.س/ جولوكر مؤسس حركة آر.اس.اس وهي منظمة هندوسية متعصبة ومتطرفة: « في هذه البلاد ليس هناك شعب سوى الهندوس فقط، أما المسلمون وغيرهم فإنهم إن لم يكونوا أعداء للأمة فإنهم على الأقل تقدير ليسوا جزءاً من كيان الأمة »^(٣)
ولقد أصبحت الاضطرابات المناهضة للإسلام جزءاً من حياة الهنود المسلمين إذ تشير الإحصاءات التي تنشرها الجهات الأمنية في الهند لهذه الاضطرابات ضد الإسلام إلى محصلة ضخمة وكبيرة من عدد قتلى المسلمين. وذلك في ظل تماثل ظاهر ومنحاز للمجتمع الدولي الساكت والمؤيد لهذه المجازر.

١ - الهندوسية ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وقد تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، وهي ديانة تضم جوانب روحية وخلقية وقانونية وتنظيمية متحدة آفة بحسب الأعمال المتعلقة بما فلكل منطقة إله ولكل عمل أو ظاهرة إله.
ينظر البندوة العالمية للشباب الإسلامي/ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة- ص٥٢٩ - .
٢ - ينظر د. سيد خالد، حالة المسلمين الهنود، من بحوث مؤتمر الأقليات المسلمة في العالم - ج٢ ص٧٣٥ - .
٣ - ينظر د: أبو ذر كمال الدين، طبيعة وحجم المشكلات الاقتصادية للمسلمين الهنود من بحوث مؤتمر الأقليات المسلمة في العالم- ٧٨٨/٢ - .

المبحث الثالث جذور التطرف الديني

الجذور التاريخية للتطرف

إن البحث عن الجذور التاريخية للتطرف يقودنا إلى العودة إلى التاريخ الإسلامي الأول وما حدث فيه من مؤامرات ودسائس شكلت اللبنة الأولى لفكر التطرف؛ حيث تمثل هذه المؤامرة

أ - مقتل عثمان بن عفان^(١) ﷺ :

ب - مقتل علي بن أبي طالب^(٢) ﷺ :

١ - عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش : أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين. من كبار الرجال الذين اعتمز بهم الإسلام في عهد ظهوره. ولد بمكة، وأسلم بعد البعثة بقليل. وكان غنيا شريفا في الجاهلية. ومن أعظم أعماله في الإسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله، فبذل ثلاث مئة بعر بأقنابها وأحلاسها وتبرع بألف دينار. وصارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ، فافتتحت في أيامه أرمينية والقوفاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقيس، وأتم جمع القرآن، وكان أبو بكر قد جمعه وأبقى ما بأيدي الناس من الرقاق والقراطيس، فلما ولي عثمان طلب مصحف أبي بكر فأمر بالنسخ عنه وأحرق كل ما عدا. وهو أول من زاد في المسجد الحرام ومسجد الرسول، وقدم الخطبة في العيد على الصلاة، وأمر بالادان الأول بسوم الجمعة. واتخذ الشرطة. وأمر بكل أرض جلا أهلها عنها أن يستعمرها العرب المسلمون وتكون لهم. واتخذ دارا للقضاء بين الناس، وكان أبو بكر وعمر يجلسان للقضاء في المسجد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٦ حديثا. قتل في بيته، بالمدينة سنة ٣٥ هـ. ولقب بذئ النورين لانه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية ثم أم كلثوم. ابن الأثير : حوادث سنة ٣٥ وغاية النهاية: ١/٥٠٧ وحلية الأولياء: ٥٥/١ والطبري: ١٤٥/٥ وصفة الصفوة: ١١٢/١ .

٢ - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن : أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاما بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه. وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. ولما أذى النبي صلى الله عليه واله وسلم بين أصحابه قال له : أنت أحمي، وولي الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان سنة ٣٥ هـ وأقام في الكوفة دار خلافته إلى أن قتلته عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة، واختلط في مكان قومه. ابن الأثير: حوادث سنة ٤٠ والطبري: ٨٣/٦ والبدء والتاريخ: ٥/٧٣ وصفة الصفوة: ١١٨/١ وحلية الأولياء: ٦١/١ والإصابة : الترجمة ٥٦٩.

تجلى التطرف الهندوسي بأبشع صورة عندما بدأ الشعب المسلم بالهجرة إلى باكستان حيث بدؤوا بإيقاف القطارات وإنزال الركاب المسلمين منها قهراً وقتلهم جميعاً دون رحمة أو شفقة لا يردعهم عن هذا بكاء طفل رضيع أو الخناءة ظهر شيخ كبير»^(١).

- كبير في تأسيس دولة باكستان توفي رحمه الله عام ١٣٩٩هـ، ينظر فتحى يكن: الموسوعة الحركية ج ١ ص ١٣-١٨.

١ - ولادة الخير - كتاب لـ محمد المبار كفوري ص ٨٣-٨٢- دار الهجرة، باكستان.

أظلم ممن لم يُجزِ وصية رسول الله ﷺ

ثم قال لهم: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فأنهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالظعن على أمرائكم واطهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم لهذا الأمر)

فيث دعائه وكتابه من كان استنفر في الأمصار وكتابه، ودعوه في السر إلى مسا عليه رأيهم، وجعلوا يكتبون في الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائمهم، ويكتب أهل كل مصرٍ منهم إلى مصرٍ آخر بما يضعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يريدون (١)

ثم قام بالتأليب على الخليفة عثمان رضي الله عنه، وانتقل إلى مصر ونزل على كنانة بن بشر بن مرة^(٢)، ثم نزل على سودان بن حمران ثم تركه وانقطع إلى العافقي^(٣) وقد التف حوله خالد بن ملجم وعبد الله بن رزين وأشباہهم، فكلمهم في مسألة الوصية فلم يجيبوه فقال عليكم بباب العرب وحجرهم يعني عمرو ابن العاص رضي الله عنه ولسنا من رجاله فأرؤه أنكم تزرعون، ولا تزرعوا هذا العام شيئاً حتى تنكسر مصر، فنشكوه إلى عثمان فيعزله عنكم

١ - تاريخ الأمم والملوك للطبري ٩٨/٥.

٢ - كنانة بن بشر النحبي : نازر، كان من رؤساء الجيش الذي زحف من مصر لخلع عثمان أيام الفتنة في المدينة، وشارك في مقتله. وظله معاوية بن أبي سفيان، في مقتله. وظله معاوية بن أبي سفيان، بدم عثمان، فقبض عليه بمصر مع ابن حذيفة وابن عديس، سجنهم في لد بفلسطين فهربوا، فأدركهم والي فلسطين فقتلهم. الإصابة : ت ٤ : ٧٥٠٤ و٢ والكامل لابن الأثير: ١٠/٢.

٣ - العافقي بن حرب العكي من أبناء وجوه القبائل اليمنية التي نزلت بمصر عند الفتح . فلما نظاهر ابن سبأ بالتشيع لعلي . ولم يجد مرتعاً لفساده في الحجاز ولا في الشام أكتفى باصطناع بعض الأعوان في البصرة والكوفة ، واختار الإقامة في الفسطاط ، فكان العافقي هذا من قائله ، وقد استمالوه من ناحية تحافته على الرئاسة والجاه . وكان محمد ابن أبي حذيفة بن عتبة الأموي ربيب عثمان الأبق من نعمته هو اليد اليمنى لتنفيذ خطط السبئيين في مصر ، العافقي للتصدر والظهور . وفي شوال سنة ٣٥ أعدوا عدتهم للرحف من مصر على المدينة بأربع فسوق مجموع رجالها نحو ستمائة ، وعلى كل فرقة رئيس ورئيسهم العام العافقي هذا . وتظاهروا بأنهم بقصدون الحج ، وفي المدينة تطورت حركاتهم إلى أن استنفل الأمر ومنعوا عثمان من الصلاة بالناس في المسجد النبوي فسار العافقي هو الذي يضلي بالناس، الطبري ١٠٧/٥ ، ثم لما أقنعهم الشيطان بالجرأة على الجنابة الكبرى كان العافقي أحد الخترئين عليه وضربه بمدينة معه وضرب المصحف برحله فاستدار (الطبري ١٣٠/٥) ، وبعد قتل عثمان بقيت

أولاً- مقتل عثمان بن عفان ؓ :

بالتأمل نجد أن التطرف في البلاد الإسلامية لم يُعرف إلا في أواخر عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، عندما قامت أول حركة ضالة مدبرة بزعامة اليهودي عبد الله بن سبأ^(١) الذي أظهر الإسلام ليتسلل داخل صفوف المسلمين، ويشعل نار الفتنة بينهم الأمر الذي تمحض عنه فيما بعد ظهور فرقة السبئية^(٢) من الحوارج ، و ما أشبه التطرف الذي تشتعل ناره الحارقة اليوم بيننا في منطلقاته وشعاراته بذلك التطرف الذي اصطلت بناره عاصمة الخلافة الإسلامية المدينة المنورة آخر عهد الخليفة عثمان بن عفان وأوائل عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

يقول الطبري رحمه الله (كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه أمة سوداء، أسلم زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فأخرجوه حتى أتى مصرأ فأقام فيها فقال لهم فيما يقول: (لحج من يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾^(٣)

فمحمداً أحق بالرجوع من عيسى ثم قال: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان (علي) وصي (محمد) ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك : من

١ - ابن سبأ عبد الله بن سبأ : رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، قيل : كان يهودياً وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة. ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فأنصرف إلى مصر، وجهر ببدعته. ومن مذهبه رجعة النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول : العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب برجوع محمد ! ونفل ابن عساکر عن الصادق : لما بوع علي قام إليه ابن سبأ فقال له : أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق ! ففناه إلى سبابط المدائن، حيث القرامطة وغلاة الشيعة. وكان يقال له ابن السوداء لسواد أمه. وفي كتاب البدء والتاريخ : يقال للسبئية الطيارة لرغمهم أنهم لا يموتون وإنما موقوف طيران نفوسهم في الغلس، وأن علياً حي في السحاب، وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا : غضب علي ! ويقولون بالتناسخ والرجعة. وقال ابن حجر العسقلاني ابن سبأ، من غلاة الزنادقة، أحسب أن علياً حرقه بالنار. البدء والتاريخ : ٥ / ١٢٩ ولسان الميزان: ٢٨٩/٣ وعقيدة الشيعة: ٥٨ و ٥٩ وتحذيب ابن عساکر: ٤٢٨/٧.

٢ - السبئية: فرقة شيعية ضالة، ظهرت في حياة علي بن أبي طالب ؓ، رئيسها عبد الله بن سبأ اليهودي، اشتملت عقيدتها على أصول يهودية ومزدكية، ألهمت علياً ؓ، وقالت بالتوقف والغيبة والرجعة، وهي اليوم في عداد الفرق البائدة. (الملل والنحل) للشهرستاني ص ١٧٤.

٣ - سورة القصص، آية رقم ٨٥.

علينا، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد (١)

وفي سنة ٣٥ هـ تكاتب السبيون في الأمصار، وتواعدوا على اللقاء بالمدينة، لتنفيذ ما حططوا له، فخرج من مصر ما بين ستمائة وألف رجل يتزعمهم العافقي بن حرب العكسي ومعهم عبد الله بن سبأ متكرراً وهم يظهرهم أنهم يريدون الحج، وخرج عددٌ مماثل لهم من الكوفة ومثلهم من البصرة يقودهم حُكَيْم بن جبلة (٢) وهم جميعاً يُظهرون الحج إلى بيت الله الحرام، وعسكروا حول المدينة المنورة، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣) ولما علم عثمان بأمر السبيين أرسل إليهم (علياً) يفاوضهم فسألهم علي رضي الله عنه ما تقومون من عثمان؟ فذكروا أشياء منها: أنه حمى الحمى (٤) وأنه حرَّق المصاحف وأنه أتم الصلاة في الحج وأنه وكى الأحداث، وأنه أعطى بني أمية أكثر من الناس فأجابه (علي رضي الله عنه) على أسئلتهم بما يأتي:

أما الحمى (فإتوا حماه عثمان بن عفان رضي الله عنه لإبل الصدقة لتسمن ولم يحمه لإبله ولا لعنمه وقد حماه عمر بن الخطاب (٥) رضي الله عنه قبله.

١- تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣/٤

٢- حكيم بن جبلة العدي، من بني عبد القيس: صحابي، كان شريفاً مطاعاً، من أشجع الناس. ولاد عثمان إمرة السند، ولم يستطع دخولها فعاد إلى البصرة. واشترك في الفتنة أيام عثمان. ولما كان يوم الجمل بين علي وعائشة أقبل في ثلاث مئة من بني عبد القيس وريعة، فقاتل مع أصحاب علي، وقطعت رحله فأخذها وضرب بها السدي قطعها، فقتله بها، وبقي يقاتل علي واحدة ويرتجز: يا ساق لن تراعي إن معي ذراعي أحمي لما كراعي، ونزف دمه، فجلس متكئاً على الفتول الذي قطع رحله، فمر به فارس، فقال: من قطع رحلك؟ قال: وسادي! وقل في هذه الورقة سنة ٣٦ هـ. والإصابة: ٦٤/٢.

٣- طبقات ابن سعد ٤٩/١

٤- حمى الحمى: أي منع الرعي في المرعى لغير إبل الصدقة.

٥- عمر بن الخطاب: عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأبى المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، بضرب بعدله المثل. كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرفهم، وله السفارة فيهم، يتأفر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره. وهو أحد العمرين اللذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يعز الإسلام بأحدهما. أسلم قبل الفجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وقال عكرمة: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. وكانت له تجارة بين الشام والحجاز. وبوع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة ١٣ هـ بعهد منه. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة. حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منسرف في الإسلام. وهو أول من وضع للعرب التاريخ المحجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع. واتخذ بيت مال المسلمين، وأمر-

ونسأله من هو أضعف منه ونخلو بما نريد، فنظير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر !
ثم خرجوا شاكين إلى عثمان عمرو بن العاص^(١)، و مستعفيه منهم ومطالين بساين أبي
السرْح^(٢) مكانه، فأقره على الخراج وترك عَثْرًا على الصلاة، ثم أوقفوا بين عمرو وعثمان بن
أبي السرْح، حتى كتب كل واحد منهما ما بلغه إلى عثمان فجمع مصر كلها إلى ابن أبي
السرْح^(٣).
وبعد هذا عمت مصر ظاهرة جديدة، هي التأليب على الإطاحة بعثمان رضي الله عنه
وأرضاه^(٤).

كل ذلك بإعداد من ابن سبأ الذي قام بعد ذلك بالإعداد للإطاحة بالخليفة عثمان بن
عفان رضي الله عنه في عقر داره؛ فرحف على المدينة تحت ستار أداء فريضة الحج بعد أن
أشاع هو وأعوانه في الأمصار، وبخاصة في مصر: أن الصحابة بالمدينة كتبوا إليهم أن أقدموا

١ - عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله: فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهساقم وأولي
الرأي والحزم والمكيدة فيهم. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. وولاه النبي صلى
الله عليه وسلم إمرة جيش ذات السلاسل وأمدد بأبي بكر وعمر. ثم استعمله على عمان. ثم كان من أمراء الجيوش
في الجهاد بالشام في زمن عمر. وهو الذي افتتح قيسرين، وصالح أهل حلب ومنيح وأنطاكية. وولاه عمر فلسطين،
ثم مصر فافتتحها. وعزله عثمان. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية، فولاه معاوية على مصر
سنة ٣٨ هـ، وأطلق له خراجها ست سنين فجمع أموالا طائلة. وتوفي بالقاهرة سنة ٤٣ هـ. أخباره كثيرة. وله في
كتب الحديث ٣٩ حديثاً. الاستيعاب، هامش الإصابة: ٥٠١/٢. والإصابة: ٥٨٨٤. وتاريخ الإسلام، للذهبي: ٢/

٢٣٥/
٢ - عبد الله بن سعد بن أبي سرْح القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي، من قريش: فاتح إفريقية، وفارس بني
عامر. من أبطال الصحابة. أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها. وكان من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم
وكان على ميمنة عمر بن العاص حين افتتح مصر. وولي مصر سنة ٢٥ هـ، بعد عمر بن العاص، فاستمر نحو ١٢
عاماً، زحف في خلالها إلى إفريقية بجيش فيه الحسن والحسين ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعقبة بن نافع. ولحق
بهم عبد الله بن الزبير. فافتتح ما بين طرابلس الغرب وطنجة، ودانت له إفريقية كلها. وغزوا الروم بجراً، وظفر بهم
في معركة ذات الصواري سنة ٣٤ هـ، وعاد إلى المشرق. ثم بينما كان في طريقه، بين مصر والشام، علم بمقتل عثمان
وأن علياً أرسل إلى مصر والياً آخر هو قيس بن سعد بن عبادة فتوجه إلى الشام، فاصدا معاوية، واعتزل الحرب بينه
ورين علي بصفتين ومات بمسقلان فحاة سنة ٣٧ هـ، وهو قائم بصلي.
أسد الغاية: ١٧٣/٣ وابن عساکر: ٤٣٢/٧. والبدایة والنهائة: ٢٥٠/٧.

(٣) تاريخ الإسلام ١٢٣/٢

(٤) البدایة والنهائة لابن كثير ١٧٠/٨

فالتبعوا بإجاباته، ثم أمرهم علي رضي الله عنه بالرجوع عن المدينة فخرجوا عنها، لكن عادوا مرة أخرى وأحاطوا بالمدينة وتجمع جمهورهم عند دار عثمان وقالوا للناس: من كف يده فهو آمن، فكف الناس أيديهم ولزموا بيوتهم^(١).

وقد ذهب إليهم (علي) مع نفر من الصحابة فقال لأهل مصر: ما ردكم بعد ذهابكم؟ فقالوا: وجدنا مع بريد كتاباً إلى والي مصر من الخليفة يأمره بقتلنا، وقال أهل الكوفة وأهل البصرة: جئنا لنصر أصحابنا. فقال الصحابة: كيف علمتم بذلك من أصحابكم وقد افرقتهم عنهم وصار بينكم مراحل؟ إن هذا أمر اتفقت عليه

فأجابهم الثائرون: احمولوه على ما أردتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعترلسا ونعسن نعترله، يعنون بذلك النزول عن الخلافة! ثم أقبلوا على عثمان رضي الله عنه، فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا، فقال: إنهما اثنان، إما أن تقيموا رجلين من المسلمين

يشهدان أو يجيئ بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت، وقد يكسب الكتاب على لسان الرجل ويُنقش الخاتم على الخاتم. فلم يقبلوا منه وحاصروه في بيته أربعين يوماً ومنعوا عنه الماء حتى أشرف هو وأهل بيته على الهلاك عطشاً^(٢).

ليبقى ثلة من الصحابة وبعض أبناء الصحابة يدافعون عن عثمان ولكنهم تكاثروا عليهم وحرقوا الباب واقتحموا الدار وقتلوه رضي الله عنه، ظلماً وعدواناً وهو يقرأ القرآن، فسالت دماؤه الطاهرة على المصحف الشريف، وقتلوا بعض غلمانهم وانهبوا ما وجدوه في الدار من متاع، وما على النساء من حلي، واستولوا على ما وجدوه في بيت مال المسلمين، ودُفن عثمان رضي الله عنه ليلاً على يد نفر قليل من الصحابة وهم في حالة كبيرة من الخوف والفرع^(٣).

يروى الربيع بن مالك بن عامر عن أبيه قال: (كنت أحد حملة عثمان رضي الله عنه حين قتل، حملناه على باب، وإن رأسه لتقرع الباب لإسراعنا به، وإن بنا من الخسوف لأمرراً عظيماً حتى واريناه قبره فكان قتله رضي الله عنه خساراً للمسلمين ومصيبة عظيمة، حيث لم يخطر ببال الصحابة رضي الله عنهم أن يقتل ولكن ظنوا أن الخوارج الذين حاصروه أعتبوه في شيء، وأن الأمر يؤدي إلى تسكين وسلامة)^(٤)

١ - تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣٥٤/٤ والبداية والنهاية لابن كثير ١٨١/٨.

٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣٥٤/٤ والبداية والنهاية لابن كثير ١٨١/٨

٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٨٢/٨

٤ - تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣٥٦/٤.

وأما المصاحف فإنما حرِّق ما وقع فيه اختلاف، وأبقى لهم المتفق عليه السدي ثبت في
العرضة الأخيرة.

وأما إتمامه الصلاة بمكة.. فإنه كان قد تأهل بما ونوى الإقامة فأتم الصلاة.
وأما تولية الأحداث فلم يُؤَلَّ إلا رجلاً عادلاً وقد ولى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد^(١)
على مكة وهو ابن عشرين سنة، وولى أسامة بن زيد بن حارثة^(٢) وقد طعن الناس في إمارته.
وأما إثارة بني أمية.. فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قريشاً على الناس.
فاقتنعوا بإجابهاته، ثم أمرهم علي رضي الله عنه بالرجوع عن المدينة فخرجوا عنها، لكن

= بناء البصرة والكوفة فنيئا. وأول من دون الدواوين في الإسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لإحصاء أصحاب
الأعطيات وتوزيع المرتبات عليهم. وكان يطوف في الأسواق منفرداً. ويقضي بين الناس حيث أدركه الحضور.
وكتب إلى عماله: إذا كنتم في فابدؤوا بانفسكم. وروى الزهري: كان عمر إذا نزل به الأمر المفضل دعا الشبان
فاستشارهم، يعني حدة عقولهم وله كلمات وحظب وسائل غاية في البلاغة. وكان لا يكاد يعرض له أسير إلا
أنتد فيه بيت شعر. وكان أول ما فعله لما ولي، أن رد سبائهم أهل الردة إلى عشائريهم وقال: كرهت أن يسير
السي سبة على العرب. وكانت الدراهم في أيامه على نقش الكسروية، وزاد في بعضها الحمد لله وفي بعضها لا إله
إلا الله وحده وفي بعضها محمد رسول الله. له في كتب الحديث ٥٣٧ حديثاً. وكان نقش خاتمه: كفى بسالموت
واعظاً يا عمر لقمه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق، وكانه بأبي حفص. وكان يقضي على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم. قالوا في صفته: كان أبيض عاجي اللون، طولاً مشرفاً على الناس، كث المنحية، أنزع منحسر
الشعر من جانبي الجبهة يصغ لحنيه بالحناء والكنتم. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة غيلة، بختنجر
في خاصرته وهو في صلاة الصبح سنة ٢٣هـ. وعاش بعد الطغمة ثلاث ليال. أفرد صاحب أشهر مشاهير الإسلام
و ثلاث مئة صفحة، لترجمته. ابن الأثير ١٩٠/٣ والطبري ١٨٧/١ - ٢١٧، الإصابة: الترجمة ٥٧٣٨ وصفة
الصفوة ١٠١/١، حلية الأولياء ٣٨/١.

١ - عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ابن عبد شمس، أبو عبد الرحمن: وال أمرى قرشي مكبي، من الصحابة.
كان شجاعاً عاقلاً، من أشرف العرب في صدر الإسلام. أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم
عليها عند خروجه إلى حنين سنة ٨هـ وكان عمره ٢١ سنة. وأقره أبو بكر، فاستمر فيها إلى أن مات، يوم مات
أبو بكر. الإصابة، ت ٥٣٩٣ وتاريخ الإسلام للذهبي: ٣٨٠/١ وشذرات: ٢٦/١.

٢ - أسامة بن زيد بن حارثة، من كتانة عوف، أبو محمد: صحابي جليل. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام لان أباه
كان من أولي الناس إسلاماً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجبه حياً جماً وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن
والحسين. وهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأمره رسول الله، قبل أن يبلغ العشرين من عمره، وكان
مظفراً موقفاً. ولما توفي رسول الله رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن،
الزرة، وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالحرف، في آخر خلافة معاوية سنة ٥٤هـ. له في كتب الحديث
١٢٨ حديثاً. وفيات الأعيان: ٦٢/١ وتحذيب التهذيب: ٢٠٢/١ وصفة الصفوة: ٢١٠/١

و عن أبي بكر^(٢) رضي الله عنه قال: (لئن أخرج من السماء إلى الأرض أحب من أن أشرك في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه)^(٣).

قال ابن الزبير^(٤) رضي الله عنه: (لُغِتْ قِتْلَةُ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجُوا عَلَيْهِ كَاللصُّوَصِ مِنْ وَرَاءِ الْقَرْيَةِ، فَقَتَلَهُمُ اللَّهُ كُلَّ قِتْلَةٍ، وَبِهَا مِنْ بِنَاهَا مِنْهُمْ تَحْتَ بَطُونِ الْكُوكَابِ يَعْنِي هَرَبُوا لَيْلًا وَأَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا غَائِبِينَ وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْحَاضِرِينَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَهْمَ يَرِيدُونَ قِتْلَةَ حَتَّى قَتَلُوهُ.

وقال كنانة مولى صفية: (كنت أقود بصفيحة، لترد عن عثمان فلقيها الأشر فضرب وجه بعثتها حتى (مالت) فقالت: ردوني ولا يفضحي هذا الكلب، ولما أحفقت في الوصول إلى دار

- فقل ابنك يا ربعي؟ فقال ربعي: ما في البيت، والله المستعان! فقال الحجاج: قد عفونا عنهما لسعدك! فذهب ابن عساكر: ٢٩٧/٥. وقذهب التهذيب: ٢٣٦/٣ وابن حلكان: ١٨٦/١ وحلية الأولياء: ٣٦٧/٤.

١ - أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة: صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر، فأسلم سنة ٧ هـ، ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي. وولي إمارة المدينة مدة. ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه لئن العريكة مشغولاً بالعبادة، فعزله. وأراده بعد زمن على العمل فأبى. وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة ٥٩ هـ. وكان يفتي، وقد جمع شيخ الإسلام تقي الدين السبكي حرماً سمي فتاوى أبي هريرة فذهب الأسماء واللغات ٢: ٢٧٠ والإصابة: الكشي ١١٧٩ ٨ وصفة الصفوة: ٢٨٥/١ وحلية الأولياء: ٣٧٦/١.

٢ - أبو بكر التقي: نفع بن الحارث بن كلدة التقي، أبو بكر: صحابي، من أهل الطائف له ١٣٢ حديثاً. توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ. وإنما قيل له أبو بكر لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وهو ممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأبام صفيان توفي سنة ٥٢ هـ. فذهب التهذيب: ٤٦٩/١٠ والإصابة: ت ٨٧٩٥ وخلاصة تذهيب الكمال: ٣٤٦.

(٣) تاريخ الأسم والملوك، للطبري، ٤١٤/٤.

٤ - عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبيع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ، عقب موت يزيد بن معاوية، فحكم مسمر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الامويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه الحجاج التقي، في أيام عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج في الطائف. ونشبت بينهما حروب أذى المؤرخون على تفصيلها انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة سنة ٧٣ هـ، بعد أن خذله عامة أصحابه وقتل الأبطال، وهو في الثمانين. وكان من خطباء قريش المعدودين، يشبه في ذلك بأبي بكر. مدة خلافته تسع سنين. ابن الأثير: ١٣٥/٤ وما قبلها. وفوات الزفيات: ٢١٠/١ وحلية: ٣٢٩/١ وصفة الصفوة: ٣٢٢/١.

ولهذا كان موقف الصحابة رضي الله عنهم من الفتنة ومن الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه واضحاً فقد روي في تاريخ الرُّسل أن علياً رضي الله عنه حين أتاه الخبير بمقتل عثمان : قال رحم الله عثمان وخلف علينا بخير، وقيل : ندم القوم فقراً : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) .

وفي رواية الإمام الطبري رحمه الله (عن عائشة رضي الله عنها كان الناس يتجنون على عثمان رضي الله عنه ويذرون على عماله ويأتوننا فيستشيروننا فيما نخبروننا عندهم، ويسرون حسناً منه كلامنا في صلاح بينهم، فنظر في ذلك فنجدته بريئاً تقياً وقيماً ونجدهم فحسرة كذبة يحاولون غير ما يظهرون، فلما قفوا على المكاشرة كساؤوه فساقطحوا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والبلد الحرام بلا تره)^(٢) .

وروي البخاري عن طلق بن خثُاف قال : (قلت لعائشة : فيم قتل أمير المؤمنين عثمان ؟ قالت : قتل مظلوماً، لعن الله قتلته)^(٣) .

وقالت أم سليم الأنصارية^(٤) رضي الله عنها لما سمعت بقتل عثمان رضي الله عنه : (رحمه الله، أما إنه لم يخلعوا بعده إلا دماً) .

وعن أبي مرجم^(٥) قال (رأيت أبا هريرة^(٦) يوم قتل عثمان وله ضفيرتان وهو ممسك بمسما وهو يقول : (قتل والله عثمان على غير وجه الحق) .

(١) سورة الحشر: ١٦ .

٢ - تاريخ الأسم والملوك للطبري ٣٥٤/٤ .

٣ - التاريخ الصغير (٩٥/١) .

٤ - الرميضاء أو الغميصاء بنت ملحان ابن خالد بن زيد بن حرام، من بني النجار، وتعرف بأبى سليم : صحابية، قال أبو نعيم في رصفها : الطاعة بالحناجر في الوقائع والحروب وهي أم أنس بن مالك. وقتل زوجها مالك بعد ظهور الإسلام، فأسلمت. وخطبها أبو طلحة زيد بن سهل وكان على الشرك بعيد وثنا من خشب، فحملت مهرها إسلامه، وأقنعه فأسلم. وكانت معه في غزوة حنين فشوهدت مع عائشة، مشمرتين تنقلان القرب وتفرغافسا في أفواه المسلمين، والحرب دائرة، وترجعان فتملاهما. وشوهدت قبل ذلك، يوم أخذ تسقي العطشى، وتنادي الجرحى كما يقول ابن سعد معها خنجر. وأخبارها كثيرة توفيت سنة ٣٠هـ. حلية الأولياء لأبي نعيم: ٥٧/٢. وفي صفة الصفوة: ٣٥/٢ الغميصاء طبقات ابن سعد: ٣١٠/٨ .

٥ - ربيعي بن حراش بن ححش بن عمرو العيصي، أبو مرجم : تابعي مشهور. من أهل الكوفة. ثقة في الحديث. كان أعور. يقال إنه لم يكذب قط. وكان له ابان عصيا الحجاج بن يوسف، واحتفيا، فطلبه الحجاج وقال : ما -

ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعاً اعتقاداً منهم بأن قتلهم سيقتضي على الفتنة التي هددت وحدة المسلمين، وأحدثت شرخاً كبيراً في الدولة الإسلامية . وقصة هؤلاء النفس كما يرويها الطبري بدأت حينما اجتمع عبد الرحمن بن ملجم^(١) والبراء بن عبد الله^(٢) وعمرو بن بكر التميمي^(٣) وعايبوا علي ولاتهم وذكروا أهل النسيه^(٤) فترحموا عليهم قائلين ما نضعه بالبقاء بعدهم شيئاً . إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة دينهم

١ - ابن ملجم عبد الرحمن بن ملجم المرادي التندولي الحميري : فانتك ثائر، من أشداء الفرسان. أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر، وقرأ على معاذ بن جبل فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة. ثم شهد فتح مصر وسكنها فكان فيها فارس بني تندر. وكان من شيعة علي بن أبي طالب وشهد معه صفين. ثم خرج عليه، فانفق مع البرك و عمرو بن بكر على قتل علي، ومعاوية، وعمرو بن العاص، في ليلة واحدة ١٧ رمضان وتعهد البرك بقتل معاوية، وعمرو بن بكر بقتل عمرو بن العاص، وتعهد ابن ملجم بقتل علي، ففقد الكوفة واستعان برجل يدعى شيبياً الأشجعي، فلما كانت ليلة ١٧ رمضان كمننا خلف الباب الذي يخرج منه علي للصلاة الفجر، فلما خرج ضربه شيب فأحطاه، فضربه ابن ملجم فأصاب مقدم رأسه، فهبط من في المسجد، فحمل عليهم بسيفه فأرجموا له، وتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة رمى بها عليه وحمله وضرب به الأرض وقعد على صدره. وفر شيب. وتوفي علي من أثر الجرح. وفي آخر اليوم الثالث لوفاته أحضر ابن ملجم بين يدي الحسن فقال له : والله لأضربنك ضربة تؤدبك إلى النار. فقال ابن ملجم : لو علمت أن هذا في يدك ما اتخذت إفا غيرك ! ثم قطعوا يديه ورجليه، وهو لا يتفك عن ذكر الله. فلما عمدوا إلى لسانه شق ذلك عليه، وقال : وددت أن لا يزال فمي بذكر الله رطباً. فأجهزوا عليه، وذلك في الكوفة. وقيل : أحرق بعد قتله. ابن سعد: ٢٣/٣ وابن الأثير : مقتل علي .. ولسان الميسران: ٤٣٩/٣ النجوم الزاهرة: ١٢٠/١.

٢ - البراء: الحجاج بن عبد الله، من بني سعد بن زيد مناة، من قميم، المعروف بالبراء : ثائر، من أهل البصرة كان أول من عارض في التحكيم لما سمع بذكر الحكيم بين علي ومعاوية فقال : لا حكم إلا لله، وحسب علي الفريقتين. ثم كان أحد الثلاثة الذين اتفقوا على قتل علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص في يوم واحد. وضمن قتل معاوية، فذهب وكمن له، حتى خرج يريد الصلاة، فضربه، فأصاب إتيته ولم يقتله، فقبض عليه معاوية وقتله الحجاج النفقي سنة ٤٠ هـ الكامل للمبرد: ١٣٢/٢ و ١٣٦ وابن الأثير: ١٥٧/٣ .

٣ - عمرو بن بكر التميمي : أحد الثلاثة الذين اتهموا بعلي ومعاوية وعمرو بن العاص ليقتلوه ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ وكان عمرو بن بكر قد تعهد بقتل عمرو بن العاص بمصر، فكمن له تلك الليلة، فلم يخرج ابن العاص لمغص في بطنه، وخرج للصلاة عوضاً عنه صاحب شرطته حارثة ابن أبي حبيبة العامري فشد عليه عمرو بن بكر، فقتله، فاجتمع الناس حوله فقبضوا عليه وساقوه إلى عمرو بن العاص، فلما رآه عمرو بن بكر قال : من هذا ؟ فقالوا : عمرو بن العاص. قال : فمن قتل ؟ قالوا : حارثة. فقال : أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك ! فقال ابن العاص : أردتني وأراد الله حارثة ! ثم قتله سنة ٤٠ هـ. ابن الأثير : حوادث سنة ٤٠ هـ - يقصد معركة النهروان بين علي والحوارج.

عثمان، وضعت خشباً بين سطح منزلها وسطح منزل عثمان رضي الله عنه - وكانت جاره - لنقل الطعام والشراب) (١).

فهذا يدلنا على هذا الموقف الخمج عليه من الصحابة رضي الله عنهم في استنكارهم لهذا الحدث المفجع الذي وقع من أولئك المتطرفين الذين استحلوا دم خليفة المسلمين وقتلوه وهو يقرأ القرآن الكريم ظلماً وعدواناً، فكان موقف الصحابة رضي الله عنهم موقف المستنكر لهذا التصرف وأن العنف لا ينتهي عند حد فقد كان هذا الانحراف الفكري لدى أولئك المتطرفين الجذر والسبب الرئيس في إسالة دم الخليفة الراشد الثالث وهم يظنون أنهم يسودون عبادة ويفعلون قربة نعوذ بالله من الضلال ،،

فكان فعلهم الشرارة الأولى لتأسيس التطرف والعنف، وللحديث عن هذا الجذر امتداد في مقتل علي بن أبي طالب عليه السلام .

ب - مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

عُظمت المصيبة بكل ما تحمله الكلمة من مرارة وآسى في مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي رأى التطرف والعنف بعينه أثناء خلافة عثمان وأراد بكل ما أوتي من حكمة ودراية إخماد الفتنة وجمع شمل المسلمين ووحدة الأمة الإسلامية على عثمان بن عفان لكن قُتل ولم يستطع ردهم ولا منعهم حتى تولى الخلافة هو بنفسه فجد واجتهد وسعى إلى وأد الفتنة التي بدأت بوادرها تظهر بين المسلمين من جديد، وذلك حينما طالب عدد من المسلمين من علي رضي الله عنه أن يقتص من قتلة عثمان رضي الله عنه هنا خاف من العاقبة وشعرها أن يكون الاقتصاص من هؤلاء سبباً في إشعال فتنة جديدة تضر بالمسلمين وتؤثر في وحدتهم، لكنه قدر الله الذي لا مرد له إلا هو فاشتعلت الفتنة من مجموعة من الخوارج الذين كانوا يظهرون الولاء لعلي رضي الله عنه والغيرة على الدين والحمة للشيعة لكنهم في الواقع كانوا يتقنون في باطن أمرهم ولاية قريش، فنتج عما سعى إلى به هؤلاء الخوارج من إشاعات وأباطيل وإشارة للاضطرابات أن وقعت بين المسلمين معارك منها وقعة الجمل وصفين والتي كانت بين كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما فلما شعر علي رضي الله عنه بتأثير هؤلاء الخوارج في وحدة الأمة الإسلامية حاربهم في مواقع كثيرة حتى أخذ شوكتهم وقضى على معظمهم بكل قوة وحزم ودون تردد لكن لم يترك بقايا الخوارج الأمر فقام نفر منهم بالتحطيط لقتل علي

(١) الأقوال كلها في تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ٤/٤١٤، بصرف.

والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قلوبهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا فقال ابن ملجم: (أنا أكفيكم علي بن أبي طالب) وكان من أهل مصر وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة^(١) فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال نكثتلك أمك لقد جئت شيئاً إداً كيف تقدر علي بن أبي طالب قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال: ويحك لو كان غير علي لكان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع النبي ﷺ، وما أجدني أنشرح لقتله قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهروان الصالحين، قال: بلى قال: فقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابته . فذهبا في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها علي رضي الله عنه وجلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف ووقع سيفه بعضادة الباب أو الطساق وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف فقتل علي رضي الله عنه يوم الجمعة سحراً . وذلك لسبع عشرة خلعت من رمضان سنة أربعين من الهجرة^(٢).

قالت عائشة بنت الصديق رضي الله عنها لما بلغها موت علي رضي الله عنه: (لتصنع العرب ما شاءت، فليس لها أحد ينهاها)^(٣).

ونقل جرير^(٤) عن مغيرة^(٥) أنه قال: لما جاء نعي علي بن أبي طالب إلى معاوية وهو نائم مع امرأته فاختة بنت قرظة في يوم صائف، جلس وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وجعل

١ - شبيب بن بجرة الأشعبي: خارجي من أهل الكوفة. اشترك مع عبد الرحمن ابن ملجم في مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سنة ٤٠ هـ في الكوفة. ضربه بالسيف أولاً، وتلاه ابن ملجم، فكانت ضربة هذا في وسط رأسه. وأكثر المؤرخين على أن شبيباً هرب في غمار الناس بعد جرحه أمير المؤمنين، واختفى أثره. الكامل لابن الأثير: حوادث سنة ٤٠ وأعيان الشيعة ٣/ ٥٦٨ وتاريخ الإسلام للذهبي: ٢/ ٢٠٦.

٢ - تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ٤/ ٤١٤.

٣ - المصدر السابق، ٤/ ٤١٦.

٤ - جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلي البربري، من قميم: أشعر أهل عصره. ولد مسات في البصرة. وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويسأحلهم وكان هجاءاً مرا فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل. وكان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً توفي سنة ١١٠ هـ. الأغاني: أول المجلد الثامن، من طبعة دار الكتب ووفيات الأعيان: ١/ ١٠٢ والشعر والشعراء: ١٧٩ وخزانة البغدادي: ٣٦/١.

٥ - المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادهم وولا لهم. صحابي. يقال له مغيرة الرأي. ولد في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الإسكندرية -

بيكي، فقالت : ويحك فقال: إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره^(١)

لقد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين وأول من أسلم من العلمان دون البلوغ علي أيدي الخوارج ولم يلتفتوا إلى مكانته وفضله في الأمة فهو أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً لرسول الله ﷺ وهو الذي صحب رسول الله ﷺ مدة إقامته بمكة مقيماً في منزله وتمت كفالته، وصحبه بعد ذلك وحضر المشاهد كلها وله مواقف شريفة في بدر وأحد والأحزاب وغيرها، حتى توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض وقد شهر الرسول بجه ولسوله وبحب الله ورسوله له، وزوجه ربحاته وأعلن أنه لا يجه إلا مؤمن ولا يغيضه إلا منافق، قتلته الخارجي ابن ملجم وضربه بسيف الغدر قتله تقريباً إلى الله تعالى بزعمه وزعم الخوارج لأنه قد كفر بالله العظيم حسب تأويلاتهم وفقههم، لقد كانت مؤامرتهم أعظم من ذلك، لقد أردوا قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص ووصفوهم بأنهم لأئمة الضلال ورؤوس الكفر وأن في قتلهم راحة البلاد والعباد وقرية إلى الله تبارك وتعالى بزعمهم وأقسم إن ظفروا بذلك فقد حازوا شرف الدنيا والآخرة لذلك كان ابن ملجم حين ضربه لعلي يقول ويردد بأعلى صوته

(لا حكم إلا الله) وها هم الخوارج يمدحون القتائل ويعظمونه لجليل فعله بزعمهم فقد قال شاعرهم ابن حطان^(٢) :

ـ وافداً على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ، فأسلمه. وشهد الحديبية والبيعة وفتح الشام. وذهبت عينه بالرموك. وشهد القادسية وهاوند وهدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات سنة ٥٠ هـ. قال الشعبي : دهاء العرب أربعة : معاوية للأناة، وعمرو بن العاص للمعضلات، والمغيرة للدهية، وزباد بن أبيه للصغير والكبير. وللمغيرة ١٣٦ حديثاً. الإصابة : ت ٨١٨١ وأسد الغابة ٤/٤٠٦ والطبري ٦/١٣١.

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ٤/٤١٤.

٢ - حطان بن طيبان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سناك : رأس القعدة، من الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم. كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث، من أهل البصرة، وأدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم، وروى أصحاب الحديث عنه. ثم لحق بالشراة، فطلبه الحجاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك بن مروان، فرحل إلى عسنان، فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه، فلجأ إلى قوم من الأزد، فمات عندهم إباحياً. وإنما عد من قعدة الصفرية لأنه طال عمره وضعف عن الحرب فاقصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه. وكان شاعراً مقلداً كثيراً، وهو =

٢١٨ هـ في خلافة المأمون واستمرت في خلافة المعتصم وانتهت بعد خلافة الواثق في دولة بني العباس، وقد تعرض فيها علماء أهل السنة لعذاب شديد كان بعده الفرج والرفعة في الدنيا والآخرة^(١).

من هذا المنطلق وبعد الدراسة التحليلية السابقة.. أجدني أقول بأن أفكار الخوارج ومعتقداتهم كانت من أبرز مظاهر التطرف الديني في التاريخ الإسلامي.. ولكن السؤال الأهم هنا: ما هي المقارنات والمقاربات بين فكر الخوارج في السابق.. وظاهرة التطرف المعاصر، وهل تصح أساساً هذه المقارنة؟

نقول: الخوارج كلمة تطلق على تلك الفرقة التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمرقوق من الدين، وتميزت بالتطرف والغلو والإفراط والشطط كما تميزت بالاندفاع والتهور والقابلية السريعة للتمزق والاشتعال وما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أفسسهما.

روى أبو سعيد الخدري^(٢) في قصة الرجل الذي اعترض على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه: (ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله، يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله: «إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»^(٣).

فمن صفاتهم إذن: أنهم لا يفهمون القرآن، وهو لا يصل إلى حلوقهم فضلاً عن أن يصل إلى القلوب، وعدم فهمهم للقرآن يجعلهم يأخذون آيات نزلت في الكفار فيحملونها

١ - البداية والنهاية مقتل علي بن أبي طالب ١٧٨/٤.

٢ - أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثني عشرة غزوة، وله ١١٧٠ حديثاً. توفي في المدينة سنة ٧٤ هـ. كذيب التهذيب: ٤٧٩/٣ وصفة الصفوة: ٢٩٩/١ وابن عساکر: ١٠٨/٦ وحيلة الأولياء: ٣٦٩/١.

(٣) رواد البخاري: ٢١/٩ كتاب استنابة المرتدين والمعاندین، ومسلم: ٧٤١/٢ كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى السيرة عند الله ميزانا
هذا فقههم وهذا دينهم الذي ينخر في الأمة ويمرق وحدثها ويشغلها بنفسها عن الدعوة
إلى دين الله ونشره في الآفاق بين عباد الله^(١).

ولهذه لما قتل علي رضي الله عنه أخرج ابن ملجم ليقطع قطع عبد الله بن جعفر يديه
ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه بمسماز عمي فلم يجزع، فجعل يقرأ أقرأ باسم
ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق حتى ختمها وإن عينيه لتسيلان فعولج على قطع لسانه
فجزع فقيل له لم تجزع؟ فقال: أكره أن أكون في الدنيا مواتاً لا أذكر الله وكان رجلاً أسمر في
جبهته أثر السجود^(٢).

إن التاريخ حافل بمؤامرتهم وحروبهم وخروجهم على أئمة الإسلام ونزع يد الطاعة
وتأليب الناس عليهم وإشاعة الفوضى وزعزعة الأمن وإثارة الفتن في الأمة الإسلامية، فلهم
شغلوا خلفاء بني أمية بالحروب الداخلية وهم سفكوا دماء المسلمين ونهبوا أموالهم وهتكوا
أعراضهم في شرق البلاد وغربها، لقد انشغلت الدولة بهم شغلاً عظيماً أنساهم عن الفتح
والجهاد في النفور الإسلامية وغيرها، وكما فعلوا مع خلفاء بني أمية فعلوا مثله وأكثر مع خلفاء
بني العباس، كل ذلك وهم يتقربون بقبائحهم تلك إلى الله تعالى بزعمهم، وما دخلوا يوماً تحت
سلطان وطاعة الحكام والأمراء والخلفاء ولم يعتقدوا لهم بيعة وطاعة في دين الله وما ذلك إلا
لاعتقاد أنهم كفار خارجون عن دين الله فلا طاعة لهم ولا ولاية لأحد عليهم من المخالفين لهم
في عقائدهم وأفكارهم تلك.

وإن محنة القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل والتي تولي كبرها في الأمة
المعتزلة المعطلة محنة عظيمة يصفها الإمام ابن كثير رحمه الله بقوله: (ووقعت فتنة صماء ومحنة
شعواء وداهية دهماء فلا حول ولا قوة إلا بالله) وقد ابتدأت هذه المحنة والفتنة من سنة

- انقائل من قصيدة :

حين مني لا ترى عدلاً تعيش به ولا ترى لدعاة الحق أعوانا
الإصابة : الترجمة ٦٨٧٧ والكامل للمرد: ١٢١/٢ وميزان الاعتدال: ٢٧٦/٢.
(١) البداية والنهاية مقتل علي بن أبي طالب ١٧٨/٤.
(٢) تليس إبليس ص ٥.

وعندما قيل لهم عودوا إلى طاعة أمير المؤمنين ولا تشقوا عصا الطاعة قالوا: (إذا جئتمونا بمثل عمر فعلنا).^(١)

ولما لم يأتم أحد بمثل عمر اختاروا لإمرة المؤمنين عبد الله بن وهب الراسبي.^(٢)
وهو أعرابي (يوال على عقبيه، ولا سابقة له ولا صحبة، ولا فقه ولا شهد الله له بخير).^(٣)
ظاهرة التكفير عند الخوارج:

لعل أبرز ما يميز هذه الطائفة هو تكفير مخالفيهم، فقد اشتطت وغلت في النظر لمرتكب الكبيرة، وتشعب بها الخلاف في أحكام التكفير حتى كفر بعض فرقها بعضاً!!
ليس هذا فحسب، بل إن الرزية كل الرزية أن مرتكب الكبيرة عندهم ليس هو الزاني والسارق، وغيرهما من عصاة الأمة، وإنما هو علي وعثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأمثالهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فالحكم على هؤلاء بالكفر هو أصل عقيدة الخوارج، وحادثة التحكيم هي السيئ أثار ذلك.

ومن ثم برزت عندهم قضية (الدار) وأصبح من أصول الأزارقة^(٤) المميّزة لهم (أن كل كبيرة كفر، وأن الدار دار كفر - يعنون دار مخالفيهم - وأن مرتكب الكبيرة يخلد في النار أبداً، وأن من أقام في دار الكفر فكافر لا يسعه الخروج).^(٥)
وخالفت فرق الخوارج بعضها بعضاً، وكفروا بعضهم كذلك.

(١) انظر الطبري: ج٥، ص٨٤. والفتح: ج١٢، ص٢٨٤.

٢ - عبد الله الراسبي عبد الله بن وهب الراسبي، من الأزد: من أئمة الإباضية. كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة وكان عجا في العادة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص. ثم كان مع علي في حروبه. ولما وقع التحكيم أنكره جماعة، فبهم الراسبي، فاجتمعوا بالنهروان بين بغداد وواسط وأمره عليهم، فقاتلوا علياً، وقتل الراسبي في هذه الواقعة سنة ٣٨ هـ. الكامل للمبرد: ١١٩/٢.

(٣) الفصل في المثل والأهواء والنحل: لابن حزم ج٤، ص١٥٧، طبعة مصر.

٤ - فرقة من الخوارج، تنسب لمؤسسها نافع بن الأزرق، أبي راشد الحنفي المتوفى سنة ٦٥ هـ، سيطرت على عمان واليمامة والأهواز وكرمان، من معتقداتهم: إسقاط الحدود التي لم يرد لها نص في القرآن الكريم، واعتبار أن مخالفيهم من المسلمين مشتركون يجب قتالهم واستباحة نساءهم وقتل أطفالهم، السامرائي، اللقيف ص ١٥٤.

(٥) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص٢١٥-٢١٦.

على المسلمين. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الخوارج: (لنم انطلقوا إلى آيات
نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين).^(١)

والوصف الثاني لهم في الحديث السابق: التكفير واستحلال الدماء (يقتلون أهل
الإسلام ويدعون أهل الأوثان).

وقد امتلأت صفحات تاريخ الخوارج بنماذج غريبة لعقيدتهم، ومنهجهم، فقد
يثورون ويحجسون من أجل إثبات قضية قد لا تكون ذات شأن، لكنهم يرون أن عدم
إثباتها كفر وضلال، فإذا ما تحقق لهم ذلك نكصوا وقالوا: قد كنا مخطفين، بل كافرين -
حين فعلنا ذلك فيثورون ويشتطون أشد من ذي قبل، من أجل إثبات إبطال ما أثبتوه
والراجع عما قرروه، ويرون ضد ذلك كفراً وليس ذلك فحسب بل كانت طوائفهم
تتهجم على بعضها ويكفرون بعضهم^(٢).

وهكذا كان تاريخ هذه الطائفة سلسلة من تضخم المواقف والاجتهادات
والتكفير، وقد تؤدي إلى سلسلة من الانشقاقات الجذرية والمفاصل الكاملة.

وقد ابتدأ أمرهم يوم (صيفين) حين قالوا لأمير المؤمنين علي عليه السلام أن تقبل
تحكيم كتاب الله وإلا فأنت كافر، فلما وافقهم كارهاً، قالوا: حكمت الرجال في دين الله
فأنت كافر لأنه لا حكم إلا الله).^(٣)

ولما رد عليهم بأنهم هم الذين أرغموه قالوا: لما رضينا بالتحكيم كنا كافرين،
والآن نتوب من الكفر، فإن شهدت على نفسك بالكفر وتبت عدنا إلى طاعتك فقال:
(أبعد إيماني بالله ورسوله وهجرتي وجهادي مع رسول الله أشهد على نفسي بالكفر، قد
ضلت إذن وما أنا من المهتدين).^(٤)

(١) انظر: فتح الباري: ٢٨٢/١.

٢ - الخوارج عقيدة سياسية، محمد أبو بكر الزايد ص ٧٤.

(٣) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: ص ٢٠١-٢٠٢.

(٤) انظر: تاريخ الطبري: ٨٣/٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، والفتح ٢٨٤/١٢.

بالتطرف عندما قال: (مستحيل، هذه الأحكام هي وليدة الزنانات والفقهاء البعيدين عن أي كتاب، إذ لم يكن مع الجميع كتاب واحد، حتى المصاحف كانت تصادر منا، وما توصل إليه الشباب، فهو اجتهاد يقوم على ما يحفظون من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم).^(١)

هذا وإن غالب الأفراد الذين ابتدءوا بالتطرف كانوا غير متخصصين في العلوم الشرعية، إذ لم يسبق لهم اطلاع على هذه الكتب، ولذلك عندما بين لهم من ناقشهم أن آراءهم موجودة في «الملل والنحل» للشهرستاني ونحوه من كتب الفرق.. قال بعضهم: بأنه لم يسمع بهذه الكتب، وقال آخرون: إنهم سمعوا بها ولم يروها.^(٢)

هذا وإن أهل التطرف والغلو في المراحل المتأخرة وخاصة المتصدرين منهم للقيادة ربما استفادوا من أفكار الخوارج بصورة ما.^(٣)

(وقد كان قادة التطرف يمتعون أتباعهم من قراءة كتب التاريخ وليس ثمة تفسير ظاهر لهذا إلا الخوف من معرفة تاريخ الخوارج وآرائهم المثبوتة في تلك الكتب).^(٤)

ومما بين أن آراءهم المتأخرة جاءت مطابقة لفكر الخوارج غلوسهم في تكفير مرتكب الكبيرة، وفي ذم المقلدين.

(إلا أن هذا بين لنا أن أثر الفرق القديمة على الغلاة والمتطرفين المعاصرين جاء تالياً ولاحقاً، فقد انحصر في إثراء تيارات التطرف والغلو وتأييد حججها، لا في إيجادها، إذ أن وجودها كان أثراً لعوامل أخرى).^(٥)

وإذا تبين هذا فإن سر التشابه بين آراء الخوارج وآراء المعاصرين يتضح في الجوانب التالية:

(١) المرجع السابق ص ١٢.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٣٢.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ٣٤.

(٤) الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو: محمد سرور زين العابدين، ص ٢٦٠، دار الأرقم ١٤٠٧هـ.

(٥) الغلو في الدين: الملوحيق، ص ١٠٠.

موقف أهل السنة والجماعة من تطرف الخوارج:

(إن القول بتخليد أهل الكباير في النار، لم يوافق أهل السنة قائله مسن الخوارج والمعتزلة، لأن هذا القول من بدعهم المشهورة وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، واتفقوا أيضاً على أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكباير من أمته).^(١)

(فالخوارج هم أول من كفر المسلمين بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله، وهذه حال أكثر أهل البدع، يتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها).^(٢)

وأهل السنة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله، فيتبعون الحق ويرحمون الخلق).^(٣)

وجاء في « شرح العقيدة الطحاوية » : (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ولا نشهد عليهم (أهل القبلة) بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله).^(٤) وستزيد الأمر تفصيلاً خلال حديثنا عن التكفير بالمعصية وتكفير المعين.

هل لجماعات التطرف المعاصر صلة بفكر الخوارج؟!

يبدو أن المعاصرين لم يستقوا أفكارهم من الخوارج وبعض فرق الشيعة وإنما (هو لون غريب من التوافق في التفكير أدى إلى النتائج عينها).^(٥) ويدل على ذلك أن هؤلاء المعاصرين نشأت أفكارهم وهم داخل السجون، ومسا كان من السهل أن يطلعوا على كتب الفرق القديمة. وهذا ما أشار إليه أحد المتسهمين

(١) الإيمان: لابن تيمية، ص ٢٠٩.

٢ - الخوارج عقيدة سياسية، محمد أبو بكر الزايد ص ٨٢.

(٣) الفتاوى: لابن تيمية، ج ٣/ص ٢٧٩.

(٤) شرح الطحاوية: ج ٢، ص ٤٣٢، ٥٣٩.

(٥) التكفير: حذوره، أسبابه، مبرراته، ص ٨، ص ١٢. د. نعمان السامرائي.

الجذور النفسية

قبل : المتسمّم يشعر ويبصر من خلال السموم التي تسري في كيانه، وهذا صحيح فمَن كان العقل يستقي الغذاء من مادة فاسدة، فلا عجب أن يمر صاحبه بجميع الحالات والأوضاع النفسية الفاسدة، لأن أقلّ تسمم يكفي لثقل الذهن وإشاعة الفوضى فيه، وإيجاد التشاؤم، والكآبة، والاخذال، والخوف... حيث إن المتطرف مختل النفس مختل الإرادة، ولا بد من أن تعب نفسه بتأثير التوتر الذي يحدثه فيها التطرف الذي يجيل له أنه ينمي ذاته ويقويها في مجتمعه، وهذا التعب أحياناً يأتي مسرعاً وأحياناً بطيئاً، ولكنه في الغالب يستحوذ على همته وصياغة ذاته، مما يسبب في النهاية تغيراً عنده يأتي على أشكال مختلفة، وأهم ما يميز شخصية المتطرف التروع الدائم للأطراف والزوايا وكسره الوسط والاعتدال.

ويبين بعض المختصين في علم النفس مظاهر التطرف وصفاته كالتالي:

المتطرف يحب العزلة المذمومة، الاكتمال قبل الأوان، الإحساس بدونية الآخرين التابعة من إحساسه الباطن بدونيته هو مما يدفعه للاستعلاء، العدوانية على الأقران كتكفيرهم أو على المجتمعات كإحراق المحلات ونسف المنشآت أو على العلماء وولاة الأمر كتكفيرهم والتقرب إلى الله بلعنهم والوقعة فيهم، الارتبابية، المثالية، الطاعة العمياء. المتطرف شخصية تستجيب لردود الأفعال حيث أن التطرف في أصله استجابة سلوكية يميل السلوك البشري عادة إلى الانطباع بما كانعكاس لعدد من العوامل الداخلية المتعلقة بصميم الحياة النفسية للفرد والحارجية المتعلقة بتأثير البيئة^(١).

وإن بروز ظاهرة التطرف بشكل واسع في العصر الراهن، بما لهذه الظاهرة من تشعبات وتجليات وإفرازات على الساحة العالمية والإسلامية بشكل ظاهر.. جعلت الباحثين يوجهون عنايتهم ودراساتهم في موضوع جذور التطرف النفسية.

منطلقين من سؤال هام مفاده: هل التطرف نابع من عوج في نفسية المتطرف؟ أو هو ناتج عن البيئة التي يعيش فيها؟ أو هو محض تأثير وقابلية للتأثر؟ وللإجابة على هذه الأسئلة اتخذت آراء الباحثين في مجملها إلى ما يلي:

١ - الأبعاد النفسية للمتطرفين، وائل الشوفي ص ١١٥.

١- تشابه المنهج الفكري للفريقين: إذ أن المنهج الفكري الذي استعمله الفريقان للوصول إلى الحقائق متشابه بدرجة كبيرة، وهذا ما يجعل الآراء في كثير من الأحيان تتشابه بل تتماثل.

٢- تشابه المناخ الفكري للفريقين: من حيث الجهل والتطور الفكري ويتضح ذلك الجهل (بقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، كما أن التطور الفكري للفريقين متقارب حيث بدأ التطرف بالتكفير ثم تطور إلى آراء متطرفة أخرى. فالمتطرفون المعاصرون كان مبدأ تطرفهم تكفير الحكام، ثم تطورت صور التطرف من خلال الممارسات العملية.

والخوارج رفعوا شعار: لا حكم إلا لله، ثم تكفير مخالفينهم واستباحة قتلهم وقتالهم، ومن خلال ممارستهم العملية تكونت لهم آراء عامة حول الإمامة ومرتكب الكسيرة... الخ^(١)

(١) المرجع السابق: ص ١٠٠-١٠١ بإيجاز وتصرف.

١- يرى بعض العلماء أن المتطرف ذو نفسية غير سوية وان التطرف متأصل فيه تأصل الآفات النفسية الأخرى^(١).

ويؤيد بعض الباحثين هذا الرأي، بل ويذهب إلى أبعد منه فيقول إن (دراسات وبحوث علم النفس والطب النفسي دلت على أن الشخصية المتطرفة شخصية مريضة، وان هناك خصائص عديدة مشتركة بين المتطرفين وبين مرضى العقل)^(٢).

وهناك عدد ضخم من البحوث التي تناولت الاتجاهات التعصبية في علم النفس في ارتباطها بسمات الشخصية، وهذه البحوث على الرغم مما وجه إليها من انتقادات تدعم الفرض القائل بأن هناك بناء أساسياً في الشخصية يساعد على نمو الاتجاهات التعصبية^(٣)^(٤). وهذا الرأي ذهب إليه بعض الباحثين الغربيين، وزاده توضيحاً- من وجهة نظره- بتحديد ملامح روح المتطرف، التي يمكن تطبيقها على (الأصوليين المسلمين) وأورد هذه الملامح مجملة فيما يلي:

- ١- العزلة.
- ٢- الاكتمال قبل الأوان.
- ٣- الدونية- الاستعلاء.
- ٤- الحركة- العدوانية.
- ٥- الفاشية.
- ٦- عدم التسامح.
- ٧- الارتيازية- الإسقاط.
- ٨- نظرة تأمرية.

١- ينظر محمد الغزالي، حذار من التدين المغشوش - ص ٤٢.

٢- سمير أحمد، محددات التطرف الديني في مصر، مجلة المستقبل - ص ١١٢.

٣- ينظر معتر عبد الله، الاتجاهات التعصبية، - ص ٢٦.

٤- يدرس علماء النفس جذور التطرف النفسية في بحوثهم ودراساتهم المتعلقة بالاتجاهات التعصبية، وتغشى الاتجاهات التعصبية الدينية باهتمام واضح في علم النفس الاجتماعي. وإن كان مفهومهم للتعصب الديني إنما ينصب على تعصب مجموعة دينية ضد مجموعة أو مجموعات دينية أخرى، ينظر (معتر عبد الله، الاتجاهات التعصبية- ص ١٨، ٤٨، ٥٢).

٩- المثالية- الإحساس بالواجب.

١٠- القسوة- الجرأة.

١١- الطاعة- الالتزام.^(١)

وهذه الملامح التي أوردتها مأخوذة من مقياس الفاشية الشهير في علم النفس، حيث قام مجموعة من أساتذة علم النفس من خلال اللجنة اليهودية الأمريكية بمحاولة فهم أسباب الاتجاهات المعادية للسامية، وطاعة الألمان المطلقة لهتلر^(٢)، وينظر هؤلاء الباحثون إلى التطرف أنه اضطراب في الشخصية يماثل تماماً مختلف المحاور المرضية النفسية الأخرى^(٣).

وترى جمهرة الباحثين أن التطرف هو انعكاس لأوضاع يعيش فيها الإنسان. يقول أحد الأساتذة المتخصصين في الدراسات النفسية: (إذا وجد الإنسان واقعاً لا يقبله فإنه يلجأ لا شعورياً إلى ردة فعل معاكس لهذا الواقع، وكلما كان الدافع قوياً كلما كان رد الفعل قوياً، بل وقد يؤدي على التطرف والعنف)^(٤).

ويقول د/ فؤاد زكريا: (٥) (ويجمل القول أن ما يسمى بالتطرف في عصرنا الحاضر هو في كثير من الحالات شخص لا يحمل تكويناً نفسياً يوجهه إلى التطرف، وإنما هو شخص يعتقد قضية ما، تؤثر على سلوكه وعلى اختياراته إلى حد قد يتعارض أحياناً مع تكوينه النفسي)^(٦). وإلى هذا الرأي يميل بعض الباحثين الغربيين فيقول: (إن سلاح

١- بنظر هاربر دكميجان، الأصولية في العالم العربي، ص ٥٨-٦٣.

٢- هو أدولف هتلر، زعيم الحزب النازي، ولد في ميونيخ عام ١٨٨٩م، وأنشأ مع مجموعة من زملائه حزب العمال الألماني الاشتراكي، انتخب رئيساً للبلاد وأشاع فيها الإرهاب وكان ذا نظرة عنصرية، قاد العالم إلى الحرب العالمية الثانية، بنظر الموسوعة العربية الميسرة- ص ١٨٩١-.

٣- بنظر معتر عبد الله، الاتجاهات التنصيرية- ص ١٨، ١٣٠، ١٣١.

٤- د. محمد شعلان، أستاذ ورئيس قسم الأمراض العصبية، جامعة القاهرة، لقاء بجمهورية الأخبار ١/٧/١٩٨٩م.

٥- هو الدكتور فؤاد زكريا، من أقطاب العلمانية المشهورين مهتم بنقد الصحوة الإسلامية المعاصرة من كتبه الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة كان يعمل أستاذاً في جامعة الكويت ومستشاراً لسلسلة عالم المعرفة التي تصدر في الكويت، عاد إلى مصر وتفرغ للتأليف والتدوين في منزله.

٦- مقدمة سيكولوجيا الإرهاب وجرائم العنف- ص ١٠-.

التكفير، أصبح واقعاً تحت التأثير الشديد للضغط الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي تعرض له بعض الجماعات من خلال المجتمع المصري^(١).

والذي يتبين للباحث من خلال دراسة ما كتب حول جذور التطرف النفسية يتلخص في النقاط الآتية:

أولاً- أن وجود خلل في التركيبة النفسية للمتطرف أمرٌ لا ينكر في الجملة ولكن لابد من ملاحظة ما يلي:

١- أن وجود الخلل في التركيبة النفسية شأن فردي. فكون فرد من المتطرفين ذو نفسية غير سوية لا يعي اطراد هذه القاعدة في كل المتطرفين، ولا أن التطرف نشأ في الجملة بسبب ذلك العوج.

٢- أن كثيراً من الاختلال النفسي عائد إلى الضغوط التي يتعرض لها الإنسان، والإنسان لا يولد معوج النفس بل تتشكل نفسيته بحسب التربية والظروف التي يتعرض لها.

٣- أنه قد توجد قابلية نفسية عند بعض المتطرفين حيث استجابوا للضغوط فتنتجت ردة الفعل (التطرف) وخصوصاً عند فئة الشباب، إذ أنهم أكثر فئات المجتمع تعرضاً للوقوع في التطرف والإرهاب، لما يتوفر لهذه الفئة من الإمكانيات والطاقات مع ضعف التجربة وقلة العلم.

ثانياً- أن البحوث التي قُتِم بدراسة التطرف لا تنظر إليه من الوجهة الفردية، بل تعنى به على أنه مشكلة اجتماعية، والمشكلات الاجتماعية تنشأ في الغالب عن ضغوط اجتماعية.

ثالثاً- أن هذه الضغوط الاجتماعية تؤثر في غالب الأحوال على شرائح على شرائح كبيرة من المجتمعات فيتسع ضررها، بينما تُعدّ العلة النفسية قاصرة الضرر^(٢).

١ - ينظر، جيلز كيبيل، النبي والفرعون- ص٦٦- (وشكري هو شكري أحمد مصطفى ولد عام ١٣٦٢هـ- باسيوط واعتقل عام ١٣٨٥هـ- بنهمة الانتماء لجماعة الإخوان المسلمين وأُفرج عنه عام ١٣٩١هـ- وكرّم في السجن جماعة كان لها انتشار كبير بعد خروجه أمامها جماعة الإخوان المسلمين واشتهرت بجماعة التكفير والمهجرة وأُعدم عام ١٣٩٨هـ، ينظر محمد سرور بن نايف زين العابدين، الحكم بغير ما أنزل الله وأهل التطرف- ص ١٠، ٣٠٤، ٣٠٦).

رابعاً- أن التطرف يمثل رد فعل أو انعكاساً طبيعياً لسلسلة المشكلات السياسية والثقافية والاجتماعية، إذ أصبح المتطرفين واقعين تحت التأثير الشديد للضغوط في هذه المجالات فهناك إذاً جانبان للقضية:

- أ- ظواهر وأنماط فكرية وعملية تثير أعضاء مجتمع معين (الفعل).
 - ب- التعبير عن عدم الرضا بهذه الظواهر (رد الفعل).
- وكان لاختلال المنهج العلمي والعملية للمتطرفين الأثر الأكبر في تأثرهم ونزوعهم إلى التطرف.

خامساً- أن تلك الظواهر المُشكَّلة لنفسية المتطرفين والمؤثرة فيها تختلف: فمنها ما يكون أقوى تأثيراً، ومنها ما يكون أكثر مباشرة لآحاد أحداث التطرف فيكون هو المفجر للفعل، ويكون التوتر المتراكم الناجم عن هذه الظواهر هو السبب في إيجاد تعبير عن السخط وعدم الارتياح^(١).

وأما بيان هذه الظواهر والضغوط فقد اختلفت اتجاهات الباحثين إلى وجهتين:

- ١- اختزال الضغوط والظواهر في أمر واحد، إذ يرى- على سبيل المثال- بعض الباحثين أن الجذور الفكرية والحركية للتطرف تتمثل في هزيمة عام ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م فيقول (إن الجذور الفكرية والحركية لانتشار موجة التطرف الديني الإسلامي تعود إلى أزمة المجتمع المصري غداة هزيمة يونيو ١٩٦٧م)^(٢) وينفي أن يكون جذر التطرف هو التعذيب الذي وقع لبعض الجماعات الإسلامية كما يراه بعض الباحثين الآخرين^(٣).
- ٢- دراسة جذور التطرف بشكل عام ونسبة التطرف إلى جذور متعددة، وهذا ما جرى عليه معظم الباحثين^(٤).

١ - العلو في الدين، عبد الرحمن اللويحي، ص ١١٧.

٢ - ينظر معتز عبد الله، الاتجاهات التعصية- ص ٧٨.

٣ - رجاء العربي، التطرف الديني وأبعاده- ص ٢.

٤ - مثل البهناوي، الحكم وقضية تكفير المسلم- ص ٢٢، ٢٣.

٥ - ينظر على سبيل المثال، القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف- ص ١٠٨، ١٢٥- وكمال أبو الجهد، التطرف الديني وأبعاده- ص ٦، ٨.

وهذا النهج هو الأصوب إذ من المتقرر عند العلماء قديماً وحديثاً أنه لا يوجد سبب واحد مستقل بالتأثير بحيث يكون مسئولاً عن أي شكل من أشكال السلوك البشري^(١).

ولذلك سأعرض لأهم المؤثرات والضغوط الاجتماعية التي تؤثر في نفسيات المتطرفين أو المتهمين بالتطرف مستخدماً في استخراجها الأساليب التالية:

- ١- دراسة بعض كتابات من وقع في التطرف دراسة مستقلة لتحديد أوجه شكايتهم ، ومكامن الضغوط المؤثرة على نفسياتهم.
- ٢- الاستئناس بأراء من كتب في هذا الموضوع ، ممن رأى أن بعض الظواهر مؤثرة في المتطرفين.

١ - ينظر معتر عبد الله ، الأتجاهات التعصبية- ص ٩٨.

الجدور الفكرية

إن الترتيب المنطقي للأمر يقتضي بأن الآراء والأفكار لا تكون في غالب الأحوال متوترة الصلات، مقطوعة الجذور، بل بينها اتصال كبير وترايط بين، حيث أن التطرف الفكري أحد المسببات الرئيسة للإرهاب وجذوره المتجددة في الإسلام وخصوصاً التطرف المتصف بعدم قبول الرأي الآخر فإن هذا النوع من التطرف يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة في التفاصيل والجزئيات فضلاً عن الكليات والثوابت التي لا يختلف فيها خصوصاً لأتباع السدين الواحد وتبعاً لهذا الادعاء فإن أصحاب هذا النوع من الآراء يحاولون دائماً إقصاء الآخر والآخر هنا يعني كل من يخالفهم في الرأي ولو جزئياً وللإقصاء عدة مظاهر أقلها نسبة الضلال للآخر وأكثرها نسبة الكفر والشرك له (١).

وبناء على ذلك فإن هذا الفكر المتحرف يحاول إلغاء الآخر تماماً ومحوه إما بضمه إلى خطه إن استطاع أو بتصفيته وإغائه من الوجود ويتوسل إلى هدفه بكل وسيلة حتى ولو كانت هي الإرهاب والعنف لكنه لا يسمي ذلك عنفاً أو إرهاباً أو تطرفاً بل يغلفه باسم الجهاد ويعد أتباعه من الشباب والجهلة بأن ما يقومون به من اغتيالات وتخريب للممتلكات وإزهاق للأتقى عن الصواب بل هو الطريق إلى الجنة وهو الجهاد المأمور به من الله عز وجل.

والبحث عن الجذور الفكرية لظاهرة التطرف في العالم الإسلامي يقودنا تبعاً إلى شعارات طرحت في العصر الحديث مثل (الحاكمية - والحكم بما أنزل الله) وما تفرع عن هذه المسألة من تكفير للمقيم غير المهاجر، وتقسيم الديار إلى دار مؤمنة وأخرى كافرة... إلخ.

ومن الإنصاف القول أنني في بحثي عن تحديد معالم ومسارات الجذور الفكرية لظاهرة التطرف .. وجدت أن الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحي (٢) قد درس المسألة دراسة مستفيضة وواعية وهادفة في كتابه «الغلو في الدين» أنقلها بتصريف؛ حيث إنسه صنف الآراء التي تخص الجذور الفكرية إلى صنفين (٣):

(١) لغات عن الإرهاب في العصر الحديث، وليد نعمان الساعدي، ص ١٣١.
٢ - من علماء المملكة السعودية، مدرس في جامعة الملك سعود، له العديد من المؤلفات حول موضوع الغلو والتطرف.

٣ - الغلو في الدين، ص ١٠٢-١٠٤.

١- معاهد الآراء وبمجامعها ، أي الآراء الجامعة التي تولدت منها معظم الآراء .

٢- الخلل في البنية الفكرية ويتمثل في:

أ- الجهل بمعنى انعدام العلم أو قصوره.

ب- اختلال المنهج.

وسأطبق هذا على التطرف في حياة المسلمين المعاصرة بما يكون موضعاً لحقيقة هذا التطرف وطبيعته.

أولاً: الحاكمية وصلتها بمظاهر التطرف:

إن الخضوع لله ﷻ وحل ، والتسليم لحكمه من لوازم الإسلام ومقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمِئَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (١) ولقد جاء تقرير هذه العقيدة بأساليب متعددة في القرآن الكريم منها:

١- أسلوب الحصر حيث جاء حصر الحكم وأنه لله عز وجل وحده ﴿ إِنْ أُلْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تُشْبِهُوا إِلَهًا إِنَّهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

٢- أسلوب الإنكار إذ أنكر الله عز وجل على من ابتغى غير حكمه ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٣).

قال الحافظ ابن كثير : (ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر. وعدل على ماسواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من الشريعة ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم) (٤)

١ - سورة الأحزاب آية ٣٦

٢ - سورة يوسف آية ٤٠ .

٣ - سورة المائدة آية ٥٠ .

٤ - تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٦٧

٣- نفى الإيمان عن من لم يحكم النبي ﷺ ، فقد جاء هذا النفي مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسمة ، قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوفُونَ ﴾ (١) .

قال شيخ الإسلام : « ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله لا بين المسلمين ولا بين الكفار... إلا يحكم الله تعالى ورسوله » (٢) . وهذا المعنى متقرر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال أهل العلم (٣) ، وعاشت الأمة الإسلامية ، وهو حاضرٌ في حسمها نحيها واقعاً عملياً قروناً طويلة ، كان فيها الحكم لله عز وجل ، حتى بدأ الغزوان الفكري والاستعماري ، فدخلت القوانين الأوروبية دولة الخلافة العثمانية ، عندما ضعفت ، وكثرت عللها وأمراضها ، فزين لها أعداؤها أن صلاحها وطريق نموضها هو بالأخذ بالقوانين حتى صدر عام ١٨٤٠ أول قانون مخالف للإسلام في بلد مسلم ، مستمداً أحكامه من مصادر أجنبية ، وهو قانون العقوبات العثماني ثم توالى الأخذ بالقوانين في دولة الخلافة حتى رفع عنها حكم الإسلام عام ١٣٤٨ هـ (٤) وأما بعد عهود الاستعمار الذي رزحت تحته معظم البلاد الإسلامية فقد ورثت عنه صنائعه الأحكام الوضعية ، فكانت القوانين الفرنسية والبريطانية والسويسرية هي عماد الحكم والتشريع . كما أن تحكيم الشرع غاب - في الغالب - على صعيد الأفراد مع أنفسهم ، وفي علاقتهم مع الآخرين ، حين ظهرت مخالفة شرع الله بالتهاون بأركان الدين وبإظهار المنكرات ، فتنه لهذا الأمر طائفة من العلماء و الدعاة فأيقظوا الحس الإسلامي و دعوا إلى تحكيم شرع الله فتنشأ عن ذلك مصطلح جديد هو (الحاكمية)

والحاكمية كما يقول الأستاذ المودودي رحمه الله : « تطلق على السلطة العليا ، والسلطة المطلقة على حسب ما يصطلح عليه اليوم في علم السياسة ، فلا معنى لكون لفرس

١ - سورة النساء آية ٦٥

٢ - الفتاوى ج ٣٥ ص ٤٠٨

٣ - ينظر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كتاب التوحيد ، بشرحه قرّة عيون الموحدين للشيخ ، عبد الرحمن بن حسن ص ١٩٢ ، وفتح المغيث ص ٣٢٠-٣٣٥ ، والشيخ محمد بن إبراهيم تحكيم القوانين ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، وجوب تحكيم شرع الله وتبذ ما مخالفه .

٤ - ينظر ، عمر الأشقر ، الشريعة الإلهية ص ٦٤-٦٧ .

من الأفراد- أو مجموعة من الأفراد أو هيئة مؤلفة منهم-حاكماً إلا أن حكمه هو القانون ، وله من الصلاحيات التامة و السلطات الكلية غير المحدودة لينفذ حكمه في أفراد الدولة وهم مضطرون إلى طاعته طوعاً أو كرهاً»^(١)

ويقول أبو الأعلى المودودي في كتابه المصطلحات الأربعة أن من مقتضيات الألوهية أن يكون الحكم لله فيقول:

(الذي لا سلطة له لا يمكن أن يكون إلهاً، ولا ينبغي أن يتخذ إلهاً، وهو وحده الذي ينبغي أن يتخذ إلهاً)^(٢).

ولسيد قطب^(٣) أيضاً في هذا الموضوع كتابات كثيرة، بل هو الذي وسّع ونشر هذا المصطلح، وأذاعه وبّته في مواضع كثيرة من كتبه؛ إذ يقول: (إن الحاكمية لله وحق تعبيد الناس، وتشريع الشرائع لهم هي أولى خصائص الألوهية التي لا يدعيها لنفسه مؤمن بالله، ولا يقره عليها مؤمن بالله كذلك، وإن الذي يدعي حق الحاكمية وحق تعبيد الناس لما يشرعه لهم من عند نفسه .. إنما يدعي حق الألوهية...)^(٤).

وهنا مسألة مهمة وهي أن نشوء هذا المصطلح وكونه مصطلحاً جديداً .. كان نتاج الترجمة لبعض المصطلحات الغربية، لا يعني أنه نشأ في الإسلام، لأن الأصل موجود، وهو جزء من توحيد الألوهية، والعلماء الأقدمون تكلموا في الحاكمية وأفاضوا، فالناشئ والحادث هو المصطلح .. لا المسألة نفسها، وإن إحياءه والتنظير له بهذه الطريقة هو نتاج أزمة عاشتها البلاد الإسلامي، لما غابت شريعة الله عنها، فصيرت المسألة بهذا الأسلوب بإحيائها في أذهان المسلمين، وتقريبها إلى أفهامهم، ليعيشوها واقعا عملياً كما عاشوها من قبل.

١ - تدوين الدستور ، من مجموعة نظرية الإسلام و هديه ص ٢٥١.

٢ - المصطلحات الأربعة ص ٢٩.

٣ - هو سيد بن قطب بن إبراهيم، من الدعوة والمجاهدين، ولد بأسبوط، وتخرج بكلية دار العلوم، ثم أرسل إلى أمريكا للدراسة، وعاد منتقداً لما يخالف الإسلام، انتمى لجماعة الإخوان المسلمين، وأرذى وسجن. وعكف على التأليف فكان من إنتاجه (في ظلال القرآن)، وغيره من الكتب، توفي شهيداً إن شاء الله، عام ١٣٨٧هـ، بنظر الأعلام ١٤٨/٣.

٤ - مقومات التصور ص (١٧٧)، وبنظر (معالم في الطريق) ص (١١٨).

ومسألة الحاكمية هذه هي الجذر الفكري الرئيس للتطرف في العصر الحديث، حيث كانت الشكاية الكبرى للتيارات الإسلامية ولمن وقع في التطرف منها، هي الحكم بغير ما أنزل الله، مع ما اقترن بذلك من فهم الحاكمية فهماً خاطئاً، وقد تنبه لهذا بعض الباحثين في موضوع التطرف، حيث عنوان أحدهم لكتابه بـ (الحكم وقضية تكفير المسلم).

وعنون الآخر لكتابه بـ (الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو).

وقد بين أحدهما - وهو المستشار سالم البهنساوي - الذي يعد شاهد عيان على تطور الفكر المتطرف في بعض البلاد الإسلامية - أن المناقشات الأولى التي وقعت في السجون وكانت من بذور التطرف، تدور حول موضوع الحاكمية إذ يجيب - على سبيل المثال - أحد السجناء عن سبب عدم ولائهم لحكامهم: بأنهم اختلفوا مع الحاكم لأنه أصبح نداً لله وأخضع الناس لعبوديته من دون الله^(١).

وعند تتبع مظاهر التطرف العقدي والعملية .. نجد غالبها يرجع إلى مسألة الحكم بغير ما أنزل الله وسأضرب لذلك عدة أمثلة:

- ١- تكفير المقيم غير المهاجر.. يرجع هذا التكفير إلى عدة مسوغات؛ منها: أن الدار دار كفر، وأن المجتمعات جاهلية، وكل ذلك يعود إلى كونها محكومة بغير ما أنزل الله.
 - ٢- الخروج على الحاكم؛ إذ إن المسوغ الرئيس لهذا الخروج هو تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله.
 - ٣- الغلو في مفهوم التقليد، وفي ذم التقليد؛ إذ مرجع ذلك إلى مفهوم الغلاة للتقليد، وأنه طاعة مطلقة، وهذه الطاعة المطلقة لا تكون إلا لله، فلذلك يكفرون المقلد؛ لأنه حكم غير الله، واتبع غير رسول الله ﷺ.
- ومعظم مظاهر التطرف كذلك يأخذ بعضها بحجز بعض، وتكون حلقات متصلة لهايتها مسألة الحاكمية.

١ - الحكم وقضية تكفير المسلم ص ٢٣.

وإذا تقرر بأن الجذر الرئيس للتطرف هو الحاكمية من جهة وقوع الحكم بغير ما أنزل الله، ومن جهة الفهم الخاطي للحاكمية .. فيجب التنبه إلى حقائق مهمة:

الحقيقة الأولى:

إن القول: إن الحاكمية لله .. ليس المراد منه أن يمارس صفوة من الناس الحكم على أنهم ظل الله، أو أنهم مكتسبون لحقوق الملك الإلهية، بل هي واجب على المؤمنين المسلمين بحاكمية الله وسلطانه وعلو الشرع الإلهي الذي جاءهم من عند الله بواسطة أنبيائه ورسوله، ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾^(١).

ومتى ما قيل: إن الحاكمية معناها ممارسة طائفة من الناس التسلط بدعوى أنهم ظل الله في الأرض فهذا تطرف، و الداعون إلى الحاكمية لم يعلم أنهم قالوا هذا.

الحقيقة الثانية:

إن القول بأن مسألة الحاكمية هي الجذر الفكري الرئيس للتطرف ليس معناه أن القول بالحاكمية تطرف، أو أنها خطأ كما قرر ذلك بعض الكتاب في عرض لما سماه (الأدوات الفكرية) للجماعات المتطرفة؛ إذ يقول: (منها فكرة الحاكمية لله وحده... وما رتبوا عليها من نزع سلطة التشريع عن الجماعة.. ومغالاة في ذلك مغالاة سقيمة تنبع من جهل لا حدود له بمصالح العباد، ومقاصد الشريعة، والفكرة قال بها العلامة المودودي وتابعه المرحوم سيد قطب.. وجرت بها ألسنة آلاف من الشباب وأقلامهم، وهي كلمة حق أفضت إلى ضرر عظيم، حرفت عن موضعها، وسخرت لغير ما قيلت له)^(٢).

وليست الدعوى للحاكمية دخيلة كما يرى ذلك د- محمد عمارة^(٣) بقوله: (لا شعار الحاكمية في نشأته الأولى بذي صلة حقيقية بفكر الإسلام السياسي.. ولا هو في صورته المودودية، بالمعبر عن واقع الفكر الإسلامي الحديث، أو ضرورات النهضة الإسلامية في إطار أمنا العربية، إنه شعار دخيل على تراثنا القديم، واحتجادنا الحديث،

١ - النور: ٥٥. ينظر أبو الأعلى المودودي (تدرين الدستور الإسلامي) ص ٢٥٩.

٢ - أحمد كمال أبو الجهد، (حوار لا مواجهة) ص ٥٧.

٣ - كاتب مصري معاصر متفرغ للتأليف، ذو نزعة عقلانية عصرية، يحمل شهادة الدكتوراة، وله مؤلفات كثيرة

تخلى عنه الذين ابتدعوه قديماً، وجوهر فكر المودودي عنه مخالف لما فهمه منه أنصاره وأعداؤه على السواء.. فهو لا يعدو أن يكون شبيهة من الشبهات^(١).

بل الحاكمة أمر متقرر بنصوص غير منحصرة في الكتاب والسنة، ومارس النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون الحكم بشرع الله واقعا عمليا، ولكن التطرف واقع في آثارها، ويمكن تصور أثر القول بالحاكمة فيما يلي:

الحكم بغير ما أنزل الله.. أنتج إدانة هذا الحكم والدعوى إلى الحكم بما أنزل الله، ثم عدم الاستجابة لهذه الدعوى أنتجت رد فعل يدين الحاكم بغير ما أنزل الله ويكفره، ثم جاءت تبعاً لتكفير الحاكم بمحالات التطرف الأخرى.

الحقيقة الثالثة:

إن موضع خطأ القائلين بتطرف الداعين للحاكمة هو التسوية بين شعار الخوارج (لا حكم إلا لله) وبين المناداة بحاكمية الله. وهذا هو الذي نزع إليه بعض الكتاب في هذا الموضوع؛ إذ يقول أحدهم: (من الملحوظ أن قطب قد تأثر في إيراد هذا المفهوم بصيغة الخوارج عشية تأسيس الدولة الأموية، { لا حاكمية إلا لله }^(٢))^(٣). بل يؤكد بعضهم أن شعار الحاكمة هو نفسه شعار الخوارج (لا حكم إلا لله)^(٤).

ولكي يتبين الفرق بين الأمر الذي نقمه الخوارج على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ، ملاسبات رفع شعار (لا حكم إلا لله)، ومعناه عندهم.. أبين ما يلي:
إن الخوارج لم ينقموا على علي بن أبي طالب ﷺ أنه حكم بغير ما أنزل الله - حقيقة -، بل نقموا عليه أنه حكم الحكيمين، وهذا بزعمهم حكم بغير ما أنزل الله فقالوا

١ - العلمانية ومضتنا الحديثة ص (٩٥).

٢ - هذا خطأ تاريخي؛ إذ المعروف أن مناداة الخوارج بهذا كانت بعد وقعة صفين وبعد قصة التحكيم المشروع، بنظر: ابن كثير (البداية والنهاية) ٧ / ٢٧٦. كما أن النداء كان (لا حكم إلا لله) وليس (لا حاكمية إلا لله).

٣ - محمد حافظ دياب، (سيد قطب : الخطاب والأيدلوجيا) ص ١٢٩.

لعلي بن أبي طالب عليه السلام لما ناظرهم: (اسلخت من قميص ألبسكه الله، واسم سماك به الله، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، ولا حكم إلا لله) ^(١).

وهذا تطرف ظاهر لأنهم يريدون سلب البشر إمكانية تطبيق حكم الله عليه السلام ولذلك رد عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: (كلمة حق أريد بها باطل) ^(٢).

أي أن القول إن الحكم لله حق وهو القرآن ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ^(٣) ولكن أصحابها أرادوا منع تحكيم الرجال المطبقين لحكم الله عليه السلام، وهذا باطل، قال الحافظ ابن حجر: (وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم لا حكم إلا لله، انزعوها من القرآن وحملوها على غير محلها) ^(٤).

ويمكن إيضاح خطئهم بذكر مجموعة من النصوص التي فيها رد عليهم وهي كما يلي:

١ - قول الله عليه السلام: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ ^(٥)، وبهذه الآية رد علي بن أبي طالب على الخوارج فقال في مجمع من أصحابه: (أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ ^(٦) فامة محمد عليه السلام أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل) ^(٧).

١ - رواد أحمد ج ٨٦/١ قال ابن كثير (تفرد به أحمد وأسنده صحيح واختاره الضياء) البداية والنهاية (٢٨/٧).

٢ - رواد مسلم (٧٤٩/٢) كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج.

٣ - سورة يوسف آية ٤٠.

٤ - فتح الباري (٦١٩/٦).

٥ - سورة النساء آية ٣٥.

٦ - سورة النساء آية ٣٥.

٢- قول الله تعالى لداوود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١). ففي هذه الآية أوكل الله ﷺ مهمة تطبيق الحكم إلى داوود عليه السلام.

٣- ما رواه شريح بن هانئ^(٢) عن أبيه^(٣) قال: لما وفد أبي علي رسول ﷺ مع قومه سمعه يكتونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم فلم تكن أبا الحكم؟» فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين بحكمي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أحسن هذا، فمالك من الولد؟» قال لي شريح ومسلم وعبد الله قال فمن أكبرهم قال: قلت: شريح، قال: «فأنت أبو شريح»^(٤) وأقره ﷺ على حكمه بين الناس، وأنكر بأسلوب نبوي أديب رفيع تكتبه بأبي الحكم لأن الحكم هو الحاكم الذي لا يرد حكمه وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى^(٥).

٤- أن النبي ﷺ حكّم سعد بن معاذ^(٦) في بني قريظة كما هو مشهور في

١ - سورة (ص) آية ٢٦.

٢ - شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي: راجز، شجاع، من مقدمي أصحاب علي، كان من أمراء جيشه بدم الجمل. ولما كان يوم التحكيم بعث علي أبا موسى، ومعه أربعمئة رجل، عليهم شريح بن هانئ. قتل غازيا بسحستان سنة ٧٨هـ. الإصابة، ت ٣٩٦٧.

٣ - هو هانئ بن يزيد المذحجي، صحابي كان يكنى أبا الحكم وكانه النبي ﷺ بأكثر أولاده (شريح)، ينظر: الإصابة (٢٣٢/١٠).

٤ - رواد أبو داوود رقم (٤٩٥٥) الأدب باب تغيير الاسم المقيح، والسائي (٢٢٦/٨) في أدب القضاء باب إذا حكموا رجلاً ففضى بينهم، وإسناده صحيح، انظر، الأرنؤوط، والشاويش، حاشية شرح السنة للبغوي (٤٣/١٢).

٥ - ينظر البغوي، شرح السنة (ج ١٢ ص ٢٤٣).

٦ - سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأرسبي الأنصاري: صحابي، من الأبطال. من أهل المدينة. كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر. وشهد أحدا، فكان ممن ثبت فيها. وكان من أطول الناس وأعظمهم جسما ورمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه سنة ٥هـ. ودفن بالقيم، وعمره سبع وثلاثون سنة. وحن

السيرة^(١).

٥- أن الناس لا بد لهم من يحكم بينهم ولذلك روي أن علي بن أبي طالب عليه السلام رد على الخوارج فقال: «كلمة عدل أريد بها جور، إنما يقولون لا إمارة ولا بد من إمارة بر أو فاجر»^(٢).

وبهذا يتبين وجه الافتراق بين شعار الحاكمية المطروح اليوم وبين شعار لا حكم إلا لله الذي طرحه الخوارج، فالداعون إلى الحاكمية لا يقولون بسلب الناس إمكانية تطبيق الحكم بل يقولون بالسيادة المطلقة لحكم الله التي هي من لوازم الإسلام.
ثانياً: الحلل في البنية الفكرية:

إن الحلل في البنية الفكرية للغلاة كان جذراً رئيساً من جذور التطرف، وذلك أن هذا الحلل طريق لاختلال النتائج والمعلومات التي يتوصل إليها من تتسم ببنية الفكرية بهذه العلة.

ونظراً لأهمية المنهج كان لعلماء الإسلام دور كبير في ترسيخ علم أصول الفقه، الذي هو بمثابة المنهج الذي يسير عليه مستنبط الأحكام من أدلتها وكان يؤكد على جانبيين مهمين:

١- أصول التشريع.

٢- طرق الاستنباط ومناهجه.

ومعظم الانحرافات التي وقعت في تاريخ المسلمين سواء في العقيدة أم في الشريعة كانت نتاج الحلل في أحد هذين الجانبين وسأذكر بعض الأمثلة المتعلقة بأصول التشريع من معارف الانحراف وأصوله:

١- الجهل بأصول التشريع: الكتاب، السنة، الإجماع، القياس.. والجهل يشمل الجهل العام بهذه الأصول أو الجهل بمفرداتها الحاكمة في القضية الفرد.

١- قصة تحكيم سعد رواها البخاري (٧٢/٨) كتاب الاستئذان باب قول النبي ﷺ: قوموا إلى سيدكم.

٢- ينظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (٢١/٢)، وينظر الشهرستاني، الملل والنحل (١١٧/١)، ولم أجد الأثر

٢- الإعراض عن الاستقواء من هذه الأصول مع العلم بها، والاعتماد على العقل مثلاً.
٣- مخالفة سبيل المؤمنين برفض أحد هذه المصادر كما هو حال من سموا أنفسهم بالقرآنيين الذين لا يرون في غير القرآن حجة. أو الذين ينكرون حجة السنة، أو حصر الآحاد في العقائد، على اختلاف في درجات تلك المخالفة.
وعند النظر في التطرف في العصر الحديث نجد أن هناك تحللاً، في البنية الفكرية عند الغلاة، وقد تمكنت عن طريق قراءة كتبهم ونقد آرائهم من استحضار جوانب ذلك التحلل، بما أبيه فيما يلي:

١- الجهل:

وأبرز جوانب الجهل التي أراها مؤثرة هي ما يلي:

- ١) الجهل بالكتاب.
- ٢) الجهل بالسنة.
- ٣) الجهل بمقاصد الشريعة.
- ٤) الجهل بمآخذ الأدلة وأدوات الاستنباط.
- ٥) الجهل بأقوال العلماء وأثارهم.
- ٦) الجهل بالغة العربية وأساليبها.
- ٧) الجهل بالتاريخ والسنن الكونية.
- ٨) الجهل بالواقع وظروفه وملابساته.
- ٩) الجهل بمراتب الناس ومراتب الأعمال.

٢- التحلل في المنهج:

وأبرز جوانب التحلل في المنهج هي ما يلي:

- ١) المنهج الحرفي في فهم النصوص.
- ٢) انعدام النظرة الشمولية.
- ٣) التأويل.
- ٤) التلقي المباشر من النص.

- ٦) عدم الجمع بين الأدلة.
٧) انعدام الموضوعية (اتباع الهوى).
٨) الاجتهاد من غير أهلية، وعدم الأخذ من المصادر المعتبرة شرعاً.



الفصل الثاني
الإسلام دين الوسطية والاعتدال
في العقيدة والشريعة



ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:
المبحث الأول: حرية التفكير والاعتقاد في الإسلام.
المبحث الثاني: الإسلام والشرائع السابقة.
المبحث الثالث: الوسطية في العقائد والعبادات والمعاملات.

المبحث الأول

حرية التفكير والاعتقاد في الإسلام

جعل الإسلام الحرية حقاً من الحقوق الطبيعية للإنسان، فلا قيمة لحياة الإنسان بدون الحرية، وحين يفقد المرء حريته، يموت داخلياً، وإن كان في الظاهر يعيش ويأكل ويشرب، ويعمل ويسعى في الأرض. ولقد بلغ من تعظيم الإسلام لشأن الحرية أن جعل السبيل إلى إدراك وجود الله تعالى هو العقل الحر، الذي لا ينتظر الإيمان بوجوده بتأثير قوى خارجية، كالحوارق والمعجزات ونحوها قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١) فنفي الإكراه في الدين، الذي هو أعز شيء يملكه الإنسان، للدلالة على نفيه فيما سواه وأن الإنسان مستقل فيما يملكه ويقدر عليه لا يفرض عليه أحد سيطرته، بل يأتي هذه الأمور، راضياً غير مجبر، مختاراً غير مكره^(٢).

الاحتراف بالفكر

إن زمن القوة الإيمانية والقوة المادية هو زمن نُصرة الفكر وفتح الحرية له، وخسیر الأزمان التي مر بها الفكر هو عصور الإسلام الأولى، إذ انطلق التفكير في النص، والتفكير في التطبيق، والتفكير في توليد الأعمال والمفاهيم، واحتلاب الصالح منها بطريقة لم يسبق للأمم العربية أن عرفتها من قبل. ولا أثرت الأفكار والمبادرات كما أثرت في زمن الرسالة.. مما حدا بأحدهم أن يكتب كتاباً عن دولة الإسلام الأولى بأنها دولة الفكرة.. ففكرة الخندق، وفكرة الخاتم، ولباس الحلة للوفود، بل وقبوله صلى الله عليه وسلم لقول أحدهم والحديث في البخاري: «اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه»^(٣)، وقبوله صلى الله عليه وسلم لها وتأييده.. ثم قبول التدوين والدواوين وغيرها. وهكذا الدول المؤثرة في العصور الحديثة نتاج فكر وممارسة لهذا الفكر.

١ - البقرة: ٢٥٦.

٢ - الحرية مقصد الإسلام الرئيس، محمد عزت أبو النجار، ص ٨١.

٣ - أخرجه البخاري في الأذان، باب: فضل اللهم ربنا لك الحمد، رقم (٧٩٩).

حرية الفكر

إن الترتيب المنطقي للأمر يقتضي أن الحرية الفكرية هو معيار دقيق لهضة الأمم؛ فالأمة التي ترعى الفكر وحرته تسود، والذين يحرقونه ويطاردونه يذلون ويخسرون، إن حرية الفكر تعني الإذن بالوعي، وتعني فتح آفاق المعرفة، تعني التخلص من تأسيس فرق الباطنية، والفرق المفرقة المنحرفة المدمرة، التي تنمو في الظلام، وتحتاج المجتمع في أي لحظة بلا رقيب، وبلا حساب من أحد، تجدد المجتمعات المغلقة مصيرها في أكف مجهولة، وتحت إرادة فرق غريبة، ومفاهيم شاذة، والسبب هم الذين يرون سيادة معرفتهم وفهمهم ويغلقون على الناس الدروب فتنفجر في وجوههم ذات يوم بلا حساب ولا تقدير^(١).
حرية التفكير تعني أن نفتح الباب للخير ما عندنا، فنقبله ونتدارسه ونطوره، ونجعله أكثر دقة وجمالاً وتعبيراً عن الحق والوحي والخير والعدل، أما كبت الناس فتعني السماح بنشر الفساد، تعني تدمير العقل، تعني قتل روح الدين والتدين^(٢).
إن حرية الفكر ليست حرية تأمر، وليست حرية فتنة ولا خلاف، إنها خير عميم، ومصالحة للأمة تتجاوز الأفراد فلا يتفهمها ذور المصالح الضيقة العاجلة.
إنها حرية الفكر التي سادت في عهد الرسالة وفي عهود السلف المبكرة، والتي أنتجت المذاهب الإسلامية التي نعلم بخيرها، وحرماناً من منهجيتها الرائعة التي بنت الأمة وأيقظت الهمة وأوقدت العقول وهزت الهمم وأصلحت الأمم.
حرية التفكير لا تعني شيئاً ما لم يصاحبها حرية التعبير، فالتعبير هو الآلة التي توصل الفكرة.

فتتلازم الدعامتان: حرية التعبير، ونضوج الفكر تلازمًا مصيريًا، لأن الفكر السذي قد يسود، أو يجير عليه الناس، قد لا يكون صحيحًا، ولا معقولًا، وجهلاً مركبًا، ولكنه يستمد قوته من تحريم غيره^(٣).

١ - الإسلام وبناء الحضارة، قاسم النبهان، ص ٥٩.

٢ - المصدر السابق، ص ٧٣.

٣ - الإسلام والمدينة، محمد أمين الشماسي، ص ١٢٢.

وتلك من أهم مقومات المجتمع الإسلامي في لحظات بنائه الأولى، ثم في مراحل قوته الكبيرة، ومن قرأ العصر الأموي والعصر العباسي الأول الذي يقف عند نهاية القرن الثاني الهجري، يجد حقيقة مهما كرهناها ولكنها واقعة، وهي وجود حريات واسعة في المجتمع الإسلامي أثرت الحياة العقلية آنذاك وفيما بعد، وقد أفادت مهما انتقد المتأخرون الكثير من تلك المدارس.

فقد جوز الإسلام للإنسان أن يقلب نظره في صفحات الكون المليئة بالحقائق المتنوعة، والظواهر المختلفة، ويحاول تجربتها بعقله، واستخدامها لمصلحته مع بني جنسه، لأن كل ما في الكون مسخر للإنسان، يستطيع أن يستخذه عن طريق معرفة طبيعته ومدى قابليته للتفاعل والتأثير، ولا يتأتى ذلك إلا بالنظر وطول التفكير^(١).

هذا ولإبداء الرأي عدة مجالات وغايات منها:

١) إظهار الحق وإخماد الباطل، قال تعالى: ﴿ ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ فالمعروف هو سبيل الحق، ولذلك طلب من المؤمن أن يظهره، كما أن المنكر هو سبيل الباطل، ولذلك طلب من المؤمن أن يخمد.

٢) منع الظلم ونشر العدل، وهذا ما فعله الأنبياء والرسل إزاء الملسوك والحكام ويفعله العلماء والمفكرون مع القضاة والسلاطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »^(٢).

٣) وقد يكون إبداء الرأي، بتقديم الأمور حسب أهميتها وأولويتها، وهذا أكثر ما يقوم به أهل الشورى في أكثر من بلد^(٣)، و أكثر من مجتمع وقد يكون بأي أسلوب آخر، إذ من الصعب حصرها، ولكنها لا تعني أن يخوض الإنسان فيما يضره، ويعود عليه بالفساد، بل لا بد أن تكون في إطار الخير والمصلحة إذ الإسلام بتقريره حرية الرأي، إنما

١ - العقل وصناعة الإنسان، علي أحمد الرفاعي، ص ٥٧.

٢ - أخرج الحاكم في المستدرک ٥٥١/٤.

٣ - الحرية في الإسلام، هناء الغامدي، ص ٨٩.

أراد من الإنسان أن يفكر كيف يصعد، لا كيف ينزل، كيف يبني نفسه وأمنته، لا كيف يهدمها سعيًا وراء شهوتها وهوأها.

وباستعراض التاريخ الإسلامي، نجد أن (حرية الرأي) طبقت تطبيقاً رائعاً، منذ عصر النبوة، فهذا الصحابي الجليل، حباب بن المنذر^(١)، أبدى رأيه الشخصي في موقف الله عليه وسلم برأيه، وأبدى بعض الصحابة رأيهم في حادثة الإفك، وأشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق زوجته عائشة^(٢) - رضي الله عنها - إلا أن القرآن برأها، وغير ذلك من المواقف الكثيرة التي كانوا يبدون فيها آراءهم.

أرسى مجتمع المدينة المنورة في عهد النبي محمد قاعدة لإقامة نسق تعارفي بين فئات الناس من مؤمنين وأهل كتاب في أمة واحدة. الوثيقة النبوية أقرت أصحاب الآراء على آرائهم وتكفّلت بحمايتهم كما هم. قام مجتمع المدينة على قاعدة نشر الدعوة مع احتضان الاختلاف. وليس مع تجاهله ولا مع محاولة إلغائه^(٣).

حاور النبي نصارى نجران في بيته في المدينة المنورة وأحسن وفادتهم. وعندما حان وقت صلاحهم، لم يجد النبي أي غضاضة في دعوتهم، كما تذكر روايات ثقة، إلى أداء صلاحهم.

١ - الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي ثم السلمي : صحابي، من الشجعان الشعراء، يقال له ذو الرأي قال النعماني : هو صاحب المشورة يوم بدر، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأيه، ونزل جبريل فقال : الرأي ما قال حباب، وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة وهو الذي قال عند بيعة أبي بكر يوم السقيفة : أنا حذبها المحكك وعذبها المرجح ٢ فذهبت مثلاً. مات في خلافة عمر سنة ٢٠هـ وقد زاد على الخمسين ٣. الإصابة: ٣٠٢/١

٢ - عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش : أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. كانت تكنى بأُم عبد الله. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نساءه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. ولها حطب ومواقف. وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعراً. وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتحيبهم. وتوفيت في المدينة سنة ٥٨هـ. روي عنها ٢٢١٠ أحاديث. الإصابة: كتاب النساء، ت ٧٠١ والسمط الثمين: ٢٩، وطبقات ابن سعد: ٣٩/٨، والظري: ٦٧/٣، وأغلام النساء: ٤٣/٢.

٣ - دراسات في السياسة الشرعية، مصطفى محمد الزيات، ص ٩١.

إن العقيدة في الإسلام تستقر بالفكر اختياراً ولا تُلصقُ باللسان قهراً وإجباراً. والقرآن الكريم يقول ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١) و"لا" هنا نافية وليست ناهية. أي ألما لا تعني لا تكرهوا الناس في الدين، ولكنها تعني أن الدين لا يكتمل وهو لا يكون أساساً بالإكراه.

على القاعدة السابقة النبوية في دولة المدينة الأولى، فإن الإسلام لا يضيق بتنوع الانتماء العقدي، ولا يؤمن بالنقاء العرقي « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى »^(٢).

فإذا كان التنوع من طبيعة تكوين المجتمع، فإن الحوار هو الطريق الوحيد الذي يؤدي بالاختيار الحر وبالخبرة إلى الوفاق والتفاهم والوحدة. ذلك أن البديل عن الحوار هو القطيعة والانكفاء على الذات، وتطوير ثقافة الحذر والشك والعداء للآخر.

والمنهج القرآني في الحوار يرشد إلى إيمانه بمهمة وأداء رسالة يبقى أثرها في الضمير، إن لم يظهر أثرها في الفكر، إنه أسلوب لا يسيء إلى الخصم بل يؤكد حرته واستقلالته، ويقوده إلى موقع المسؤولية ليتحرك الجميع في إطارها وينطلقوا منها ومعها في أكثر مسن مجال^(٣).

هذا ولدراسة مفهوم الحرية في الإسلام يجب البدء بأنواعه:

أنواع الحرية:

- الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية

- الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المعنوية

الصنف الأول: الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية، وهذا الصنف يشمل الآتي:

أ - الحرية الشخصية: والمقصود بها أن يكون الإنسان قادراً على التصرف في شئون نفسه،

١ - البقرة: ٢٥٦.

٢ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤١١/٥.

٣ - انظر: فضل الله (محمد حسين)، الحوار أبعاد وإمضاءات ودلالات - مجلة المنطلق: ١٦، عدد ١٠٥ - ربيع الأول

١٤١٤ هـ.

وفي كل ما يتعلق بذاته، أمناً من الاعتداء عليه، في نفسه وعرضه وماله، على ألا يكون في تصرفه عدوان على غيره^(١). والحرية الشخصية تتضمن شيئين:

(١) حرمة الذات: وقد عن الإسلام بتقرير كرامة الإنسان، وعلو منزلته. فأوصى باحترامه وعدم امتيانه واحتقاره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَنْتَحِلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) وميزه بالعقل والتفكير تكريماً له وتعظيماً لشأنه، وتفضيلاً له على سائر مخلوقاته، وفي الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً: «أول ما خلق الله العقل قال له أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال له عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أنيب، وبك أعاقب»^(٤)، وفي هذه النصوص ما يدعو إلى احترام الإنسان، وتكريم ذاته، والحرص على تقدير مشاعره.

(٢) تأمين الذات: بضمان سلامة الفرد وأمنه في نفسه وعرضه وماله. ولن نتكلم كثيراً في هذا المقام؛ لأنها ليست مقصود البحث بذاته، بل ذكرت هنا للتبويه وأخذ الفكرة فقط.

الصنف الثاني: الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المعنوية، وهذا الصنف هو المقصود بذاته لدراستنا هذه ويشمل الآتي:

أ- حرية الاعتقاد: ويقصد بها اختيار الإنسان لدين يريده بيقين، وعقيدة يرتضيها عن قناعة، دون أن يكرهه شخص آخر على ذلك. فإن الإكراه يفسد اختيار الإنسان، ويجعل المكره مسلوب الإرادة، فينتفي بذلك رضاه واقتناعه وإذا تأملنا قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٥) نجد أن الإسلام رفع الإكراه عن المرء في عقيدته، وأقر أن الفكر والاعتقاد لا بد أن يتسم بالحرية، وأن أي إجبار للإنسان، أو تخويفه، أو تهديده

١ - مفهوم الحرية في الإسلام، علي السنجاوي، مجلة الولاء، العدد ٥٣ سبتمبر ١٩٩٩م.

٢ - الإسراء: ٧٠.

٣ - البقرة: ٣٠.

٤ - أخرجه الطبراني في الأوسط ٢/٢٣٦.

٥ - البقرة: ٢٥٦.

على اعتناق دين أو مذهب أو فكر باطل ومرفوض، لأنه لا يرسخ عقيدة في القلب، ولا يثبتها في الضمير. لذلك قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّوْا شَاءَ رَبِّكَ لَآ أَمِّنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَقَابَتْ نَكَرُهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾^(١) وقال أيضاً ﴿ فَذَكَرْنَا لِمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ ﴾^(٢) كل هذه الآيات وغيرها، تنفي الإكراه في الدين، وتثبت حق الإنسان في اختيار دينه الذي يؤمن به. هذا

و يترتب على حرية الاعتقاد ما يلي:

(١) إجراء الحوار والنقاش الديني، وذلك بتبادل الرأي والاستفسار في المسائل المتنبئة، التي لم تتضح للإنسان، وكانت داخلة تحت عقله وفهمه - أي ليست من مسائل الغيب - وذلك للاطمئنان القلبي بوصول المرء إلى الحقيقة التي قد تخفى عليه، وقد كان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجاورون أقوامهم ليسلموا عن قناعة ورضى وطواعية، بل إن إبراهيم - أبا الأنبياء عليه الصلاة والسلام - حاور ربه في قضية (الإحياء والإماتة) ليزداد قلبه قناعة ويقيناً وذلك فيما حكاه القرآن لنا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُوِّ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جِزَاءً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣) بل إن في حديث جبريل عليه السلام، الذي استفسر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعة^(٤) دليل واضح على تقرير الإسلام لحرية المناقشة الدينية، سواء كانت بين المسلمين أنفسهم، أو بينهم وبين أصحاب الأديان الأخرى، بهدف الوصول إلى الحقائق وتصديقها، لا بقصد إثارة الشبه والشكوك والخلافات، فمثل تلك المناقشة ممنوعة، لأنها لا تكشف الحقائق التي يصل بها المرء إلى شاطئ اليقين.

(٢) ممارسة الشعائر الدينية، وذلك بأن يقوم المرء بإقامة شعائره الدينية، دون انتقاد أو استهزاء، أو تخويف أو تهديد، ولعل موقف الإسلام الذي حواه التاريخ تجاه أهل الذمة

١ - يونس: ٩٩.

٢ - العنكبوت: ٢١-٢٢.

٣ - البقرة: ٢٦٠.

٤ - الحديث مشهور وقد رواه مسلم في الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان، رقم (٨).

- أصحاب الديانات الأخرى - من دواعي فخره واعتزازه، والتي سوف نتحدث عنها تفصيلاً في المبحث القادم إن شاء الله وسماحته، فمنذ نزل الرسول صلى الله عليه وسلم يثرب - المدينة المنورة - أعطى اليهود عهد أمان، يقتضي فسح المجال لهم أمام دينهم وعقيدتهم، وإقامة شعائرهم في أماكن عبادتهم^(١).

ثم سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون، فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيلياء - القدس - معاهدة جاء فيها: « هذا ما أعطاه عمر أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً على أنفسهم، ولكنائسهم وصلبانهم، لا تمسكن كنائسهم ولا تدم ولا ينتقص منها ولا من غيرها ولا من صلبهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم »^(٢) وها هم علماء أوروبا اليوم، يشهدون لسماحة الإسلام، ويقرون له بذلك في كتبهم.

قال ميشود في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية): (إن الإسلام الذي أمر بالجهاد، متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى وهو قد أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب، و قد حرم قتل الرهبان - على الخصوص - لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، وقد ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود عندما دخلوها) أي مدينة القدس^(٣).

١ - مفهوم الحرية في الإسلام، علي السنحالي، العدد ذاته.

٢ - تاريخ الطبري ٤٤٩/٢.

٣ - تاريخ الحروب الصليبية، ميشود، ترجمة عبد الرحمن الحفيق، ص ١١٦.

المبحث الثاني

الإسلام والشرائع السابقة

إن الله عز وجل شاء أن تكون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات السماوية، والتي اختصت عرفاً بمدلول كلمة الإسلام، كما أن كلمة (اليهودية) أو (الموسوية) تخص شريعة موسى عليه السلام، وما اشتق منها، وكلمة (النصرانية) أو (المسيحية) تخص شريعة عيسى عليه السلام، وما تفرع عنها.

والذي لا شك فيه، أن هذه الرسالة الخاتمة جاءت دعوة إنسانية عالمية، لا تخاطب قوماً بأعيانهم ولا جنساً بذاته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) .. وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عموم بعثته، وعالمية دعوته، فقال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحر وأسود...»^(٤).

والذي لا شك فيه أيضاً، أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد أرسل من عند الله بدين بلغ ذروة الكمال، الذي لا كمال بعده، وتوجه الخطاب فيه للعالمين كافة، والنتيجة المنطقية اللازمة لهذا الكمال، أن تنقطع صلة الإنسانية عن سائر الرسالات والنبوات السابقة في طاعتها واتباعها، مع عدم إغفال الإيمان بأصولها المتولة، لا بما آلت إليه بعد التحريف على يد الأتباع، على اعتبار أن الإسلام بمعناه العام، هو دين الأنبياء جميعاً، عليهم الصلاة والسلام.

١ - البقرة: ٢١.

٢ - الأعراف: ١٥٨.

٣ - سبأ: ٢٨.

٤ - أخرجه مسلم في مساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢١).

إذ إن القرآن الكريم شاهد على ما في الكتب السماوية المترلة قبله، يشهد لأصولها المترلة الصدق، ويشهد عليها وعلى أصحابها بما وقعوا فيه من نسيان حظ عظيم وإصعاعه، وتحريف كثير مما بقي وتأويله^(١).

وإذا كان الإسلام بمعناه العام، هو دين الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام - كما سبق القول - مما يعني أنه لا مجال للتساؤل عن العلاقة بين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية الأخرى، هنا، إذ لا يسأل عن العلاقة بين الشيء ونفسه، فبما ترى ما هي العلاقة بين الإسلام بمعناه الخاص وهو الدين الذي أنزله الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبين الأديان السماوية الأخرى؟
وجواب ذلك على شقين:

الشق الأول: أن شريعة الإسلام، والشرائع السماوية السابقة عليه وهي في صورها الأولى لم تعد عن متبعتها، ولم يتغير فيها شيء بفعل الزمان ولا بيد الإنسان، فكل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل، يأتي مصدقاً ومؤكداً لما قبله، فالإنجيل مصدق ومؤيد للتسوراة، والقرآن مصدق ومؤيد للإنجيل والتوراة، ولكل ما بين يديه من الكتاب، إذ هناك تشريعات خالدة، لا تتبدل ولا تتغير، مهما تغيرت الأصقاع والأوضاع، ويقابلها تشريعات أخرى جاءت موقوتة بأحال طويلة أو قصيرة، فهذه تنتهي بانتهاء وقتها، ثم تأتي الشريعة التالية لها، بما هو أوفق وأرفق بالأوضاع الناشئة الطارئة. يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: رحمه الله ما مضمونه في هذا الصدد: جاء القرآن الكريم فغير الله تعالى فيه بعض الأحكام التي جاءت في التوراة والإنجيل، وقوفاً بما عند وقتها المناسب، وأجلها المقدر لها في علم الله سبحانه وتعالى، وما كان فيها من الأحكام صحيحاً موافقاً لقواعد السياسة الدينية، لا يغيره، بل يدعو إليه ويحث عليه، وما كان سقيماً دخله التحريف، فإنه يغيره بقدر الحاجة، وما كان حريماً أن يزداد فإنه يزيده على ما كان في الشرائع السابقة.
وعلى هذا، فإن الإسلام قد اعترف بالشرائع الأخرى السماوية السابقة كما نزلت على الرسل السابقين، شرائع وديانات قامت على وحدة الذات والصفات الألوهية، وتبشر

كتبها بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتطالب الذين حضروا دعوته من بعدها أن يؤمنوا بالإسلام.

الشق الثاني: أن الشرائع السماوية السابقة على الإسلام، بعد أن طال عليها الأمد، نالها من التغيير والتحريف والكتمان والتبديل ما كان كفيلاً بتحويلها عن أصلها، مسن ديانة توحيد إلى ديانات وثنية في معظم ما بقي منها، بل قل في كلها.

والقرآن حارس وأمين ومهيمن على هذه الديانات السماوية، وهذه صفة أخرى تضاف إلى صفة اعتراف القرآن بهذه الديانات، إذا لم يعتريها تغيير أو كتمان، ومن ثم إسقاط مبدأ الإيمان عن الذي لا يؤمن بهذه الشرائع، باعتبارها ديانات توحيد تؤمن بالله واليوم الآخر، لأن من شأن القرآن ألا يكتفي بتأييد ما في هذه الديانات من حق وخير، بل عليه فوق ذلك أن يحميها من الدخيل، الذي عساه أن يضاف إليها بغير حق، وأن يبرز ما تمس إليه من الحقائق التي عساها أيضاً أن تكون قد أخفيت منها^(١). وتأسيساً على ما سبق، يمكن أن نخلص إلى:

أولاً: وحدة المصدر للأحكام التكليفية في الأديان السماوية، قائمة قياساً ووحدة الهدف تماماً، وحتى إن اختلفت وسائل المعالجة فكلها من عند الله سبحانه وتعالى، كما أن هدفها الأخذ بالخلق إلى طريق الرشيد، وتحرير العقل، وتثبيت التوحيد.

ثانياً: أن شرع من قبلنا شرع لنا، والمراد بشرع من قبلنا ما نقل إلينا من أحكام تلك الشرائع، التي كانوا مكلفين بما على أنها شرع الله عز وجل لهم، وما بينه لهم رسالهم عليهم الصلاة والسلام، مثل تحريم الزنا والسرقه، والقتل، والكفر، فكل نبي دعا لحرمة ذلك وما شاكله، وكذلك نبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

(ولا خلاف في أن الشريعة الإسلامية، نسخت جميع الشرائع السابقة، على وجه الإجمال، كما أنه لا خلاف في أنها لم تنسخ جميع ما جاء في تلك الشرائع، على وجه التفصيل)^(٢)، فالزنا وما يتعلق به من توابع محرم في تلك الشرائع السماوية، وكذلك السرقه، والقتل، والكفر.. كذلك لا خلاف في أن ما نقل إلينا من شرائع من قبلنا، في

١ - الإسلام شريعة لكل زمان، عمده أبو الوفاء، ص ٨٨.

٢ - المحاضرات المتكاملة عبر التاريخ، لويبر، ماسينيون، ترجمة مسعود الدعا، ص ٩٤.

كتب أصحاب تلك الشرائع، أو على السنة أتباعها، ليس بحجة علينا، لأن هذا النقل فاقد لمصادقته، لما وقع في كتبهم من تغيير وتحريف، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

وعلى الجملة، فالمختار عند الحنفية والمالكية، أن شرع من قبلنا شرع لنسأ، وأنه حجة يلزمنا العمل بها، يقول ابن الحاجب^(٢) ما نصه: (المختار أنه - أي النبي صلى الله عليه وسلم - بعد البعث متعبد بما لم ينسخ).

وقال في «المنار»: (وشرائع من قبلنا تلزمنا إذا قص الله ورسوله من غير إنكار). وبعد، فقد بات من المقطوع به أثراً لعلاقة الإسلام بالشرائع السماوية الأخرى، تحريم الزنى في كافة الشرائع السماوية، وهي حرمة من الإطلاق والعموم، بحيث تشمل الجريمة كاملة الأركان، وكل مقدماتها، بل وكل آثارها، بما في ذلك الإجهاض، إن كان مبعثه على غير ضرورة شرعية، وغايته دفن معالم جريمة حرمة الله في كسل الأديان، وخاطب بها بني البشر جميعاً من خلال رسله وكتبه.

١ - آل عمران: ٧٨.

٢ - ابن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن بونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل. ولد في أسنا من صعيد مصر ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية سنة ٦٤٦هـ. وكان أبوه حاجياً فعرف به. من تصانيفه الكافية، في النحو. والشافية، في الصرف. وفيات الأعيان: ٣١٤/١: خطط مبارك: ٦٢/٨: وغاية النهاية: ٥٠٨/١: ومفتاح السعادة: ١١٧/١ وآداب اللغة: ٥٣/٣.

وتحدث القرآن عن خشوع أهل الكتاب ورقة قلوبهم وخضوعهم للحق الذي جاء على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ وَتَجِدُنَ أَقْرَبَهُمْ مُّؤَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيحِينَ وَرُهْيَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(١).

موقف القرآن من الأديان السابقة:

خاطب القرآن أهل الأديان السماوية السابقة، وهم اليهود والنصارى بألطف العبارات وأجمل الألفاظ فكان وصفهم دائماً بلفظ ﴿يَا أَهْلُ﴾ حيث وردت هذه الكلمة في واحد وثلاثين موضعاً^(١).

وخاطبهم أيضاً بلفظ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وذلك في ثلاثين موضعاً^(٢). وهذا الخطاب فيه الاحترام الكبير، فهو يقول لهم: يا أصحاب العلم والمعرفة، يا أهل المخطوطات المقدسة السماوية.

والمستعرض لمنهج القرآن في الحديث عن أهل الكتاب يجده يتحدث عن صنفين: صنف اتبع الحق وآمن به، وسار على نهج الأنبياء كلهم حتى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، وصنف آخر جهل الحقائق، وخالف نهج الأنبياء.

وينضح هذا التصنيف من خلال استقراء الآيات القرآنية فنحن نقراً: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَاتِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْتَحْذُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

وامتدح القرآن الذين اتبعوا الحق وكانوا خاشعين فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٤).

ثم سمي القرآن علماء أهل الكتاب المتبعين للحق بأهم الراسخون، فقال: ﴿لِكِسْرِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥).

١ - انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص ٥٩٢ وما بعدها).

٢ - المرجع السابق ص ١٤.

٣ - آل عمران: الآيات: ١١٣، ١١٤.

٤ - آل عمران: ١٩٩.

٥ - النساء: ١٦٢.

تحقيق في مفهوم أهل الذمة « الذمية »

لقد أسيء استغلال لفظ أهل الذمة - عمداً أو خطأ - إما إساءة، وذلك لأغراض نحسبها الآن يقينا أنها سياسية، ولتجلية حقيقة هذا المفهوم نقول:

لقد وضع القرآن قاعدة تعد الدستور الأساسي في معاملة المسلمين لغيرهم من الناس فقال: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١).

فالآية واضحة تماماً في تقرير العلاقة بين المسلمين وغيرهم، إنما علاقة قائمة على أمر أعظم من العدل - الذي هو إعطاء كل ذي حق حقه - وإنما ترتقي هذه العلاقة إلى مرحلة الإحسان - وهو الزيادة على الحق فضلاً - ولقد قدمت الآية لفظ البر على لفظ القسط - وهو العدل - وهي إشارة رائعة من الآية إلى كيفية معاملة غير المسلمين، إنما علاقة قائمة على البر والإحسان، والشيء الرائع أن الإسلام سمي غير المسلمين داخل مجتمعه (أهل الذمة) أي أهل العهد والضمآن والأمان، لأن لهم عهد الله، وضمآن رسوله، وأمان جماعة المسلمين على أن يعيشوا في حماية الإسلام وتحت راية المجتمع الإسلامي آمين مطمئنين^(٢).

والذمة هنا ليست ذمة حماية فوقية كما هو أسلوب الحضارة الغربية المعاصرة، بل هي وعاء التعاون واحترام الغير، وتعبير: (لهم ما لنا، وعليهم ما علينا) هو تكملة مفهوم أهل الذمة.

ولكن العجب من البعض أنهم يعتبرون هذه التسمية تسمية فيها شيء من اللؤنية، وهذا كلام مرفوض، فمن يفهم كلمة العربي حين يقول: (أنت في ذمتي) يعني تماماً ما معنى أهل الذمة، أي: أنت في حمايتي ورعايتي وكنفي، لا أؤذيك ولا أسمح لأحد بأذيتك^(٣). ويمكن استبدال هذه الكلمة حالياً فيما يسمى بالعرف السياسي باسم (حاملي الجنسية الإسلامية)^(٤) فهؤلاء في الحقيقة مواطنون كبقية أفراد المجتمع المسلم.

١ - المتحنة: ٨.

٢ - انظر: بدائع الصنائع (١١٠/٧) والمغني (٤٩٦/٨).

٣ - الإسلام وفقه الأقليات، عبد الله ناصر الدوسري، ص ١٣١.

٤ - انظر: أحكام الذميين والمستأمنين (ص ٦٥).

موقف الإسلام من غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي

وضع فقهاء الشريعة الإسلامية قاعدة لتوضيح العلاقة بين المسلمين وغيرهم داخل المجتمع وهذه القاعدة قائمة على المعاملة بالمثل، وقد قيل قديماً: مَنْ عاملك كمنفسه لم يظلمك. وهذه القاعدة هي « لهم ما لنا، وعليهم ما علينا »^(١) وتفسيرها ليس عسلي إطلاقاً، وإنما: لهم ما لنا من الحقوق والحريات، وعليهم بعض الذي علينا من الواجبات وقد فسرت هذه القاعدة من خلال النقاط التالية:

آ - تأمين الحماية من العدوان الخارجي:

حيث يوجب المجتمع الإسلامي أن تُؤمَّن كل ضوابط الحماية لكل من رضي العيش بدخله، وهذا ما صرح به الفقهاء في إرشادهم، يقول ابن حزم الأندلسي^(٢): (إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك، صوتاً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة)^(٣) ولعل أروع الأمثلة على ذلك في التاريخ موقف القائد أبي عبيدة بن الجراح^(٤) من أهل حمص وغيرهم حينما ردّ عليهم أموالهم التي دفعوها مقابل حمايتهم من الاعتداء الخارجي بسبب عجزهم عن ذلك فقالوا: ردكم الله إلينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا إلينا بل غصبونا^(٥).

١ - انظر: بدائع الصنائع (١٠٠/٧).

٢ - ابن حزم: عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن ابن سعيد بن حزم، أبو المغيرة: أديب أندلسي، من الكتاب من أهل قرية الزاوية من قرى أوبية انتقل إلى بلاد النفر، وكتب عن عدة من الملوك، وألف تأليف، واتسمت ثروته. ومات شاباً سنة ٤٣٨هـ.

٣ - انظر: الفرق، الفرق (١٩) (١١٤/٣).

٤ - أبو عبيدة ابن الجراح: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي: الأمير القائد، فنانح السديار الشامية، والصحابي، أحد العشرة المشيرين بالجنة، قال ابن عساکر: داهينا قريش أبو بكر وأبو عبيدة. وكان لقبه أمين الأمة ولد بحكمة. وهو من السابقين إلى الإسلام. وشهد المشاهد كلها. وولاه عمر ابن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام، بعد خالد بن الوليد، فتم له فتح الديار الشامية، وبلغ الفرات شرقاً وأسية الصغرى شمالاً، وربت للبلاد المرابطين والعمال، وتعلقت به قلوب الناس لرفقه وأمانته وتواضعه. وتوفي بطاعون عمواس سنة ٤٠هـ ودفن في غور بيسان، وانقرض عقبه. له ١٤ حديثاً. الإصابة ١١٨/١، الطلقات الكبرى لابن سعد ٣٤٥/١.

٥ - انظر: فتوح البلدان (١٤٣).

وهذا ابن تيمية يقف بعنف في وجه التثار عندما أرادوا إطلاق سراح أسرى المسلمين فقط، وإبقاء النصارى بالأسر فقال: إنا لا نرضى إلا بافتكاك جميع الأسرى من المسلمين وغيرهم، لأنهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيراً لا من أهل الذمة، ولا من أهل الملة^(١).

ب- تأمين الحماية الداخلية:

وتشتمل هذه الحماية على ما يلي:

(١) - حماية الدماء والأبدان:

حيث تضافرت الأحاديث النبوية وسلوك الصحابة على تحريم إلحاق أي أذى أو ظلم بأي إنسان مواطن أو زائر غير مسلم هو في ذمة المسلمين وعهدهم من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»^(٢).

وقوله أيضاً: «من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة»^(٣) وكان علماء المسلمين يوصون الأمراء والخلفاء بحسن معاملة غير المسلمين والإحسان إليهم فهذا القاضي أبو يوسف^(٤) يكتب إلى الرشيد^(٥) قائلاً: (...). وقد ينبغي يا

١ - انظر: الرسالة القيرصية (٤٠).

٢ - رواه أبو داود (٤٦/٢)، والبيهقي في الكبرى ٢٠٥/٩.

٣ - رواه الخطيب، انظر: الجامع الصغير (٤٧٣/٢).

٤ - أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيهاً علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه الرأي وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والمهدي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد سنة ١٨٢هـ، وهو على القضاء. وهو أول من دعي قاضي القضاة ويقال له: قاضي قضاة الدنيا!، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بال تفسير والمغازي وأيام العرب. مفتاح السعادة: ١٠٠/٢ الفهرست: ٢٠٣ وأخبار القضاة لوكيع: ٢٥٤/٣ والنجوم الزاهرة: ١٠٧/٢ والبدایة والنهائة: ١٨٠/١٠.

٥ - هارون الرشيد ابن عمه المهدي ابن المنصور العباسي، أبو جعفر: خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. ولد بالري، لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان. ونشأ في دار الخلافة ببغداد. وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة إيريني واقتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعت له إلى خزينة الخليفة في كل عام. وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المهدي سنة ١٧٠ هـ فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه. واتصلت المسودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان فكان يتهاديان التحف. وكان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار -

أمير المؤمنين - أيدك الله - أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك حتى لا يظلموا ولا يسؤدوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم^(١).

ومن أمثلة التاريخ أيضاً وقوف الإمام الأوزاعي^(٢) في وجه الوالي العباسي صالح بن علي^(٣) عندما أساء إلى بعض أهل الذمة. كل ذلك تأكيداً لحماية غير المسلمين في المجتمع الإسلامي^(٤).

- العرب والحديث والفقه، فصيحا، له شعر أورد صاحب الديارات نماذج منه، له محاضرات مع علماء عصره، شجاعا كثير الغزوات، بلقب بجبار بني العباس، حازما كريما متواضعا، ينجح سنة ويفتر سنة، لم ير خليفة أجود منه، ولم يجمع على باب خليفة ما اجتمع على باب من العلماء والشعراء والكتاب والدماء ولايته ٢٣ سنة وشهران وأيام. توفي في سناباذ من قرى طوس، وبها قرره سنة ١٩٣هـ. البداية والنهاية: ١٠/٢١٣ وابن الأثير: ٦/٦٩ والطبري: ١٠/٤٧ وتاريخ بغداد: ٤/٥١٤.

١ - انظر: الخراج (١٣٦).

٢ - الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧هـ. وعرض عليه القضاء فامتنع. قال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت: كان الأوزاعي عظيم الشأن بالشام، وكان أمره فيهم أعز من أمر السلطان، وقد جعلت له كتاب يتضمن ترجمته. له كتاب السنن في الفقه، والمسائل ويقدر مسأئل عنه سبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها. وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه، إلى زمن الحكم ابن هشام. وابن النديم ١/٢٢٧ والوفيات: ١/٢٧٥ وتاريخ بيروت: ١٥ وحلية الأولياء: ٦/١٣٥.

٣ - صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي: الأمير، عم السفاح والمنصور، وأول من ولي مصر من قبل الخلفاء العباسيين. تعقب مروان بن محمد لما فر من الشام، وقتله ببوصير سنة ١٣٢ هـ فولاه السفاح مصر في أوائل سنة ١٣٣ فاقام سبعة أشهر وأياما، فنك فيها بكتيرين من أشياع بني أمية. وضمت إليه ولاية فلسطين، فانتقل إليها. ثم ورد كتاب بولايته على مصر وفلسطين وإفريقية، فعاد إلى مصر سنة ١٣٦ وولي الخلافة أبو جعفر المنصور، في هذه السنة، فأمره بالعودة إلى فلسطين. ثم جعل ينقله إلى أن أقره بالجزيرة، فكانت له الديار الشامية كلها. وأنشأ مدينة أدنة في الأناضول وكسر الروم في وقائع مرج دابق، وكانوا نحو مئة ألف. وكان شجاعا حازما. مولده بالشرقة من أرض البلقاء ووفاته بقتسرين سنة ١٥١هـ. دول الإسلام: ١/٧٩ والنجوم الزاهرة: ١/٣٢٣ وقذيب ابن عساکر: ٦/٢٧٦.

٤ - انظر: فتوح البلدان (١٦٧).

(٢) - حماية الأعراض:

فلا يجوز في الإسلام إلحاق أي أذى بالمسلم أو غير المسلم من شتم أو قذف أو تجريح أو حتى غيبة، يقول فقهاء الحنفية: (ويجب كفّ الأذى عنه [أي الذم] ونحرم غيبته كالمسلم)^(١).

ويقول فقهاء المالكية: (إن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم... فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذى أو أعان على ذلك فقد ضيّع ذمة الله)^(٢).

(٣) - حماية الأموال:

وهي مشاهدة لحماية الدماء والأعراض وكان من ضمن المعاهدة التي وقعتها النبي مع نصارى نجران قوله: « ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأرضهم وملتهم وغانثهم وشاهدهم وعشيرتهم ويبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير »^(٣).

والواقع التطبيقي لأحكام الشريعة يظهر بوضوح هذه الحماية لكل ممتلكات غير المسلمين فلهم الحق في دخول كل المعاملات الاقتصادية وممارسة كل الصفقات إلى غير ذلك من الحرية الاقتصادية، وحق التملك.

(٤) - كفالة بيت المال:

يكفل المجتمع الإسلامي للمسلم وغيره كل الاحتياجات وبخاصة عند العجز عن الكسب والعمل، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: « كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع، ومسئول عن رعيته »^(٤).

والأمثلة على ذلك كثيرة فأهل الذمة هم من أولى الناس مع المسلمين بالر والصلة وكانت ضمانات المجتمع المسلم واضحة ضد الفقر والعجز والشيخوخة لكل فئات المجتمع لا تفرق بين مسلم وغيره، فهذا صلح خالد بن الوليد مع أهل الحيرة جاء فيه (...).

١ - انظر: الدر المختار (٣/٢٥٠).

٢ - انظر: الفروق (٣/١٤٤).

٣ - انظر: الحراج (٧٨).

٤ - رواه البخاري في الإيمان (١/١٦٠).

وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيرته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام^(١).

وقد أقر الخليفة الصديق خالداً على ذلك. وقد قيل إن مساعدة الذمي من بيت مال المسلمين حال عجزه أمرٌ قد أجمعت عليه الأمة^(٢).

ومن الأمثلة أيضاً كتاب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى والي البصرة جاء فيه: (أما بعد فانظر أهل الذمة فارقهم، وإذا كبر الرجل منهم وليس له مالٌ فأنفق عليه)^(٣).

ج- الحريات العامة:

وتشتمل هذه الحريات على ما يلي:

(١) - حرية المعتقد، وممارسة الشعائر، وضوء أماكن العبادة، أو بتعبير آخر:

حق الاعتقاد والتدين.

جاء الإسلام لهداية البشرية وإنقاذها من الضلالة والأوهام، ومن ظلمات الجهل والخرافة، وقد فتح للهداية أبواباً من البيئات والدلائل العقلية الواضحة، وحث الإنسان على التدبير في الكون والحياة، وفي آفاق النفس البشرية ليهتدي بعد التدبير والاستدلال، وجعله حراً في إرادته في الإيمان والاعتقاد مخيراً لا مسيراً، ولهذا لم يكره أحداً على تبني العقيدة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ رُبُّكَ لَآمِنٌ مِّنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾^(٤).

وصرح القرآن الكريم بعدم الإكراه في الدين والاعتقاد فقال: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي دِينٍ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ... ﴾^(٥).

١ - انظر: الخراج (١٥٦).

٢ - انظر: أحكام الذميين والمستأمنين (١٠٤).

٣ - انظر: الطقات الكبرى (٣٨٠/٥).

٤ - يونس: ٩٩.

٥ - البقرة: ٢٥٦.

وحول تفسير الآية الكريمة قال العلامة الطبري^(١): « إن المراد ليس في الدين إكراه من الله، ولكن العبد مخير فيه لأن ما هو دين في الحقيقة هو من أفعال القلوب إذا فعل لوجه وجوبه، فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة ». وقال العلامة الطباطبائي: « وهذه إحدى الآيات الدالة على أن الإسلام لم يسن على السيف والدم ولم يفت بالإكراه والعنوة على خلاف ما زعمه عدة من الباحثين من المتحلين وغيرهم أن الإسلام دين السيف... إن القتال الذي ندب إليه الإسلام ليس لغاية احراز التقدم وبسط الدين بالقوة والإكراه، بل لإحياء الحق والدفاع عن أنفس متاع للفطرة وهو التوحيد، وأما بعد انبساط التوحيد بين الناس وخضوعهم لدين النبوة ولسو بالتهود والتتصر، فلا نزاع لمسلم مع موحد ولا جدال »^(٢).

وقال أيضاً: « إن الآية أعني قوله: ﴿ لا إكراه في الدين ﴾^(٣) غير منسوخة بآية السيف ».

وقد حسد رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الحقيقة في سيرته العملية، فلم يكره أي أحد على تبني العقيدة الإسلامية، ففي أوائل هجرته « جاءه اليهود: (قريظة والنضير والقينقاع) فقالوا: يا محمد إلام تدعو؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله الذي تجدونني مكتوباً في التوراة، والذي أحرركم به علماؤكم أن مخرجي بمكة ومهاجري بهذه الحرة... فقالوا له: قد سمعنا ما تقول وقد جئناك لنطلب منك الهدنة على أن لا نكون لك ولا عليك، ولا نعين عليك أحداً، ولا تنعرض لنا ولا لأحد من أصحابنا حتى نظرننا إلى ما يصير أمرك وأمر قومك، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك وكتب

١ - الطبري: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأق. له أخبار الرسل والملوك يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءاً، وجامع البيان في تفسير القرآن، يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءاً وهو من نفقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقق. وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسيراً، أعين، نحيف الجسم، فصيحاً تسوي سنة ٣١٠هـ. إرشاد الأريب: ٤٢٣/٦ وتذكرة الحفاظ: ٣٥١/٢ وطبقات السبكي: ١٣٥/٢ والبدایة والنهاية: ١٤٥/١١.

٢ - رواع البيان في تفسير القرآن للطباطبائي، ٤٥٦/٢.

٣ - البقرة: ٢٥٦.

بينهم كتاباً أن لا يعينوا على رسول الله، ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا سلاح ولا بكراع في السرّ والعلانية لا بليل ولا بنهار، والله بذلك عليهم شهيد»^(١).
 أقر الإسلام بوضوح تام حرية الاعتقاد لكل الناس، فلا إكراه لأحد على دخول الإسلام، وإن كان يدعوهم إليه. والدعوة إلى دخول الإسلام، والإجبار عليه أمران متضادان: الأول جائز مشروع، والثاني حرام ممنوع بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢) وقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٣) والقاعدة في ذلك هي قول الإمام علي كرم الله وجهه: {تركهم ومسا يدينون} ^(٤).

والشواهد التاريخية على هذا كثيرة من زمن النبي إلى عصرنا الحاضر فقد جاء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يهود المدينة «... لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مسوألهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم»^(٥) وفي عهده أيضاً لأهل بخران «... ولا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانته، ولا كاهن من كهانته، وليس عليه ذنبة»^(٦).
 وقد حُفِظَ رجال الدين المسيحيين واليهود من سطوة الحروب، فقد جاء في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام «لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع»^(٧) وفي خطبة الصديق إلى جيوشه لتحرير العراق والشام جاء قوله: (وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)^(٨).

وجاء في عهد الفاروق إلى أهل القدس ضماناً واضحة لحرمتهم الدينية وحرمة معابدهم وشعائرهم ما نصه: (هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً

١ - تفسير الطبري ١١/٢٦.

٢ - النحل: ١٢٥.

٣ - البقرة: ٢٥٦.

٤ - انظر: تكملة فتح القدير (٣٩٨/٧).

٥ - انظر: السيرة النبوية لابن هشام.

٦ - انظر: الحراج (ص ٧٨).

٧ - رواه أحمد (٣٠٠/١).

٨ - انظر: تاريخ الرسل والملوك (٢٤٦/٢).

لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها، وساثر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تخدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار منهم^(١).

ومن أبلغ الأمثلة على تسامح الإسلام الرفيع سماح النبي صلى الله عليه وسلم لوفسد نصارى نجران وكانوا ستين شخصاً أن يدخلوا مسجده وأن يجلسوا فيه بضعة أيام فإذا حضرت صلاتهم قاموا متوجهين إلى الشرق على مرأى ومسمع من رسول الله دون اعتراض منه أو منع^(٢).

والحق الذي يجب الصدع به أن أعظم الشواهد الواقعية على حرية المعتقد في الإسلام هو ما يرى الآن وبعد فترة حكم دامت أربعة عشر قرناً ما يرى الآن من أماكن العبادة: الكنائس والمعابد والأديرة. منتشرة في كل مكان من بقاع العالم الإسلامي شرقاً وغرباً وهي شواهد عيان تنطق بحرية المعتقد التي جاء بها الإسلام فلو أن المسلمين كانوا كثيرهم من أتباع الملل والنحل لما شوهد برج كنيسة واحد ولمَّا سُمع صوت ناقوس، على حين أن الآخرين كانوا يستأصلون شأفة المسلمين في ديارهم فما الأندلس متناً ببعيد، وما البوسنة والمهرسك عتاً بغائبة.

٢ - حرية الفكر والتعلم:

عندما أرسى الإسلام قواعد المجتمع الإسلامي كان من بين أسسه نشر العلم بين كل فئات ذلك المجتمع، وأبلغ دليل على ذلك هو كثرة الإنتاج العلمي الذي ظهر على أيدي غير المسلمين في شتى المجالات العلمية واشتهرت أسماء علماء كثر من اليهود والنصارى وغيرهم.

فليس في أحكام الإسلام ما يمنع غير المسلمين من حرية الفكر والتعلم، ولهم تعليم أبنائهم وتنشئتهم وفق مبادئ دينهم، ولهم إنشاء المدارس الخاصة بهم.

١ - المرجع السابق (٤٤٩/٢).

٢ - انظر: السيرة النبوية (٥٧٤/١).

وكانت أول مظاهر هذه الحرية قد ظهرت في تطبيقات الرسول العملية، إذ كسان من ضمن الغنائم التي آلت إلى المسلمين بعد فتح خيبر مجموعة كبيرة من نسخ التوراة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بردها مباشرة إلى أصحابها اليهود^(١).

ولقد كانت الجامعات والمعاهد الإسلامية عبر التاريخ مفتوحة على مصارعها لأهل الذمة حتى تتلمذوا على أيدي علماء وفقهاء المسلمين، فدرس حنين ابن إسحاق^(٢) على يد الخليل بن الفراهيدي^(٣) وسيبويه^(٤).

١ - انظر: أحكام الذميين والمستأمنين (١٠١).

٢ - حنين بن إسحاق العبدي، أبو زيد: طبيب، مؤرخ، مترجم: كان أبوه صيدلانياً، من أهل الحيرة في العراق وسافر حنين إلى البصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وانتقل إلى بغداد فأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية، فانتهت إليه رئاسة العلم بها بين المترجمين، مع إحصائه العربية، وكان فصيحاً لها شاعراً واتصل بالأمم فعمله رئيساً لديوان الترجمة، وبذل له الأموال والعطايا. وجعل بين يديه كتاباً غاربر علمين باللغات، كانوا يترجمون، ويتصفح حنين ما ترجموا فيصلح ما يرى فيه خطأً. ولخص كثيراً من كتب أبقراط وحالبينوس وأوضح معانيها. وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية من الكتب، فكان يختار لكتبه أغلظ الورق، ويأمر كتابه بخطها بالحروف الكبيرة ويفسحوا بين السطور. ورحل رحلات كثيرة إلى فارس وبلاد الروم. وعاصر تسعة من الخلفاء توفي سنة ٢٦٠هـ. وكان يحفظ إنيادة هوميروس. له كتب ومترجمات كثيرة تزيد على مئة، منها تاريخ العالم والمداد والأنبياء والملوك والأمم إلى زمنه، و الفصول الانفراطية، في الطب. ومات في بغداد. ابن خلكان: ١٦٧/١ وفهرست ابن النديم: الفن الثالث من المقالة السابعة. وطبقات الأطباء: ١٨٤/١

٣ - الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم الفراهيدي الأزدي الجهمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة الفقه والادب، وواضع علم العروض، أخذ من الموسيقى وكان عارفاً بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد في البصرة ومات فيها سنة ١٧٠هـ، وعاش فقيراً صابراً. كان شعث الرأس، صاحب اللون، قشفت الهيئة، منمق الثياب، متقطع القدمين، مغموراً في الناس لا يعرف. قال النضر بن شميل: ما رأى الرؤوف مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه. له كتاب العين في اللغة ومعاني الحروف وجملة آلات العرب وتفسير حروف اللغة وكتاب العروض والنقط والشكل والنعيم. وفيات الأعيان: ١٧٢/١ وإنباء الرواة: ٣٤١/١.

٤ - سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فمزم الخليل بن أحمد ففقهه. وصنف كتابه المسمى كتاب سيبويه، في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. ورحل إلى بغداد، فإظ الكسائي. وأجازته الرشيد بعشرة آلاف درهم. وعاد إلى الأهواز فتوفي بها، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. وكانت في لسانه حنسة. و سيبويه بالفارسية راتحة التفاح. وكان أبقاً جميلاً، توفي شاباً سنة ١٨٠هـ. ابن خلكان: ٣٨٥/١ والبداية والنهاية: ١٧٦/١ وتاريخ بغداد: ١٩٥/١٢ وطبقات النحويين: ٦٦.

حتى أصبح حجة في اللغة العربية وتعلم يحيى بن عدي^(١) على يد الفارابي^(٢)، ودرس ثابت بن قُرّة^(٣) على يد محمد بن موسى^(٤)

١ - يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا، أبو زكريا : فيلسوف حكيم، انتهت إليه الرياسة في علم المنطق في عصره. ولد بتكريت، وانتقل إلى بغداد. وقرأ على الفارابي، وترجم عن السريانية كثيراً إلى العربية، وتوفي ببغداد سنة ٣٦٤هـ، ودفن في بيعة القضيعة. كان ملازماً لنسخ الكتب بيده، كتب نسختين من تفسير الطبري، وأهداهما إلى بعض الملوك، ونسخ كثيراً من كتب المتكلمين. وقال أبو حيان : كان شيخاً لين المريكة، مشهود الترحمة، ودئ العارضة. ولم يكن يلود بالإخيات، كان يتبهر فيها ويفضل في بساطتها. أخبار الحكماء، للقفطي: ٢٣٦. وطبقات ابن أبي أصيبعة ١ / ٢٣٥ وحكماء الإسلام ٩٧ والإمتاع والمؤانسة: ٣٧/١ وابن النديم: ٢٦٤.

٢ - الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلج، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني : أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب على نهر جيحون وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام. واتصل بسيف الدولة ابن حمدان. وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. ويقال : إن الآلة المعروفة بالفانوتون، من وضعه، ولعله أخذها عن الفرس فوسعها وزادها إتقاناً فنسبها الناس إليه. وعرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو المعلم الأول وكان زاعداً في الزخارف، لا يخفى بأمر مسكن أو مكسب، يميل إلى الأفراد بنفسه، ولم يكن يوجد غالباً في مدة إقامته بدمشق إلا عند مجتمع ماء أو مشيتك رياض. له نحو مئة كتاب، منها الفصوص ترجم إلى الألمانية، وإحصاء العلوم والتعريف بأغراضها و آراء أهل المدينة الفاضلة. وفيات الأعيان: ٧٦/٢ وطبقات الأطباء: ١٣٤/٢ تاريخ حكماء الإسلام: ٣٠. والبداية والنهاية ١١ : ٢٢٤ وفيه : كان يقول بالمعاد الروحاني لا الجنائي . الرازي بالوفيات: ١٠٦/١ ومفتاح السعادة: ٢٥٩/١.

٣ - ثابت بن قرة بن زهرون الحراني الصائبي، أبو الحسن : طبيب حاسب فيلسوف. ولد ونشأ بحران بين دجلة والفرات وحدثت له مع أهل مذهبه الضابطة أشياء أنكروها عليه في المذهب، فحرم عليه رئيسهم دخول البيهكل، فخرج من حران، وقصد بغداد، فاشتغل بالفلسفة والطب فبرع، واتصل بالمعتضد الخليفة العباسي فكانت له عنده منزلة رفيعة. ووصف نحو ١٥٠ كتاباً، منها الذخيرة في علم الطب. وكان يحسن السريانية وأكثر اللغات الشائعة في عصره، فترجم عنها كثيراً إلى العربية. وتوفي في بغداد سنة ٢٨٨هـ. طبقات الأطباء: ٢١٥/١ وحكماء الإسلام: ٢٠ والفهرس التمهيدي: ٤٧٧ وابن حلكان: ١٠٠/١.

٤ - انظر: مواطنون لا ذنبيون (٧١).

٥ - الخوارزمي: محمد بن موسى الخوارزمي، أبو عبد الله : رياضي فلكي مؤرخ، من أهل خوارزم، نعت بالاستناد. أقامه المأمون العباسي فيما على خزانة كتبه، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها، وأمره باختصار المخطوط لبطليموس، فاختصره وسماه السند هند أي: الدرر الداهر، فكان هذا الكتاب، كما يقول ملتزوم الجغرافي أساساً لعلم الفلك بعد الإسلام. وللخوارزمي كتاب الجبر والمقابلة ترجم إلى اللاتينية ثم إلى الإنكليزية، ونشرهما وطبع العربية مختصر منه، و الزيج نقل عنه المسعودي، و التاريخ نقل عنه حمزة الأصفهاني، و صورة الأرض من -

(٣) - حرية التنقل:

ولغير المسلمين من أهل الديانات الأخرى حرية التنقل والحركة، والسفر والترحال، من بلد لآخر، في أي وقت شاؤوا، ولأي اتجاه ساروا، فقد جاء في العهد الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل (أيلة) النصارى قرب العقبة « بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمانة من الله، ومحمد النبي رسول الله إلى يوحنا بن ربيعة، وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر: لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام واليمن.. وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماءً يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر وبحر »^(١).

(٤) - حرية العمل والكسب وتولي مناصب الدولة:

إن أبواب العمل مفتوحة للمسلمين ولغيرهم لممارسة أي عمل أو مهنة وهذا ما دفع غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي بكل ثقة وطمأنينة أن يتوجهوا إلى الأعمال التي تدر أكبر قدر من الأرباح، فقد كانوا صبارفة وصياغاً وتجاراً وأطباء^(٢). وكذلك الأمر بالنسبة لتولي وظائف الدولة فلهم مطلق الحرية في ذلك باستثناء الوظائف التي لها السمة الدينية الاعتقادية البحتة كالإمامة العامة والقضاء. ولهم المشاركة فيما يسمى مجلس الشعب ترشيحاً وانتخاباً لأن عضوية هذا المجلس تنفيذ في إبداء الرأي للدولة وعرض مشاكل وأحوال المواطنين ومعالجتها^(٣). ولعل في شهادة السير توماس أرنولد^(٤) صاحب كتاب (تاريخ الدعوة إلى الإسلام) أبلغ دليل على ما سبق عرضه حيث بين أنه كانت لأهل الذمة فترات طويلة تعتبر العهود

- المدن والجيال الخ و عمل الإسطراب و وصف إفريقية وهو قطعة من كتابه رسم المعمور من البلاد. وعاش إلى ما بعد وفاة الوالي بالله توي حوالي ٢٣٢٢هـ. وابن الدم ٢٧٥ وأخبار الحكماء ١٨٧ وكشف الظنون: ٥٧٩.

١ - انظر: السيرة النبوية (٢/٥٢٦).

٢ - انظر: المراجع (٦٩).

٣ - انظر: أحكام الدمين والمستأمنين (٨٤).

٤ - توماس ووكر أرنولد : Arnold : Thomas Walker مستشرق إنكليزي. من أهل لندن. تعلم في كمبرج. وعين مدرسا في كلية عليكره بالهند سنة ١٨٨٨ فأستاذة للفلسفة في لاهور، فريسا للكلية السشرقية في جامعة البنجاب. وعاد إلى لندن، فعين أستاذة للعربية في جامعتها سنة ١٩٠٤ فمديراً لمعهد الدراسات الشرقية. وزار مصر قبل وفاته. له كتب بالإنكليزية في تعاليم الإسلام و المعتزلة و الخلافة وقد ترجم الأخير إلى العربية وطبع.

الراهرة في تاريخهم، لما لقيه هؤلاء من تسامح في ممارسة شعائرهم الدينية، وفي بناء الكنائس والأديرة وفي مساواتهم بالمسلمين في الوظائف فكانت طوائف الموظفين الرسميين تضم مئات من المسيحيين، وقد بلغ عدد الذين رفقوا منهم إلى مناصب الدولة العليا من الكثرة لدرجة أثار شكوك المسلمين^(١).

٥ - الحرية الاجتماعية:

والمقصود بها حرية ممارسة كل النشاطات الاجتماعية كالمهرجانات والأعياد والزيارات وكانت سمّة المجتمع الإسلامي هي التعايش السلمي بين كل طوائفه ومملته وقد سبق الحديث عن الآية التي حثت على البر وحسن الصلة لغير المسلمين، وكان النبي يعود مرضى غير المسلمين، ويزور جيرانه منهم، ويتفقد أحوالهم، فيحسن إلى محتاجهم، ويتجاوز عن سيئهم، ويدعوهم للإسلام بكل رفق ولين. ولقد كان احتفال غير المسلمين بأعيادهم ومناسباتهم من الأمور المألوفة لسدى المجتمع الإسلامي في جو من الحرية والتسامح^(٢).

٦ (حرية التفكير وحق إبداء الرأي:

منح الإسلام حرية التفكير، وحق إبداء الرأي لأتباع الأديان التي تعيش في ظل الدولة الإسلامية، وفي داخل المجتمع الإسلامي، وفقاً لمتنبياته في تحرير العقل والتفكير، بإقامة الحجة والبرهان، فلا يمنع من أن يكون الإنسان حراً في إبداء رأيه غير مقلد ولا تابع، وإن يعبر عن هذا الرأي عن طريق الحوار وبالأسلوب الذي يريده، حتى وإن كان رأيه ساذجاً ومخالفاً للواقع، كما هو الحال عن تعبير أهل الكتاب عن آرائهم ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٣).

- وله كتب بالإنكليزية أيضاً في الفن والرسم الإسلاميين، ساعده فيها لوي نبيون من رسامي الفنون الشرقية. قال آريزي: كان آرنولد مرجعاً في الشؤون الإسلامية. مجلة الجمع العلمي العربي ٢٣: ٢٧٧.
١ - انظر: تاريخ الدعوة إلى الإسلام (٨١ وما بعدها).
٢ - انظر: الدبّارات للشايشني (١٤).
٣ - البقرة: ١١١.

وأمر القرآن الكريم باستخدام الأسلوب الحسن في الجدل مع أصحاب الديانات، وهذا يقتضي منح الحرية لهم في إبداء وجهات نظرهم في مختلف القضايا والأحداث، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُتِرَ لَنَا وَإِنَّا بِإِنَّكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَتَحَرُّ لَهٗ مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

والقرآن الكريم يدعو صراحة إلى حرية الحوار وإبداء وجهات النظر المختلفة، دون إكراه أو إرهاب فيقول: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

فالإسلام لم يمنع غيره من إبداء وجهات النظر عن طريق الحوار العلمي الهادئ الذي يقوم على أسس سليمة عن طريق إقامة الدليل والحجة والبرهان، وهناك قيود قيدها الإسلام غير المسلمين طبقاً لمعاهدة التعايش السلمي التي اتفق عليها المسلمون مع من يعيش في مجتمعاتهم ويثبتهم، وهذه القيود لا تخصهم، بل هي شاملة لهم وللمسلمين حفاظاً على المقدسات واحتراماً للحرريات العامة وقد تقدم ذكرها.

وكان غير المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يتمتعون بحرية التفكير وفي إبداء وجهات نظرهم وآرائهم دون ضغط أو إكراه، وكانت تلك الآراء تلقى على مسامح رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن عبد الله بن عباس: إنَّ عبد الله بن سوريا وكعب بن الأشرف^(٢) ومالك ابن الصيف وجماعة من اليهود ونصارى أهل نجران حاصموا أهل الإسلام كل فرقة تزعم أنها

١ - العنكبوت: ٤٦.

٢ - كعب بن الأشرف الطائي، من بني نهبان: شاعر جاهلي. كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية. وكان سيداً في أحواله. يقم في حصن له قريب من المدينة، ما زالت بقاياها إلى اليوم، يبيع فيه التمير والطحام. أدرك الإسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، وغريص القبائل عليهم وإبذائهم، والتشبيب بنسائهم. وخرج إلى مكة بعد وفاة بدر فندب قنلى قريش فيها، وحض على الأخذ بأرهم. وعاد إلى المدينة. وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله، فانطلق إليه حمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة في السنة الثالثة للهجرة. الروض الأنف: ١٢٣/٢ وابن الأثير: ٥٣/٢ والطبري: ٢/٣ واخير: ١١٧ و ٢٨٢.

أحقّ بدين الله من غيرها، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابتنا الإنجيل أفضل الكتب، وكل فريق منهما قالوا للمؤمنين: كونوا على ديننا، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١).

وقيل: إن ابن سوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما الهدى إلا ما نحسن عليه فاتبعنا يا محمد فتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله هذه الآية^(٢).

ولم تقتصر الحرية في الرأي على أهل الكتاب، بل شملت حتى المشركين ممن غيرهم، فحينما قدم وفد بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وآله نادوه من وراء الحجرات: « اخرج إلينا يا محمد »، فخرج إليهم، فقالوا: جئناك لنفاحرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فقال: « قد أدنت »، فقام عطار بن حاجب^(٣) وقال: الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً والذي له الفضل علينا، والذي وهب علينا أموالاً عظيماً نفعل بما المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثر عدداً وعدة، فمن مثلنا في الناس؟ فمن فخرنا فليعد مثل ما عدنا، ولو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكننا نستحي من الإكثار، ثم جلس.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لثابت بن قيس بن شماس^(٤): « قم فأجبه »، فقام، فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه

١ - البقرة: ١٣٥.

٢ - تفسير ابن كثير ١/١٨٧.

٣ - عطار بن حاجب بن زرارة التميمي: خطيب، من سرة بني تميم. قيل: وفد على كسرى في الجاهلية وطلب منه قوس أبيه، فردها عليه وكساه حلبة ديباج. ولما ظهر الإسلام وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فكان خطيبه، واستعمله على صدقات بني تميم. وارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتبع سجاح. ثم عاد إلى الإسلام وقال في سجاح: أضحيت نبينا أننى يطاف بها وأضحيت أنبياء الناس ذكرانا كانت وفاته نحو ٢٠هـ. الإصابة: ٥٥٦٨ والبيان والتهبين: ١/١٧٨ والأمدى: ٢٩٩ جمهرة الأنساب: ٢٠٨.

٤ - ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري: صحابي، كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد. وفي الحديث: نعم الرجل ثابت. ودخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليل، فقال: أذهب لباس رب الناس عن ثابت بن قيس، قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر سنة ١٢هـ. صفة الصفوة: ١/٢٥٧.

علمه، ولم يكن شيء قط إلا من فضله، ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأفضلهم حسباً...

ثم قام الزبيرقان بن بدر^(١) ينشد، وأجابه حسان بن ثابت^(٢)، فلما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع: إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواقهم أعلى من أصواتنا، فلما فرغوا أجازهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأحسن حوارهم وأسلموا^(٣).

ومن الوقائع الدالة على التمتع بحرية إبداء الرأي إن قوماً من اليهود أتوا عمر بن الخطاب، فقالوا: قد أتيناك نسألك عن أشياء، فقال عمر: سلوا عما بدا لكم، قالوا: أخبرنا عن أفعال السماوات السبع ومفاتيحها... فأطرق عمر ساعة ثم فتح عينيه ثم قال: سألتكم عمر بن الخطاب عما ليس له به علم، ولكن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله يعني: علياً عليه السلام يخبركم بما سألتكموني عنه، فأرسل إليه فدعاه، فلما أتاه قال له: يا

١ - الزبيرقان بن بدر التميمي السعدي: صحابي، من رؤساء قومه. قبل اسمه الحصين ولقب بالزبيرقان وهو مسن أسماء القمر حسن وجهه. ولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر، وكف بصره في آخر عمره. وتوفي في أيام معاوية سنة ٤٥ تقريباً. وكان فصيحاً شاعراً، فيه حفاء الأعراب. قال ابن حزم: ولله عقب بطييرة لهم بها تقدم، وكانوا أول نزولهم بالأندلس نزلوا بقرية ضحمة سميت الزيارفة نسبة إليهم، ثم غلب الإفرنج عليها، فانتقلوا إلى طلييرة، وينسب إليه قول النابغة: تعدو الذئاب على من لا كلاب له. الإصابة: ٥٤٣/١ والأمدي: ١٢٨ وجمهرة الأنساب: ٢٠٨ وخراتة البغدادي: ٥٣١/١.

٢ - حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المحضمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. وكان مسن سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً، لعله أصابته. وكانت له ناصية يسدها بين عينيه. وكان يضرب بلسانه رونة أفقه من طوله، قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. وكان شديد المحاء، فحل الشعر. قال المبرد في الكامل: أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فسأفهم يعدون ستة في نسق، كلهم شاعر، وهم: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر ابن حرام. تسوي في المدينة سنة ٥٤ هـ.

تهديب النهديب: ٢٤٧/٢ والإصابة: ٣٢٦/١ وابن عساکر: ١٢٥/٤ وخراتة البغدادي: ١١١/١ والأغانى طبعه الدار: ١٣٤/٤ والشعر والشعراء: ١٠٤.

٣ - تاريخ الطبري ١٨٨/٢.

أبا الحسن إن معاشر اليهود سألوني عن أشياء لم أحبهم فيها بشيء، وقد ضمنوا لي أن أحرمتهم أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله.

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: « يا معاشر اليهود أعرضوا عليّ مسائلكم » فقالوا له مثل ما قالوا لعمر، فلما أحابهم، أقبلوا يقولون: نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله^(١).

وكان لهم الحرية في إبداء وجهات النظر، ومن ذلك قول أحد اليهود للإمام علي عليه السلام: « ما دفتتم نبيكم حتى اختلفتم فيه! »، فأجابته عليه السلام: « إنما اختلفنا عنه لا فيه »^(٢).

لأهل الكتاب حقّ كتابة التوراة والإنجيل وسائر الكتب الخاصة بهم، وهم حقّ الطبع والنشر.

٧) حقّ التقاضي والحماية القانونية:

من مصاديق إنسانية الإسلام ورحمته باتباع الأديان أن تبنى حمايتهم من كل ألوان الاضطهاد والظلم والعدوان، بقسميه الخارجي والداخلي، فهم آمنون على أرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم، وتجلى هذا التبنى منذ الأيام الأولى لإقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، حيث كتب رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً حدد فيه دستور العلاقات بين مواطني المدينة على اختلاف أديانهم، وقد جاء في هذا الكتاب الشريف: «... وإنه مسن تبعنا من يهود فان له النصره والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم... وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم^(٣)».

١ - الطري ٢٢٥/٤.

٢ - البداية والنهاية ٥٥٤/٣.

٣ - المرجع السابق ٢٢٥/٣.

شهادات العالم الغربي في سماحة الإسلام

الاعتراف بحق الاعتقاد والتدين من قبل الإسلام والمسلمين من الحقائق البارزة التي اعترف بها غير المسلمين إنصافاً منهم في قول الحقيقة لما لمسوه وشاهدوه من ممارسات إيجابية في علاقات المسلمين بغيرهم.

فقد كتب البطريرك المسيحي (سيمون) من مدينة مرو: « إن العرب الذين أورثهم الله ملك الأرض لا يهاجمون الدين المسيحي أبداً... إنهم يساعدوننا ويحترمون إلهنا وقديسنا... »^(١).

وقال مونتجومري وات: « كان السبب الأول في نجاح محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاذبية الإسلام، وقيمتها كنظام ديني واجتماعي لسد حاجات العرب الدينية والاجتماعية.

كما أن بصيرة محمد صلى الله عليه وآله ودبلوماسيته ومهارته الإدارية لعبت دوراً كبيراً في نجاحه... يضاف إلى ذلك إن مهارته في إدارة التحالف الذي يرأسه... جعل الكل يشعرون، ماعدا أقلية لا أهمية لها، إنهم يعاملون معاملة حسنة، زادت الفرق بين شعور الانسجام والرضا في الأمة الإسلامية وشعور القلق في مكة، ولاشك أن ذلك أفسر في كثير من الناس وجذبهم إلى محمد ».

وقال أيضاً: « حتى إذا ما بدت علامات التحلل على الإمبراطورية البيزنطية والفارسية، وشعر الناس بالحاجة إلى شيء متين يتمسكون به، قدمت الأمة الإسلامية لهم هذا الاستقرار المطلوب »^(٢).

وقال جوستاف لوبون^(٣): « إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار الإسلام... والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب أي المسلمين »^(٤).

١ - نقل عن مجلة النبأ، العدد ٥١، الكاتب عمرو الواحدي.

٢ - الغرب يبنيد بالإسلام ديناً، عبد الحميد علي السراج، ص ٩٨.

٣ - جوستاف لوبون عالم ومؤرخ فرنسي شهير أشهر كتبه (حضارة العرب) يعد كتاب « حضارة العرب» من أهم الكتب التي صدرت في العصر الحديث في أوروبا لإنصاف الحضارة العربية الإسلامية وإظهار ما للعرب من فضل في تمدن أوروبا. وقد ألف الكتاب العلامة الفرنسي الكبير جوستاف لوبون في عام ١٨٨٤.

وقال سير توماس أونولد: « يمكننا أن نخكم من الصلات الودية التي قامت بين
المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى
الإسلام »^(١).

وقال توماس كاريل^(٢): « إن أقام محمد بالتعويل على السيف في حمل الناس
على الاستجابة لدعوته سخط غير مفهوم »^(٣).

وقالت الكاتبة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري: « إن الإسلام لا يسيح امتشاق
الحسام إلا دفاعاً عن النفس، وهو يجرم العدوان تحريماً صريحاً... وأباحت الشريعة القتال
للمسلمين دفاعاً عن حرية الضمير لإقرار السلم واستتاب الأمن والنظام »^(٤).

وقال روبرتسون: « إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح
نحو أتباع الأديان الأخرى الذين غلبوهم وتركوهم أحراراً في إقامة شعائرتهم الدينية »^(٥).

١ - وقد راع لوبون، الذي قام برحلات عديدة في العالم الإسلامي، الحجد الذي ساد في أوروبا في القرن التاسع
عشر للحضارة الإسلامية والعربية. فرأى أن يعث عصر العرب الذهبي من مرقدته وأن يظهره في صورته الحقيقية
قدر ما يستطيع.

٢ - الغرب يشيد بالإسلام ديناً، عبد الحميد علي السراج، ص ٢١٣.

٣ - هذه سماحة الإسلام، هنا، الصفدي، ص ٥٧.

٤ - توماس كاريل

الفيلسوف الإنجليزي الشهير توماس كاريل (١٧٩٥-١٨٨١م)، فقد حصص في كتابه (الأبطال وعبادة البطولة)
فصلاً لثبي الإسلام بعنوان "البطل في صورة رسول: محمد-الإسلام"، عد فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) واحداً من
العظماء السبعة الذين أنجهم التاريخ.

وقد رد كارلايل مزاعم المتعصبين حول النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يزعم المتعصبون من النصارى والمحدون
أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان... لقد كانت في فؤاد ذلك الرجل
الكبير ابن القفار، المنورد المقتلين، العظيم النفس المملوء رحمة وخيراً وحناناً وبراً وحكمة... أفكار غير الطمسح
الديني، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا وتلك نفس صامدة ورجل من السذجين لا يمكنهم إلا أن
يكونوا غلفين حادي.

وبعد أن يتعرض بالتحليل والتفسير لعظمة نبي الإسلام ونبوته وتعاليمه السامية، يقول: "ولئن لأحب محمداً لسراية
طبعه من الرباء والتصنع."

٥ - افرووا الإسلام جيداً، توماس كاريل، ترجمة عبد الحميد السراج، ص ٩٣.

٦ - شمس العرب تنسطع على الغرب، زغريد هونكة، ص ١٨٣.

٧ - ...

وقال المسيو بونه موري: « الأسباب التي جعلت للإسلام الفوز في إفريقيا بين السود، وأهم هذه الأسباب بساطة العقيدة الإسلامية التي تنحصر في كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله... كذلك الإسلام ليس فيه طبقات ودرجات، فالزنجي لا يسرى نفسه محترماً في الجماعة الإسلامية »^(١).

ونحو هذا صرح الكاتب المسيحي الفرنسي هوبير ديتان حاكم المستعمرات الفرنسية بأفريقيا حتى سنة ١٩٥٠م في كتابه « الديانات في أفريقيا السوداء » قال: « إن انتشار دعوة الإسلام في أغلب الظروف لم تقم على القسر، وإنما قامت على الإقناع... وكثيراً ما انتشر الإسلام بالتسرب السلمي البطيء من قوم إلى قوم.. وقد يسّر انتشار الإسلام أمر آخر هو أنه دين فطرة بطبيعته سهل التناول، لا ليس ولا تعقيد في مبادئه، سهل التكييف والتطبيق في مختلف الظروف، ووسائل الانتساب إليه أيسر وأيسر، إذ لا يطلب من الشخص^(٢).

ولتعميم الفائدة والاطلاع على ما كتبه علماء الغرب أحييت أن أنقل بعض شهاداتهم، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

وقال الأب ميشون: « إن من المحزن للأمم المسيحية أن يكون التسامح السديني الذي هو أعظم ناموس للمحبة بين شعب وشعب، هو مما يجب أن يتعلمه المسيحيون من المسلمين »^(٣).

ويرى المؤرخ المسلم شكيب أرسلان أن الذي منع الترك عن حمل النصارى الذين كانوا تحت سلطانهم على الإسلام أو الجلاء، هو الشرع الحمدي الذي يمنع الإكراه في الدين ويرضى من المعاهد بالجزية^(٤).

وقال أيضاً: « ولقد كانت في السلطنة العثمانية عشرات الملايين من المسيحيين يعيشون وأفرين مترفهين كاسبين متمتعين بامتيازات كثيرة مدة عمل الأتراك بالشرع الإسلامي، فلما جاءت الجمهورية التركية الحاضرة وبطل العمل بالشرع وأخذ الأتراك

١ - إفريقيا المسلمة، المسيو بونه موري، ترجمة محمد أحمد العقاد، ص ١٥٩.

٢ - الديانات في إفريقيا السوداء، هوبير ديتان، ترجمة هاء وليد العاقبي، ص ٣١٨.

٣ - حصاد الغرور، محمد التليبيسي، ص ١٨٩.

٤ - المصدر السابق، ص ٢١١.

بأوضاع الإفرنج وقلدوهم في كل شيء... لم يبق في جميع الأناضول إلا فئة قليلة جداً من
المسيحيين عدة آلاف»^(١).

١ - المصدر السابق، ص ٢١٤.

والخلاصة:

بعد هذا العرض لموقف الإسلام من الأديان السابقة وأتباعها، لابد من الإشارة إلى أنه إذا حدث عبر فترة من فترات تاريخ العلاقة بين المسلمين وغيرهم أي تغيير في هذه العلاقة نحو السلبية في التعامل، والقسوة في الاحتكاك، والوصول إلى حد السنين، فإن ذلك التغيير يجب أن ننسبه قطعاً إلى عوامل أخرى لا علاقة لها مطلقاً بجمهر الإسلام، وحقيقة رسالته، فلقد أخطأ بعض حكام المسلمين عبر التاريخ، وأسأءوا إلى المسلمين وإلى غير المسلمين، فهؤلاء ليسوا حجة على الإسلام والمسلمين، وكان العلماء يفتقون دائماً في وجوه هؤلاء، كما سبق الحديث عن الإمام الأوزاعي وابن تيمية، حيث يصححون الانحراف، ويعيدون القضايا إلى نصابها.

وإذا حدثت أخطاء من قبل المسلمين فيجب النظر إلى الأسباب التي دفعتهم إليها وغالباً ما نرى أن سبب تغير العلاقة إلى السلبية، هو في الحقيقة ردة فعل على الأخطاء التي تُرتكب من قبل غير المسلمين في حق المسلمين.

وحدث أيضاً في بعض فترات التاريخ أن قام بعض عوام المسلمين بالاعتداء على بعض الكنائس والمعابد في مصر والشام، ولكن الحكام المسلمين آنذاك كفّوا أيدي العابثين، وقدموا المساعدات اللازمة لغير المسلمين، إلا أن السبب في تصرف عوام المسلمين كان ردة فعل على ما قام به بعض غير المسلمين من إحراق بعض المساجد والبيوت فما كان من العوام إلا الرد بمثل هذه الطريقة^(١).

وشهادة المؤرخ رنسيماي خير توضيح لما سبق حيث يقول: (لم يُنصر التعصب الإسلامي... إلا التعصب المسيحي الذي دل عليه ما قام به الصليبيون من سفك الدماء)^(٢).
والحقيقة التي يجب إعلانها بوضوح هي أن الإسلام احترام وجود الآخرين مطلقاً، وهم المخالفون له في الرأي والاعتقاد، واعترف بكيانهم دائماً، سواء أكانوا أفراداً أم دولاً، فقد جاء في سورة الفصل - أي التي فصلت بين المسلمين وغيرهم - قوله تعالى: ﴿لَكُمْ

١ - انظر: قصة الاضطهاد الديني .

٢ - انظر: تاريخ الحروب الصليبية (١/٤٢٧).

دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿١﴾ والله تعالى يقول: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ كُفُومًا بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢﴾

لقد فصل القرآن بذكر كل الآخرين، واعترف بوجودهم جميعاً، إنهم غير المسلمين، لهم وجودهم المطلق، ولا سبيل معهم إلا الدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والمعاملة القائمة على العدل، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣﴾

فالوشائج التي تربط المسلمين بغيرهم:

أخوة في الإنسانية يلتقي عليها المسلمون مع البشر كافة سواء كانوا من أصحاب الديانات السماوية أو من مذاهب وملل أرضية.

وإن الاتفاق في الاعتقاد ليس شرطاً لاستمرار الوجود على ظهر الأرض في مجمل التصور الإسلامي، وبنفس الوقت إن الاختلاف في الاعتقاد لا يعني مطلقاً أنه سبب في حد ذاته لإلغاء الوجود كله على وجه الأرض، وصدق الله حين قال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾

١ - الكافرون: ٦.

٢ - المائدة: ٤٨.

٣ - الحج: ١٧.

٤ - الزمر: ٤٦.

توصية ورجاء

١- حبذا لو ينظر أتباع الديانات السماوية بكل شجاعة وصدق وإخلاص إلى أن مرور الزمن، وكثرة الترجمات للكتب المقدسة عندهم، ووجود أصحاب المطامع والأهواء، كل ذلك قد أثر على الأصول الحقيقية للدين السماوي المتزل، الأمر الذي ففتح المجال لبدور التعصب والعداء أن تنمو بين عباد الله تعالى، فهذا كله يجب مراقبته وتصحيحه، وإعادة النظر في كل التأويلات والتفسيرات الخاطئة والاستعانة على ذلك بالعقول النيرة، والأبحاث العلمية الحديثة.

٢- دعوة كل أتباع الديانات السماوية إلى دراسة القرآن الكريم الذي هو آخر خطاب إلهي للبشر، دراسةً جديةً متفحصية، بعيدة عن التعصب، والنظرة المسبقة الخاصة، حتى يصلوا جميعاً إلى مبدأ المعاملة بالمثل: فنحن المسلمين قد آمنا بكل أنبياء ورسول الله السابقين، وأن لأتباع هؤلاء جميعاً أن يعاملونا بالمثل: فينضموا إلينا ويؤمنوا بنبينا الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث الوسطية في العقائد والعبادات والمعاملات

الإسلام دين الوسطية

من الحقائق والمسلّمات لدى ذوي البصائر والحجى أنه بقدر تمسك الأمم بمعيّراتها الحضارية والتزام المجتمعات بثوابتها وخصائصها القيّمية؛ بقدر ما تحقق الأجداد التاريخية والعتبات الإنسانية. ولئن برزت في عالمنا المعاصر صور وظواهر من الانحرافات تهدد الأمن الدولي وتعرض للخطر وعدم الاستقرار العالمي فإن مرّة ذلك إلى التفريط في المبادئ الحضارية والتهاون بالمثل والقيم الإنسانية.

ومن يجبل النظر في جوانب عظمة هذا الدين الذي أكرمنا الله به وهدانا إليه يجد أن هناك سمة بارزة وميزة ظاهرة كانت سبباً في تبوؤ هذه الأمة مكانتها المرموقة بين الأمم، ومنحها مؤهلات القيادة والريادة للبشرية، ومقومات الشهادة على الناس كافة.

إنما سمة الاعتدال والوسطية التي تجلّي صور سماحة الإسلام، وتبرز محاسن هذا الدين ورعايته للمسئول الأخلاقية العليا والقيم الإنسانية الكسرى، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^(١).

ولما كان من الضرورة بمكان تحديد هذا المصطلح على ضوء المصادر الشرعية منعاً للخطأ في المفاهيم واللبس في التصور، وحيث نقف على حقيقة الوسطية وبجالاتها لنظهر الصورة المشرفة لسماحة هذا الدين، في الوقت الذي اشتدت فيه الحملة على الإسلام، ورُمي أتباعه بمصطلحات موهومة وألفاظ مغرضة لتشويه صورته والتنفير منه، نصيباً لأخطاء بعض المنتسبين إليه، في زمن انقلبت فيه الحقائق، وانتكست فيه المقاييس، وبُلي بعض أهل الإسلام بمحاربة هذا المنهج الوضوء، فعاشوا حياة الإفراط أو التفريط، وسلكوا مسالك الغلو أو الجفاء، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجاهل عنه، والمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

ما هو مفهوم الوسطية في الإسلام؟

لقد عُني علماء الإسلام ببيان حقيقة الوسطية الواردة في آية البقرة وهي لا تخرج عن معنيين مشهورين يؤيدان معنى واحداً:
أولهما: ﴿ وَسَطًا ﴾ أي: خياراً عدولاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾^(١).
وقول الأول:

هُمُّ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامَ بِحُكْمِهِمْ^(٢)

وهو قول جمهور المفسرين، والذي رجحه الإمامان الحافظان ابن جرير وابن كثير رحمهما الله.

والثاني: أُنمَّ وَسَطٌ بين طريقي الإفراط والتفريط، جاء هذا في سياق الامتنان على هذه الأمة المحمدية.

والوسطية منهج سلف هذه الأمة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم"^(٣).

ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "إن الشريعة جارية في التكليف لمقتضاها على الطريق الأوسط الأعدل الأخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، فإذا نظرت إلى كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط والاعتدال، ورأيت التوسط فيها لانحاً، ومسلك الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يُلجأ إليه"^(٤).

١ - القلم: ٢٨.

٢ - ذكر البيت الجاحظ في البيان والتبيين ص (٤٩٧) عن شاعر يسمى أبا نجيعة.

٣ - مجموع الفتاوى (٣ / ٣٦٨).

٤ - الموافقات للشاطبي (٦٣/٢).

ويقول الإمام العز بن عبد السلام^(١) رحمه الله: "وعلى الجملة فالأولى بالمرء أن لا يأتي من أقواله وأعماله إلا بما فيه جلب مصلحة أو درء مفسدة، مع الاعتقاد المتوسط بين الغلو والتقصير"^(٢).

ويقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله: "ما من أمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى غلو، وإما إلى تقصير، والحق وسط بين ذلك"^(٣).

ماذا يراد بالوسطية في العصر الراهن؟

لقد أصبح لفظ الوسطية متداولاً بصورة واسعة، واستعمله كثير ممن ينسبون إلى الفكر الإسلامي والسياسة والعلم الشرعي وأصبح شأنه كشأن كثير من المصطلحات التي لا اتفاق حول مدلولها، يعطيه كل معنى معاً لما يعطيه الآخر، ولما كان لفظ الوسطية يطلق ويراد به المنهج والشرعة والدين، أو يطلق ويراد به تيار مخصوص من تيارات الأمة، أصبح لزماً على من يستعملون هذا اللفظ الحادث أن يعلموا ماذا يريدون منه، ومماذا يريدون به؟

يقول عنه د. فهمي هويدي^(٤): "إن مصطلح الوسطية من المصطلحات التي عدت عليها العاديات وحارت عليها الثائبات فأخرجتها عن معناها الإسلامي الأصيل وأبعدتها عن كونها أخص خصائص منهج الإسلام في الفكر والحياة والنظر والممارسة والتطبيق

١ - عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسultan العنقاء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ، فأقام شهراً. وعاد إلى دمشق، فنسب إلى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأمري. ولما سلم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة صغد للفرنج اختياراً أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحسه. ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاد صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكثه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته. وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ. قوات الرقيات: ٢٨٧/١ وطبقات السبكي: ٨٠/٥ والنجوم الزاهرة: ٢٠٨/٧ وعلماء بغداد: ١٠٤ وفتح السعادة: ٢١٢/٢.

٢ - قواعد الأحكام (١٧٨ / ٢).

٣ - الرابيل الضيب (٣٦٧/٢).

٤ - عالم ومفكر وأديب وصحفي بارز في مصر، وهو أستاذ في جامعة القاهرة للعلوم الإسلامية، من مؤلفاته: المقالات المحظورة.

والقيم والمعايير والأصول... إلى معان أبعدت النجعة عن فحواها وخالفتم أصل مسماها وما عادت تمت إلى الوسطية بصلة، ولا تتعلق فيها بسبب^(١). ويمكنني أن احصر الحديث حول الوسطية لبيان حقيقة مرادها بصيغة التساؤل لا البيان والتبيين؛ إذ الموضوع لا يحتمل التفصيل الكثير في هذه المسألة على أهميتها بالنقاط التالية:

١- هل الوسطية لفظ يراد به الإسلام الحق؟ والحقيقية السمحة؟ والشرعة والمنهج الذي بعث به الرسول صلى الله عليه وسلم؟ أم هو لفظ يراد به الدلالة على منحى خاص؟ ومجموعة مخصوصة من أمة الإسلام اختاروا من عقائده وأحكامه ما رأوا أنه الدين الوسط؟ واعتقاد الفرقة الناجية؟ فيكون بذلك لفظ الوسطية كلفظ "أهل السنة والجماعة" والسلفية والفرقة الناجية ونحو ذلك؟

٢- هل هذه "الوسطية" اليوم مرجعية دينية يرجع إليها؟ وتحكم على أن هذا المعتقد أو العبادة أو العمل داخل في معنى الوسطية أو خارج عنها؟ وأين هذا المرجع كتابياً أو إماماً أو شيخاً؟ قد يقال الحنفية أو الشافعية فيعلم بذلك منهج ومذهب، يقال الأشعرية، والمعتزلة فيعلم منهج في الاعتقاد والعمل، والآن إذا قيل الوسطية فماذا يعني ذلك من الدين: عقيدة وشرعية؟!

٣- إذا كان اللفظ - ولم يمحض على تداوله إلا عقد واحد من الزمان أو يزيد قليلاً- أصبح يتكلم فيه أصناف شتى من الناس، وكل يخرج بمفهوم في العقيدة والعمل غير ما يعرضه الآخر، ومنهم من بات يخصص "الوسطية" فيقول الوسطية المستبصرة..

٤- عندما يطلق بعض الناس لفظ الوسطية ويريدون بها حسب قولهم الإسلام المعتدل فإن هذا يعني أن هناك إسلاماً غير معتدل عند بعض الناس، فما هو هذا الإسلام الشاذ وغير المعتدل؟ وما ملامح هذا الإسلام الوسط؟! وهذا سيحتاج إلى بيان معنى الوسطية في العقائد والعبادات والمعاملات.. والشرعة والمنهج، وإلى بيان الخارجين عن هذه الوسطية وسيكون هذا تصنيفاً جديداً لأهل الإسلام يضاف إلى التصنيفات السابقة في مسميات الفرق والعقائد..

لذلك نخصر كل ما سبق بالقول: "الوسطية" إحدى الخصائص العامة للإسلام، وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمته عن غيرها ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(١)، فهي أمة العدل والاعتدال، التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينا أو شمالا عن خط الوسط المستقيم. والنصوص الإسلامية تدعو إلى الاعتدال، وتحذر من التطرف، الذي يعبر عنه في لسان الشرع بعدة ألفاظ منها: "الغلو" و"التنطع" و"التشدد".

والواقع أن الذي ينظر في هذه النصوص يتبين بوضوح أن الإسلام ينفر أشد النفور من هذا التطرف، ويحذر منه أشد التحذير. وحسبنا أن نقرأ هذه الأحاديث الكريمة، لنعلم إلى أي حد ينهى الإسلام عن التطرف، ويخوف من مغيبته.

وقد قاوم النبي صلى الله عليه وسلم كل اتجاه يترع إلى التطرف والغلو في الدين، وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف، مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام، ووازن به بين الروحية والمادية، ووفق بفضلها بين الدين والدنيا، وبين حظ النفس من الحياة وحق الرب في العبادة، والتي خلق لها الإنسان. فقد شرع الإسلام مسن العبادات ما يركي نفس الفرد، ويرقى به روحيا وماديا، وما ينهض بالجماعة كلسها، ويقيمها على أساس من الأخوة والتكافل، دون أن يعطل مهمة الإنسان في عمارة الأرض فالصلاة والزكاة والصيام والحج، عبادات فردية واجتماعية في نفس الوقت، فهي لا تعزل المسلم عن الحياة ولا عن المجتمع، بل تزيد ارتباطا به، شعوريا وعمليا، ومن هنا لم يشرع الإسلام "الرهبانية" التي تفرض على الإنسان العزلة عن الحياة وطيباتها، والعمل لتنميتها وترقيتها، بل يعتبر الأرض كلها محرابا كبيرا للمؤمن، ويعتبر العمل فيها عبادة وجهادا، إذا صحت فيه النية، والتزمت حدود الله تعالى.

ولا يقر ما دعت إليه الديانات والفلسفات والأخرى من إهمال الحياة المادية لأجل الحياة الروحية، ومن حرمان البدن وتعذيبه حتى تصفو الروح وترقى، ومن إهدار شأن الدنيا من أجل الآخرة، فقد جاء بالتوازن في هذا كله ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الآخِرَةَ حَسَنَةً ﴿١﴾، « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخري التي إليها معادي » (٢)، « إن لبدنك عليك حقاً » (٣).

لقد أنكر القرآن، بل شدد النكير، على أصحاب هذه الزعة في تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله لعباده، فقال تعالى في القرآن المكي: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

وفي القرآن المدني يخاطب الجماعة المؤمنة بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٥).

وهاتان الآيتان الكريمتان تبيان للجماعة المؤمنة حقيقة منهج الإسلام في التمتع بالطيبات، ومقاومة التطرف والغلو الذي وجد في بعض الأديان.

١ - البقرة: ٢٠١.

٢ - رواه مسلم في صحيحه في الإيمان برقم ٣٥٨.

٣ - متفق عليه، البخاري ٣/٣٦٦، ومسلم ٤/٨٨.

٤ - الأعراف: ٣١ - ٣٢.

٥ - المائدة: ٨٧-٨٨.

مجالات الوسطية في الإسلام في مجال العقائد

وتتجلى وسطية الإسلام في مجالاته كلها، ففي مجال الاعتقاد جاء الإسلام وسطاً بين المثل، فلا إلهاد ولا وثنية، بل عبودية خالصة لله في الربوبية والألوهية، وكذا في الأسماء والصفات وسط بين أهل التشبيه والتمثيل والتحريف والتعطيل. وفي القضاء والقدر وسط بين نفاة القدر والمغالين فيه القائلين: إن العبد مجبور على فعله. وفي مسألة الإيمان وسط بين من جفوا فأخروا الأعمال وأرجؤوها عن مسمى الإيمان وبين من غلوا فأخرجوا من دائرة الإيمان من عمل بعض المعاصي. ويُلتحق بذلك الحكم بالكفر، فأهل الحق لا يكفرون بالذنوب ما لم تُستحل، كما لم يجعلوا المذنب كامل الإيمان، بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته. وفي باب النبوة والولاية والصحابة توسط فلا غلو فيهم غلو من اتخذهم أرباباً من دون الله، ولا جفاء كما جفت اليهود ففريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، وأهل الإسلام الحق يتوسطون، فيؤمنون بجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وجميع كتبه، ويحبون أوليائه، ويرضون عن جميع صحابته رضي الله عنهم وأرضاهم.

مجالات الوسطية في الإسلام في العبادات

وتمت مجال آخر تتألق فيه وسطية هذه الأمة، في مجال العبادة ومراعاة مقتضيات الفطرة والتناسق البديع بين متطلبات الروح والجسد، بلا غلو في التجرد الروحي، ولا في الارتكاس المادي، فلا رهبانية ولا مادية، بل تناسق واعتدال، على ضوء قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾^(١)، وقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون^(٢) التبتل، وأنكر على من حرم نفسه طببات الدنيا قائلًا: « أما إني أحشاكم لله وأنفاسكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج

١ - القصص: ٧٧.

٢ - عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب: صحابي، كان من حكماء العرب في الجاهلية، هجر الخمر. وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين. وشهد بدرًا. ولما مات جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فقبله ميتاً، حتى رؤيت دموعه تسيل على خد عثمان. وهو أول من مسات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبيع منهم، كانت وفاته سنة (٢ هـ). ابن سعد ٣: ٢٨٦ والإصابة: ٥٤٥ وصفة الصفوة ١: ١٧٨

النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.»^(١) مخرج في الصحيحين، وعند مسلم وغيره: (هلك المنتطعون)، وعنده أيضاً: «إن هذا الدين يُسر، فأوغلوا فيه برفق، ولن يُشادَ الدينَ أحدٌ إلا غلبه»^(٢).

وهكذا نأى الإسلام باتباعه عن كل الكيوت والنبوات والهزات والهفوات التي تُخلُّ بغاية الوجود الإنساني، وتضيق حقوق الإنسان، وتقرط في تحقيق التوازن بين متطلبات روحه وحسده، (حيث تأرجحت كثير من النظم المادية كما هو ظاهر في المدنية الغربية التي تنطلق من نظرات ومقتضيات مادية صرفة، حتى تُنادى عقلاؤهم ومنصفوهم بالحاجة إلى دين يحقق التوازن بين الرغبات والتناسق بين المتطلبات، ويرتفع بالبشرية إلى مستوى إنسانيتها وتحقيق قيمها ومثلها، ويتشلها مما تعاني منه من بؤس وطغيان وشقاء)^(٣).

ومن المجالات المهمة التي تبرز فيها وسطية هذه الأمة ما يتعلّق بالتشريع والتحليل والتحرّم، ومناهج النظر والاستدلال، فتوسّطت الشريعة في هذه المجالات بين اليهود الذين حرّم عليهم كثير من الطيبات وبين قوم استحلوا حتى المحرمات. والحكم بالتحليل والتحرّم حق الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٤)، ﴿أَلَا أَنزَلْنَاهُ بِالْأَمْرِ﴾^(٥)، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٦).

وفي منهج النظر والاستنباط وازن الإسلام بين مصادر التلقي والمعرفة، ووافق بين صحيح المنقول وصريح المعقول، وعالم الغيب والشهادة، وإعمال النصوص، ورعاية المقاصد، واستجلاء القواعد، وحكم الشريعة وأسرارها، ووازن بين تحقيق المصالح ودرء المفاسد^(٧).

١ - أخرجه البخاري في النكاح باب الترغيب في النكاح برقم (٤٧٧٦).

٢ - أخرجه البخاري في الإيمان، باب الدين يسر، برقم (٣٩).

٣ - الإسلام منهج ودولة، عبد الله عبد المجيد طهماز، ص ٢٣٦.

٤ - الأنعام: ٥٧.

٥ - الأعراف: ٥٤.

٦ - الأعراف: ٣٢.

٧ - الإسلام منهج ودولة، عبد الله عبد المجيد طهماز، ص ٢٣٧.

ويمكن أن نشير إلى بعض هذه المجالات والمظاهر في العبادات الآتية :

أ - في الطهارة:

يظهر مبدأ اليسر والمساحة في الطهارة واضحاً لأنه المدخل إلى العبادات، واليسر فيها أمر ضروري، لأن المسلم يتوضأ في اليوم والليلة خمس مرات، ويتسلل من الجنابة كذلك، ويتعرض لبعض النجاسات هنا وهناك، فإن الشدة في الطهارة توقعه في الضيق والخرج ويجعل نفسه تمل من العبادة نفسها فضلاً عن الطهارة، كما هي حال كثير من المصابين بالوسوسة أثناء الوضوء أو الطهارة أو وقوع بعض النجاسات على الثوب وغيرها، وهذا ما نهي عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو جزء من سماحة هذا الدين ويسره، وفضل من الله - تعالى - على عباده ليندفعوا نحو الطاعة وأداء العبادات بالصورة المطلوبة، حيث يقول عليه الصلاة والسلام في طهارة الماء: « إن الماء لا ينجسه شيء إلا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه »^(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام عن ماء البحر: « هو الطهور ماؤه الحل ميتته »^(٢).
ويتبين يسر هذا الدين في الطهارة من قصة الأعرابي الذي بال في المسجد فقام الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دعوه وهريقوا على بوله سخلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم يُبعثوا معسرين »^(٣).
ومن اليسر في الطهارة أيضاً إذا تعلققت قذارة بالنعلمين فإن مسحهما بالأرض يظهرهما لقوله عليه الصلاة والسلام: « إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليظن فإن رأى في نعليه قذراً أو أذى فليمسحه وليصل فيهما »^(٤).

١ - الترمذي الطهارة ٦٥، النسائي المياه ٣٢٥، أبو داود الطهارة ٦٨، ابن ماجه الطهارة وسنتها ٣٧٠، أحمد ٣٠٨ / ١، الدارمي الطهارة.
٢ - الترمذي الطهارة ٦٩، النسائي المياه ٣٢٢، أبو داود الطهارة ٨٣، ابن ماجه الطهارة وسنتها ٣٨٦، أحمد ٣٦١ / ٢، مالك الطهارة ٤٣، الدارمي الطهارة.
٣ - البخاري الوضوء ٢١٧، الترمذي الطهارة ١٤٧، النسائي الطهارة ٥٦، أبو داود الطهارة ٣٨٠، ابن ماجه الطهارة وسنتها ٥٢٩، أحمد ٥٠٣.
٤ - أبو داود الصلاة ٦٥٠، أحمد ٢٠ / ٣، الدارمي الصلاة ١٣٧٨.

ومن يسر هذا الدين في الطهارة أن النجاسة الواقعة على الثوب تزال بالماء وهذا فيه يسر كبير إذا قورن بما كانت عليه بنو إسرائيل من قبل حيث كانوا يكلفون بقص ما أصيب بالنجاسة من الثوب.

وصور اليسر والسماحة في التطهير، لا نستطيع حصرها في هذا المقام.
ب - في التيمم:

ومن اليسر في هذا الدين أن المسلم إذا لم يجد ماء ليتوضأ به أو كان به مريض أو جرح لا يستطيع أن يتوضأ بالماء، فله أن يتيمم بالتراب، فضلا من الله تعالى وتسهيلا عليه، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَأَسْتَمْتُمْ السَّاءُ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِزِلَ عَلَيْكُمْ رِغْمًا غَيْرَ الْمَاءِ ﴾ (١).

بخلاف ما كانت عليه الشرائع السابقة، حيث لا تقبل صلاة من غير تطهر بالماء. وجاء تأكيد هذا الأمر في السنة النبوية في قوله عليه الصلاة والسلام: « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغامم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » (٢).

ج - في الصلاة:

ويمكن بيان بعض صور التيسير في الصلاة من خلال النقاط الآتية:

- أن فرضيتها خمس مرات في اليوم والليلة، فلا تأخذ وقتا طويلا، ولا تشغل الإنسان عن أداء أعماله اليومية، وإنما هي لقاءات مع الله تعالى يجدد فيها المؤمن العهد مع ربه على الطاعة والاستقامة والصلاح، وقد فرضت في البداية خمسين صلاة عند المعراج بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم صارت خمس صلوات بأجر خمسين صلاة، وفي ذلك سماحة ورحمة.

١ - المائدة: ٦.

٢ - البخاري التيمم ٣٢٨، مسلم المساجد ومواضع الصلاة ٥٢١، النسائي الغسل والتيمم ٤٣٢، أحمد ٣ / ٣٠٤، الدارمي الصلاة ١٣٨٩.

- مشروعية الجمع والقصر في الصلاة أثناء السفر أو المطر أو المرض، وذلك للظروف التي يمر بها الإنسان في هذه الحالات من قلة في الماء أو البرد أو خوف من الطريق أو زيادة في المرض، لذلك جعل الإسلام فيه الصلاة بشكل آخر يتناسب مع هذه الظروف فأجاز له الجمع والقصر، حيث قصرت الصلوات الرباعية إلى ركعتين فقط.

عن جابر بن عبد الله^(١) رضي الله عنه قال: « أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة »^(٢).

ويتغير وضع الصلاة وكيفيةها كذلك في حالة الخوف في الحرب أو هجوم سب أو سيل أو نحو، ويسهل أمرها وتقصر، لما في ذلك من مصلحة على المسلمين وحماية لهم من عدوهم الذين قد يغدرون بهم أثناء الصلاة، وتسمى هذه الصلاة بصلاة الخوف، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَعْدَاؤُكُمْ مُّبِينًا ﴾^(٣). ثم ذكرت في الآية الآتية كيفية أداء هذه الصلاة على دفتين.

وهناك أحاديث وشواهد كثيرة بشأن قصر الصلاة، وذلك لوجود ظروف يصعب معها القيام بأداء هذه الصلوات كما هي في الأحوال الطبيعية.

- جواز الصلاة في أي مكان من الأرض، حيث لم تكن جائزة عند الأمم السابقة إلا في المعابد والصوامع، يقول عليه الصلاة والسلام: « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأما رجل من أممي أدركنه الصلاة فليصل، وأحلت لي المغامم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »^(٤).

١ - جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه صحة. غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثا. توفي سنة ٧٨هـ. الإصابة: ٢١٣/١. تهذيب الأسماء: ١٤٢/١.

٢ - مسند أحمد، رقم ١٤١٨٦، ص. ٩٩٠ ورواه أبو داود في سننه برقم ١٢٣٥، ص ١٨٣ - ١٨٤.

٣ - النساء: ١٠١.

٤ - تقدم تخريجه ص ١٦٩.

- تخفيف الصلاة وعدم الإطالة فيها، لأن صلاة الجماعة تجمع بين الصغير والكبير والمريض، فينبغي مراعاة ذلك، وهذا ما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحذر أصحابه منه، يقول جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: « أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذًا يصلي فترك ناضحته وأقبل إلى معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء فانطلق الرجل وبلغه أن معاذًا نال منه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه معاذًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا معاذ، أفتان أنت أو أفاتن ثلاث مرار فلو لا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة »^(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: « إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي، كراهية أن أشق على أمه »^(٢).

- رفعت الصلاة عن الحائض والنفساء، ولا تقضى بعد الظهر، وهذا يسر ولطف على المرأة، حيث تعاني في فترة الحيض والنفساء آلامًا ودماء، يصعب معها الصلاة، وقد تطول هذه المدة فيشق القضاء، فجاءت الرحمة الربانية على المرأة بهذا التيسير، ولم يطلب منها قضاء تلك الصلوات الفائتة عنها بعد ذلك.

- مشروعية سجود السهو لجر الخلل الذي يحصل في الصلاة، ولم تطلب إعادتها. كل هذا اليسر وهذه السماح جاءت في الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين وهو الصلاة التي هي أعظم الأعمال العملية، وفي هذا شاهد كبير ودليل ناصح على يسر هذا الدين وسماحته في العبادات.

د - في الزكاة:

وتبين مظاهر اليسر والتسهيل في أداء فريضة الزكاة من خلال الأمور الآتية:
- أننا لم تأت على جميع الممتلكات والعقارات والأموال، وإنما اقتصر على بعض الأصناف مثل: بهيمة الأنعام، والأثمان، والزروع، وعروض التجارة.

١ - البخاري الأذان ٦٧٣، مسلم الصلاة ٤٦٥، النسائي الإمامة ٨٣٥، أبو داود الصلاة ٧٩٠، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها ٩٨٦، أحمد ٣ / ٣٠٨، الدارمي الصلاة ١٢٩٦.
٢ - البخاري الأذان ٦٧٥، النسائي الإمامة ٨٢٥، أبو داود الصلاة ٧٨٩، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها ٩٩١، أحمد ٣٠٥.

- ثم أنه يشترط في الأصناف التي تجب فيها الزكاة أن تبلغ النصاب، وهي في الفضة مائتي درهم، وفي الذهب عشرين مثقالاً، وسائمة الإبل عن خمس، والبقر عن ثلاثين، والغنم عن أربعين، والحبوب والزرع والثمار عن خمسة أوسق. وقد أوضحت ذلك الأحاديث الكثيرة.

- ومن يسر الإسلام أيضاً في أداء هذه الفريضة أنه لم يجعل دفع الزكاة إلا مرة واحدة في السنة، وذلك بعد أن يحول عليه الحول.
- ومن ذلك أن مقدار المال الواجب دفعه للزكاة قليل جداً بالنسبة للمال السذي بوجوب فيه الزكاة، بحيث لا يؤثر فيه كثيراً، ولا يتأثر بذلك صاحبه.

هذا فضلاً عن كيفية تعامل الإسلام مع زكاة الزروع، حيث أوجب العشر في التي تسقى بماء المطر، ونصف العشر بالتي تسقى بالنضح والآبار، لقوله صلى الله عليه وسلم « فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر »^(١).
إن مثل هذه الشروط والأوصاف للزكاة يجعل صاحب المال يسارع إلى إخسار زكاة ماله عن طيب نفس، دون ضجر أو ملل أو تناقل.

هـ - في الصيام:

ويمكن سرد بعض صور التيسير في فرضية الصيام من خلال بيان النقاط الآتية:
- أن الصيام لم يفرض إلا في شهر واحد من السنة وهو شهر رمضان، لقوله تعالى: « أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ »^(٢). وهذا تيسير وسعة في زمن هذا الفرض، يستطيع المؤمن أداءه بصورة مقبولة من غير عناء ولا مشقة.

- أن وقت الصيام من الفجر إلى غروب الشمس، ولا يجوز الزيادة في هذا الوقت، من أجل ذلك لم يعمد عن صوم الوصال وهو وصل صيام يومين أو ثلاثة متتاليات، لما في ذلك من مشقة وعناء على النفس، وخطورة على الإنسان، يقول عليه الصلاة والسلام: « لا وصال »^(٣) يعني في الصوم.

١ - البحاري الزكاة ١٤١٢، الترمذي الزكاة ٦٤٠، السنائي الزكاة ٢٤٨٨، أبو داود الزكاة ١٥٩٦، ابن ماجه الزكاة ١٨١٢.

٢ - البقرة: ١٨٦.

٣ - البخاري، الصوم ١٨٦٢، أبو داود الصوم ٣٣٦١، أحمد ٣ / ١١١، ٦٢، ابن ماجه ١٧٠٠.

- من أفطر خطأ أو ناسياً فإنه يكمل صومه، ولا حرج عليه، فإنما أطعمه الله وسقاه، يقول عليه الصلاة والسلام: « من أكل ناسياً وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه »^(١).

- جواز الإفطار عند السفر أو المرض، لقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٢).

- أن من لم يستطع الصوم يقضي أو يطعم إن لم يستطع القضاء.

- في الحج:

تتضح صور السماح في الحج من خلال النقاط الآتية:

- الاستطاعة في الزراد والراحلة، وأن لا يكون عليه دين أو التزام مالي آخر مسن حقوق الآخرين، لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾^(٣).
- وجوبه في العمر مرة واحدة، لأن فيه المشقة والعناء، فيصعب على المؤمن أن يؤديه كل عام، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه »^(٤).
- التخيير بين المناسك الثلاثة: التمتع، القران، والإفراد.

١ - البحاري الأيمان والنذور، ٦٢٩٢، مسلم الصيام، ١١٥٥، الترمذي الصوم، ٧٢١، أبو داود الصوم، ٢٣٩٨، ابن ماجه الصيام، ١٦٧٣، أحمد ٢ / ٤٩١، الدارمي الصوم، ١٧٢٦.
٢ - البقرة: ١٨٥.
٣ - آل عمران: ٩٧.
٤ - البحاري الاعتصام بالكتاب والسنة، ٦٨٥٨، مسلم الحج، ١٣٣٧، الترمذي العلم، ٢٦٧٩، النسائي مناسك الحج، ٢٦٦٩، ابن ماجه المقدمة، ٢، أحمد ٥٠٨.

- التخيير في الترتيب بين الأعمال الثلاثة يوم العيد، الرمي والحلق والطواف، وهذا فيه تيسير على الحاج الذي يعاني من زحمة الناس والمواصلات والأسفار، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: « قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم زرت قبل أن أرمي، قال: لا حرج. قال آخر: حلفت قبل أن أذبح قال: لا حرج. قال آخر: ذبحت قبل أن أرمي، قال: لا حرج »^(١).

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص^(٢) - رضي الله عنهما - في رواية مسلم: « فما رأيته صلى الله عليه وسلم سئل يومئذ عن شيء إلا قال افعلوا ولا حرج »^(٣).
- كل خلل في واجبات الحج من غير قصد يجزئ بغيره، وحجه صحيح إذا كان القصور من هذا الوجه فقط.

- ومن اليسر والسماحة في هذا الركن المبارك، أن الله - تعالى - جعله سبباً لمغفرة الذنوب والخطايا، وقد وعد الرسول صلى الله عليه وسلم الحاج بالجنة وأنه يرجع كيوم ولدته أمه، وصفحته بيضاء ناصعة خالية من السيئات والذنوب: « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »^(٤).

١ - البخاري الأيمان والنذور ٦٢٨٩، مسلم الحج ١٣٠٧، النسائي مناسك الحج ٣٠٦٧، أبو داود المناسك ١٩٨٣، ابن ماجه المناسك ٣٠٥٠، أحمد ٢٩١.

٢ - عبد الله بن عمرو بن العاص، من قريش: صحابي، من النساك. من أهل مكة. كان يكتب في الجاهلية، وبمسن السريانية. وأسلم قبل أبيه. فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يكتب ما يسمع منه، فأذن له. وكان كثير العبادة حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن جسدك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا الحديث. وكان يشهد الحروب والغزوات. ويضرب بسيفين. وحمل راية أبيه يسوم اليرموك. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة. ولما ولي يزيد امتنع عبد الله من بيعته، وانسزوي في إحدى الروايات بجهة عسقلان، منقطعا للعبادة. وعمي في آخر حياته توفي سنة ٦٥هـ. واختلقوا في مكان وفاته. له ٧٠٠ حديث. والإصابة، الترجمة ٤٨٣٨ وحلية الأولياء: ٢٨٣/١ والجمع بين رجال الصحيحين: ٢٣٩ وصفة الصغرة: ٢٧٠/١.

٣ - البخاري الأيمان والنذور ٦٢٨٨، مسلم الحج ١٣٠٦، الترمذي الحج ٩١٦، أبو داود المناسك ٢٠١٤، ابن ماجه المناسك ٣٠٥١، أحمد ٢ / ٢١٧، مالك الحج ٩٥٩، الدارمي المناسك ١٩٠٧.

٤ - البخاري الحج ١٧٢٤، مسلم الحج ١٣٥٠، الترمذي الحج ٨١١، النسائي مناسك الحج ٢٦٢٧، ابن ماجه المناسك ٢٨٨٩، أحمد ٢ / ٢٤٨، الدارمي المناسك ١٧٩٦.

ويقول أيضاً: « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »^(١).
وقد جعله الله - تعالى - من الأعمال الفاضلة التي تلي الإيمان بالله والجهاد في
سبيله، فقد « سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: « إيمان بالله
ورسوله ». قيل: ثم ماذا؟. قال: « ثم جهاد في سبيل الله ». قيل: ثم ماذا؟ قال:
« حج مبرور »^(٢).

١ - البخاري الحج ١٦٨٣، مسلم الحج ١٣٤٩، الترمذي الحج ٩٣٣، النسائي مناسك الحج ٢٦٢٩، ابن ماجه
المناسك ٢٨٨٨، مالك الحج ٧٧٦ .
٢ - البخاري الحج ١٤٤٧، مسلم الإيمان ٨٣، الترمذي فضائل الجهاد ١٦٥٨، النسائي الجهاد ٣١٣، الدارمي
الجهاد ٢٣٩٣ .

مجالات الوسطية في الإسلام في المعاملات

لم يقتصر التيسير في الإسلام على العقيدة والعبادة بل تعداه إلى المعاملات التي تأخذ مساحة واسعة من حياة الإنسان العملية، فالتجارة والصناعة والزراعة والتعليم وغيرها، يدخل جميعها تحت مظلة المعاملات، والناس في المعاملات أكثر عرضة للمعاصي والآثام، لأن المحرك لها هو المال، ومعلوم مدى تأثير المال في نفس الإنسان وطباعه وسلوكه، لذلك كانت النصوص القرآنية والنبوية تترى في اتباع التيسير والمساعدة في المعاملات، يقول عليه الصلاة والسلام: « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى »^(١).

ويقول أيضاً: « من أقال مسلماً أقال الله عشرته يوم القيامة »^(٢).

ويمكن بيان بعض صور التيسير في المعاملات من خلال المحاور الآتية :

أ - ففي البيع أجاز الإسلام للمتبايعين الخيار في عدد من المواضع كما إذا كانا في مجلس البيع، رفعا للرجح الذي قد يقع فيه أحدهما، لأنه ربما يحصل ضرر كبير إذا تم هذا العقد، يقول عليه الصلاة والسلام: « إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا أو يخير أحدهما الآخر فتابعا على ذلك فقد وجب البيع، وإن تفرقا بعد أن يتبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع »^(٣).

ب - ثم إن هذا الدين حرم الربا الذي فيه ظلم للناس واستغلال لظروفهم، وسبب في إفشاء الفقر والغنى الفاحشين، وسبب لزور الأحقاد والضغائن بين أبناء المجتمع الواحد، فحرم الله الربا وأباح القرض الحسن، يقول الله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾^(٤). ويقول جل ثناؤه: ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾^(٥).

١ - البخاري البيوع، ١٩٧٠، الترمذي البيوع، ١٣٢٠، ابن ماجه التجارات ٢٢٠٣، أحمد ٣٤٠ .
٢ - سنن ابن ماجه، رقم ٢١٩٩، ص ٣١٥، ورواه أبو داود في سننه برقم ٣٤٦٠، ص ٥٠٠ رجاله ثقات.
٣ - البخاري البيوع ٢٠٠٦، مسلم البيوع ١٥٣١، الترمذي البيوع ١٢٤٥، النسائي البيوع ٤٤٧٢، أبو داود البيوع ٣٤٥٤، أحمد ١١٩ / ٢، مالك البيوع ١٣٧٤ .
٤ - البقرة: ٢٧٦.
٥ - المزل: ٢٠.

ج - كما حرم هذا الدين احتكار الطعام والسلع واحتجازها في وقت تشتد حاجة الناس إليها، يقول عليه الصلاة والسلام: « لا يحتكر إلا خاطي »^(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: « من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغلبه عليهم فإن حقا على الله - تبارك وتعالى - أن يعطه بعظم من النار يوم القيامة »^(٢).

د - التيسير على المدين المعسر: وهو مبدأ عظيم جاء به الإسلام، رحمة بحاله وتقديراً لظروفه القاسية، وهو عنصر قوي من عناصر التكافل الاجتماعي بين أبناء الأمة، حيث يجعل من المجتمع وحدة متينة، قائمة على الحب والوفاء، والتعاون والتراحم، وهو تطبيق عملي لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ دُوْ عُسْرَةٌ فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

إن هذا المبدأ المبارك في التيسير على المدين المعسر يفتقده العالم المعاصر في ظل هذا التطور الحضاري الهائل، ومع وجود الجمعيات العالمية الكبرى التي تعنى بشؤون الإنسان وحرياته وحقوقه، وهو وصية الرسول عليه الصلاة والسلام منذ أربعة عشر قرناً لأصحابه وللأمة من بعدهم في قوله: « من سره أن ينحيه الله من كرب يوم القيامة فليسنس عس معسر أو يضع عنه »^(٤).

ويقول عليه الصلاة والسلام في قصة رجل من الأمم السابقة كان يتجاوز عس المعسرين: « كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه »^(٥).

١ - مسلم المسافة ١٦٠٥، الترمذي البيوع ١٢٦٧، أبو داود البيوع ٣٤٤٧، ابن ماجه التجارات ٢١٥٤، أحمد

٦ / ٤٠٠، الدارمي البيوع ٢٥٤٣.

٢ - مسند الإمام أحمد، رقم ٢٠٥٧٩، ص ١٤٨٧ رواه ثقات.

٣ - القرطبي: ٢٨٠.

٤ - مسلم المسافة ١٥٦٣، أحمد ٥ / ٣٠٨، الدارمي البيوع ٢٥٨٩.

٥ - البخاري البيوع ١٩٧٢، مسلم المسافة ١٥٦٢، النسائي البيوع ٤٦٩٤، أحمد ٣٦١.

مجالات الوسطية في الإسلام في العقوبات

لقد تميزت الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع والقوانين في التشريع الجنائي ووضع العقوبات المناسبة لأفعال الناس التي تضر بالأنفس والأموال والأعراض وغيرها، حيث أضفت الشريعة على هذه العقوبات ألواناً من السماحة واليسر، بحيث تتقبلها النفس الإنسانية في كل أحوالها بل تطالب بما إذا وقعت مثل تلك الأفعال، ويمكن أن نبين هذه السماحة والسعة من خلال بيان عقوبتين فقط، وهما:

أ - عقوبة قتل النفس:

إن قتل النفس بغير حق يعد من أكبر الجرائم وأعظمها عند الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١). وقد جعل الله - تعالى - قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعاً، وإحياء نفس بمثابة إحياء لجميع الناس، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ أَجْلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢). ويقول عليه الصلاة والسلام: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»^(٣).

فقتل النفس فعل شنيع وجريمة عظيمة، لا بد أن يكون له عقاب يتناسب مع هذا الجرم والفعل، فكان حكم الله القتل مقابل القتل، لقوله عز وجل: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْحُرُوحَ قِصَاصًا﴾^(٤).

ويظهر يسر الإسلام وسماحته في تطبيق العقوبة على القاتل من خلال النقاط

الآتية:

١ - الأنعام: ١٥١.

٢ - المائدة: ٣٢.

٣ - سنن النسائي، رقم ٣٩٩٢، ص. ٥٥٧ ورواه الترمذي في جامعه برقم ١٣٩٥، ص ٣٢٨، وابن ماجه في سننه برقم ٢٦١٩، ص ٣٧٦ ورجاله ثقات.

٤ - المائدة: ٤٥.

- لا يؤخذ أحد بجريرة أحد، أي أنه لا يعاقب إلا القاتل نفسه، وليس لأهله وذويه وقبيلته شأن في فعله وتطبيق العقوبة عليه، بدون تعسف أو تعدد، بخلاف ما كانت عليه الجاهلية، حيث كانت تشب حروب وتنتهك أعراض، ويقتل بالرجل أكثر من الواحد، كلها بسبب جريمة قتل وقعت لأحد أفرادهم، لقوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مَوْطِئًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (١).

- إن من يسر الإسلام وسماحته أن جعل المجال مفتوحًا أمام ولي أمر المقتول وخيره بين إحدى ثلاث: القصاص أو الدية أو العفو، لقوله صلى الله عليه وسلم: « من أصيب بدم أو حبل (الحبل الجراح) فهو بالخيار بين إحدى ثلاث: إما أن يقتص أو يأخذ العقل أو يعفو، فإن أراد رابعة فخذوا على يديه فإن فعل شيئًا من ذلك ثم عدا بعد فقتل فله النار حالدا فيها مخلدا » (٢).

- ومن يسر الإسلام أيضًا وسماحته قبل تطبيق هذه العقوبة أنه يغري أهل المقتول بما عند الله تعالى، إذا تجاوزوا عن القاتل وعفوا عنه، لقوله صلى الله عليه وسلم: « ما عفا رجل إلا زاده الله به عزا ولا نقصت صدقة من مال ولا عفا رجل قسط إلا زاده الله عزا » (٣).

وكان هذا شأن السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، فقد روي أن رجلا من قريش كسر سن رجل من الأنصار فاستعدى عليه معاوية فقال القرشي: إن هذا دق سني. قال معاوية: كلا إنا سنرضيه. قال فلما ألح عليه الأنصاري قال معاوية شأنك بصاحبك، وأبو الدرداء جالس فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما من مسلم يصاب بشيء في جسده فيتصدق به إلا رفعه الله

١ - الإسراء: ٣٣.

٢ - مسند أحمد، رقم ١٦٤٨٩، ص ١١٦٤. أورواه ابن ماجه في سننه برقم ٢٦٢٣، ص ٢٧٧. رواه نفاث.

٣ - مسلم البر والصلوة والأدب ٢٥٨٨، الترمذي البر والصلوة ٢٠٢٩، أحمد ٤٣٨ / ٢، مالك الجامع ١٨٨٥، الدارمي الزكاة ١٦٧٦.

به درجة وحط عنه بما حطت به « قال فقال الأنصاري : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم سمعته أذناي ووعاه قلبي يعني فعفا عنه ^(١) .

- من سماحة الإسلام ويسره أنه اشترط في جواز تطبيق القصاص اتفاق أولياء الدم جميعا على هذا القصاص، فإذا وجد من بينهم من عفا عن القاتل وإن كانت امرأة فإن الحكم يسقط، ويمنع القصاص.

وكذلك إذا كان من بين أولياء الدم من لم يبلغ سن التمييز أو كان غائبا، فإنه ينتظر بلوغه أو عودته من غيبته لأخذ رأيه، فإن عفا عن الجاني فإن الحكم يسقط، وقد يأخذ ذلك سنيًا وأعوامًا، وفي ذلك حكمة ربما ينسى هؤلاء الأولياء حنقهم على دمهم وتتحفف الوطأة عليهم، فيكون العفو حينها أقرب إلى القصاص.

ب - عقوبة الزنا:

وجريمة الزنا من الجرائم الأخلاقية التي تفسد الأسر والمجتمعات وتضيع الأنساب وتفشي الضغائن والأحقاد، لذلك كانت هذه الجريمة من الكبائر التي توعد الله فاعليها بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، لقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

وعقوبة الزاني الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن، وفي هذا يسر وسماحة، وذلك يتناسب العقوبة مع طبيعة الزاني نفسه، فالزاني النيب أعظم جرماً من الزاني غير المحصن، لذلك جاءت عقوبته أقسى وأشد وهي الرجم.

ومن يسر الإسلام وسماحته في إنفاذ العقوبة على الزاني أنه طلب شهادة أربعة أشخاص على الفاحشة، وهذا من باب التحري الزائد، وتجنباً لتطبيق العقوبة، وحتى لا يقع الناس في أعراض غيرهم، ليس هذا فحسب وإنما حدد عقوبة للذي يقذف الآخرين ويتهمهم بالزنا من غير أن يحضروا أربعة أشخاص فحينها ينال عقوبة القذف، يقول الله

١ - مسند أحمد، رقم ٢٨٠٨٤، ص. ٢٠٥٥ ورواه الترمذي في جامعه به ذا المعنى برقم ١٣٩٣، ص - ٣٣٨
٣٣٧ وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

٢ - النور: ١٩.

تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١).

ومن أجل إقرار هذا المبدأ لدى الأمة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسألون
تجنب تطبيق حد الزاني، أو يوجد للمعتزف بالزنا أعتذاراً لعله يتراجع عن اعترافه، فقد
« أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فناده فقال : يا رسول الله،
إني زنيت. فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات فلما شهد على نفسه أربع شهادات
دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أبك جنون ؟. قال : لا. قال : فهل أحصنت ؟
قال : نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه. قال ابن شهاب (٢):
فأخبرني من سمع جابر بن عبد الله. قال : فكننت فيمن رجمه فرجمناه بالمصلبي فلما أذلقته
الحجارة هرب فأدركناه بالحرة فرجمناه » (٣).

وقد عمل الإسلام على تخفيف وقوع الزنا ومحاولة الستر على مرتكبيها، وأن تستم
التوبة بينه وبين الله تعالى، فالأمر يرجع إلى الله تعالى يوم القيامة إن شاء عاقبه وإن شاء
عفا عنه.

١ - النور: ٤.

٢ - الزهري: محمد بن مسلم بن عبد الله ابن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر : أول
من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتين حديث، نصفها
مسند. وعن أبي الزناد : كنا نطوف مع الزهري ومع الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع. نزل الشام واستقر
بها. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : عليكم بآب شهاب فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه. قال
ابن الحرثي : مات بشعب، آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين سنة ١٢٤هـ. تذكرة الحفاظ: ١٠٢/١ ووفيات
الأعيان: ٤٥١/١ وتهديب التهذيب: ٤٤٥/٩.

٣ - البخاري الحدود: ٦٤٣، مسلم الحدود: ١٦٩١، الترمذي الحدود: ١٤٢٨، النسائي الخنازير: ١٩٥٦، أبو داود
الحدود: ٤٤٢٨، أحمد: ٤٥٣.

مجالات الوسطية في الإسلام في الأخلاق والسلوك

وفي مجال الأخلاق والسلوك مظهرٌ من مظاهر الوسطية في هذا الدين، بين الجنوح إلى المثالية الواقعية، وسطيةٌ تُركي المشاعر، وتُهدّب الضمائر، وتسمو بالتفكير والشعور، وتوازن بين متطلبات الفرد والمجتمع، وإعمال العقل والعاطفة، في تربية متوازنة، وتنسيق متّسق بديع، على ضوء المنهج النبوي: « إن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه »^(١).

مجالات الوسطية في الإسلام في الاقتصاد

وفي النظام الاقتصادي وازن الإسلام بين حرية الفرد والمجتمع، فيحترم الملكية الفردية ويقرها ويهدبها بحيث لا تضر بمصلحة المجتمع، فجاء الإسلام وسطاً بين رأسمالية ترعى الفرد على حساب الجماعة، واشتراكية تلغي حقوق الأفراد وتملكهم بمحبة مصلحة الجماعة.

وفي مجال الإنفاق تتحقق الوسطية في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^(٢)، قال حذيفة بن اليمان^(٣) رضي الله عنه: (هو الحسنة بين سيئتين)، والمراد أن الإسراف سيئة والتقتير سيئة والحسنة ما بين ذلك، فخير الأمور أوسطها.

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلاً طرفي قصد الأمور ذميم

١ - أخرجه البخاري في الصيام، باب من أنسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء، برقم (١٨٦٧).

٢ - الفرقان: ٦٧.

٣ - حذيفة بن اليمان: حذيفة بن حنبل بن حابر العنسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حنبل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاعين. كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره. ولما ولي عمرسأله: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: نعم، واحد. قال: من هو؟ قال: لا أذكره. وحدث حذيفة بهذا الحديث بعد حين فقال: وقد عزله عمر كأنما دل عليه. وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فان حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإلا لم يصل عليه. وولاه عمر على المدائن بفارس وكانت عادته إذا استعمل عاملاً كتب في عهده وقد بعث فلاناً وأمرته بكذا فلما استعمل حذيفة كتب في عهده اسمعوا له وأطيعوه، وأعطوه مسألكم فلما قدم المدائن استقبله الدهاقين، فقرأ عهده. فقالوا: سلنا ما شئت، فطلب ما يكتفي من القوت. وأنسام بينهم فأصلح بلادهم ومات فيها سنة ٣٦هـ. ابن عساکر: ٩٣/٤ ومقذّب التهذيب: ٢١٩/٢ والإصابة: ٣١٧/١ ورحلة الأولياء: ٢٧٠/١ وصفة الصفة: ٢٤٩/١.

وهكذا في مجال الحرية بين الفرد والمجتمع، حرية الرأي والفكر والسلوك وغيرها، جعل الإسلام ضوابط شرعية لهذه الحرية بحيث تكون ضمن دائرة المشروع وبمجانبة المخدور الممنوع^(١).

جاء الإسلام وسطاً بين النظم، مبيّناً حقوق الراعي والرعية، حاصراً على العدل والقسط، مُعلِّياً قيم الحق والأمن والسلام والسمع والطاعة بالمعروف، مترسماً المنهج الثموري المتكامل، سابقاً شعارات الديمقراطيات المعاصرة إلى تحقيق منافع البلاد والعباد، في بعدٍ عن الاضطراب والفوضى، محاذراً الدكتاتوريات المعاصرة إلى تحقيق منافع البلاد والعباد، ﴿وَشَارِزُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَيَاذًا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢).

ومما يجلي وسطية الإسلام جمعه بين الأصالة والمعاصرة، تميّزه بالثبات والمرونة، وحسن التعامل مع المتغيرات، ووضع الضوابط للاجتهاد في النوازل واستيعاب المستجدات، فهو بثوابته وأصوله يستعصي على التميع والذوبان، وبمرونته يستطيع التكيف ويواجه التطور بلا جمود ولا تحجر، بل يبني الحياة على القواعد الشرعية والنواميس المرعية التي تستجيب لحاجات الأمة في مختلف الظروف والأحوال، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٣).

وبعد: فقصارى القول أن وسطية الإسلام شاملة جامعة لكل أمور الدين والدنيا والآخرة، بل إنها وجه من وجوه الإعجاز فيه وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهذه الوسطية تُعظم مسؤولية الأمة الإسلامية ودورها العالمي، فهي أمة الوسطية والشهادة على الناس ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٤)، شهادة تُصان فيها الحقوق، وتحقق العدالة، وتُحفظ الكرامة، ويُيسر السلام، وتُبنى الحضارة المعاصرة، بعد أن شقي العالم بألوان الصراعات، وأهكت البشرية بأنواع من الصدمات، وتقاذفت الإنسانية أمواج من الأنظمة والأهواء، ومُرقت كياناتها في رحلة منهكة من الضياع، وهوةٍ سحيقة من الفناء، وبُور عميقة من التيه والعدم، وذلك بسبب ألوان من الصلف والتطرف والآحادية في الرأي

١ - الإسلام وتربية الإنسان الفيادي، عبد الرحيم عحاف، ص ١٩٣.

٢ - آل عمران: ١٥٩.

٣ - المائدة: ٥٠.

٤ - البقرة: ١٤٣.

والشطط في الرؤى والمواقف، ولئن آل حال العالم إلى ما نراه اليوم من تسلط وصراع حضاري خطير فإن الأمل -بعد الله- في أمة الوسطية والاعتدال أن تكبو من عنقها وتفيق من غفلتها وتجمع من شنائها، بعد أن عانت طويلاً من جراء تجاوزات بعض أبنائها والحسوبيين عليها عن منهج الوسطية في مجالات عقديّة وفكرية وسلوكية، بل وثقافية وإعلامية، وأصبح بعض أبنائها يقنات من على فتات موائد الغرب في لون من ألوان التطرف الفكري، يقابله ردود أفعال مخالفة في الرأي، معاكسة في الاتجاه، فلربما سلكت مسالك التجاوز والشطط في تضخيم إعلامي مفضوح، حتى وُصم الإسلام بأخطاء هذا، وتقصر ذاك، ومن المقرر لدى التّصفة أن خطأ الفرد في تطبيق نظام ما ليس عيباً في النظام نفسه، فأين المصدقية والموضوعية والواقعية؟!^(١)

هذا هو الإسلام في وسطيته وسماحته ويسره واعتداله، فأين هذا من الحملات المسعورة عبر وسائل إعلامية مأجورة؟! أين هذه السّماحة من التطرف الصهيوني والصلف اليهودي الذي يبرز من خلال شلالات الدم المسلم المتدفق على ثرى فلسطين المجاهدة؟! أين هذه السّماحة من التطرف الهندوسي الوثني على رُؤى كشمير في ظل صمت عالمي متخاذل؟! أين هذا التيسير من التطرف الإلحادي على أرض كُسوفاً والشيشان المسلمة؟! أين هذا من المتلاعبين بالمصطلحات والألفاظ الذين أصبح عندهم التطرف في قتل المسلمين وظلمهم وإرهابهم رجلٌ آمن وسلام، والمظلومون المطالبون بحقوقهم الشرعية المقاومون للاحتلال ضد عقيدتهم وبلادهم ومن يساندهم في حملات إغائية وتبرعات مادية وعينية إن هؤلاء في نظره إرهابيون متطرفون في شنشنة معروفة من أحزم. ألا ما أحوج الأمة إلى سلوك منهج الوسطية في علاج كثير من الانحرافات في شتى المجالات، وهذا كله يلقي على كواهل علماء الشريعة ودعاة الإصلاح في الأمة المسؤولية الكبرى أمام الله، ثم أمام الأمة والأجيال التي تنشُد سبيل الخلاص من إفرازات تجاوز منهج الوسطية المتألق، وكان الله في عون العاملين المخلصين لدينهم وأمتهم ومجتمعهم.

١ - صراع الحضارات بين الشرق والغرب، ربنه غونو، ترجمة وليد القاسم بن علي، ص ٥٧.

﴿ وَأَنْ هَلْدًا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذِكْرًا وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١).

ولم تقف وسطية الإسلام على أمور العبادات من طهارة وصلاة ونحوها فحسب، بل تعدتها إلى العادات والمعاملات واللباس والطعام والنوم وغيرها في تنظيم شامل لشيئ مناحي الحياة.

وتمت بحال آخر برزت فيه وسطية هذه الأمة في جانب من أهم جوانبها، ألا وهو الجانب المتعلق بالمرأة، (فجاءت هذه الشريعة الغراء والمرأة مظلومة بين جاهليتين، فكرمتها وحفظت حقوقها، وسمت بما أن تكون أجيعة، وصانتها من الوقوع في مستنقعات الرذيلة، وكفلت لها حرمتها الشرعية، ونأت بما عن مسالك التححرر من القيم والهيوط إلى برائن الإباحية والانحلال والانسلاخ من الفضائل وسلوك مسالك التبرج والسفور والاختلاط المحرم)^(٢).

غير أن تمت ملحظاً أخيراً مهماً، وهو أن الوسطية في الإسلام لا تخضع للأهواء والرغبات، فليست تنصلاً من الثواب والمقومات، ولا تمرداً على المسائد والأهداف والغايات، وإنما تُضبط بضوابط الشريعة، فمن الناس من يحمل على كل ملتزم بدينه - لا سيما من أهل الخير والحسنة والإصلاح - ويصفهم بالتطرف والعلو والتزمت، فمن يلتزم بالسنة باطنياً وظاهراً عندهم متحجر متشدد، ومن يدعو إلى الإسلام غسال منظر، والغيورون عليه رجعيون متأخرون، أما المنهزمون المنقلتون من المثل المفرطون بالقيم المتلاعبون بالثواب والمبادئ فهؤلاء عندهم متمتعون بسعة الأفق متحررون متنسرون متطورون متفتحون على الآفاق المعاصرة واقعيون في النظر والسلوك، ولعمرو الحق إن هذا نوع من التطرف المحموم والفكر المسموم في مقابل نوع غير متكافئ من التطرف المذموم، مما يحمل طلاب الوسطية على الاعتدال بين ذنبك الطرفين.

١ - الأعمام: ١٥٣.

٢ - مكانة المرأة في الإسلام، الهادي بن ياسين الغارمي، ص ١٢٣.

وختاماً لا بد أن نقول:

إن الوسيلة الإسلامية يجب أن تتحول إلى مؤسسات فكرية تربوية ذات مناهج علمية محكمة تمدف إلى صياغة المسلم صياغة تحقق التغيير النفسي الداخلي المشروط في القرآن الكريم ليتحقق التغيير الخارجي: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾^(١) ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾^(٢).

وقبل أن نطالب الآخرين أن يتغيروا يجب أن نتغير نحن لكن وفق ما نطمح إليه من ضبط الداخل والخارج حسب مقاصد الشريعة السامية وحقائقها الخالدة. إن المهمة الملحة هي إعداد النفوس لعملية التغيير والتغيير الداخليين لصيانة الذات وتحسينها، وحينئذ نكون قد تجاوزنا دركات النفس الأمارة حتى ترسخ في النفوس تلك الدوافع النبيلة والنوازع الحيرية فتتضبط حركة نحو الخير وسكونا عن الشر، وتنصهر حتى تصبح روحاً واحدة وحسداً واحداً في اتجاه البناء الجديد كأن الجميع نفس واحدة، وإنسان الظالم لنفسه إلى الارتقاء في الشروع في السير خلال النفس اللوامة التي تمثل المسلم المقتصد حتى نحقق الاستقرار على طريق المسيرة في مدارج النفس المطمئنة أو المسلم السابق بالخيرات بإذن الله. فكلما توافرت للأمة النسبة العالية للنوع الثالث استطاعت أن تأخذ مكانتها المحترمة بين أمم العالم، ولعل هذا ما يعنيه القرآن الكريم والله أعلم بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾^(٣). فالنوع الثالث أكرمهم الله بتربية عالية تجعل حسناته ترجح سيئاته، وهو من النوع الذي يقضي حقوق الآخرين دون أن يقضي حقوقه ممن هضمه إياها، فهو إنسان تضحية ونكران الذات، وهمه أن تكون أمته قائمة رائدة فلا يحاسبها على ساعة العمل، فهو يعطي أكثر مما يأخذ. ولا ضير أن يكون بجانبه الإنسان المقتصد الذي يقوم بواجباته قدر ما يأخذ من حقوقه. ولكن النوع الظالم لنفسه هو المثبط والمثبط فإن ارتفاع نسبه في الأمة يؤذن بالتأخر والتخلف وربما بالسقوط.

١- الرعد: ١١.

٢- الفتح: ٢٣.

٣- فاطر: ٣٢.

يقول مالك بن نبي^(١) - رحمه الله - في كتبه وأحاديثه: " إن الرقي والتقدم لا يتحقق إلا في مجتمع يتوافر فيه فائض الواجبات " ويضرب مثلا بألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية^(٢).

ولكي نحقق ذلك يجب إسناد الأمر إلى ذويه وأهله من رجال التربية والسلوك والقدوة الحسنة الذين تتوافر فيهم شروط، العلم وأعني به علم الشرع وعلم الواقع أي المجال الذي يعمل فيه. والحكمة: وهي الخبرة العميقة التي تجعله قادرا على التعامل بأحسن الأساليب وأنجح الوسائل وأنسب الآليات وأجمل فنون الاتصال لنقل فكرته وتفهمها بوضوح ودقة مع حسن التأثير والتجاوب وتحقيق أحسن النتائج، بما يضاف إليها من الصفة الحسنة والجدل والتي هي أحسن، ولم توصف الحكمة بأحد الوصفين المذكورين لأنها الأحسن في ذاتها لا تحتاج إلى وصف زائد^(٣).

ولعل البصيرة تجمع العلم والحكمة ثم الورع والصلاح ليكون الداعية قدوة مؤثرة بالسلوك والعمل.

إن الثروة البشرية العاملة والعاملة في ميدان الدعوة إلى الإسلام داخل البلاد وخارجها كبيرة وكثيرة ومتنوعة وغنية وفي المستويات اللاتفة، لكن عليها أن تتناسق وتتعاون فيما بينها قبل فوات الأوان، وعليها أن تتعاون أيضا مع الدول الإسلامية وأنظمتها المختلفة ما أمكن لها ذلك وعلى الأقل أن تتجنب الصدام مع أولي الأمر ذلك أن الأمة كلها مهددة. فقد ظهر جليا أن كل توتر داخلي يشيع روح السخط والتبرم وسوء الظن خلال المجتمع ويجر إلى عواقب وخيمة قد تمتد إلى البنيات التحتية للإسلام والقواعد

١ - مالك بن نبي: مفكر إسلامي جزائري. ولد لها في مدينة فسنطينة. ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المحتلظ. وتخرج مهندسا ميكانيكيا في معهد الهندسة العالي بباريس. وزار مكة، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره. باللغة الفرنسية نحو ٣٠ كتابا حلها مطبوع. ترجم بعضها إلى العربية. وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، بالقاهرة. وتولى إدارة التعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي الجزائري (١٩٦٤) وتوفي ببليده، سنة (١٣٩٣هـ). الوعي الإسلامي السنة الثامنة العدد ١٠٨ و ٧٢ من مقال بقلم أنور الجندي. وجريدة الحياة (البيروتية) ٢ / ١١ / ١٩٧٣.

٢ - الإسلام الذي نريد، مقال في صحيفة اللوموند الفرنسية، ترجمه إلى العربية عبد الحميد قنسي، العدد ١٣ سبتمبر، ١٩٨٠م.

٣ - انظر طريق المحجرين لابن القيم، ص ٢١٢-٢١٣، تحق الدكتور وهبة الزحيلي.

الراسخة في الأمة مما يجعلها طعمة سائغة للمؤامرات الخارجية بما يصيبها من وهن وتمزق. ولقد اعترف قادة من هنا ومن هناك بأن الأفعال من جانب وردودها من جانب آخر كانت الأمة هي الخاسرة في الأولى والأخيرة، بل لدينا روايات شفهية مؤكدة أن من الأخطاء الفادحة التعاون على تقويض بعض الأنظمة لفسادها أو بدعوى ذلك لما ترتب على تقويضها من فساد أكبر هو الذي نتج عن مرارته كل لحظة بعد أن كانت الأنظمة الثورية تمني شعوبا بالفردوس وتطهير البلاد من الصهيونية وعمالها فإذا بمذه الشعوب في قعر الحميم وسواء السعير تبكي على الماضي الصالح الذي كانت الأمة تتمتع فيه بكثير من الحقوق، وتعيش في مستوى معيشي وثقافي وسياسي واجتماعي وأخلاقي لم تصل في ظل الانقلابات وما بعدها حتى إلى ربه.

إن وسطية الإسلام يجب أن تمثلها في سلوكنا وأفكارنا وتعاملنا فيما بيننا أولاً ثم نقلها إلى الخارج لا من خلال الأفكار فقط ولكن من خلال السلوك. ولو استطعنا أن نصل إلى قسم القيم الإسلامية وقسم الحقيقة الإسلامية واستطعنا أن نترنل إلى حضاب الحضارة الغربية المتعطشة فرورها بالحقيقة الإسلامية وبالهدى الإسلامي لأضفنا إليها بعدا جديدا، " لأن الحضارة العلمانية، حضارة الصاروخ، حضارة الإلكترونيات اكتسبت هذه الأشياء وضاعت بعدا تشعر بفقدانه وهو بعد السماء^(١).

١- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ص ٣٨، مالك بن نبي - دار الفكر - دمشق.

القواعد الشرعية المستنبطة من النصوص الواردة في اليسر

استنبط علماء الأصول من النصوص الواردة في سماحة الإسلام ويسره، بعض القواعد وجعلوها معالم لعلم الأصول، ونذكر منها قاعدتين أساسيتين، هما:

١ - "المشقة تجلب التيسير"^(١):

ومعنى هذه القاعدة الأصولية أن الأحكام التي ينشأ عن تطبيقها حرج على المكلف ومشقة في نفسه أو ماله، فإن الشرع قد أجاز له عدم القيام بها. وتعتمد هذه القاعدة الشرعية على الأدلة الكثيرة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام التي سبقت الإشارة إليها خلال البحث^(٢)، من خلال بيان يسر الإسلام وسعته ورحمته بالعباد في العبادات والمعاملات وإتيان الرخص وغيرها. والمشقة التي تجيز فعل المحظور وتجلب التيسير تلك التي فوق طاقة البشر، فلا تتحملها النفس البشرية، وإذا أخذ بها الإنسان تعرض للأذى والضرر في أساسيات حياته من النفس والمال والعقل والعرض.

وانبثقت عن هذه القاعدة الأصولية قواعد فرعية أخرى مثل: "إذا ضاق الأمر اتسع"، أو "إذا اتسع الأمر ضاق"^(٣) وغيرها.

٢ - "الضرورات تبيح المحظورات"^(٤):

والأصل الذي اعتمدت عليه هذه القاعدة الأصولية قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ﴾^(٥).

- ١ - ينظر في هذه القاعدة وتفصيلها: الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للسيوطي، ص ٧٦ - ٨٢ وغيره من كتب القواعد الفقهية.
- ٢ - منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ سورة البقرة، الآية ١٨٤ [: وقوله لمن يسأله في الحج عن تقديم نسك على آخر " : لا حرج " وقولسه عليه الصلاة والسلام " : ليس من أئمة الصوم في السفر " .
- ٣ - انظر: الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، للسيوطي، ص ٨٣.
- ٤ - انظر: شرح القواعد الفقهية، لأحمد الزرقا، ص ١٣١.
- ٥ - الأنعام: ١١٩.

ويلحق بهذه القاعدة قاعدة أخرى هي بمثابة ضابط وقيد لها، وهي: "الضرورات تقدر بقدرها" (١) أي أن المباح من فعل المخطورات يكون قدر حاجة الإنسان بحيث ينتفي الضرر الذي يهدده، فلا يتجاوز هذا القدر، وإلا وقع في المعصية، كالمقبل على الهلاك من العطش فلا يجوز له أن يشرب الخمر فوق ما يكسر عطشه ويخلصه من الموت، فإن فعل ذلك فإنه آثم ويتحمل وزر شرب الخمر.

١ - انظر: شرح القواعد الفقهية، لأحمد الزرقا، ص ١٣٣ - ١٣٤ .



الفصل الثالث
أسباب التطرف في المجتمع الإسلامي المعاصر



ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول

الأسباب المباشرة

أولاً: الفهم الخاطئ لتصوص الكتاب والسنة.

ثانياً: الكبت الفكري الممارس من قبل السلطات الحاكمة على العلماء والعامّة على

السواء.

ثالثاً: الفساد العقدي والخلقي في حياة الأمة.

رابعاً: التعصب للجماعة أو الطائفة.

خامساً: القصور والتبعية في مناهج التعليم.

سادساً: شيوع الظلم بشئى صورته وأشكاله.

المبحث الثاني

الأسباب غير المباشرة

٦- أسباب اقتصادية.

٧- أسباب سياسية.

٨- أسباب اجتماعية.

٩- أسباب ثقافية.

١٠- أسباب تتعلق بدور الإعلام.

المبحث الثالث

الأسباب العلمية للتطرف

٧- الجهل بالقرآن الكريم.

٨- الجهل بالسنة المطهرة.

٩- الجهل بقدر السلف وأهل العلم.

١٠- الجهل بحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال.

١١- الجهل بمراتب الأحكام.

١٢- الجهل بمراتب الناس.

استهلال:

لقد جعل الله لكل شيء سببا، وجعل الظواهر والمشكلات التي يقع فيها الناس راجعة إلى أسباب سابقة إليها، وهذه سنة من سنن الله عز وجل في الخلق والكون . ومشكلة التطرف ليست بدعا من المشكلات إذ لها أسباب لإيجادها، وأسباب لإمداها . والأسباب هي : العوامل المؤدية إلى الوقوع في التطرف سواء أكانت متعلقة بالجانب الذاتي للمتطرف أو الجماعة المتطرفة، أم كانت متعلقة بالبيئة المحيطة به . وهذه الأسباب قد يكون تأثيرها في إحداث التطرف ابتداء، وقد يكون تأثيرها في إمداده واستمراره ونشر مظاهره .

وقبل الحديث عن أسباب التطرف في المجتمعات الإسلامية أرى لزاما التنبيه إلى عدد من المسائل.

الأولى : أن أسباب التطرف تختلف في درجة أهميتها، وفي مدى تأثيرها باختلاف المجتمعات الإسلامية، تبعا لاختلافها في اتجاهاتها السياسية، وظروفها الاقتصادية والاجتماعية، وأحوال شعوبها الدينية، ولذا فإن ما يصدق على مجتمع قد لا يصدق بالضرورة على غيره .

الثانية : أن الحكومات في العالم الإسلامي تختلف اختلافا كبيرا في مواقفها من الدين والدين في المجتمعات التي تتولى شئونها، كما تختلف تفاوتنا ظاهرا في مدى رعايتها لمصالح الناس الدنيوية، وتيسير أسباب الحياة الكريمة لهم، ففي حين نجد من الحكومات من تعظم شأن الدين وتجعله أساس أنظمتها، والمهيمن على شئون الحياة فيها؛ فإننا في المقابل نجد من الحكومات من ليست مواقفها من الدين أو ممن يدعو إلى الأخذ به منهجا للحياة إيجابية أو مرضية .

وهذه المواقف لها أثرها في المجتمعات، من حيث استقرارها، وتوجهات أفرادها، وطبيعة الصلات والعلاقات فيها، ولا سيما بين الناس وولاة أمورهم .

الثالثة : أن أعمال التطرف والإرهاب - من قتل وتفجير وإفساد في الأرض - هي من المصائب التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية وغيرها، ومن المعلوم من نصوص الشريعة أن المصائب التي تلحق بالأفراد أو المجتمعات سببها الرئيس هو التفريط في أمر الله

والوقوع فيما نهي عنه، كما قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(١).

فما يصيب " الناس من ضر وضيق مالي، أو أمني، فرديا كان أو جماعيا، فيسبب معاصيهم، وإهمالهم لأوامر الله عز وجل ونسيانهم شريعة الله، والتماسههم الحكم بين الناس من غير شريعة الله الذي خلق الخلق، وكان أرحم بهم من أمهاتهم وآبائهم، وكان أعلمهم بمصالحهم من أنفسهم^(٢)."

الرابعة : أن استيعاب الأسباب المؤدية إلى التطرف والإرهاب أمر بعيد المنال، لأن طرق الغي والضلال غير منحصرة، ولكن حسبي في هذا البحث أن أبرز - ما أراه - أهم الأسباب وأكثرها أثراً في بروز هذه الظاهرة الخطيرة في المجتمعات الإسلامية.

وهنا أتبه على أن دراسة الأسباب يجب ألا تتجه إلى أن تكون تبريراً للتطرف، وإيجاداً للعذر عند المتطرفين، فهذا المنهج التبريري لا يولد في المال إلا مزيداً من الغلو والتطرف، ويعمل المتطرف بسقطه تطرفه وجسره على الناس . وكم من مستكلم في بعض قضايا التطرف يذكر بعض الأسباب ويجعلها مبرراً للتطرف، وهذا يهون الأمر في النفوس بل قد يجمع بعض الناس بذلك مزيداً من الأدلة ووسائل الإقناع للمتطرفين أو الجمهور المتلقين.

إن التطرف قد يوجد في البيئة السليمة لكن لأن وجهة النظر المبينة على الجهل والظلم تجعل ما ليس بخطأ وقد وقع ذلك في عهد النبي ﷺ فعن أبي سعيد الخدري قال: بيننا النبي ﷺ يقسم - يعني الغنائم - جاء رجل فقال: اعدل يا رسول الله! فقال: « ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟! » قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، بمرقون من الذين كما يمرق السهم من الرمية »^(٣) فهذا ظن لسوء طويته أن النبي قد جار فقال

١ - الشورى: ٣٠.

٢ - ابن عثيمين - أثر المعاصي على الفرد والجموع - ص ٨.

٣ - رواه البخاري (٢٥٤٠ / ٦) برقم (٦٥٣٢) باب قتال الجوارح والملحمين، كتاب استئابة المرتدين المعاندين وقناهم، ومسلم (٧٤١/٢) برقم (١٠٦٤) كتاب الزكاة، باب ذكر الجوارح وصفاقم.

قولته الشنيعة، وكذلك فعل الخوارج حين رفعوا دعوى إبطال التحكيم، فاستدلوا بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(١).

فالقول الذي قالوه حق، ولكن زعمهم أن عليا حكم بغير شرع الله باطل .
ولذلك قال علي عليه السلام: (كلمة حق أريد بها باطل)^(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم: (لا حكم إلا لله)، انتزعوها من القرآن، وحملوها على غير محلها)^(٣).

فنحن وإن ذكرنا بعض الأسباب وأنها من العوامل التي أوقعت في التطرف.. لا نفتح بابا للعدر للخوارج وإنما نشخص الواقع؛ لتكون المعالجة على أصل قوي.

وللولوج إلى الأسباب أبدأ البحث بتقسيم الأسباب بشكل عام إلى:

١- الصنف الأول: الأسباب المباشرة للتطرف.

وهي الأسباب والعوامل المباشرة والكافية، ولا تحتاج لغيرها من أسباب كي تكون مؤثرة؛ لأن يتوجه الفرد بمقتضاها للتطرف المؤدي إلى العنف.

٢- الصنف الثاني: الأسباب غير المباشرة للتطرف.

وهي العوامل المؤثرة في النفوس سلبيًا أو إيجابيًا، بحيث يجعلها سريعة التأثر، -سهلة الانقياد لدعاة التطرف والعنف، وهي أسباب غير مباشرة، لأنها غير كافية وحدها لأن يتوجه الفرد بمقتضاها للتطرف والإرهاب.

٣- الصنف الثالث: الأسباب العلمية للتطرف.

وهي الأسباب التي تدور حول محور (الجهل) بالنصوص الشرعية بشكل عام.

١ - الأنعام: ٥٧.

٢ - رواه مسلم ٧٤٩/٢ في باب (الخوارج شر الخلق والخليفة).

٣ - فتح الباري (٦/٦١٩).

المبحث الأول

الأسباب المباشرة

أولاً: الفهم الخاطئ لنصوص الكتاب والسنة.

ثانياً: الكبت الفكري الممارس من قبل السلطات الحاكمة على

العلماء والعامّة على السواء.

ثالثاً: الفساد العقدي والخلقي في حياة الأمة.

رابعاً: التعصب للجماعة أو الطائفة.

خامساً: القصور والتبعية في مناهج التعليم.

سادساً: شيوع الظلم بثنتي صورته وأشكاله.

أولاً: المفهم الخاطئ لنصوص الكتاب والسنة

إن الأخذ بظواهر النصوص دون فقه ولا اعتبار لدلالة المفهوم، ولا قواعد الاستدلال، ولا الجمع بين الأدلة، ولا اعتبار لفهم العلماء، ولا النظر في أعداد الناس^(١) يعتبر المنهج الرئيس في انطلاق فكر التطرف،

وهذا المنهج يعتبر سبباً لصنوف من الانحراف والضلال، وأشد ذلك وأعظمه خطراً التكفير، والحكم بذلك على الأشخاص والجماعات والأنظمة دون فقه أو تثبت، أو اعتبار للضوابط الشرعية، وهو ما وقع فيه بعض الأفراد والجماعات في هذا العصر، حيث توجهوا إلى تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله، ولا سنة رسوله ورتبوا على ذلك استباحة الدماء والأموال، والاعتداء على حياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعاشهم، والاعتداء على مصالحهم العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها، فحصل بذلك فساد كبير في المجتمعات الإسلامية^(٢).

وقد جاءت النصوص بالتحذير من التكفير، والوعيد الشديد لمن كفر أحداً من المسلمين، وليس هو كذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر.. فقد باء به أحدهما »^(٣).

كما دلت النصوص على أن التكفير - كسائر الأحكام الشرعية - لا يتم إلا بوجود أسبابه وانتفاء موانعه، ولذا قد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به لوجود مانع يمنع من كفره كالإكراه. وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما، فلا يكفر بما لعدم القصد^(٤) كما في قصة الذي قال :

١ - انظر ناصر العقل، (الحواج أول الفرق في تاريخ الإسلام) ص ٢٢.

٢ - التكفير في حياة المسلمين، ناصر الدين الدمرداش، ص ٨٩.

٣ - أخرجه البخاري في الأدب باب من كفر أحداً بغير تأويل فهو كما قال برقم (٥٧٥٢)، ومسلم في الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه يا كافر، برقم (٦١).

٤ - انظر: بيان هيئة كبار العلماء في المملكة السعودية في دورته (٤٩) بتاريخ ١٤١٩/٤/٢هـ، مجلة البحوث الإسلامية العدد (٥٦) ص (٣٥٨)، في وانظر: (مجموع الفتاوى) ٤٠٤/٥ / ٤٩٨/١٢.

اللهم أنت عيدي وأنا ربك ^(١) أخطأ من شدة الفرح.
وكالذي أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: « كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله، فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف، ففعلوا به، فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ما حملني عليه إلا مخافتك.. فغفر له » ^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكنه كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من ذلك ^(٣)"

هذه الضوابط ونحوها مما بينه العلماء، وفضلوا القول فيه تبين خطأ منهج أهل التكفير، وتطرفهم وضلالهم عن منهج سلف الأمة.

وبالجملية فإن الواجب مراعاة قواعد الاستدلال؛ برد المشابهة إلى المحكم، والمحمل إلى المبين، والجمع بين النصوص، واعتماد تفسير الصحابة رضي الله عنهم وفهمهم للنصوص، فهم قد عاشوا وقت تنزل الوحي، وأعلمم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين يقتدى بهم ^(٤).

بهذا يتوصل إلى الحق، وتحصل السلامة من الزيغ والضلال.

كما الجهل بمقاصد الشريعة؛ وهي غاياتها، والحكم والمعاني والمصالح التي شرعت الأحكام من أجلها ^(٥) والتي تعود إلى إقامة المصالح الأخروية والدينية ^(٦) هو سبب رئيس أيضاً من أسباب الجنوح إلى التطرف في ذهنية وعقل الشاب، لذلك يجب مراعاة

١ - أخرج مسلم، في التوبة، باب في الحز على التوبة والفرح بها.

٢ - أخرج البخاري في الرقاق، باب الخوف من الله، برقم (٦١١٥)، والسنائي، في الجنائز، برقم (٢٠٨٠).

٣ - مجموع الفتاوى: (٢٣١/٣).

٤ - انظر: ناصر العقل (ساحج أهل الأهواء والافتراق والبدع) ص ١٥.

٥ - انظر: محمد الطاهر بن عاشور، (مقاصد الشريعة)، ص ٥٠.

٦ - الشاطبي (المواقفات) ١٩٥/٤.

هذه المقاصد حتى تكون الأعمال صالحة ومعترية شرعا ، وإنما يدرك هذه المقاصد الراسخون في العلم بالشريعة، وتفاصيل أحكامها، وغايات تشريعها.

وأما غير الراسخ في العلم فيأخذ بجزئيات من النصوص، ويقول فيها برأيه، فيهدم كليات ويعطل مصالح عامة معترية، وربما اقترن بالجهل بالمقاصد بعض الأهواء الكامنة في النفوس الحاملة على ترك الاعتداء بالدليل، والمناعة من الاعتراف بالعجز فيما لم يصل إليه علم الإنسان^(١).

قال الشاطبي رحمه الله " : النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا ، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يتول إليه ذلك الفعل، [فقد يكون] مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك.

فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فرمما أدى استحلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية. وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق، محمود الغيب، جار على مقاصد الشريعة^(٢).

- ومن صور الخلل في اعتبار المصالح والمفاسد - في هذا العصر - الدعوة من بعض الجماعات أو التنظيمات إلى الاعتداء على مصالح بعض الدول المعتدية، وعلى رعاياها، في بلادهم وفي سائر الدول - الإسلامية وغيرها - ووصف ذلك بالجهاد، واعتقاد أن في ذلك تحقيقاً لمصالح الأمة، كما حصل عندما أعلنت جماعة الجهاد والترقي في كشمير أن قتل الغربي رجلا كان أو امرأة، طفلا أو شيخا .. واجب شرعي، والتمثيل بجسده مسن أصول الدين الحنيف، إذ قال زعيمهم: (الدين الإسلامي أباح الجهاد وجعله فريضة،

١ - انظر: المرجع السابق / ٤ - ١٧٤ - ١٧٥.

٢ - الموافقات / ٤ - ١٩٤ - ١٩٥.

وجهاد اليوم مع الغرب، فلا تدعوا طفلاً أو شيخاً، رجلاً أو امرأة إلا ونحترم فيهم الرصاص، ومثلتم بأجسادهم، طلائع السيوف، فإن إرهابهم واجب ديني مقدس.^(١) والحق أن في هذا من المفاسد، والمخالفات الشرعية، والتعارض مع مقاصد الشريعة -ولا سيما مع النظر في واقع الأمة المسلمة اليوم مع أعدائها - ما يوجب القطع بحرمته. فمن ذلك : إختفار ذمم المسلمين بالاعتداء على المعاهدين والمستأمنين، واستبدال الأمن بالخوف في المجتمعات الإسلامية الآمنة، وإراقة الدماء المعصومة، والإفساد في الأرض.

ومنها التنفير من الإسلام، وتبييح الأمم الكافرة، واتخاذهم من تلك الأعمال ذرائع يتسلطون بها على أهل الإسلام.

وقد ذكر العز بن عبد السلام رحمه الله : أن أي قتال للكفار لا يتحقق به نكاية بالعدو فإنه يجب تركه، لأن المخاطرة بالنفوس إنما جازت لما فيها من مصلحة إعزاز الدين والنكاية بالمشركين، فإذا لم يحصل ذلك وجب ترك القتال، لما فيه من فسوات النفوس، وشفاء صدور الكفار، وإرغام أهل الإسلام، وبذا صار مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة.^(٢)

١ - تكفير الغرب، محمد عزت المهدي، ص ٢٨٥.

٢ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٩٥/١.

ثانيا: الكبت الفكري الممارس من قبل السلطات الحاكمة
على العلماء والعامّة على السواء

إن كثيرا من البلدان العربية والإسلامية لم تكف بتهميش الجماعات الإسلامية وعدم الاكترت لها، بل وقفت في وجهها، وتصدت لأربابها، وحصرت نشاطها، وجمدت عطاءها، حتى في بعض البلدان التي تدعي الديمقراطية وحرية الرأي، فإن هذه الأمور إذا جاءت في صالح تيار إسلامي، أو جماعة إصلاحية فسرعان ما يتحول الأمر إلى المنع والقمع والتصدّي والتحدّي مهما كانت الجماعة معتدلة، والتيار متسامحا، والحزب متنورا، وهذا من شأنه أن يولد المنظمات السرية، والتوجهات المناهضة، وردود الأفعال الغاضبة التي لا تجد ما تصب فيه غضبها، وتفرغ فيه شحنات عواطفها إلا امتطاء صهوة التطرف، وذلك ما تمثل واقعا حيا مشاهدا في كثير من البلدان.

المظالم التي ترتكب من قبل من شأنهم أن يعدلوا بين الناس فهذا يوجد روحا من السخط تستنح الفرصة للتعبير عن الرأي الذي حكّر أو سحن أو عوقب صاحبه وضيع عليه، حيث لما عدل العُمران (عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما) .. أمنا فناما، ولما طعن عمر بن الخطاب ﷺ أرسل إلى ناس من المهاجرين فيهم علي فقال: عن ملاً منكم هذا؟ فقال علي: (معاذ الله أن يكون هذا عن ملاً منا، ولو استطعنا أن نزيد من أعمارنا في عمرك .. لفعلنا) ^(١).

ولما جاء أهل الكوفة وقد رفضوا واليه .. (أبدلهم عمر فوراً بغيره) ^(٢). وهكذا، فسلب الحقوق السياسية والمالية والاجتماعية التي هي نتيجة المظالم يوجد احتجاجا لدى الرأي العام فما خرج الثوار - زاعمين كذبا - على عثمان بن عفان ﷺ إلا لزعيمهم أن هناك مظالم ثلاثا ^(٣).

١ - مصنف عبد الرزاق ٥١/٦.

٢ - رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح ٣٥٧/١٠.

٣ - المسند المستخرج على صحيح مسلم، لأبي نعيم الأصبهاني (١/٣٨٦).

ولا شك أن ما كان سياسيا في داخل أي مجتمع لا يحل بشكل إنجابي بناء، فلا يصح إعطاء المشروعية لأي حل من الحلول، يقوم على أساس وسائل القهر والإكراه، وإثارة القلاقل والفتن^(١).

روى أبو داود^(٢) في سننه بسنده عن أبي ذر الغفاري حين سأل رسول الله ﷺ (ما يفعل في حال الفتنة في المجتمع، فأمره أن يلزم بيته وأن لا يشارك في الفتنة حتى لا يدافع عن نفسه وليكون خير ابني آدم " وقال: قلت: فإن دخل علي بيتي؟ قال: فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف.. فألق ثوبك على وجهك بيوء بإمك وإمه^(٣).

فالحديث عند التمعن يثير كثيرا من الدهشة والتعجب، لأنه يبدو على غير ما وقر في الذهن وجسده كثير من الأحداث التاريخية في وجوب مقاومة الانحراف والفساد بكل الوسائل المادية والمعنوية؛ لأن الحديث لا يمنع كل ألوان المبادرة بالعنف فحسب، بل إنسه يمنع أيضا كل أنواع العنف حتى باسم حق الدفاع عن النفس.

فليتأمل هذا الحديث، وما يحويه من توجيه، يحمل في طياته دلالات بعيدة المدى، لا يصح أن يمر بها المرء دون محاولة جادة لفهمها والغوص إلى أبعادها، خاصة أن تاريخ الأمة الإسلامية، زاخر بالفتن والثورات والصراعات الدامية، مع إخفاق حل محاولات الإصلاح السياسي الإسلامي في بلوغ غاياتها الكبرى حتى اليوم!

التحيزات السرية التي نتجت عن قراءات خاصة ومفاهيم خاطئة لا يعرفها أهل العلم. يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (إذا رأيت قوما يتناجون في شيء من الدين دون العامة.. فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة)^(٤).

١ - العلماء والسلطان، الوليد بن غايد الجعفري، ص ٥٩.

٢ - أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأودي السجستاني، أبو داود: إمام أهل الحديث في زمانه. أصله من سجستان. رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ. له السنن، وهو أحد الكتب الستة، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٥٠٠٠٠٠ حديث. تذكرة الحفاظ: ١٥٢/٢ وقهذيب ابن عساکر: ٢٤٤/٦ وتاريخ بغداد: ٥٥/٩ وابن حنبلان: ٢١٤/١.

٣ - رواه أيضا بصيغ متقاربة أحمد في مسنده ٣٥٥/٦.

٤ - رواه أحمد في الزهد ٤١٢، واللائكاني في السنة ٣٣٢.

وهذه التحزبات والتجمعات يصدق عليها قول الحسن البصري رحمه الله: " خرج عثمان بن عفان علينا يوماً يخطبنا فقطعوا عليه كلامه، فتراموا بالبطحاء حتى جعلت ما أبصر أديم السماء قال: وسمنا صوتاً من بعض، فقيل: هذا صوت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال: سمعتها وهي تقول: (ألا إن نبيكم قد برئ من فرق دينه واحتراب) (١) ثم قلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فُرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (٢).

ومن مظاهر وتحليلات هذا الكبت:

- الإحباط: وهو من أهم أسباب الخروج على النظام وعلى العادات وشعور الشخص بخيبة أمل في نيل حقه أو الحصول على ما يصلحه ويشفي صدره فكثير من البلدان العربية همشت دور الجماعات عموماً، ولم تكترث بما، بل عذبت وقتلت وشردت ومنعت وصول خيرها للناس، مع زعمهم بحرية الرأي والتعبير، وهذا يكون - كما قلنا سابقاً - التحزبات السرية، وردود الأفعال الغاضبة في صورة الإرهاب واعتناق الأفكار الهدامة (٣).

كما أن اعتماد بعض الدول الإسلامية على أسلوب الحل الأمني فقط في علاج الأخطاء التي تحدث من بعض أفراد المجتمع، ومنها من تسرف في التنكيل والتعذيب الجسدي والنفسي مما يفوق كل تصور، فماذا يتوقع من وقع عليه ذلك التعذيب؟! لا شك أنه إن كان في رأسه شبهة تكفير أو تطرف .. فإنها تتأكد؛ حيث يقول: إن هذا العمل لا يكون من مسلم لمسلم، وإن لم يكن عنده ذلك.. أصبح تربة خصبة لمثل تلك الأفكار، وهذا ما يزيد عنفاً وقسوة على الأقل من باب المعاملة بالمثل، والأكبر من ذلك هو انعكاس تلك المعاملة على أهله وأقربائه وأحبابه، فلا شك أنهم سيجاولون الانتقام لقريبهم إن كان أباً أو أماً أو عمّاً أو خالاً، وهذا ما يوسع ويزيد من دائرة العنف والتطرف.

١ - أخرجه الإمام أحمد في العلق، ٥٨٤/٢.

٢ - الأعمام: ١٥٩.

٣ - حصاد الإرهاب، د ناصر الزهراني - العبيكان.

ثالثا: الفساد العقدي والخلقي في حياة الأمة

لقد ضمرت العقيدة في النفوس على توالي العصور، ثم بدأ الانسلاخ من أركان هذا الدين رويدا رويدا، فغطت الأحكام الشرعية، وتهاون الناس في الصلاة والصيام والحج والزكاة، حتى تحولت الشهادة نفسها إلى ألفاظ مجردة. وإن عدم فهم الكثيرين لمقتضيات الشهادتين، وعندما أفرغت لا إله إلا الله من محتواها الحقيقي ساد الفساد في التصور، وقد قوى هذا الاتجاه الفكر الإرجائي في أوساط المسلمين.

وحينما تفسد العقيدة والتصور وتفرغ كلمة التوحيد من محتواها الكامل، ويختصر الإسلام في التلفظ بالشهادتين فقط، ويبعد الدين كله في جانب قصي من الحياة، يعيش المسلمون حينئذ في وهن وذلل ومخضوع والمزمار نفسي أمام الطغيان المادي، وبمجرح الحياة الزائفة.

وعندما تقوى العقيدة، ويصفو التصور الإسلامي، وترى الحاكمية في كل أمر لله عز وجل، يعلو المسلمون عندها على كل شيء وتلك هي حالة المؤمنين الأوائل عندما حققوا الإيمان في نفوسهم، وأخلصوا العبودية لله تعالى في كل شؤون حياتهم^(١). لقد كانت هذه الأجواء المنحرفة مرتعا خصبا لردود الأفعال العنيفة، ومحاولسة التمرد على الواقع المنحرف بجرعات قوية، أدت إلى الغلو والتطرف.

- الفساد الخلقي:

كما أن انتشار مظاهر الرذيلة في المدرسة والجامعة، والشارع والشاطئ والمتجر، والحديقة والشاشة والإذاعة، وغير ذلك إذا أقرها المجتمع وسكت عنها، يجيب عليه أن يتوقع أنماطا كثيرة من الغلو والتطرف، فما بالك إذا كان دور المجتمع هو تشجيع مظاهر الانحراف ودعمها وحراستها وتبنيها؟

١ - انظر: واقعا المعاصر: الأستاذ محمد قطب، ص ١٦٥-١٦٦.

وظاهرة التكفير: الأمين الحاج محمد أحمد، ص ١٤٦-١٤٧.

وقل مثل ذلك في وسائل الإعلام والثقافة التي أصبحت حكرا لاجتاه معين، ومذهب خاص، أو طائفة محدودة.. فقد صودرت الآراء الزهية المعتدلة، فضلا عن الآراء المتطرفة الغالية، ومثل هذا الوضع لا بد أن يولد آلاف الأمراض في المجتمعات.^(١)

يضاف إلى ذلك هجمة التيار التغريبي على ديار المسلمين، وشدة وطأة الغسرو الفكري، مع ضعف في الولاء للمؤمنين، وتعلق بالغزاة وأفكارهم مما جعل التحلل يرداد، والفواحش تنتشر، وibat الصالحون لا يملكون القدرة على تغيير ذلك، مما دفع إلى اليأس من صلح هذه المجتمعات، والاندفاع بقوة وعنف لإصلاحها.. والعنف لا يؤدي إلا إلى عنف مثله. ولا بد من عودة الأمة إلى منابع دينها الصافية بلا إفراط ولا تفريط.^(٢)

باتخاذ الفساد الخلفي والعقدي في حياة الأمة .. كانت الزعة شديدة للإصلاح من قبل الشباب المسلم المتعطش للحياة الإسلامية السليمة.

ولكن هذه الزعة قد تحطى في الأسلوب والتكليف، فيكون التطرف أقرب السبل وأسهلها لتبني منهج الإصلاح السريع، وهذا ما كان في طريقة تشكيل الأحزاب والحركات السرية في صفوف الشباب.

١ - مجلة البيان: العدد (٦٧)، مقال حقيقة التطرف، ص ١٨-١٩.

٢ - الإسلام والغرب قراءة من الداخل، منصور الواحد، ص ٢١٣.

رابعاً: التعصب للجماعة أو الطائفة

فلا يقبل من الدين والعلم والرأي إلا ما جاء عن طريقهم، ولا يصدر إلا عن رأيهم، ومثل هذا التعصب " : من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله" (١). وهو من فعل أهل الجاهلية (٢).

ومما اتفقت عليه الأمة أن كل فرد من الناس - فرداً أو جماعة - يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله وأما غيره فتعرض أقوالهم على الكتاب والسنة فما وافقهما قبل وما خالفهما رد على قائله.

والتعصب من أعظم الأمور شراً وفساداً، فهو يجر على الأمة المصائب والويلات، لأنه يمنع من سماع الحق فضلاً عن قبوله، ويحمل على الانقياد للأهواء، والمتابعة على غير حجة أو برهان، قال الشوكاني رحمه الله " : واعلم أنه كما يتسبب عن التعصب محقق بركة العلم، وذهاب رونقه، وزوال ما يترتب عليه من الثواب، كذلك يترتب عليه من الفتن المفضية إلى سفك الدماء، وهتك الحرم، ومزيق الأعراض، واستحلال ما هو في عصمة الشرع ما لا يخفى على عاقل، ولا يخلو عصر من العصور، ولا قطر من الأقطار من وقوع ذلك .. وهذا يعرفه كل من له خيرة بأحوال الناس" (٣).

والواجب أن يغرس في النفوس تعظيم الحق - والذي منبعه نصوص الكتاب والسنة والصدور عنه، والرد إليه عند الاختلاف والتنازع، كما قال الله: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَسْوِيراً ﴾ (٤) وأن تربي الأمة على ذلك، وتنشأ الأجيال عليه، حتى تكون في منأى من مزالسق التعصب المذموم الموجب للضلال والتفرق.

١ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٩٢/١١).

٢ - انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (٢١١/١).

٣ - أدب الطلب ومنتهى الأرب، ص ٩٢.

٤ - النساء: ٥٩.

كما أن التعصب للرأي مظهر آخر وسبب من أسباب التطرف، وقد عر عن
التطرف في الرأي الدكتور يوسف القرضاوي^(١) إذ ذهب يقول:

إن أولى دلائل التطرف: هي التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين
بوجود، وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا
مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده
بما عندهم، والأخذ بما يراه بعد ذلك أنضع برهانا، وأرجح ميزانا^(٢).

والعجيب أن من هؤلاء من يميز لنفسه أن يجتهد في أعوص المسائل، وأغعض
القضايا، وينفي فيها بما يلوح له من رأي، وافق فيه أو خالف، ولكنه لا يميز لعلماء العصر
المتخصصين، منفردين أو مجتمعين، أن يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهب إليه^(٣).

ومنهم من يخرج بآراء وتفسيرات لدين الله، هي غاية في العجب، لا يبالي أن يثد
فيها عن كافة السابقين واللاحقين، والمحدثين والمعاصرين، لأن رأسه برأس أبي بكر،
وعمر، وعلي، وابن عباس رضي الله عنهم، فهو رجل وهم رجال! وليته يعدي هذه
الرجولة والفحولة إلى غيره من معاصريه، من لا يرى رأيه، ولا يتبع تحجه من أهل العلم،
بيد أنه لا يتعدى نفسه، وكل الصيد في خوف الفرا!^(٤)

فهذا التعصب المقيت الذي يثبت المرء فيه نفسه، وينفي كل من عداه، هو الذي
نراه من دلائل التطرف حقا، فالمتطرف كأنما يقول لك: من حقي أن أتكلم.. ومن
واجبك أن تسمع.. ومن حقي أن أقود.. ومن واجبك أن تتبع.. رأيي صواب لا يمتثل
الخطأ، ورأيك خطأ لا يمتثل الصواب.. وبهذا لا يمكن أن يلتقي بغيره أبدا، لأن اللقاء
يمكن وبسهل في منتصف الطريق ووسطه، وهو لا يعرف الوسط ولا يعترف به، فهو مع
الناس كالمشرق والمغرب، لا تقترب منه أحدهما إلا بمقدار ما تتعد من الآخر.
إلزام جمهور الناس، بما لم يلزمهم الله به...^(٥)

١ - يوسف القرضاوي، داعية ومفكر إسلامي معاصر.

٢ - الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص ٩١.

٣ - المصدر السابق، ص ١١٣.

٤ - المصدر السابق، ص ١٢٨.

٥ - مظاهر التطرف، عبد الله الشدواني، ص ١٣٠.

خامساً: القصور والتبعية في مناهج التعليم

لقد كان من آثار الاستعمار والتغريب أن أسس التعليم في كثير من البلاد الإسلامية وفق النظام الغربي في مناهجه، ووسائله، وغاياته. ولم يسلم ما بقي من العلوم الإسلامية والعربية من المسخ والتشويه، فتاريخ الأمة الإسلامية، وأدائها وتراثها الفكري يدرس من وجهة نظر الغرب، وحسب مقاييسه^(١). والمقررات الشرعية حذفت، أو خففت لتكون مجرد ومضة روحية خافتة الضياء، ضعيفة التأثير، وما يدرس منها لا يفي بالقدر الواجب تعلمه على كل مسلم في أمور عقيدته، وعبادته، ومعاملاته.

وأما المعاهد الدينية والكليات الشرعية فحوصرت، أو ألغيت حتى يتحقق تخفيف منابع الدين وموارده^(٢).

ولما كان الدين فطرة إنسانية مشتركة بين الأمم، ثم هو أيضاً واجب شرعي، فقد أدى انحراف التعليم، وانصرافه عن تعليم القدر الضروري من العلوم الشرعية، إلى أن يحرم الناس من تعلم أمور دينهم، كما كان من آثار ذلك أن يلجأ طوائف من أفراد المجتمع، ولاسيما الشباب منهم إلى من يجدون فيهم الغيرة على الدين، وإظهار الاستقامة عليه، ولو صاحب ذلك قلة في العلم، وضعف في البصيرة، وجهل بمقاصد الشريعة، أو يكون لديه شطحات فكرية، ونظرات غالية، فتبرز بسبب ذلك تيارات التطرف والعلو والتكفير، الممهدة للعنف والإرهاب^(٣).

ومما يزيد من تطرف الشباب في العالم الإسلامي الدعوات التي تبرز كل يوم مسن قبل وزارات التربية والتعليم في الدول العربية منادية بضرورة تعيين المناهج وحذف المفردات التي تدعو إلى الجهاد وبعض النصوص الشرعية الغير مرغوب بها من قبل أعداء الدين والأمة.

١ - الإسلام والغرب، صراع من أجل البقاء، وحيد حامد ناصيف، ص ٢٣٩.

٢ - العلمانية والإسلام في البلاد العربية، محمد ياسين الأخرس، ص ٩٩-١٠٠.

٣ - المصدر السابق، ص ١٣٨.

هذه التغييرات التي يجد الشباب المسلم أنه لا مبرر لها، وأنها تأتي في استجابة لرغبات الدول الكافرة المعادية للإسلام والمسلمين.. يجعل من الشباب المسلم المنحتمس الرافض لهذه الاغترامية وهذه التغييرات في مناهج الإسلام .. إلى التطرف والتشدد وإبطال تحقيق غايات الدول المعادية.

سادسا: شيوع الظلم بشقي صورته وأشكاله

ظلم الأفراد، وظلم الشعوب، وظلم الولاة وجورهم، وظلم الناس بعضهم لبعض، مما يناق أعمم مقاصد الشريعة، وما أمر الله به وأمر به رسوله من تحقيق العدل ونفي الظلم، مما ينمي مظاهر السخط والتذمر والحقد والتشفي في النفوس. كما أن تحكم الكافرين من اليهود والنصارى والملحدون والسوثيين في مصالح المسلمين، وتدخلهم في شؤون البلاد الإسلامية، ومصائر شعوبها عبر الاحتلال، والغزو الفكري والإعلامي والاقتصادي، وتحت ستار المصالح المشتركة، أو المنظمات الدولية، ونحو ذلك مما تداعت به الأمم على المسلمين من كل حذب وصوب، بين طامع وكائد وحاسد .. يعتبر نوعا من أنواع الظلم الذي يمارس على الأمة المسلمة^(١). وغير ذلك من صور التحكم في مصائر المسلمين والحجر عليهم، مما أدى إلى تدمرهم وشعور طوائف من شبابهم ومثقفهم وأهل الغيرة منهم بالسخط والإذلال والإحباط وما ينتج عن ذلك من ردود الأفعال والسخط والعنف.

١ - فرض الإرادة، ويل ديوراكي، ترجمة سامر عبد العزيز محيون، ص ٧٩.

المبحث الثاني

الأسباب غير المباشرة

- ١- أسباب اقتصادية.
- ٢- أسباب سياسية.
- ٣- أسباب اجتماعية.
- ٤- أسباب ثقافية.
- ٥- أسباب تتعلق بدور الإعلام.

١- أسباب اقتصادية

لا شك أن هذا النوع من الأسباب يؤدي دورا هاما في جنوح المراهقين والشباب إلى العنف: فتفسشي البطالة وتدهور القدرة الشرائية بسوء الأوضاع الاقتصادية وانخفاض مداخيل الدولة، تجعل نفوس الشباب مرتعا خصبا لكل الأفكار المغرية، وعرضة لكل إغراء مادي يستعمل مصيدة لئلا لتوريطهم في أعمال عنف يطعمهم إخراجهم من وطنيتهم الصعبة، فتنقاد بسهولة وراء كل داع يخفق أو يغير حق.

فلقد أدت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في السدول العربية في الثلاثين سنة الأخيرة، إلى تكثيف حركة الهجرة من الريف إلى المدينة، وانتشار الأحياء العشوائية الفقيرة في مدن بعض الدول . وقد ضمت هذه الأحياء العشوائية نسبة عالية من المتطرفين الدينيين وذلك بفعل عجز بعض سكانها عن التكيف مع قيم المدينة المختلفة عن قيمهم الريفية، وبسبب تفشي البطالة، وخاصة بين الشباب، كان استقطابهم من جانبا جماعات التطرف أو العنف، أو انضمامهم التطوعي إليها، مسألة سهلة إلى حد كبير.

وتؤثر الأزمات الاقتصادية في الطبقات الدنيا في المقام الأول، حيث تعاني بشدة من تدهور ظروفها المعيشية بفعل انتشار البطالة وتدهور الخدمات وظهور طبقة من الأثرياء الذين يسلكون سلوكا استفزازيا بالنسبة للفقراء . وتؤدي الأزمات الاقتصادية إلى ازدياد معدل البطالة والتضخم وغلاء الأسعار وبالتالي تزداد حدة التفاوت الطبقي وتنعكس آثار هذا الخلل الخطير على الشباب وتنشأ تربة صالحة للتطرف تسرود الجماعات المتطرفة بأعضاء يعانون من الإحباط ويفتقدون الشعور بالأمان والأمل في المستقبل.

كما أن النقص في مصادر الثروة والسلع والخدمات، وعدم العدالة في توزيع الثروة، والتفاوت في توزيع الدخل والخدمات والمرافق الأساسية كالتعليم والصحة والإسكان والكهرباء بين الحضر والريف، وتكدس الأحياء العشوائية في المسدنة بفقراء المزارعين النازحين من القرى فضلا عن زيادة أعداد الخريجين من المدارس والجامعات الذين لا يجدون فرص العمل، يؤدي إلى حالة من الإحباط الفردي والسخط الجماعي.

يذهب بعض الباحثين إلى أن العوامل الاقتصادية كالفقر والبطالة من أسباب اختيار طريق التطرف والإرهاب؛ لكون الفرد غير قادر على الوفاء بمحاجاته الأساسية، وفاقد

الأمل في المستقبل^(١) مما يحمله على النقمة على المجتمع ومؤسساته، ويبعثه على نسيج التعطير المؤدي إلى العنف.

والذي يظهر أن الفقر والبطالة والضعف الاقتصادية بعامة ليست أسباباً كافية لسلوك طريق العنف والإرهاب، لأن هذه الظواهر لم تغب عن المجتمعات الإسلامية منذ دهر طويل وإن تفاوتت في درجات الفقر ونسب البطالة، ومع ذلك لم تحمل الناس على أعمال إرهابية منظمة كما يجري اليوم^(٢).

والذي يمكن التسليم به أن الفقر والبطالة، وعدم وجود فرص وظيفية، تشير في النفوس مشاعر الخذلان والبغضاء، وتجعل من الذين يعانون من ذلك هدفاً لأصحاب التوجهات المتطرفة، يمكن استدراجهم باستغلال حاجتهم، وتوظيف نعمتهم للانتحاق بركب المتطرفين وسلوك سبيلهم.

معاينة الشباب من الفراغ

بأبعاده المختلفة الروحي، والفكري، والزمني، هذا الفراغ الممتد - بدرجات متفاوتة - في حياة الشباب، يوجد لديهم القابلية لسائر المؤثرات، سواء المتجهة إلى التفريط والانحلال، أو إلى الإفراط والعلو والعنف.

وهذا الفراغ بآثاره السيئة يؤكد الحاجة إلى توفير المحاضن التربوية؛ من أندية طلابية، ومرآكز عممية وثقافية ونحوها، لتشغل وقت فراغ الشباب بما يعود عليهم بالنفع، من خلال برامج متكاملة، تنمي العقول، وتزكي النفوس، وترتقي بالاستعدادات والمواهب، وتسهم في غرس القيم الفاضلة، وتروح عن النفوس بما يحل ويجمل، وفي ظل عناية تامة بالإشراف والمتابعة^(٣).

بهذا ونحوه ينشأ الشباب نشأة سوية متوازنة، تبعثهم نحو الأعمال الإيجابية النافعة، وتحميهم من التوجهات المنحرفة، والتصرفات المشيئة.

١ - انظر: محمد فتحي عيد، (واقع الإرهاب في الوطن العربي) ص ١٣٤.

٢ - محمد فتحي عيد، (واقع الإرهاب في الوطن العربي) ص ١٣٤.

والحق أن البذل والإنفاق في هذه الميادين ونحوها من أجل صور البذل، ومن أنفع
الاستثمار، لأنه منتج إلى بناء الإنسان، وتهيته لحياة كريمة صالحة تحفص السعادة له
ومجتمعه.

٢ - أسباب سياسية

إن تدي مستوى المشاركة السياسية، وخاصة بالنسبة للشباب ومن مختلف الطبقات، في اتخاذ القرارات التي تمس حياة المواطن بما في ذلك الحياة اليومية سواء داخل الأسرة أو المدرسة أو الحي السكني أو العمل أو عن طريق العضوية الفعالة والنشيط في التنظيمات الشعبية والرسمية . فشاب اليوم بعيد عن الممارسة السياسية بمعناها الواسع التي تنمي لديه القدرة على إبداء الرأي والحوار حول مسائل عامة أو اجتماعية، والتي تعود على تقبل الرأي الآخر بعد تحليله ونقده والتنازل عن رأيه إذا اقتنع بغيره^(١).

إن عدم وجود تعددية سياسية، والافتقار إلى قدر من حرية التعبير، وعدم وجود تداول حقيقي للسلطة، يؤدي إلى حرمان القوى السياسية والاجتماعية من التعبير السياسي الشرعي، وإلى تجاهل مطالب الأقليات وقمع الجماعات المعارضة، ويؤدي هذا كله إلى تهيئة التربة المناسبة للتطرف والإرهاب . ومن أسباب لجوء بعض الجماعات الإسلامية إلى العنف في بعض الدول العربية، محاصرة التيار الديني وقمعه وعدم إعطائه حرية العمل السياسي المشروع والعلمي والسماح له بالوصول إلى السلطة بطريقة سلمية، وتتجلى أبرز المؤثرات السياسية من خلال:

أ - التشكيك ومحاربة الصحة الإسلامية

شهدت البلاد الإسلامية في العقود الأخيرة عودة للدين، وتوجهاً للتمسك بتعاليمه، وقد امتد أثر ذلك إلى أرجاء العالم كله، إلا أن هذه العودة الخيرة لم يصاحبها في بعض الدول الإسلامية تفاعل إيجابي في احتضان هذا التوجه وتبنيه، وتسديد حركته، بل إن بعض الدول التي اتخذت من المنهج العلماني أساساً لمناهجها السياسية والاقتصادية والتعليمية والتشريعية .. وغيرها، قابلت ذلك بمزيد من القيود والضوابط على الأنشطة الإسلامية، والمشروعات الخيرية، بل توجهت إلى فرض صور جديدة من التفرغ للمجتمع في قضايا المرأة، والتعليم، والتشريع وغيرها.

١ - أحمد أبو الروس، الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية ص ١٩-٢٠. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

هذه المواقف غير المحمودة دفعت طوائف من الشباب إلى أن يسيئوا الظن بولايتهم، وأن يضمروا السوء لهم، كما كان من آثار ذلك أن اندفع بعضهم إلى أضرار من السرية، واتخذوا العنف منهجاً لهم^(١).

ومما زاد الأمر تطرفاً أن لجأت بعض الأنظمة العلمانية إلى استخدام القوة والعنف ضد التيارات الإسلامية ورجالها، مما ولد شعوراً نفسياً خاصاً عند المتطرف بوجوب الانتقام لرفع الظلم والقهر عنه وعن جماعته التي ينتمي إليها.

ب- تضيق دائرة الشورى والديمقراطية أو انعدامها

لم تأخذ غالبية نظم الحكم في البلاد العربية بمبدأ الشورى والديمقراطية على الرغم من مضي عدة عقود من السنين على إقامة نموذج الدولة الحديثة فيها . وتعد التجربة الديمقراطية في غالبية الدول العربية تجربة جديدة وهشة، وربما تكون شكلية ، ولعل أهم الأخطار الديمقراطية وأبرزها فتح قنوات قانونية للحوار والتعبير عن الرأي والفكر . ومما لا شك فيه أن فقدان الحياة الديمقراطية الحقيقية يؤدي إلى تهميش بعض الفئات اجتماعياً وسياسياً واستبعاد الأقليات والفئات المعارضة وحركات الرفض، ويخلق جواً من الشعور بالظلم، ويدفع هؤلاء المظلومين إلى الانخراط في العمل السياسي العنيف والمتطرف.

كما أن العجز عن الحوار مع جيل الشباب وعدم إفساح المجال له كي يعبر عن نفسه ويخدم بلاده، يجعل الكثير من الشباب ضحية هذا العنف المؤسسي، فتتمسك في أوساطهم ظاهرة التطرف الديني^(٢) . ومن الملحوظ أن هذا العنف المؤسسي يشند مع تعثر هذه النظم في تحقيق أهدافها المعلنة في التنمية الاقتصادية والتعددية السياسية، كما يقوى مع وقوعها في أسر التبعية والديون بفعل سياسات دول المهيمنة العالمية.

ج - أعداء الأمة وتربصهم بالمسلمين:

وإذا تجاوزنا تاريخ الصراع بين المسلمين وأعدائهم من الكفار على اختلاف مللهم وأجناسهم إلى العصر الحاضر، نرى أن المجتمعات الإسلامية عاشت في العقدين الماضيين صوراً من التسلط والظلم من الدول ذات النفوذ - وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية

١ - انظر : يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص ١٢١ .

٢ - تطرف الشباب العربي، محمد عزت دعيبس، ص ١١٨ .

من احتلال لبعض البلاد الإسلامية، وحصار لأخرى، ومن ضغط متواصل عليها بعامة للتأثير في المواقف والاتجاهات والسياسات الداخلية والخارجية. كما باركت تلك الدول صور القهر والإذلال والقتل والتدمير الذي تمارسه الحكومات اليهودية المتتابعة على شعب فلسطين المسلم.

كما وقف الغرب مع أصحاب التوجهات المناوئة للدين - أفراداً وأحزاباً - في المجتمعات الإسلامية، وعمل على التمكين لها في مجتمعاتها.

وأخيراً فقد حرصوا أن يتهم المسلمون خاصة بالتطرف والإرهاب، لتسويق ما يقوم به من حملات عسكرية، وضغوط اقتصادية ظالمة على الدول والشعوب الإسلامية، كما جعل من ذلك ذريعة إلى أن يوقف من تنامي المد الإسلامي، وأن يجد من نشاط الجمعيات الإسلامية والمؤسسات الخيرية.

هذا الظلم والتسلط من الغرب يجعله مسؤولاً مسؤولة مباشرة عن التطرف في العالم الإسلامي، وسبباً رئيساً لكثير من صور التطرف الشائعة في المجتمعات الإسلامية؛ فلذلك فعل رد فعل.

د - الهزائم العسكرية والسياسية:

لقد تعاقبت على العالم الإسلامي عدة هزائم على الصعيدين العسكري والسياسي كان لهما الأثر الكبير في إحداث مشكلة التطرف، ولذلك إن جمعاً من الباحثين يرجعون ظهور جماعات التطرف إلى ردة الفعل التي حدثت بعد هزيمة ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م^(١).

والأمر قد ازداد سوءاً بضرب أفغانستان بتلك الطريقة الوحشية والبربرية وما حدث بالعراق ليس ببعيد. حيث أن المسلم بما يراه من قتل للمدنيين الأطفال والنساء والشيوخ والحجج الوهمية واللامنطقية التي تذرع بها أميركا قد جعلت من الأفراد حتى الجماعات تتكون في ذهنتهم وجوب مقاومتها وهذا ما كان. كما أن سياسة الكيل بمكيالين التي تنتهجها أميركا في طريقة تعاملها مع الفلسطينيين وانحيازها للسافر إلى اليهود

١ - ينظر القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين المحرود والتطرف - ص ١١٧، ورجاء العربي والتطرف الديني وأبعاده - ص ٢.

قد ترك أثراً سلبياً في نفوس المقاومين والرافضين لهذه السياسة مما قادهم إلى تشكيل جماعات مسلحة تصفها أمريكا بالمتطرفة والإرهابية.

ولا ننسى بأنه من الأسباب الرئيسة في تغذية التطرف الديني والإرهاب في البلاد العربية هو الممارسات الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية في فلسطين المحتلة وما حاورها. هي تؤثر بشكل مباشر في ملايين من العرب الواقعين تحت الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين والجزولان السورية والاحتلال الأمريكي في العراق، ومن ثم في بقية العرب في مختلف البلاد العربية.

إن مشاعر الإحباط واليأس عند الكثير من المسلمين وخاصة الشباب المسلمي بالفوران والغليان، والذي لا يرضى بالذل والهوان، وهو يرى كل يوم الإرهاب الأمريكي وتسلمه على العالم الإسلامي دون احترام لأنظمة عالمية، ولا قرارات دولية، ويرى كسل يوم الإرهاب الصهيوني وإذلاله وقلته للشعب الفلسطيني دون أن يكون هناك ردود أفعال جادة من الحكومات العربية، كل هذه الأسباب وغيرها هي واقع يعيشه المسلم، في الوقت الذي لا يدري فيه ماذا يفعل، فهو بين عجز وقهر، وهكذا يتحول الغليان عنده إلى غلسو وتطرف، مما يجعله يبحث عن حلول عاجلة وسريعة لتغيير واقع الأمة^(١).

إن سياسات الهيمنة الأجنبية في المنطقة العربية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية، والتي ترسخ الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وتسكت عن ممارساته المتحدية للشرعية الدولية، بل وتدعمه مادياً وعسكرياً، وتحول دون قيام الأمم المتحدة بدورها في مواجهة العدوان، وتعتمد معيارين في مواقفها؛ تثير الغضب والنقمة وتدفع الشباب العربي والإسلامي إلى اللجوء للفكر المتطرف ومن ثم ممارسة العنف في مواجهتها. إن التمادي في سياسات الاستبداد والطغيان، وغياب التوازن والعدل، هو السذي دفع البوذي المسالم لإحراق نفسه في فيتنام، وهو الذي يدفع الفلسطيني لتفجير نفسه طلباً للشهادة .

١ - السياسة المولدة للتطرف، مقال لـ فهمي هويدي، الأهرام، ١٣/٩/٢٠٠٥م.

وإذا كنا لا نجوز قتل المدنيين، إلا أننا ندرك أن غياب العدالة، والاعتداء على سيادة الناس واستقلالهم، وتدمير منازلهم وتجريف مزارعهم، والعدوان على مساحدهم وكنائسهم، هو الدافع الرئيس لهذا النوع من العمل البائس^(١).
كما أنه عندما تتسلط الإدارة على المواطن، وتسيطر على شؤون المجتمع حتى يصبح الفرد لا يسأل عن السبل القانونية للقيام بنشاط ما، بل يبحث عما له نفوذ في دواليب الإدارة لتحقيق أغراضه، ولو كانت غير قانونية؛ فإن المجتمع -خاصة الشباب- يشعر بخيبة أمل.

ويقول علماء الاجتماع أن السياسة الاجتماعية الرشيدة، هي تلك التي تعالج أمور المجتمع باللمس، لا نظرة السياسي الذي يعيش فوق المجتمع، ساجداً في النظريات الفوقية^(٢). فإذا مارست السياسة التفرقة بين أفراد المجتمع، فلا شك أن ذلك يؤدي إلى فقدان الثقة، وهذا يؤدي بدوره إلى العصيان والتطرف.

١ - الحق المر ما أحلاه، وليد محمد أمين التالبي، ص ٣٥٩.

٢ - تطبيق السياسة في الدول العربية، محمد ناصر الحكيم، ص ٣٦١.

٣- أسباب اجتماعية

يترتب عن الأسباب الاقتصادية السالفة الذكر، أسباب اجتماعية؛ إذ يتدهور الاقتصاد تتدهور الأوضاع الاجتماعية، وتنفك الأواصر الأسرية نتيجة تعقد المشاكل، واستفحال مشكل البطالة والسكن، فيجد الشاب نفسه في الثلاثين من العمر، ولا يملك إلا فراشا تحت مغسل المطبخ الذي يتقاسمه مع إخوته، بل ربما مع أخواته في سن الشباب أيضا.

ومن هنا يتكون الشعور بالتهميش، وفقدان الثقة، ويزداد قوة بعد طول انتظار فتصبح النفوس مهيأة لتقبل أي فكرة تنادي بتغيير الأوضاع - مهما كانت وسائل هذا التغيير - لأن الهدف هو تخطيم الأوضاع التي فرضت عليهم العيش في هذه الظروف القاسية، وجعلتهم طبقة منبوذة مهمشة؛ فتكون الاستجابة تلقائية لدعاة التغيير بالعنف. وأهم المؤثرات الاجتماعية: تكمن في فقدان الإحساس بالأمن وانعدام العدالة حيث أن الإحباط والحرمان يعني الخطر والتهديد وعدم إشباع حاجات الإنسان الأساسية التي تحمي وجوده وتحافظ على بقائه ومن ثم إذا انسدت إمامة مسالك التعبير عن هذا الخطر وعدم القدرة على تغييره بالوسائل السلمية المشروعة استثمرت في نفسه الرذعة العدوانية فليجأ إلى العدوان بصورة ودرجاته المختلفة متجها إلى تخطيم مصادر الإحباط ورموزه سواء على مستوى الفرد الذي يأخذ شكل الجريمة أو المستوى الجماعي الذي يأخذ شكل التمرد والثورة بالإضافة إلى ذلك (فان انعدام العدالة في توزيع الدخول والمكاسب والتضحيات والإشباع كل ذلك يؤدي إلى الاضطراب والظلم في توزيع المكانة الاجتماعية والأدوار والقدرة على الإشباع هذا كله من شأنه استثارة العنف في أشكاله المختلفة كالتسليية واللامبالاة والتخريب والخروج على القانون والجريمة^(١).

يرتبط التطرف إلى حد كبير ببعض المتغيرات والعوامل ومنها على سبيل المثال: السن والجنس والمهنة والدخل والحالة الزوجية والحالة الصحية والحالة التعليمية والجانب السديني والبطالة والإدمان .

١ - الأمن والحرف في صناعة التطرف، عبد الحسن العلمي، ص ٩٣.

فبالنسبة للسنان يرى بعض الباحثين أن الغالبية المطلقة من حوادث التطرف (يقوم بها أفراد في سن الشباب بالذات في فئة عمرية ما بين ١٦ سنة إلى ٢٧ تقريبا ويستوي في هذا الشأن نوع الحادث سواء كان سرقة أو اغتصاب أو قتلا أو احتلاسا أو ضربا أدى إلى الموت أو حوادث مرورية أو هروبا من حكم قضائي أو مقاومة السلطات أو التمرد علي الأسرة^(١) .

أما عن الجنس النوع فمعروف أن معظم إن لم يكن جميع الحوادث الخاصة بالتطرف يقوم بارتكابها أفراد ذكور بينما في عالم الإناث لا نرى إلا النذر القليل في محيط التطرف الذي (يتمثل في بعض حالات قتل الأزواج وحالات الطلاق القليلة التي تصبح فيها الزوجة سببا أساسيا للطلاق بسبب عنفها المتمثل في سلاطة لسانها وحفاف معاملتها وغلظة قلبها وفضاظة نفسها وبرود عاطفتها سوء خلقها)^(٢) .

و عن المهنة أو العمل ومدى علاقتها بالعنف نقول بأن العنف يرتبط ارتباطا وثيقا بأصحاب المهن اليدوية عنه من المهن الذهنية حيث أن عاملا مثلا من العمال المهرة أو غير المهرة قد يتميز عن مدرس بالتربية والتعليم بالتعامل مع العدد والآلات وسرعة الحركة والوثب ومهارة الأصابع وفك الأشياء وتركيبها مما تعتبره عوامل وخصائص مهمة إلى حد كبير أحيانا في ارتكاب بعض حوادث العنف، فضلا عن أن المستوى الفكري لدى العامل أقل بكثير عن نظيره المتعلم مما يشكل دعم وقف العامل في ارتكاب بعض أحداث العنف سلبيا أو إيجابيا لفظيا أو عمليا .

و ترتبط الحالة الزوجية بالتطرف المؤدي للعنف أيضا بمعنى أن الأعزب يميل إلى حد كبير نحو التطرف عن نظيرة المتزوج حيث أن الأخير قد يخشي عواقب العنف حفاظا علي زوجته وأولاده ومستقبله .

كما وأن هناك ارتباطاً قوياً بين التطرف والعنف وحالة الفرد الصحية حيث أن الفرد السليم بدنيا والمعاق صحيا قد يصبح ميالا للتطرف لأن القوة وعاء للعنف بينما الفرد

١ - المصدر السابق، ص ١١٤ .

٢ - الحالات النفسية للمتطرفين، عماد كرد علي، ص ٥٧ .

العليل صحيا والمتقل بالأمراض قد ينأي بنفسه بعيدا عن مصادر العنف اللهم إلا العنف اللفظي بسبب ما يعانيه من عجز جسدي أو مرض عضوي .
و لا ننسى أن المستوى التعليمي ودرجة التعليم لها علاقة وطيدة بالتطرف فالشخص الجاهل أكثر ميلا للتطرف عن نظيرة المتعلم وقد يكون العكس صحيحا حيث يوظف بعض المنقذين ثقافتهم وتعليمهم في خدمة التطرف وأن كان هذا يتعارض تماما مع تواضع ورفق وخشية العلماء . لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (١) .

و هناك ارتباط وثيق بين البطالة والتطرف إلى حد كبير حيث أن البطالة بوجه عام تعتبر آفة اقتصادية واجتماعية ونفسية بالنسبة للفرد والمجتمع فهي آفة اقتصادية إذا شاب النظام الاقتصادي للمجتمع خلل واضطراب وقصور في الموارد البشرية وقلة فرص العمل وتعطيل الفرد كقوة بشرية خلقت للعمل أصلا كما أمرنا الله سبحانه وتعالى ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) .

و هي آفة اجتماعية إذا اتمارت الأسرة وانخرق بعض أفرادها اجتماعيا وسار في ركاب التطرف والجنوح وتعاطي المخدرات وتناول المسكرات .

كما تعتبر البطالة آفة نفسية إذا شعر الفرد بالفقدان والضياع والاعتزاز عن الواقع وعن الذات وعن المجتمع ولذا فان العمل هو الحركة .

فالحياة بلا عمل فناء وخواء وعبء لا يمتثل . ومن ثم فالبطالة تولد الإحباط وهذا الأخير بدرجة يولد العدوان والتطرف .

والخلاصة في الأسباب الاجتماعية نقول:

إذا وجد الإنسان واقعا لا يقبله.. فإنه يلجأ لا شعوريا إلى رد فعل معاكس لهذا الواقع، وكلما كان الدافع قويا.. كلما كان رد الفعل قويا، بل وقد يؤدي إلى التطرف والعنف.

١ - فاطر: ٢٨ .

٢ - التوبة: ١٠٥ .

٤- أسباب ثقافية

إذا كانت السلطات العمومية لا تولي اهتماما للثقافة وشوهدت مفهوميها وحصرته في الفلكلور والغناء والرقص فقط، ولم تعط أي دور للمثقف في تجنيد الطاقات وتوجيهها - خاصة الشابة منها - فإن ذلك يولد صراعا بين هؤلاء والسلطة، ويمتد إلى أوساط الشباب، فتتكون الجماعات المتطرفة تحت غطاءات مختلفة^(١).

ولكل ثقافة مبادئ وأسس تبنى عليها، وعلى المجتمع أن يراعي التوازن بينها وبين متطلبات البناء الحضاري والعصرية. وإذا اختل التوازن فإنه ينشأ صراع بين المجددين والمحافظين يؤدي إلى تعصب وتطرف، وزرع بذور العنف بدل غرس الأخلاق الحميدة، والفكر القومي، وثقافة السلم والسلام .

إن تهميش ثقافة الشباب المسلم بما تتطلبه هذه الثقافة من غرس القيم الإسلامية الأصيلة والروح النبيلة وإبدال هذه الثقافة بثقافة الغناء والمجون سوف يولد عند الأغيار ردة فعل انعكاسية، نشهد مظاهرها بشكل عنيف في جميع البلاد الإسلامية^(٢).

غياب الثقافة الإسلامية بهذا الوصف الذي نلاحظه في بعض البلاد العربية والإسلامية بشكل متعمد ومدروس لا يخدم مصالح تلك الدول يقينا بل الأصل والعكس صحيح، إن تغذية الشباب بالتربية والثقافة الإسلامية المعتدلة كفيل برد فيروس التطرف المزمن.

١ - فحرة الأخلاق والثقافة، أمير مير علم، ص ٥٩.

٢ - الأبناء وصراع المصطلحات، حنان ناصر اللواتي، ص ١١٣.

٥- أسباب تتعلق بدور الإعلام

تلعب وسائل الإعلام دورا لا يستهان به في تغذية أو دعم أو ظهور العنف والإرهاب والتطرف فهي بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار وأساليب للإجبار عن الأحداث أو تركيبها وعن الأشخاص وسيط مشارك لدى عديد من الدول ومن وسائل الإعلام التلفاز أو القنوات الفضائية التي في أغلبها تنتهج منح التطرف فإمسا الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والأخلاقية، أو زرع الفتن وإثارتها من خلال بعض البرامج أو الأفكار والتحويل والتضخيم، ولو كان التناول في القضايا والموضوعات وحق التحليلات تناولا إيمانيا يقوم على التعامل مع الحقائق والاستناد إليها في التفسير والتحليل، والتعليق وغيره، والمعايشة الحية للأحداث والتحري والتثبت من الأخبار وروايتها. . . ومراعاة الحالة النفسية المهيأة لدى المستقبل، وظروف الزمان والمكان لكان التأثير إيجابيا بل ولحدت من الآثار السلبية من حيث كونها سلاحا ذا حدين^(١).

وتعد شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) اليوم من الوسائط القوية الأثر في خدمة عمليات العنف والإرهاب الدولية، فهذه الشبكات تنشر الأفكار والمعلومات والتصريحات والأحكام بين الأطراف المشتركين فيها على امتداد العالم كله وهي مفتوحة على مصراعها للانضمام المطرد إليها يوما بعد يوم، وهي تضم علاقة على ذلك كل شيء بدءا من الكتب التراثية وانتهاء بالأفلام المحظورة^(٢). فمثلا يمكن للمستخدم استعراض محتويات مكتبة الكونغرس الأمريكية الضخمة من خلال الإنترنت، وهو جالس في بيته أو عمله كما يمكنه التعرف على أحوال المخاللات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ويزيد عدد مستخدمي شبكة الإنترنت، أو المشتركين فيها اليوم على تسعين مليون مستخدم أو مشترك في شتى أنحاء العالم، حيث ينضم إليها ما يقارب سبعة ملايين مشترك سنويا^(٣).

١ - رسالة الإعلام المغيبة، محمد أمين الشريف، ص ١٥٣.

٢ - أخطبوط العصر، محمد عبيد الرحيمي، ص ٨٦.

٣ - المصدر السابق، ص ١٤٣.

كذلك ما تبثه الصحف اليومية من أخبار وصور، بل مقالات تحت الحرية المعلوطة أو الدعم الإرهابي المبطن بالمقابل، كل ذلك يساعد على ظهور السلوكيات التي تخرج عن زمام المعقول والمنطق أو ردة الفعل المنطوقة أو المبالغ فيها.

الإعلام في العصر الحديث صار - غالباً - مطية الشيطان إلى كل فتنة وضلالة وبدعة ورذيلة، فإن وسائل الإعلام في أكثر البلاد الإسلامية غالباً ما تسخر في سبيل الشيطان، وهي من خيله ورجله في الدعوة إلى الضلالة ونشر البدعة والزندقة وترويج الرذيلة والفساد، وهتك الفضيلة، وحرب التدين وأهله^(١)، وبالمقابل فإن إسهام الإعلام في نشر الحق والفضيلة قليل وباهت حداً، ولا شك أن هذا الوضع منكر عظيم ومكر كئيب، ويعد أعظم استفزاز يثير غيرة كل مؤمن وحفيظة كل مسلم، فإذا اقترن ذلك بشيء من قلة العلم والحلم والصبر والحكمة، وغياب التوجيه الشرعي السليم، أدى ذلك بالضرورة إلى الصلف والفسوة في الأحكام والتعامل، وإلى الإحباط والتشاؤم واليأس عند بعضهم فيندفع إلى التغيير بعنف .

التأثير السلبي لبعض وسائل الإعلام:

تعد وسائل الإعلام في هذا العصر من أكثر الوسائل تأثيراً في فكر الناس، وأخلاقهم وسلوكهم، وفي بناء توجهاتهم، لشدة سيطرتها على عقول الناس، واستحوادها على اهتماماتهم وأوقاتهم، وقوة تأثيرها فيهم.

والأصل في الإعلام على اختلاف وسائله أن يقدم للناس المعلومات النافعة، والحقائق الثابتة، والأخبار الصحيحة، ليكون بذلك أداة توجيه وبناء، ومصدر معلومات موثوقة. إلا أن الواقع في بعض الأحيان بخلاف ذلك، حيث اتخذ من الإعلام وسيلة للدعاية لأفكار وتوجهات معينة، ومهاجمة ما يصادها أو يخالفها، كما أضحت الإعلام اليوم أداة من أدوات الصراع الثقافي والعسكري بين الأمم^(٢).

وأما عن صلة الإعلام بقضايا التطرف والعنف والإرهاب، فتظهر من خلال ما يصدر عن بعض وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية من مقالات صحفية، أو ندوات ثقافية، أو

١ - ازدهاجية المعايير الإعلامية، مقال لـ منتهى الرعي، البيان الإماراتية، عدد ٢٣/١/٢٠٠٣م.

٢ - الإعلام والمركة الحاسمة، وليد السحمراني، ص ٨٦.

مسلسلات ومسرحيات تقرأ بالدين وأهله، وتسخر من القيم الإسلامية، ومن بعض الأحكام الشرعية، والمبادئ الإسلامية الثابتة^(١).

والإعلام بهذا التوجه يستثير مشاعر الناس، ويؤجج بواعث الغضب في نفوسهم، حمية لدينهم، وانتصاراً لقيمهم الإسلامية الحقّة، ولا شك أن هذا الغضب محمود، لأن المؤمن يجب عليه أن يغضب لله ولا يرضى أن تنتهك محارمه، ولكن وربما غلا بعض الناس في الرد والمدافعة، وزاد عن الحد المشروع، فسلك مسالك الشدة والعنف، فتحصل بذلك الفتن ويعم الفساد في الأرض.

والواجب أن يقف الإعلام - في ظل هذا الدين القويم - عند حدود رسالته، مصدر خير وإشعاع، ومنير دعوة للقيم والفضائل، لا يقدم من خلاله إلا ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، وأن تكون الكلمة فيه مثمرة لا مدمرة، ليسهم مع غيره من دور التربية والتعليم وغيرها في تربية الأمة، وبناء الأجيال، وغرس القيم الحقّة، والمفاهيم الإيجابية، فالأمة اليوم بأمر الحاجة إلى الكلمة الطيبة، والدعوة الصادقة، والمشورة الناصحة، ليجتمع صفها، وتتحد كلمتها، وتأمين مكر أعدائها.

١ - انظر أمثلة لذلك : محمد بن سعيد الفحطاني، الاستهزاء بالدين وأهله، ص ٤٠ وما بعدها.

المبحث الثالث

الأسباب العلمية للتطرف

- ١- الجهل بالقرآن الكريم.
- ٢- الجهل بالسنة المطهرة.
- ٣- الجهل بقدر السلف وأهل العلم.
- ٤- الجهل بحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال.
- ٥- الجهل بمراتب الأحكام.
- ٦- الجهل بمراتب الناس.

الأسباب العلمية للتطرف

وهي الأسباب التي أدت إلى الوقوع بالتطرف العملي، والتي كوّنت الذهنية العلمية للمتطرفين بشكل عام.

والجهل بشكل عام من أبرز الأسباب المؤدية إلى التطرف والعلو، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال عن الخوارج: « يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم »^(١) أي أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه، وهم لا يتفقهون فيه، ولا يعرفون معانيه ومقاصده^(٢). قال الإمام النووي^(٣) رحمه الله: (المراد أنهم ليس لهم حظ إلا مسروره على لسانهم، لا يصل إلى حلوهم فضلا عن أن يصل إلى قلوبهم، لأن المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب)^(٤).

وأولان جهل الجماعات المتطرفة كثيرة؛ منها:

١ - أخرجه مسلم ٥٦٣/١ في العلم، باب ترتيب القراءة.

٢ - انظر الاعتصام للشاطبي ٢٢٦/٢.

٣ - يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين : علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا من قرى حوران، بسورية واليه نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا. من كتبه تهذيب الأسماء واللغات ، و منهاج الطالبين ، و الذقات و تصحيح التنبية ، في فقه الشافعية رأيت مخطوطة قديمة منه باسم التنبية على ما في التنبية ، و منهاج في شرح صحيح مسلم ، خمس مجلدات، و التقريب والتيسير ، في مصطلح الحديث، و حلية الأبرار ، يعرف بالأدكار النووية، و خلاصة الأحكام من مهمات السنن وفواعد الإسلام و رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، و بستان العارفين ، و الإيضاح ، في السننك ، و شرح المهذب للشيرازي ، و روضة الطالبين فقه، و التبيان في آداب حملة القرآن ، و المقاصد ، رسالة في التوحيد، و مختصر طبقات الشافعية لابن الصلاح و مناقب الشافعي و المنثورات ، فقه، و هو كتاب فتاويه، و مختصر التبيان مسوعط، والأصل له، و منار الهدى ، في الوقف والابتداء، تجويد، و الاشارات إلى بيان أسماء النبيات ، رسالة، و الأربعون حديثا النووية ، شرحها كثيرون. وأفردت ترجمته في رسائل، إحداهما للسحيمي، والثانية للسخاوي، والثالثة للمهاج السوي للسيوطي مخطوئتان، والثالثة للسخاوي مطبوعة وفي طبقات ابن قاضي شيبه : قال الاسوي : وينسب إليه تصنيفان ليسا له، أحدهما مختصر لطيف يسمى النهاية في اختصار النجاة في الظاهرية، والثاني أغاليط على الوسيط مشتملة على خمسين موضعا فقهية وبعضها حديثة، ومن نسب إليه هذا ابن الرفعة في شرح الوسيط، فاحذره، فانه لبعض الحمويين، ولهذا لم يذكره ابن العطار تلميذه حين عدد تصانيفه واستوعبها. وأورد ابن مرعي، في الفتوحات الوهية نسبة كاملا، وقال : مري، بضم الميم وكسر الراء، كما وجد مضبوطا بخطه، والحزامي : بكسر الحاء المهملة، وبالزاي المعجمة، توفي في نوى سنة ٦٧٦هـ وما دفن. طبقات الشافعية للسحيمي: ١٦٥/٥.

٤ - نقلنا عن ابن حجر في فتح الباري ٢٩٣/١٢.

أولا : الجهل بالقرآن

فلقد كان عدم فهمهم للكتاب العزيز سببا في انحرافهم، فقد أخذوا آيات نزلت في الكفار فحملوها على المسلمين، كما حدث مع الخوارج في السابق حيث يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - في الخوارج : (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)^(١).

ومن عدم فهمهم للقرآن استشهدهم على إبطال التحكيم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾^(٢) فالعنى المأخوذ من الآية صحيح في الجملة، وأما على التفصيل فيحتاج إلى بيان ؛ ولذلك رد عليهم علي - رضي الله عنه - فقال : (كلمة حق أريد بها باطل)^(٣).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وكان أول كلمة خرجوا بها قسولهم : لا حكم إلا لله انتزعوها من القرآن وحملوها على غير محلها)^(٤).

يقول الشاطبي - رحمه الله - : (ألا ترى أن الخوارج كيف خرجوا من السدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي ؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصفهم بأنهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يعني - والله أعلم - أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم ؛ لأن الفهم راجع إلى القلب، فإذا لم يصل إلى القلب لم يحصل به فهم علسي حال، وإنما يقف عند محل الأصوات والحروف المسموعة فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم)^(٥).

١ - ذكره البخاري معلقا ٩ / ٢٠٠ كتاب : استنابة المرتدين وقولهم : باب : قتل الخوارج والملحد بن بعد إقامة الحجة عليهم ، وأفاد الحافظ في الفتح ١ / ٢٨٢ أن الطبري وصله في تذيب الآثار من مسند علي بإسناد صحيح .
٢ - الأنعام : ٥٧ .
٣ - رواه مسلم ٢ / ٧٤٩ كتاب : الركاة ، باب : التحريض على قتل الخوارج .
٤ - فتح الباري ٦١٩ .
٥ - الاعتصام ٦٩١ .

ثانيا : الجهل بالسنة

فلقد أتى الشباب المتطرف من جهة جهلهم بالسنة بل وإعراضهم عنها ورعيتهم الاقتصار على الكتاب مع اطراح أدلة السنة، فأداهم ذلك إلى جعل ما ليس بسنة سيئة. وما ليس بحسنة حسنة، فهم إنما يصدقون الرسول فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف بزعمهم ظاهر القرآن^(١).

وما كان اعتراض الرجل على قسمة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا من هذا القبيل فقد خرج عن السنة، وجعل ما ليس بسنة سيئة (وهذا القدر [أي تحسين التبيح وتبيح الحسن] قد يقع فيه بعض أهل العلم خطأ في بعض المسائل ؛ لكن أهل اليسع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة)^(٢).

ولذلك كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يحض على إلزام المبتدعة والعلاة وأخذهم بالسنة ؛ لأنها قاطعة في الدلالة على زيف أقوالهم وآرائهم فقد قال : (سبني قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنة، فإن أصحاب السنن أعلمم بكتاب الله)^(٣)..

ولقد بين عبد القاهر البغدادي^(٤) أن المتطرفين في العصر الراهن والعلاة هم امتداد لمنهج الخوارج؛ حيث أن الخوارج ينكرون السنة وذلك من أسباب الخرافة فقال : (والثاني مع الخوارج في إنكارها حجة الإجماع والسنن الشرعية، وقد زعمت أنه لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن، ولذلك أنكروا الرجم والمسح على الخفين، لأنهما ليسا في القرآن، وقطعوا السارق في القليل والكثير ؛ لأن الأمر بقطع السارق في القرآن مطلق ولم يقبلوا الرواية في نصاب القطع ولا الرواية في اعتبار الحرز

١ - ينظر ابن تيمية: الفتاوى/ ٧٣ .

٢ - المصدر نفسه/ ٧٢ .

٣ - رواه الدارمي في سننه : المقدمة ١ / ٤٧ باب : التورخ عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة .

٤ - عبد القاهر بن طاهر بن عماد بن عبد الله البغدادي التميمي الاسفراييني ، ابو منصور : عام متفنن ، من أئمة الأصول . كان صدر الاسلام في عصره . ولد ونشأ في بغداد ، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور . وفارقها على أثر فتنة التركمال (قال السبكي : ومن حسرات نيسابور اضطرار مثله إلى مفارقتها !) ومات في أسفرتين سنة ٤٢٩هـ . وفيات الاعيان ١ : ٢٩٨ وطبقات السبكي ٣ : ٢٣٨ والوفات ١ : ٢٩٨ .

ومن أظهر دلالات جهلهم بالقرآن أنهم أخذوا عمومات الوعيد فقالوا : إن معصية واحدة كافية للخلود في النار ؛ استدلالاً بمثل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ أَمْرًا مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١).

ثالثا : الجهل بقدر السلف وأهل العلم

إن من أصول الدين رعاية قدر الصحابة - رضي الله عنهم - والافتداء بمسديهم والاستئنان بسنتهم فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ السُّمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

والاهتداء رهن بالافتداء بهم - رضي الله عنهم - يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - (من كان منكم مناسيا فليئس بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)^(٢).

ولقد كان من الأسباب الرئيسة لانحراف المتطرفة وسلوكهم المسلك الشاذ البعيد عن جادة الصواب هو: اعتدادهم بأهوائهم في مقابل النصوص، واعتدادهم بأنفسهم في مقابل الأجلة من أهل العلم في عصرهم، وذلك كما فعل الخوارج مع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل كان أول خارج ذو الخويصرة^(٣) المعترض على قسمة النبي - صلى الله عليه وسلم - القائل : (اعدل يا رسول الله !) ثم تابع سير الخوارج على هذا النهج، فكانوا يعترضون على أجلة العلماء صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - ويرفضون أقوالهم بل ويتبرعون منهم ويكفروهم، ويستحلون دماءهم؛ لما رأوا من مخالفتهم إياهم فيما يعتقدون وعلى ذات المنهج ساروا في معاملة أهل العلم من التسابيح.

١ - رواد أبو داود ١٠ / ٥ - ١١ رقم ٤٦٠٤ كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، والترمذي ٣٨ / ٥ - ٢٧ رقم ٢٦٦٣ ، كتاب العلم ، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي وأحمد ٤ / ٤١٣٢ ، ١٣٢٠ .
٢ - رواد ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ٩٧ .
٣ - ذو الخويصرة : حرقوس بن زهير بن السعدي ، الملقب بذئ الخويصرة : صحابي ، من بني تميم . خاصم الزبير فأمر النبي صلى الله عليه وسلم باستيفاء حقه منه . وأمره عمر بن الخطاب بقتال الهرمزان فاستولى على سوق الأهرام ونزل لها . ثم شهد صفين مع علي . وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي ، فقتل فيمن قتل بالنهروان سنة ٣٧ هـ . الإصابة : الترجمة ١٦٦١ والكمال للميرد : ٩٥ / ٥ .

فيه^(١) ولقد أتوا من ظنهم مناقضة هذه الأحاديث الصحيحة للقرآن، أو مناقضة بعضها لبعض، أو فساد معانيها، أو مخالفتها للمعقول^(٢).

ومن أمثلة ذلك : استدلال جماعات التكفير والمهجرة^(٣) بعمومات الوعيد من القرآن على تكفير العصاة وأنهم مخلدون في النار، فقد أخذوا تلك العمومات، وقطعوها عن نصوص السنة المبينة لها من مثل :

١- قول الله - عز وجل - في الحديث القدسي الذي يرويه نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - : (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئًا لَمْ لَقِيْتَنِي لَأُشْرِكَ بِسِيِّئَتِي لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)^(٤).

٢- وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : « أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو نائم ثم أتيتُه وقد استيقظ فجلست إليه، فقال : " مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَأِ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَيَّ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْحَنَّةَ " قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ، قَالَ : " وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ " ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ : " عَلَيَّ رُغْمٌ أَلْفِ أَبِي ذَرٍّ "، وفي رواية البخاري : « أَنْ جَبْرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَأُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْحَنَّةَ، قُلْتُ : يَا جَبْرِيلُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ؛ قَالَ : نَعَمْ، قُلْتُ : وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ؟ قَالَ : نَعَمْ)^(٥).

١ - أصول الدين ١٩.

٢ - ينظر الشاطبي : الاعتصام ٣١٣.

٣ - جماعة إسلامية نشأت داخل السجون المصرية، وبعد إطلاق سراح أفرادها تبلورت أفكارها، ونشأت عام ١٩٤٥م، وكان إمام هذه الفئة ومهندس أفكارها الشيخ علي إسماعيل، وهو أحد خرجيي الأزهر. من أبرز أفكارها: كفر جميع الحكومات الإسلامية، ومن لم يكفرهم .. فهو كافر، والخروج على الحاكم واجب. عن كتاب « ذكر بان مع جماعة المسلمين » التكفير والمهجرة، عبد الرحمن أبو الخير.

٤ - رواه الترمذي ٣٥٤٠ كتاب الدعوات : باب فضل التوبة والاستغفار ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وله شاهد من حديث أبي ذر رواه أحمد ١٧٢ / ٥.

٥ - رواه البخاري في مواضع من صحيحه منه ٨٩ / ٢ ، ٩٠ ، كتاب الخنازير ، باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ، و ٨ / ١١٦ كتاب الرقاق : باب المكثرون هم المفلون ، و ٩ / ١٧٤ كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله للملائكة ، ومسلم ١ / ٩٤ كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، والترمذي ٤ / ١٦٤ ، كتاب الإيمان : باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

رابعاً : الجهل بحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال

لقد عرف أهل السنة والجماعة الإيمان بأنه : قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح^(١).

قال الإمام البخاري - رحمه الله - : (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أن أحدا منهم يختلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)^(٢).
وقد عقد الإمام الآجري^(٣) - رحمه الله - باباً سماه : (القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث) .

ثم قال - رحمه الله - : (اعلموا - رحمنا الله وإياكم - : أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً. دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين.)^(٤).

وهذا الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد جاءت الآيات والأحاديث دالة دلالة صريحة على زيادة الإيمان : (وكل نص يدل على زيادة الإيمان فإنه يتضمن الدلالة على نقصه وبالعكس ؛ لأن الزيادة والنقصان متلازمان لا يفعل أحدهما بدون الآخر)^(٥).

١ - بنظر ابن تيمية : العقيدة الواسطية بشرح المراس.

٢ - صحيح البخاري مع الفتح ٤٧.

٣ - محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري : فقيه شافعي محدث . نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها ، وحدث ببغداد ، قبل سنة ٣٣٠ ثم انتقل إلى مكة ، فنسك ، وتوفي فيها سنة ٣٦٠ هـ . له تصانيف كثيرة ، منها (أخبار عمر بن عبد العزيز - خ) و (أخلاق حملة القرآن - خ) و (أخلاق العلماء - ط) . وفيات الأعيان ١ : ٤٨٨ ، والنجوم الراهرة ٤ : ٦٠ وتاريخ بغداد ٢ : ٢٤٣ .

٤ - الشريعة ١١٩ .

٥ - الشيخ : محمد بن عثيمين : فتح رب التربة بتلخيص الحموية ١١٣ .

لقد دخل الخوارج قرية فخرج عبد الله بن خباب^(١) - رحمه الله - ذعرا يجر رداءه، فقالوا : لم ترع ؟ قال : والله لقد رعتموني، قالوا : أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : نعم، قالوا : فهل سمعت من أبيك حديثا يحدثه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحدثناه ؟ قال : نعم سمعته يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه « ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، " قال : فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول ". قال أيوب : ولا أعلمه إلا قال " : ولا تكن عبد الله القاتل »^(٢). قالوا : أنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : نعم، قال : فقدموه على ضفة النهر، فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما أبدق، وبقروا أم ولده عما في بطنها^(٣).

وغلاة المتطرف اليوم لا يأخذون بأقوال أهل العلم ونصائحهم، بل يعممون إلى تسفيهم في كثير من الأحيان.
واتخاذ منهج التكفير هو الحل الأسهل والأمتل في رأيهم.

١ - عبد الله بن خباب بن الأرت حليف بني زهرة، يقال له: رؤبة، قتله الحرورية سنة (٣٨)هـ.
٢ - البحاري المتأخر ٣٤٠٧، مسلم الفتن وأشراف الساعة ٢٨٨٦، أحمد ٢٨٢.
٣ - رواه أحمد ١١.

وقد رد شيخ الإسلام على شبهة الخوارج - هذد - بما ملخصه : أن الحقيقة الجامعة لأمر - سواء كانت في الأعيان أو الأعراض - إذا زال بعض تلك الأمور فقد يزول سائرهما وقد لا يزول، ولا يلزم في زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرهما، سواء سميت مركبة أو مؤلفة، أو غير ذلك وما مثل به الخوارج من العشرة مطابق لهذا، فإن الواحد من العشرة إذا زال لم يلزم زوال التسعة، فإذا زال أحد جزئي المركب فلا يلزم زوال الجزء الآخر، ولكن أكثر ما يقولون : إنه قد زالت الهيئة الاجتماعية، وزال الاسم الذي استحقته الهيئة لذلك الاجتماع والتركيب.

فالركبات على قسمين :

القسم الأول : ما يكون التركيب شرطاً لإطلاق الاسم مثل : العشرة، فإن الواحد المكمل لعدد عشرة شرط في إطلاق اسم العشرة على هذه الأعداد.
والقسم الثاني : ما لا يكون التركيب شرطاً لإطلاق الاسم ومثاله : البحر والنهر، فإن التركيب ليس شرطاً في إطلاق الاسم، ولذلك لو نقص جزء من الحسر لا يزول الاسم بل هو باق.

ومعظم المركبات من هذا النوع : (ومعلوم أن اسم الإيمان من هذا الباب ؛ فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « الْإِيمَانُ يَضَعُ وَيُسْبَعُونَ شُعْبَةً، أَغْلَاهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا : إِطَاعَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ »^(١) ثم من المعلوم أنه إذا زالت الإماطة ونحوها لم يزل اسم الإيمان^(٢) .

ولكن قد يزول اسم الإيمان بزوال جزء أساسي تزول به حقيقة الإيمان كما إذا زالت الشهادتان، أو تركت الصلاة على الراجح من أقوال العلماء. فإذا زال اسم الإيمان زال وصف الإيمان، واعتبار جزء من الأجزاء يزول به حقيقة الإيمان يختلف باختلاف الأحوال، فليس (للإيمان حقيقة واحدة مثل حقيقة مسمى مسلم في حق جميع المكلفين في

١ - البخاري الإيمان ٩، مسلم الإيمان ٣٥، الترمذي الإيمان ٢٦١٤، النسائي الإيمان وشرائعه ١٥٠٠٥، أبو داود السنة ٤٦٧٦، ابن ماجه المقدمة ٥٧، أحمد ٤١٤٤٠.

٢ - ينظر الفناوى ٥١٤ - ٥١٧.

وقد ضل الضالون من جماعة التكفير والمجرة وغيرهم في أبواب الأسماء والأحكام بأسباب من جهلتها : جهلهم بحقيقة الإيمان، وعلاقته بالأعمال، كما حدث في التاريخ الإسلامي القديم مع الخوارج فقد (قالت الخوارج والمعتزلة : قد علمنا يقينا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه ؛ لأن الإيمان لا يتبعض، ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلصين في النار، إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء)^(١).

ومنشأ ضلال جماعة التكفير والمجرة : (أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقا للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا، فأحيطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا : الإيمان هو الطاعة، فيزول بزوال بعض الطاعة)^(٢).

وقد زعموا أن الإيمان إذا كان مركبا من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها كما يزول اسم العشرة عنها إذا زال أحد أفرادها (وهذا هو الأصل السدي تفرعت عنه البدع في الإيمان فأهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله)^(٣).

وعمقوا هذه المفاهيم في كتبهم وأطروحاتهم وخطبهم المنبرية، وكفروا كل من لم يقل بقولهم^(٤).

والصحيح أنه (ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير بها كافرا الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمنا حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته، وفرق بين الكفر المعروف باللام كما في قوله - عز وجل - « لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوْ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ »^(٥) وبين كفر منكر الإثبات)^(٦).

١ - شيخ الإسلام ابن تيمية : الفتاوى ١٣ / ٤٨ .

٢ - دعاة لا فضاة، حسن المضيبي، ص ١٣٨ .

٣ - شيخ الإسلام ابن تيمية : الفتاوى ، ٧ / ٢٢٣ .

٤ - التكفير والمجرة، وجهها لوجه، رجب مختار مذكور ص ٧٢ .

٥ - رواه مسلم ١ / ٨٨ رقم ١٣٥ كتاب الإيمان : باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة .

٦ - شيخ الإسلام : الاقتصاء، ١ / ٧٠ .

خامسا : الجهل بمراتب الأحكام

يظهر لكل من نال قدرا من الفقه في الدين أن الله - عز وجل - جعل أحكاما لأفعال العباد، تدرج هذه الأحكام وتتنوع، فمنها ما هو طلب للفعل المسمى - (المأمورات) ومنها ما هو طلب للترك وذلك المسمى ب (المنهيات) ومنها ما المكلف غير فيه بين الفعل والترك وهي (المباحات) ومن جهل الجماعات الإسلامية المنظرفة الجهل بمراتب الأحكام، وأمثلة من ذلك على مراتب المنهيات.

فالمنهيات على مرتبتين : فالله - عز وجل - إما أن ينهى عن الفعل على سبيل الحتم والإلزام فذلك الحرام، وإما أن ينهى عن الفعل لا على سبيل الحتم والإلزام فسذلك المكروه.

والحرام درجات في ذاته، إذ يختلف باعتبارات عدة منها : درجة التحريم فإن أعظم الحرمات : الشرك بالله - عز وجل - والشرك والكفر متفاوت المراتب فهو على نوعين :

(١) كفر اعتقادي. (٢) كفر عملي.

ويعبر عنهما بالكفر الأكبر والكفر الأصغر أو بالشرك الأكبر والشرك الأصغر.

فالكفر الاعتقادي هو : الموجب للحلود في النار، ويسأى في النصوص مقابلا للإيمان، من مثل قوله تعالى ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾^(١).

والكفر العملي هو : الموجب لاستحقاق الوعيد دون الحلود في النار، وهذا النوع يتناول جميع المعاصي ؛ لأنها من حصال الكفر وشعبه وخصوصا ما سمي من المعاصي في النصوص كفرا، من مثل قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديث عبد الله بن مسعود : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »^(٢).

فإن الكفر هنا ليس مرادا به الكفر المخرج من الملة بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾^(٣)

١ - آل عمران : ٨٦.

٢ - رواه البخاري في صحيحه ٧ / ٨٤ كتاب الأدب : باب ما ينهى عن السباب واللعن ، وفي ٨ / ٩١ كتاب الفتن : باب قول النبي لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ، ومسلم في صحيحه ١ / ٨١ رقم ٦٤ ، كتاب الإيمان ، باب بيان قول النبي سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

٣ - الحجرات : ٩.

جميع الأزمات بهذا الاعتبار، مثل حقيقة السواد والبياض ؛ بل الإيمان والكفر يختلف باختلاف المكلف، وبلوغ التكليف له وبزوال الخطاب الذي به التكليف ونحو ذلك^(١).

١ - شيخ الإسلام ابن تيمية : الفتاوى ٩٨.

فسماهم مؤمنين مع كونهم متقاتلين^(١).

ثم بعد الكفر تأتي المحرمات، وقد قسمها العلماء على سبيل الإجمال إلى كباائر وصغائر، ودلت بعض النصوص على هذا التقسيم من مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائِرَ الذَّنْبِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾^(٢).

وقد أجمع على ذلك السلف: قال ابن القيم^(٣) - رحمه الله - : (والذنوب تنقسم إلى صغائر وكباير بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار^(٤)).

وكل واحد من هذه المحرمات يتفاوت؟ فالكفر يتفاوت وبعضه أغلظ من بعض، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (اعلم أن الكفر بعضه أغلظ من بعض؛ فالكافر المكذب أعظم جرماً من الكافر غير المكذب، فإنه جمع بين ترك الإيمان المأمور به وبين التكذيب المنهي عنه، ومن كفر وكذب وحارب الله ورسوله والمؤمنين بيده أو لسانه أعظم جرماً ممن اقتصر على مجرد الكفر والتكذيب، ومن كفر وقتل وزنى وسرق وصد وحارب كان أعظم جرماً^(٥)).

وللعلم بمراتب الأحكام أثره في الحكم على الناس فالمنهيات مراتب، ومرتكب الحرام ليس كمرتكب المكروه لتفاوت مرتبتي هذين الحكمين، والكافر ليس كالعاصي؛ لتفاوت ما بين حكم العمل الذي هو كفر، والعمل الذي هو معصية، فقد دلت النصوص

١ - ينظر البخاري ٢٠/١ في الإيمان، وفتح ٨٥/١.

٢ - اللحم: ٣٢.

٣ - ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تعلم للشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على حمل مضروباً بالمعصي. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بحفظه الحسن شيئاً كثيراً. وألف تصانيف كثيرة منها إعلام الموقعين والطرق الحكمية في السياسة الشرعية وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل سنة ٧٥١هـ. الدرر الكامنة: ٤٠٠/٣. والبداية والنهاية: ٢٣٤/١٤ وشننرات الذهب: ١٦٨/٦ والنجوم الزاهرة: ٢٤٩/١٠.

٤ - مدارج السالكين ١/٣١٥.

٥ - مجموع الفتاوى ٨٧/٢٠.

سادسا : الجهل بمراتب الناس

لقد اختلف الناس في موقفهم من دعوة سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - فكانوا فرقا شتى، فانقسم الناس في الجملة إلى :

(١) مؤمن. (٢) منافق. (٣) كافر.

وفي كل فرقة تتفاوت مراتب الناس باعتبارات مختلفة.

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - مبينا بعضها : (إن المؤمنين صنفان : مقربون وأبرار، وإن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون، وإن المنافقين أيضا صنفان : منافق خالص، ومنافق فيه شعبة من النفاق)^(١).

ولو ذهبت أتتبع طبقات المكلفين، ومراتب كل طبقة وأحوالها لطال الأمر ولكني أقصر على : مرتبة الفسق (الفساق) ذلك أن جهل الخوارج بهذه المرتبة أفضى بهم إلى ألوان من الغلو في التكفير.

إن الفسق هو : العصيان ومخالفة أمر الله - عز وجل - بما لا يصل إلى الكفر والمروق من الدين.

ولقد أمر الله - عز وجل - بأوامر هي من شعب الإيمان، ونهى عن أمور هي من شعب الكفر، وليس كل من ترك شعبة من شعب الإيمان زال إيمانه و(ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرا الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمنا، حتى يقوّم به أصل الإيمان وحقيقته)^(٢).

ففي الناس إذا قوم تركوا شيئا من شعب الإيمان أو فعلوا شيئا من شعب الكفر (الكبائر) ومعهم من الإيمان ما يمنع خلودهم في النار، فليسوا من المنافقين أو المرتدين وليسوا من المؤمنين حقا، فصاروا في مرتبة الفسق أو ما يسميه بعض العلماء : الفاسق الملي^(٣).

١ - تفسير القرآن العظيم ٩٨.

٢ - شيخ الإسلام : الانتضاء ٢٠٨.

٣ - ينظر شيخ الإسلام : الفتاوى ٤٧٨/٧-٤٧٩.

وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين^(١).

١ - شرح العقيدة الفخرية ٤٤٢.



الفصل الرابع
مجالات التطرف



وأما غلاة التطرف في العصر الراهن، والذين استمدوا فكرهم من منهج الخوارج..
فإنهم يكفرونه بالمعصية، ويحكمون عليه بالخلود في النار لجهلهم بمراتب الناس ومسائل
الأسماء والأحكام في ضوء نصوص الشريعة.

المبحث الأول

التطرف الاعتقادي

التطرف في الاعتقاد : هو مجاوزة الحد فيما شرع الله تعالى من الأمور الاعتقادية. فإن الله تعالى إنما أنزل الكتاب وبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم ليكون الدين كله لله، والمتطرف لا يكتفي بما أنزل تعالى من الشريعة الكاملة، بل يسعى إلى الزيادة على ما شرع الله، ومخالفة ما قصده الشارع من التيسير على المكلفين إلى التشديد على نفسه وعلى غيره، ونسبة ذلك إلى شرع الله تعالى.

والتطرف في الاعتقاد أخطر أنواع التطرف؟ ذلك بأن الاعتقاد درجة عالية مسن جزم القلب بما فيه من رأي أو فكر أو شرع، فأصعب ما يكون انتزاعها ؛ لأن صاحبها يدافع عنها كما يدافع عن دمه وماله وعرضه، ومعلوم أن المتطرف إنما يعتقد ما يتوهم أنه شرع الله وليس كذلك، بل إنما يعتقد فكراً أو رأياً مصدره الهوى^(١).

ومن هنا كان تحذير علماء المسلمين من أهل البدع والأهواء أكثر من تحذيرهم من أهل المعاصي والفسوق. فالضرر الحاصل بالتطرف في الاعتقاد أعظم من الضرر الحاصل بالتطرف في العمل.

ومن أبرز الأمثلة على هذا النوع من التطرف : تطرف الحسوارج وهم الفرقة المعروفة في جسم الأمة الإسلامية منذ العصر الأول : إنهم فئة قادمهم التطرف في الحكم على صاحب المعصية إلى إلحاقه بمن وقع في الكفر بالله عز وجل، فكان هذا التطرف الاعتقادي دافعاً لهم إلى سلسلة من الجرائم الكبرى بحق الأمة الإسلامية :

(أ) حيث دفعهم إلى تكفير حكام المسلمين بمجرد الوقوع في المعاصي.

(ب) ثم تكفير عامة من لم يقنع بقولهم هذا من المسلمين، فكفروا المجتمعات

المسلمة.

(ج) فقاتلوا المسلمين، وخرجوا على حكامهم.

وهكذا صور كثيرة من الظلم والاعتداء وإيهان قوة المسلمين، ارتكبها هؤلاء

لأجل تطرفهم في دين الله تعالى.

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:
المبحث الأول: التطرف الاعتقادي.
المبحث الثاني: التطرف السلوكي (العمل).
المبحث الثالث: التطرف في الحكم على الناس.

وتطرف أهل الكتاب من النصارى في دينهم واضح، حيث نص الله تعالى عليه في قوله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾^(١).

فهنا تطرف منهم في الاعتقاد، ساقطهم إليه الشيطان، حيث زين لهم عبادة المسيح من دون الله تعالى في هيئة حجة الأنبياء وتعظيمهم، وقد أبطل الله هذه السببية بأدلة متعددة، كقوله تعالى ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾^(٢).

ومثل فعل النصارى هذا؛ فعل اليهود مع العزيز، وفعل بعض فرق هذه الأمة مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ولهذا حرقهم علي رضي الله عنه، واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم، واختار ابن عباس أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول أكثر العلماء^(٣).

وقد قاد التطرف النصارى إلى ابتداء البدع في دينهم، والتعبد لله تعالى بما، كما قال تعالى ﴿ وَرَهَابِيَةَ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَسْرًا رِعَابِيَةً ﴾^(٤).

فكل من غلا من هذه الأمة، واتبع هواه وحكمه في دين الله، أو زاد على ما شرعه الله ففيه شبه من أهل الكتاب، ومن تشبه بقوم فهو منهم. ومآله إلى الهلاك في الدنيا والآخرة؛ لأن التطرف هو سبب هلاك من مضى من أهل الكتاب باختلافهم وتقاتلهم وتباغضهم، وفي الآخرة هم الأחסرون.

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: « هَلَكُ الْمُتَنَطِّعُونَ » قالها ثلاثا^(٥).

١ - النساء: ١٧١.

٢ - المائدة: ٧٥.

٣ - بنظر: منهاج السنة لابن تيمية ٢٨١/١.

٤ - الحديد: ٢٧.

٥ - أخرجه: ١٤٤٠/١.

وقد كشف الحديث النبوي الشريف هذا الجانب السيئ في هذا الاتجاه، ففسى صحيح ابن حبان عن حنبل الجلي أن حذيفة حدثه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مَا اتَّخَوْفُ عَلَيْكُمْ رَحُلُ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُبِّتُ بِهِ حَتَّى عَلَيْهِ وَكَانَ رِذَاءً لِلْإِسْلَامِ، غَيْرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَانْسَلَخْ مِنْهُ، وَتَبَذَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَمِعَى عَلْسَى جَسَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشَّرْكِ » قَالَ : فُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشَّرْكِ، الرَّامِي أَمْ الْمَرْمِيُّ ؟ قَالَ : " بَلَى الرَّامِي «^(١).

فهذه الصورة تكشف التطرف الاعتقادي، كيف يبدأ صاحبه ؟ ومن أين يأتيه الشيطان ؟ وما يترتب على تطرفه من المفاصد العظيمة : حيث قتل النفس التي حرم الله، وحيانة الجار، وزعزعة أمن الدولة المسلمة. كل ذلك يشرح نظرياً شؤون التطرف الاعتقادي، ويبين عموم ضرره.

ومن هنا جاء كتاب الله تعالى وحاءت السنة النبوية بالتحذير الشديد من التطرف، وبيان عواقبه الوخيمة في أمور الدين وأمر الدنيا.

ففي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع : هَلُمُّ الْقَطْرَ لِي، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصِيَّاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ : " نَعَمْ، بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ. وَإِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ «^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في " اقتضاء الصراط المستقيم " :^(٣) هذا عام في جميع أنواع التطرف والتطرف في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام : رمي الجمار، وهو داخل فيه مثل : الرمي بالحجارة الكبار، بناء على أنه أبلغ من الصغار، ثم علله بما يقتضي مجانبة هدي من كان قبلنا، إبعاداً عن الوقوع فيما هلكوا به. وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك. اهـ.

١ - الإحسان في نقيب صحيح ابن حبان، ٢٨٢/١.

٢ - مسند الإمام أحمد ٢١٥/١ - ٣٤٧.

٣ - ٢٨٩/١.

الله عليه وسلم، ومن هنا فسر حبل الله تعالى الوارد في قوله جل وعلا ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١) بالجماعة في قول ابن مسعود رضي الله عنه وغيره^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأهل الإنبات من المتكلمين مثل الكلايسية والكرامية^(٣) والأشعرية^(٤) أكثر اتفاقا واتلافا من المعتزلة^(٥)، فإين في المعتزلة من الاختلافات وتكفير بعضهم بعضا، حتى ليكفر التلميذ أستاذه، من جنس ما بين الحوارج، وقد ذكر من صنف في فضائح المعتزلة من ذلك ما يطول وصفه.

ولست نجد اتفاقا واتلافا إلا بسبب اتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث ومسا تبع ذلك، ولا نجد افتراقا واختلافا إلا عند من ترك ذلك، وقدم غيره عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمُ﴾^(٦).

١ - آل عمران: ١٠٣.

٢ - المخرر الوجيز لابن عطية ١٨٢/٣.

٣ - فرقة دينية قالت بالنسجيم، وأجازت إمامة علي ومعاوية في آن واحد، لكنهم قالوا: كان على كسل واحد منهما طاعة صاحبه، سواء كان عادلا أم جائرا. الفرق الإسلامية ص ١٩٥.

٤ - لقب فرقة من المتكلمين، تنسب لأبي الحسن الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤هـ، انبثقت عن المعتزلة وحالفتها بعد أن أخذت أدلتها في الدفاع عما تراه حقا عن عقائد أهل السنة والجماعة. الملل والنحل للشهرستاني ص ٩٤.

٥ - طائفة إسلامية ظهرت في نهاية العصر الأموي، على يد مؤسسها واصل بن عطاء ١٣١هـ. في أسباب تسميتها أقوال منها: أن واصل بن عطاء اعتزل مجلس أستاذه الحسن البصري بسبب خلافهما في بعض المسائل، فتبعته طائفة أخذت تجتمع على ناحية من المسجد، فقال الحسن عندئذ: (اعتزل واصل مجلسنا).

وعلى رواية أن التسمية جاءت من اعتزال واصل ومن تبعه قول الأمة، وانفرادهم بآراء خالفوا بها جمهور السنة. اعتمد المعتزلة على العقل وتأويل الآيات القرآنية في سبيل تدعيم آرائهم في العقيدة، ففتحوا بذلك مجال الاجتهاد والبحث الفكري، فعدوا من رواد علم الكلام، وظهر منهم أعيان كالجاحظ والزمخشري والماوردي والصاحب بن عباد، وغيرهم.

ثم انقسموا فيما بعد إلى عدة فرق، انتهى بعضها من وجهة نظر بعض الفقهاء إلى مخالفة أحكام الكتاب والسنة. من أهم المشكلات التي واجهتهم: مشكلة القول بحلق القرآن. الملل والنحل للشهرستاني ص ٤٣.

٦ - هود: ١١٨-١١٩.

قال الخطابي^(١) في " معالم السنن"^(٢): المتنطع : المتعمق في الشيء، المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعينهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم. اهـ.

فهذا خبر عن هلاك من وقع في التنطع الذي هو ضرب من التطرف في الكلام ونحوه، فدل على أن عقوبة المتطرفين من المتقدمين والمتأخرين هو : الهلاك، ولهذا لا يقوم لأهل التطرف دولة، ولا تجتمع الأمة عليهم، كما قال الإمام وهب بن منبه - رحمه الله تعالى - في الخوارج كنموذج للتطرف، عند مناصحته لمن وقع في رأيهم : (فسوالله ما كانت للخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالانهم، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج.

ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع المسج إلى بيت الله الحرام، وإذن لعاد أمر الإسلام جاهلية، حتى يعود الناس يستعينون برسءوس الجبال كما كانوا في الجاهلية، وإذن لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلا ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضا، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر حتى يصبح الرجل المؤمن خائفا على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله، لا يدري أين يسلك أو مع من يكون.

غير أن الله بحكمه وعلمه ورحمته نظر لهذه الأمة فأحسن النظر لهم، فجمعهم وألف بين قلوبهم على رجل واحد ليس من الخوارج. (الخ^(٣)).

وكل ما ذكره هذا الإمام واقع ملموس في هذه الفئة ومن نحا نحوها في التطرف، ذلك بأن كل خير يحصل للأمة إنما هو بسبب اجتماعها على كتاب الله وسنة رسوله صلى

١ - الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان : فقيه محدث، من أهل بستان من بلاد كابل من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، توفي سنة ٣٨٨هـ له معالم السنن، مجلدان، في شرح سنن أبي داود، و بيان إحصاء القرآن، و إصلاح غلط المحدثين، باسم إصلاح خطأ المحدثين نسوي سنة ٣٨٨هـ. والوفيات: ١/١٦٦ وإنباء الرواة: ١/١٢٥ خزنة الأدب: ١/٢٨٢.

٢ - ١٢/٧-١٣.

٣ - رسالة مناصحة الإمام رهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج ص ٧.

الثاني : ما بلغه عنهم من التطرف والجازفة والتجاوز للحد في المأمورات والمنهيات وإحداثهم في دين الله ما لم يشرعه الله ولا رسوله، فمن ذلك : أنهم كفروا بالادية بالعموم.

ومنها : أنهم يلزمون من دخل في هذا الدين أن يلبس عصابة على رأسه، ويسموها : العمامة، وأنها من السنة.

ومنها : أنهم لا يسلمون إلا على من يعرفون وتميز بالعمامة. وهم مع ذلك يزعمون أنهم هم على السنة، وأن المشايخ يمتنون السنن.

ومنها : أنهم لا يدعون أحدا صلى معهم صلاة الصبح أن يخرج من المسجد إلا بعد طلوع الشمس.

ومنها : أنهم أدخلوا في دين الله ما ليس منه، فزعموا أن تدوية البدو للإبل عند ورودها وصدورها بدعة.

ومنهم من تجاوز الحد في التأديب عند فوات بعض الصلاة، فضربوا رجلا منهم حتى مات . .

فلما اشتهر هذا الأمر عنهم، وهذا التطرف والتجاوز للحد، خاف الإمام أن يسيروا بسيرة الخوارج، فيمروون من الدين بعد أن دخلوا فيه، كما مرق منه من غلا في الدين وتجاوز الحد ممن كانوا من أعبد الناس وأزهدهم وأكثرهم قهقريا، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة . . إلى أن قال الشيخ : وأما سيهم المشايخ وتلبهم إياهم وإساءة الظن بهم، وكذلك ما نسبوه إلى ولي الأمر من الأقوال التي لا تروج على عاقل، ويغتر بها كل مغرور جاهل، فهذا كله مما يرفع الله به درجات الإمام، والمشايخ، وحسائهم على الله، وسيجازيهم بما جازى به المفتريين ؛ لأن الإمام والمشايخ لم يمتنعوا إلا خوفا على من دخل هذا الدين أن يسلك مسلك الخوارج، الذين مرقوا من دين الإسلام وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وأما قول بعضهم : ما فعل المشايخ ذلك إلا حسدا منهم للإخوان في دعوتهم. فنقول : وهل يدور في عقل عاقل أن المشايخ يحسدوهم على ما أحدثوه من البدع

فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون، وأهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولاً وفعلاً، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك. اهـ^(١).

ومن هذا المنطلق جعل أهل العلم : من علامات المبتدعة : التطرف، فليس مع من ركبته أي حجة، ومن عباراتهم في ذلك، ما سطره العلامة الشيخ سليمان بن سحمان^(٢) في كتابه الذي رفض فيه التطرف، وأنكر على أهله، وفند ما يظنونونه حجة لهم، وهو كتاب : " منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع " قال رحمه الله : ومن علامات صاحب البدعة : التشديد، والغلظة، والتطرف في الدين، وبمجازة الحسد في الأوامر والنواهي، وطلب ما يعنت الأمة ويشق عليهم ويحرجهم ويضيق عليهم في أمر دينهم، وتكفيرهم بالذنوب والمعاصي إلى غير ذلك مما هو مشهود مذكور من أحوال أهل البدع " . اهـ.

وقد كشف الشيخ ابن سحمان ضلال طائفة من المتطرفين في كتابه هذا بما يحسن تلخيصه، إذ البلية تتكرر بمثل هذه الطائفة في كل زمن.

وقد قام الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن رحمه الله بمنع هؤلاء المتطرفين من الذهاب إلى البادية للدعوة مما أثار حفيظة بعضهم، فذم الولاية، وذم العلماء، قال الشيخ ابن سحمان رحمه الله^(٣) : قد كان من المعلوم عند الخاصة والعامة أن الذي منع هؤلاء من الذهاب إلى هذه الأماكن المذكورة في السؤال هو الإمام - أعزه الله بطاعته وأحاطه بخياطته - لأمرين :

أحدهما : أنهم افتاتوا على منصب الإمامة، فذهبوا إلى البادية من رعيته ومن تحت يده وفي ولايته، من غير إذن منه، ولا أمر لهم بذلك. وقد كان من المعلوم أن الإمام هو الذي يبعث العمال والدعاة إلى دين الله.

١ - مجموع الفتاوى: ٥٢/٤.

٢ - علم من علماء نجد، اشتهر بالوسطية والاعتدال، كان محل قبول عند الكثير من العلماء والدعاة، حاربه بعض المتشدد من السلفية وأهانوه في المسجد مرات عدة، له العديد من المؤلفات التي خدمت المكتبة الإسلامية، توفي رحمه الله سنة ١٣٧٦هـ.

المبحث الثاني

التطرف في العمل

التطرف في العمل: تشديد المسلم على نفسه في عمل طاعة من غير ورود الشرع بذلك: كالذي يجعل حيلة يتعلق به إذا فتر عن قيام الليل، ونحوه، فإن هذا العمل غير ناتج عن عقيدة فاسدة، وإنما قد يظن المكلف أن ذلك زيادة خير.

فإن صاحب هذا العمل عقيدة فاسدة فهو التطرف الاعتقادي الذي تقدم ذكره، كحالة بعض المنتسبين إلى التصوف، ممن يعتقد أن تعذيب النفس في الطاعة مطلقاً من أفعال الخير والهدى.

ولما كان هذا النوع من التطرف قد يدخل في نفس بعض المجتهدين في العبادة، عاجله صلى الله عليه وسلم بأساليب متعددة، تارة بالعموم، وتارة بتوجيه من وقع فيه إلى خطأ فعله، وما كان من الصحابة رضي الله عنهم إلا التسليم المطلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ففي سنن الترمذي^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي إِذَا أَصَبْتُ اللَّحْمَ التَّمَرْتُ لِلنِّسَاءِ، وَأَخَذْتَنِي شَهْوَتِي، فَحَرَمْتُ عَلَيَّ اللَّحْمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٢)».

وحسنه الشاطبي في "الاعتصام"^(٣): ومثل هذه الحادثة كثير، فيوجه النبي صلى الله عليه وسلم من وقع منه ذلك إلى البعد عنه، والحذر منه.

وقد روى ابن جرير الطبري في "تفسيره"^(٤)

١ - أبواب التفسير، باب في تفسير سورة المائدة ٢٥٥/٥.

٢ - المائدة: ٨٧.

٣ - ١٩٦/٢ - ٣.

٤ - ٦٠٨/٨ ط دار هجر.

وأما قولهم : إن المشايخ داهنوا في دين الله، والإخوان أمروا وأنكروا. فنقول : ما أشبه الليلة بالبارحة، فلا جرم قد قالها الذين من قبلهم لما تخاهم أهل الحق عن التطرف في الدين، قالوا لمن تخاهم : يا أعداء الله قد داهنتم في الدين^(١). وهم يزعمون أنهم ما فعلوا ذلك إلا من أجل أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، تشابهت قلوبهم.

وأما قولهم : الإخوان علمونا ملة إبراهيم وبينوها، والمشايخ كتموها ودفنوها. فنقول : إن كان هذا حقا فسيحازيهم الله على ذلك. لكنهم مع ذلك قد سلكوا بهم مسلك أهل البدع، وتجاوزوا بهم الحد في الأقوال والأفعال، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، فإن كان هذا هو ملة إبراهيم فقد أعظموا على الله الفرية وعلى ملة إبراهيم.

وأما قولهم : ما أطاع الإمام المشايخ إلا لسكوهم عنه للمآكل والأغراض. فنقول : هذا - أيضا - من جنس ما قبله من الطعن على الإمام وعلى المشايخ بالزور والبهتان. اهـ^(٢).

١ - مقولة الخوارج لعلي عليه السلام.

٢ - منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، سليمان بن سحمان. بتصرف.

وَأَلْمَزَجَانُ^(١) أفترى الله أباح لعباده إلا ليتدلوه، ويمجدوا الله عليه، فيبينهم عليه؟ وإن ابتدالك نعم الله بالفعل خير منه بالقول. اهـ.

وأدلة الشرع في النهي عن التطرف العملي كثيرة جدا، فالوقوع فيه : ارتكاب للنهي، ومعارضة لمقاصد الشريعة التي بنيت على التيسير والتخفيف. وإذا تأمل المسلم ما جرى في حادثة الإسراء والمعراج من فرضية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومراجعه ربه جل وعلا في تخفيف عدد الصلوات من خمسين إلى أن بلغ خمس صلوات؛ علم يقينا أن الشارع الحكيم لا يقصد في تكاليفه المشقة على العباد وإلحاق العنت بهم. فلم يبق لمن ألزم نفسه بالتطرف في جزئيات الشريعة حجة. وكل ما تقدم في ذم من تطرف في جزئية أو جزئيتين، أما من كثر تطرفه في الجزئيات فلا ريب أن تطرفه هذا يلحق بالتطرف الاعتقادي.

وقد جرت سنة الله تعالى في هؤلاء المتطرفين في العمل : أن ينقطعوا عن العمل بالكلية، إلا من أراد هدايته فوقفه للرجوع إلى الطريق المستقيم. وهذا بينه صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه « إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَكِنْ يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا عَلَيْهِ، فَسَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا »^(٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في " الفتح "^(٣): المشادة بالتشديد المغالسة، والمعنى : لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع؛ فيغلب. قال ابن المنير^(٤) : في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل منقطع في الدين ينقطع. اهـ.

وتلافيا للوقوع في هذا المزلق الخطير : أمر الشارع الحكيم بالقصد وهو الوسط في العمل.

١ - الرحمن: ٢٢.

٢ - أخرجه البخاري في الإيمان، باب الدين يسر ١/١٥١.

٣ - فتح الباري ١/٩٤.

٤ - ابن المنير: أحمد بن محمد بن منصور : من علماء الإسكندرية وأدائها. ولي قضاءها وخطبتها مسرتين، له تصانيف، منها تفسير، ديوان خطب و تفسير حديث الإسراء على طريقة المتكلمين توفي سنة ٦٨٣هـ. فترات الوفيات: ٧٢/١.

عن أبي قلابة^(١) قال : « أرَادَ أَنَسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرْفِضُوا الدُّنْيَا، وَيَتْرُكُوا النَّسَاءَ وَيَتْرَهُبُوا. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَّظَ فِيهِمْ الْمَقَالَةَ، ثُمَّ قَالَ : إِمَّا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالتَّشْدِيدِ، شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، أَوْلَيْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الدِّيَارِ وَالصَّوَامِعِ، اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحُجُّوا وَعَظَّمُوا، وَاسْتَقِيمُوا يَسْتَقِيمَ لَكُمْ » قال : ونزلت فيهم ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٢).

قال الشاطبي رحمه الله في " الاعتصام "^(٣): الاقتصار على البيع في المأكول من غير عذر تنقطع. والاقتصار في الملبوس على الخشن من غير ضرورة، من قبيل التشديد والتنقطع المذموم، وفيه أيضا من قصد الشهرة ما فيه.

وقد روي عن الربيع بن زياد^(٤) الحارثي : أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : اعْبُدِي عَلَى أَحْيِ عَاصِمٍ. قال : ما باله ؟ قال : ليس العباء يريد النسك. فقال علي رضي الله عنه : علي به. فأتى به مؤتزرا بعباءة، مرتديا بالأخرى، شعث الرأس واللحية. فمس في وجهه، وقال : ويحك ! أما استحييت من أهلك ؟ أما رحمت ولدك ؟ أتري الله أباح لك الطيبات، وهو يكره أن تنال منها شيئا ؟ بل أنت أهون على الله من ذلك، أما سمعت الله يقول في كتابه ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾^(٥) إلى قوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ

١ - أبو قلابة الجرمي: عبد الله بن زيد بن عمرو الخرمي : عالم بالقضاء والأحكام، ناسك، من أهل البصرة. أُرَادُوهُ عَلَى الْقَضَاءِ. فَعَرَبَ إِلَى الشَّامِ، فَمَاتَ فِيهَا سَنَةَ ١٠٤ هـ. وَكَانَ مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ النَّقَاتِ. مُتَذَكِّرٌ التَّهْذِيبِ: ٢٢٤/٥ وحلية الأولياء: ٢٨٢/٢ وتهذيب ابن عساکر: ٧/ ٤٢٦.

٢ - المائدة: ٨٧.

٣ - ٢٢٨/٢.

٤ - الربيع بن زياد بن أنس الحارثي، من بني الديان : أمير فانيح، أدرك عصر النبوة، وولي البحرين، وقدم المدينة في أيام عمر، وولاه عبد الله بن عامر سجستان سنة ٣٩ هـ ففتحت على يديه. له مع عمر بن الخطاب أخبار. وكان شجاعا نقيًا، قال عمر لأصحابه يوما : دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرا فكأنه ليس بأمر وإذا لم يكن بأمر فكأنه أمير. فقالوا : ما نعرفه إلا الربيع بن زياد. فقال : صدقتم. توفي في إمارته سنة ٥٣ هـ. الإصصاية: ٥٠٤/١ والكامل لابن الأثير: ٣/ ١٩٥ وفي جبهة الأنساب: ٣٩١.

٥ - الرحمن: ١٠.

المبحث الثالث

التطرف في الحكم على الناس

أما التطرف في الحكم على الناس : فهو مجاوزة الحد في إلحاق الحكم عليهم بالكفر أو البدعة أو الفسوق . فإن الحكم بهذه الأمور على أحد من الناس إنما هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ فمن دل الدليل القاطع على إلحاق هذه الأحكام به؛ ألحقت به، ومن لم يدل الدليل على لحوقها به؛ فإن تبرئها عليه من تعدي حدود الله تعالى، والقول عليه بغير علم، وهو التطرف الفاحش الذي أوردى الأمة ونخر في جسمها، وفرق جماعتها.

بل إن أول التطرف في الأمة إنما هو هذا، يوم تطرف الخوارج في الحكم على المسلمين، وحكام المسلمين بالكفر والخروج من الإسلام، فترتب على فعلهم هذا : إراقة دماء طاهرة مسلمة، وتمزق الجماعة، وانتشار التباغض والشحناء بين أهل الإسلام^(١).

ومثل هذا يقال في التبديع والتفسيق بغير حق، فإنه يقود إلى التقاطع والتباغض، وهو سبيل إلى التكفير بغير حق . وإذا كان النبي ﷺ كما جاء في صحيح البخاري - منع من تنزيل الحكم العام على شارب الخمر بأن تحمل عليه لعنة الله، على الشخص المعين لما قام به من إيمان بالله ورسوله، فكيف يتسارع الغالون إلى تنزيل أحكام الكفر والفسق العامة على الأشخاص المعينين دونما روية وتؤدة؟!

ونص الحديث كما في صحيح البخاري « أن رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارة، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلدته في الشراب، فأتي به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يوتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله »^(٢).

فتنزىل هذه الأحكام على الشخص المعين لا بد لها من شروط تتوفر، وموانع تنتفي، كما أجمع على ذلك علماء أهل السنة والجماعة . ومن هذا المنطلق تنابعت نصوص العلماء على أن المتصدي للأحكام على الناس في عقائدهم أو عدالتهم لا بد أن يكون من

^١ - الإرهاب، فرج فوده، ص ٢١٣.

^٢ - أخرجه البخاري في الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارم من الملة، رقمه ٦٣٩٨.

فقد بوب البخاري - رحمه الله - في صحيحه^(١): باب القصد والمداومة على العمل، في كتاب الرقاق. وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «أَدْرُمُهَا وَإِنْ قَلُّ» وَقَالَ: «أَكَلُّوْا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ»^(٢).

١ - ٧/١١٤.

٢ - البخاري في الرقاق (٦١٠٠)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٣).



الفصل الخامس
آثار ومخاطر ومظاهر التطرف



استهلال

خطر التكفير

التكفير سبب لصنوف من الانحراف والضلال وأشد ذلك وأعظمه خطراً هو الحكم بذلك على الأشخاص والجماعات والأنظمة دون فقه أو تثبت، أو اعتبار للضوابط الشرعية، وهو ما وقع فيه بعض الأفراد والجماعات في هذا العصر، حيث توجهوا إلى تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ، ورتبوا على ذلك استباحة الدماء والأموال، والاعتداء على حياة الناس الأمن المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، والاعتداء على مصالحهم العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها، فحصل بذلك فساد كبير في المجتمعات الإسلامية.

وقد جاءت النصوص بالتحذير من التكفير، والوعيد الشديد لمن كفر أحداً من المسلمين، وليس هو كذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إذا قال الرجل لأخيه يسا كافر فقد باء به أحدهما » (١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » (٢).

كما دلت النصوص على أن التكفير لا يتم إلا بوجود أسبابه وانتفاء موانعه، ولذا قد يسرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به لوجود مانع يمنع من كفره كالإكراه.

وقد ينطق المسلم بكلمة الكفر لعلية فرح أو غضب أو شحوم، فلا يكفر بما لعدم القصد (٣) كما في قصة الذي قال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) (٤) أخطأ من شدة الفرح. وكالسذي أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: « كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف ففعلوا به، فجمعه الله ثم قال: ما حملك على

١ - رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ٢٢٦٣/٥ برقم ٥٧٥٢ ومسلم أيضا في الأدب ٧٩/١ برقم ٦٠.
٢ - رواه مسلم في الأدب ٧٩/١ برقم ٦١.
٣ - مجموع الفتاوى ٤٠٤/٥ و ٤٩٨/١٢.

العلماء وأهل الورع : من ذلك قول الحافظ الذهبي ^(١) - رحمه الله تعالى :- والكلام في الرجال لا يجوز إلا لتام المعرفة تام الورع. اهـ ^(٢).

وقد بلينا في هذه الأزمان ببعض الجماعات المنطرفة ممن يتطرفون في الحكم على الناس بالبدعة، حتى بلغ الأمر إلى التعميم في التبديع على كل المجتمع، وأن الأصل في غيرهم البدعة حتى يتبينوا في شأنهم . وهؤلاء جهال بالشرعية، جهال بفهم عبارات العلماء في البدع وأهلها، فلا عبرة بقولهم، بل هو هباء لا وزن له.

١ - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله : حافظ ، مؤرخ ، علامة محقق . تركماني الأصل ، من أهل ميافارقين ، مولده ووفاته في دمشق . رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان ، وكف بصره سنة ٧٤١ هـ . تصانيفه كثيرة كثيرة تقارب المئة ، منها " دول الاسلام " ، " المشتهر في الاسماء والانساب ، والكفي والالقباب " و " العباب " في التاريخ ، و " تاريخ الاسلام الكبير " ، و " سير أعلام النبلاء " توفي سنة ٧٤٨ هـ . فوات الوفيات ٢ : ١٨٣ ونكت الهمدان ٢٤١ ودليل تذكرة الحفاظ ٣٤ و ٣٤٧ وطبقات السبكي ٥ : ٢١٦ .

٢ - ميزان الاعتدال ٤٦/٣ .

المبحث الأول
حقيقةُ الولاء والبراء

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

- ❖ المبحث الأول: حقيقة الولاء والبراء.
- ❖ المبحث الثاني: آثار ومظاهر ومخاطر التطرف عند بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة.
- ❖ المبحث الثالث: فتاوى وشبهات لبعض المتطرفين المعاصرين.
- ❖ المبحث الرابع: دور الأعداء في تضخيم ظاهرة التطرف عند المسلمين.

الذي صنعت؟ قال: ما حملني عليه إلا مخالفتك فغفر له» (١)
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذُري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكنه كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك، والتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ بالمعفرة من ذلك) (٢).

هذه الضوابط ونحوها مما بينه العلماء، وفضلوا القول فيه تبين خطأ منهج أهل التكفير، وغلوهم وضلالهم عن منهج سلف الأمة

وبالجملة فإن الواجب مراعاة قواعد الاستدلال؛ برد المشابه إلى الحكم، والمخمس إلى المسين، والجمع بين النصوص، واعتماد تفسير الصحابة رضي الله عنهم وفهمهم للنصوص، فهم قد عاشوا وقت تنزل الوحي، وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين يُقتدى بهم، بهذا يتوصل إلى الحق وتحصل السلامة من الريغ والضلال.

١ - رواه البخاري في الرقاق، باب الخوف من الله ٢٣٧٧/٥ برقم ٦١١٥.

٢ - مجموع الفتاوى ٢٣١/٣.

حقيقة الولاء والبراء

تعريف الولاء والبراء في اللغة:

الوَلِيُّ في اللغة هو القَرْبُ^(١)، هذا هو الأصل الذي ترجع إليه بقية المعاني المشتقة من هذا الأصل.

وأما بَرِيٌّ، فيمعنى: تَنَزَّهَ وتَبَاعَدَ^(٢)، فالتباعدُ من الشيء ومزاييلته هو أحدُ أصْلَيْ معنى هذه الكلمة^(٣)، والأصل الثاني هو: الخَلْقُ، ومنه اسمه تعالى (البارئ)^(٤). ومن الأصل الأول (وهو التباعدُ من الشيء ومزاييلته): البرءُ هو السلامة من المرض، والبراءةُ من العيب والمكروه^(٥).

والبرءُ: مصدر بَرِئْتُ^(٦)، ولأنه مصدر فلا يُجمع ولا يُثنى ولا يؤنث، فتقول: رجلٌ بَرَاءٌ، ورجلان بَرَاءٌ، ورجالٌ بَرَاءٌ، وامرأةٌ بَرَاءٌ^(٧). أمّا إذا قُلْتَ: برئءٌ، تجمع، وتثنى، وتؤنث، فتقول للجمع: بريؤون وبرياء (بكسر الباء)، وللثني بريئان، وللؤنث بريئة وبريئات^(٨).

هذا هو معنى الوَلَاءِ والبراء في اللغة.

- ١ - الضحاح - ولي - (٦ / ٢٥٢٨)، وتذيب اللغة (١٥ / ٤٤٧).
- ٢ - تذيب اللغة (١٥ / ٢٦٩).
- ٣ - مقاييس اللغة (١ / ٢٣٦).
- ٤ - المصدر السابق (١ / ٢٣٦).
- ٥ - المصدر السابق (١ / ٢٣٦).
- ٦ - المقصور والمدود للقراء، ص (٢٦).
- ٧ - المصدر السابق، وتذيب اللغة، (١٥ / ٢٦٩).
- ٨ - تذيب اللغة، (١٥ / ٢٦٩).

أدلة الولاء والبراء

أدلته من الكتاب العزيز

يقول الله تعالى في الولاء: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿^(١)

قال ابن جرير الطبري في تفسيرها: (ليس لكم أيها المؤمنون ناصر إلا الله ورسوله والمؤمنون، الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره، فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تتروا من ولايتهم وهاكم أن تتخذوا منهم أولياء ولا نصراء.. فليسوا لكم أولياء ولا نصراء، بل بعضهم أولياء بعض، ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً)^(٢)...

ثم قال عن الآية الثانية: (وهذا إعلام من الله تعالى ذكره عباده جميعاً الذين تروا من حلف اليهود وخلصوهم، رضاً بولاية الله ورسوله والمؤمنين، والذين تمسكوا بحلفهم وخافوا دوائر السوء تدور عليهم فسارعوا إلى موالاتهم.. بأن من وثق بالله وتولى الله ورسوله والمؤمنين، ومن كان على مثل حاله من أولياء الله من المؤمنين، لهم الغلبة والدوائر والدولة على من عاداهم وحادهم؛ لأنهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون دون حزب الشيطان)^(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٤). قال ابن جرير: (وأما المؤمنون والمؤمنات، وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوامهم)^(٥).

١ - المائدة: ٥٥-٥٦.

٢ - تفسير الطبري، ٦/٢٨٧.

٣ - المرحع السابق، ٦/٢٨٩.

٤ - التوبة: ٧١.

٥ - تفسير الطبري (١١/٥٥٦)، وغوره في الرجز للرازي (١/٤٧٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)

فهذه الآية جاءت في سياق الموقف الصحيح تجاه النزاع والقتال الذي قد يقع بين طائفتين من المؤمنين، فافتتحت الآية بهذا البيان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ أي: فيصح بهم الافتتال فيما بينهم مع أخوة الدين التي جمعهم فيه، لأن الأخوة في الدين تقتضي المودة والراحم والتعاون والتناصر.

وأيضاً يوجب ببقية المؤمنين أن لا يسارعوا إلى الإصلاح بين الطائفتين المقتلتين، ولذلك قال: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾، لأنه جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين اثنين من إخوة النسب تناهضوا في رفعه وإزالته، من شدة إنكارهم له، لنفور الفطر السليمة والطباع القويمة منه.

وفي هذا بيان حقيقة العلاقة بين المؤمنين، وأنها (في أقل تقدير) مساوية لأخوة النسب، بل هي تفوقها (كما تدل عليه النصوص الأخرى).

وأخوة النسب قد ارتكز في فطر الناس جميعاً أن لها حقاً عظيماً من المحبة والتناصر، بين الإخوة. فكذلك يجب أن تكون أخوة الدين، بل أشد.

كما أن قوله: ﴿ إِنَّمَا ﴾ للحصر، أي لا أخوة إلا بين المؤمنين، وأما بين المؤمن والكافر.. فلا (٢)

وأما البراء، فقال تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٣)

قال ابن جرير في تفسيرها (ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظهراً

١ - المحررات: ١٠.

٢ - انظر التفسير الكبير للفخر الرازي (١٣٠/٢٨).

٣ - آل عمران ٢٨.

وأَنْصَاراً، تَوَالُوهُمْ عَلَى دِينِهِمْ^(١)، وتظاهروهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتذلوهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ يعني بذلك: فقد برئ من الله، وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر. ﴿إِلَّا أَنْ تُتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتًا﴾ إلا أن تكونوا في سلطاتهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بالستتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تُشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل^(٢).

أدلته من السنة

أما في الولاية، فيقول صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يُسْلَمُهُ.»^(٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(٦).

وأما في البراء، فيقول صلى الله عليه وسلم، «في حديث جرير بن عبد الله البجلي، عندما جاء لبيابعه على الإسلام، فقال جرير لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا

١ - هذا نص صريح أن الموالاة المحرحة من الملة هي الموالاة على الدين، لا مطلق الموالاة.

وتنبه: أن ابن جرير هنا حل مطلق الموالاة في الآية على الموالاة المطلقة، وهي التي تكون على الدين؛ لأن ظاهر الآية يدل على كفر صاحب هذه الموالاة، فكان لزاماً لمن صحح هذا الظاهر (أي حمل الآية عليه) أن يحمل الموالاة فيها على الموالاة المطلقة التامة، دون مطلق الموالاة.

٢ - تفسير الطبري (٣١٥/٥)، ونحوه مصنفاً بكفر الموالى للكفار كل من الواحدى في السوجيز (٢٠٦/١)، والرحماني في الكشاف (١٨٣/١).

٣ - أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦).

٤ - أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦)، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

٥ - أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢)، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

٦ - أخرجه مسلم برقم (٥٤).

رسول الله، اشترط عليّ، فقال صلى الله عليه وسلم: (أبايعك على أن تعبد الله ولا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتنصح المسلم، وتفارق المشرك وفي رواية: وترأ من الكافر) «^(١).

الاستدلال للولاء والبراء بالإجماع

لا شك أنّ أمراً هذا هو ظهوره في أدلة الكتاب والسنة، اجتمع فيه أن يكون حكماً مقطوعاً به، لكونه قطعي الثبوت والدلالة، مع تضافر الأدلة وتواردها عليه أنه سيكون من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة. ولذلك فإننا لا نحتاج في مثله إلى نص من عالم على الإجماع فيه، بل يكفي أن نستحضر أدلته وحقيقته وعلاقته بأصل الإيمان، لنؤكد أن الولاء والبراء محل إجماع حقيقي بين الأمة. ومع ذلك فقد نُقل الإجماع في ذلك:

فقد قال ابن حزم في (المحلى): (وصحّ أن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (إِنَّمَا هُوَ ظَاهِرُهُ، بأنه كافر من جملة الكفار فقط، وهذا حقٌّ، لا يختلف فيه اثنان من المسلمين) ^(٢).

وأني نشك في صحة هذا الإجماع ^(٣)، وفي أم القرآن: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٤)

١ - أخرجه الإمام أحمد برقم (١٩١٥٣)، والنسائي برقم (٤١٧٥).

٢ - المحلى لابن حزم (١٣٨/١١).

٣ - نعم.. لا نشك أن من تولاهم الولاية المطلقة الكاملة، وهي الولاية على الدين، أنه كافر.

فبجب أن ينته أن ابن حزم هنا لا ينقل الإجماع على أن كل موالاة كفر، وإنما ينقل الإجماع على أن المرتد بالموالاة من جملة الكفار، ولم يبن لنا متى يكون الموالاة مرتداً؟

ومن نظر المسألة الفقهية التي أورد ابن حزم من أهلها هذا الكلام وفي قوله هنا - فقط - ووازن ذلك باحتجاج خصمه عليه بالأية، وقوله لابن حزم (فصح بهذا أن المرتد من الكفار بلا شك، فإذا هو منهم، فحكمه حكمهم) (المحلى ١٣٦/١١) - من نظر في ذلك.. عرف صحة ما قلت.

وأما من احتج بإجماع ابن حزم على أن كل موالاة كفر، وأن هذا عليه الإجماع - فقد أخطأ خطأ بيناً! ولن أقول إنه اعتسف أو حزف، لأن أحسن الظن بمن هو له أهل.

٤ - الفاتحة: ٦.

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(١) ، وقد أجمع
المفسرون أن: المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى^(٢).
فهذا دعاء يدعو به كل مسلم في كل ركعة من ركعات صلاته، فرضاً أو نفلاً،
سائلاً ربه عز وجل أن يسلكه في سبيل المؤمنين: اعتقاداً وقولاً وعملاً، وأن يباعده عن
سبيل اليهود والنصارى ومن شاكلهم.
وهذا أجلى أنواع الولاء والبراء؛ لأنه تضرّع إلى الله تعالى بتحقيقه في قلب وواقع
كل مسلم، يعلمنا الله تعالى إياه، في فاتحة كتابه، وأعظم سورة فيه، ليكون أساساً من
أسس الدين، التي لا بقاء له من دونها.
وإن أمراً بلغ اليقين به هذا الحد، وتعاضدت الأدلة على بيانه أوضح بيان وأجله،
ولم يبق للشاك فيه عذر بعد سماع أدلته = لا يمكن إلا وأن يكون له مكانة عظيمة من
أصل الإيمان.

١ - الفاتحة: ٦-٧.

٢ - نقل الإجماع ابن أبي حاتم والماوردي وأبو الليث السمرقندي والشوكاني وصديقي حسن خان، انظر: (الإجماع
في التفسير) محمد بن عبد العزيز الحظيري (١٣٧-١٣٨).

تعريف الولاء والبراء في الاصطلاح:

بالنظر في أدلة الكتاب والسنة نجد أن معتقد الولاء والبراء يرجع إلى معنيين اثنين بالتحديد، هما: الحبُّ والنُّصرةُ في الولاء، وضدُّهما في البراء. ولا يخفى أن هذين المعنيين من معانيهما في اللغة، كما سبق بيانه.

وعلى هذا فالولاء شرعاً، هو: حُبُّ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، ونُصرةُ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين^(١). والبراء هو: بُغْضُ الطواغيت التي تُعَبِّدُ من دون الله تعالى (من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء)، وبُغْضُ الكفر (بجميع مله) وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كله^(٢).

وبذلك نعلم، أننا عندما نقول: إن ركني الولاء والبراء هما: الحب والنصرة في الولاء، والبغض والعداوة في البراء، فنحن نعني بالنصرة وبالعداوة هنا النصره القلبية والعداوة القلبية، أي نمشي انتصار الإسلام وأهله ونمشي اندحار الكفر وأهله. أمّا النصره العملية والعداوة العمليّة فهما ثمرة لذلك المعتقد، لا بُدَّ من ظهورها على الجوارح، كما سبق.

١ - مفهوم الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة، محمد سرور بن ناصيف العبد الله، ص ٢٣.

٢ - المصدر السابق، ص ٢٤.

توافق (الولاء والبراء) مع سماحة الإسلام

بعد أن بيّنا أدلة عقيدة (الولاء والبراء)، فإنه لا يبقى هناك شك في أنها إحدى أسس الدين الإسلامي العظيم. وهذا يعني أنها لا بُدَّ أن تصطبغ بصيغة الإسلام الكبرى، وهي الوسطية والسماحة والرحمة.

فقد قال الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٤).

فالمعادلة السهلة، والنتيجة القطعية: أن (الولاء والبراء) ما دام أنه من الإسلام، فهو وسطٌ وسَمَحٌ ورحمة. لا يشك في هذه النتيجة مسلم، ولا غير مسلم إذا كان متصفاً.

ومع ذلك فلا بُدَّ من بيان عدم تعارض معتقد (الولاء والبراء) مع مبادئ الوسطية والسماحة والرحمة، وذلك يظهر من خلال النقاط الآتية التي لا تزيد على أن تكون أمثلة لعدم تعارض (الولاء والبراء) مع سماحة الإسلام:

أولاً: لا يُجبر أحدٌ من الكفار الأصليين على الدخول في الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٥).

ثانياً: أن لأهل الذمة التقلُّل في أي البلاد حيث شاؤوا، بلا استثناء، إلا الحرم. ولهم سكنى أي بلد شاؤوا من بلاد الإسلام أو غيرها.

١ - الأنبياء، ١٠٧.

٢ - البقرة، ١٤٣.

٣ - الحج، ٧٨.

٤ - البقرة، ١٨٥.

٥ - البقرة، ٢٥٦.

وهذا كله محل إجماع^(١)، إلا المرور بالحرم ففيه خلاف، الراجح فيه عدم الجواز^(٢).

ثالثاً: حفظ العهد الذي بيننا وبين الكفار، إذا وفواهم بعهدهم ودمتهم. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).
« وعن أبي رافع رضي الله عنه (وكان قبظياً)، قال: بعثني قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لا أحبس بالعهد، ولا أحبس البرد. ولكن أرجع، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن، فارجع). قال: فذهبت، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلمت^(٤).
يقول ابن حزم في (مراتب الإجماع): (واتفقوا أن الوفاء بالعهود التي نص القرآن على جوازها ووجوبها، ودُكرت بصفاتها وأسمائها، ودُكرت في السنة كذلك، وأجمعت الأمة على وجوبها أو جوازها، فإن الوفاء بها فرض، وإعطائها جائز)^(٥).
رابعاً: حرمة دماء أهل الذمة والمعاهدين، إذا وفوا بدمتهم وعهدهم. قال صلى الله عليه وسلم: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن رجعها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»^(٦).
وقال صلى الله عليه وسلم: «أئماً رجل أمين رجلاً على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول كافراً»^(٧).

- ١ - انظر: مراتب الإجماع لابن حزم (١٢٢)، وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم (١٧٥/١-١٩١).
- ٢ - انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم (١٧٥/١-١٩١).
- ٣ - التوبة: ٤.
- ٤ - أخرجه الإمام أحمد برقم (٢٣٨٥٧)، وأبو داود برقم (٢٧٥٢).
- ٥ - مراتب الإجماع لابن حزم (١٢٣).
- ٦ - أخرجه البخاري في الأنبياء، برقم (٣١٦٦).
- ٧ - أخرجه الإمام أحمد برقم (٢١٩٤٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣٢٢/٣-٣٢٣).

خامساً: الوصية بأهل الذمة، وصيانة أعراضهم وأموالهم، وحفظ كرامتهم.
قال صلى الله عليه وسلم: « إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمةً ورحماً »^(١).
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أوصي الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم: أن يُؤتَى لهم بعهدهم، وأن يُقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم)^(٢).
وقد ذكر ابن حزم شروط أهل الذمة، ثم نقل الاتفاق أنهم إذا فعلوا ذلك (فقد حرمت دماء كل من وثى بذلك، وماله، وأهله، وظلمته)^(٣).
سادساً: أن اختلاف الدين لا يلغي حتى ذوي القربى.
قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾^(٤).
« وعن أسماء بنت أبي بكر^(٥) رضي الله عنهما، قالت: قدمت عليّ أمي، وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدتهم. فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، قدمت عليّ أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: صلي أمك »^(٦).

١ - أخرجه مسلم في الأدب بقم (٢٥٤٣).

٢ - أخرجه البخاري في الأدب أيضا بقم (١٣٩٢).

٣ - أخرجه أبو داود بقم (٣٠٤٥).

٤ - لقمان: ١٥.

٥ - أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي نحافة عثمان بن عامر، من قريش: صحابية، من الفضليات. آخر المهاجرين والمهاجرات وفاة. وهي أخت عائشة لابيها، وأم عبد الله بن الزبير. تزوجها الزبير بن العوام فولدت له عدة أبناء بينهم عبد الله. ثم طلقها الزبير فعاشرت بمكة مع ابنها عبد الله، إلى أن قتل. فعميت بعد مقتله وتوفيت بمكة سنة ٧٣ هـ. وهي وإبنتها وأبوها وجدها صحابيون. شهدت اليرموك مع ابنها عبد الله وزوجها. وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر. وجرها مع الحجاج بعد مقتل ابنها عبد الله، مشهور. عاشت مئة سنة وهي محتفظة بعقلها. وسميت (ذات النطاقين) لأنها صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما حسين هاجر إلى المدينة، فلم يجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام. لها ٥٦ حديثا. طبقات ابن سعد ٨:

١٨٢ وحلية الأولياء ٢: ٥٥ وصفة الصفرة ٢: ٣١

٦ - أخرجه البخاري في الأدب بقم (٣٠٤٥) والصلوة رقم ١٠٠٠/٣٦٢٢٠١.

سابعاً: أن البرّ والإحسان والعدْل حقٌّ لكل من لم يقاتل المسلمين أو يظهر على

قتالهم.

بل حتى المقاتل يجوز برُّه والإحسان إليه إذا لم يقوّه ذلك على قتال المسلمين

وأذا هم.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١) ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

وأما العدْل فهو فرضٌ واجب لكل أحد، حتى من يُبغضه بحق، ممن عادانا وقاتلنا

من الكفار.

يقول الله تعالى في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَحْرِمَكُمُ شِتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ مَا أَتَدُلُّوهُمُ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٤).

ولذلك لا يجوز لنا أن نخون من خاننا؛ لأن الخيانة والغدر ليسا من العدل.

قال صلى الله عليه وسلم: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك» (٥).

ولذلك فقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من دُعاء المظلوم ولو كان كافراً، فقال

صلى الله عليه وسلم: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب»

(٥).

١ - المتحة: ٨-٩.

٢ - المائدة: ٨.

٣ - البقرة: ١٩٠.

٤ - أخرجه أبو داود برقم (٣٥٢٩)، والترمذي وحسنه برقم (١٢٦٤).

٥ - أخرجه الإمام أحمد برقم (١٢٥٤٩)، وابن معين في تاريخه برقم (٥٢٨١).

وبذلك يؤكد الإسلام على فرض العدل مع غير المسلمين، بأقوى تأكيد، والعدلُ رأسُ كُلِّ فضيلة.

فبهذه الأخلاق والآداب يُعامل المسلمون غيرَ المسلمين، وهذه الأخلاقُ والآدابُ من دين الإسلام، يأمرهم بها كتابُ ربهمْ وسُنَّةُ نبيهم صلى الله عليه وسلم. وما دامت من دين الله تعالى، فلا يمكن أن تتعارض مع حكم آخر من دين الله تعالى أيضاً، وهو (الولاء والبراء).

مظاهر التطرف في (الولاء والبراء) وبراءته منها

التطرف في (الولاء والبراء)، له وجهان: تطرف إفراط، وتطرف تفریط.
أو قُلْ: تطرُفٌ، وحفاء.

أما مظاهر تطرف الإفراط، فترجع إلى مظهرين بارزين:

المظهر الأول: التكفيرُ بالأعمال الظاهرة التي تخالف موجبات (الولاء والبراء)، بسبب عدم فهم مناسك التكفير في (الولاء والبراء).

أن مناسك التكفير في (الولاء والبراء) هو عمَلُ القلب، فحُبُّ الكافر لكُفْرِهِ، أو تَمَنِّي نصرته دين الكفار على دين المسلمين، هذا هو الكفر في (الولاء والبراء). أما مجرد النصرَة العمليّة للكفار على المسلمين، فهي وحدها لا يُمكن أن يُكْفَرُ بها ؛ لاحتمال أن صاحبها مازال يُحِبُّ دين الإسلام ويتمنّي نصرته، لكن ضَعْفَ إيمانه جعله يُقدِّمُ أمراً دنيويّاً ومصليحة عاجلة على الآخرة.

ودليل هذا التقرير: قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ^(١)، عندما كاتب كفارَ مكة سراً، يخبرهم بعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغزوهم، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فأرسل من أخذ الكتاب ممن خرج ليصل به إلى كفار مكة. ودعا حاطباً، فقال له صلى الله عليه وسلم: (يا حاطب، ما هذا؟!)، قال: لا تعجل علي يا رسول الله! إني كنتُ أمراً مُلصقاً في قريش (وكان حليفاً لهم، ليس من أنفسهم)، وكان ممن معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون أهلهم، فأحببتُ - إذ فاتني ذلك من النسب فيهم - أن أتخذَ فيهم يداً، يحمون بما قرابتي. ولم أفعلهُ كُفْراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق). فقال عمر: دُعِي - يا رسول الله - أضربْ عُنُقَ هذا المنافق؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (إنه قد شهد بدرًا، وما يُدريك.. لعلَّ الله أطلعَ على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم) ^(٢).

١ - حاطب بن أبي بلتعة اللحي: صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الرماة، في الصحابة. وكانت له نجارة واسعة. بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى المقوقس صاحب الاسكندرية. ومات في المدينة سنة ٣٠هـ. وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية. الإصابة ١: ٣٠٠.
٢ - أخرجه البخاري في المغازي والسير، (٢٨٤٥)، ومسلم في فضائل الصحابة، (٢٣٩٤).

وقد صرَّحَ شيخ الإسلام ابن تيمية: أن ما وقع من حاطب بن أبي بلتعة ذنبٌ وليس كُفراً^(١).

فدلُّ هذا الحديث أن النصرة العملية ذنب، لكنها ليست كُفراً وحدها؛ لأن ما وقع من حاطب نُصْرَةٌ (وليس حُتْبًا)، ومع ذلك لم يكن ذلك منه كُفراً؛ لأنه لم يكن عن تَمَنٍّ للنصرة دين الكفار على الإسلام.

ويدل على ذلك أيضاً حديث سهل بن بيضاء^(٢)، وهو أنه كان مسلماً بمكة يُخفي إسلامه، ثم إنه خرج مع المشركين ببدر، ووقع في الأسر. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا ينفلتن منهم أحدٌ إلا بقاء أو ضربه عنق ». فقال ابن مسعود: يا رسول الله، إلا سهل بن بيضاء، فإني قد سمعته يذكر الإسلام فقال صلى الله عليه وسلم بعد سكتة: إلا سهل بن بيضاء^(٣).

المظهر الثاني: التطبيق الخاطيء للبراء من الكفار.

وذلك كاستباحة دماء الذميين أو المعاهدين أو أموالهم، أو معاملتهم بغلظة وعُتْف من دون سبب يُسوِّغُ ذلك؛ إلا ادِّعاء أن هذا هو مقتضى (الولاء والبراء). مع أن الرفق والالطف بهم هو المأمور به، بشرط أن لا يُدَلَّ على عُلوِّ الكافر على المسلم. ولا شك أن تلك الأعمال (من استباحة الدماء والغلظة والعنف) ليست من (الولاء والبراء) في شيء، بل إن (البراء) منها براء!

١ - انظر: شرح حديث جبريل عليه السلام - الإيمان الأوسط - (٤٠٢-٤٠٣)، وجموع الفتاوى (٥٢٢/٧-٥٢٣)، بل إن شيخ الإسلام مع تكفيره للنتار.. قال عن يقاتل المسلمين مع النتار (٥٥٢/٢٨): (وأيضاً لا يقاتل معهم - غير مكروه - إلا فاسق أو متدع أو زنديق...)، فها هو فضل أوصاف المقاتلين معهم، ولم يجعلهم قسماً واحداً، ولم يكفر بمجرد القتال معهم.

٢ - سهل ابن بيضاء، وهي أمه، واسم أبيه وهب بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري، واسم أمه البيضاء دعد بنت الجحدم بن أمية بن ضبة بن الحارث بن فهر، وهو أخو سهيل وصفوان، ابني بيضاء، يعرفون بأهمهم، قاله أبو عمر.

وكان سهل ممن أظهر إسلامه بمكة، وهو الذي مشى إلى نفر الذين قاموا في نقض الصحيفة، التي كتبها مشركو مكة على بني هاشم، حتى نقضوها وأنكروها. وهم: هشام بن عمرو بن ربيعة، والمطعم بن عدي بن نوفل، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وأبو البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي.

٣ - أخرجه الترمذي، في تفسير القرآن، (٣٠٨٤)، والإمام أحمد (٣٨٤/١).

ولقد أُنِيَ متطرفو هذا المظهر من أحد أمرين، يرجعان كلاهما إلى ضعف فقه المسألة في قلوبهم، وهما:

الأول: عدم شمول النظرة إلى أدلة الكتاب والسنة التي مع وضوح عقيدة (الولاء والبراء) فيها، فقد أمرت بآداب وأخلاق يُعاملُ بها غير المسلمين. فيقتصرون على الجانب الأول، مع إغفال أو استشكال الجانب الثاني. فيقودهم ذلك إلى تطبيق خطأ للبراء، لا يُبرِّهُم عليه دينهم؛ لأنهم انطلقوا في تطبيقهم للبراء بغير قيد أو ضابط.

الثاني: عدم مراعاة فقه المصالح والمفاسد، بأن ذرءَ المفسدة مقدّم على جلب المصلحة^(١)، وأنه تُدْفَعُ أشد المسدتين بأخفهما^(٢).

وفقه المصالح والمفاسد بابٌ عظيمٌ جدًّا من أبواب الفقه الإسلامي، بل لقد قامت الشريعة كلها عليه. ولذلك فإن إدراكه، والتطبيق الصحيح له، ليس في قدرة أكثر الناس، وإنما هو بابٌ لا يلجحه إلا العلماء الربانيون الفقهاء في دين الله تعالى.

وعلاقة ضعف هذا الفقه في غلاة هذا المظهر من (البراء) بظهوره منهم: هو أن المسلمين اليوم يعيشون حالة استضعاف، وهم مستهذفون من غيرهم، طمعاً في ثرواتهم وخوفاً من يقطعتهم وعودتهم إلى سابق مجدهم. ولا شك أن لهذه الحالة أحكاماً وأعداراً ليست لحالة عز الإسلام وأهله، فلا يصح أن نطالب المستضعف بما نطالب به العزيز القاهر لعدوه^(٣).

فالغفلة عن هذا الواقع الأسيف، هي سبب الغفلة عن فقه المصالح والمفاسد عند غلاة البراء.

ولتطرّف التفريط مظهران

الأول: مهاجمة عقيدة (الولاء والبراء)، والمطالبة بالغانها، بحجة أنها توصل ثقافة الكراهية للآخرين، وتوجع نار التطرّف والتلوي.

١ - انظر هذه القاعدة الأصولية في كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٨٧.

٢ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعلامة ابن عبد السلام، ٧٣/١.

٣ - السياسة الشرعية في بيان المقاصد الإسلامية، محمد أمين بن سالم الأهدل، ص ١٥١.

وهؤلاء إن قصدوا (الولاء والبراء) الذي ورد في تلك الآيات وهاتيك الأحاديث النبوية، وأجمعت عليه الأمة، وكان من أمور الدين المعلومة منه بالضرورة فلا نخوض معهم في هذه الجزئية أصلاً، وإنما ندعوهم إلى الإسلام أولاً؛ فإذا هم أجابونا إلى ذلك، ودخلوا في الإسلام، فإن قلوبهم حينها ستنطوي على (الولاء والبراء) الشرعي. وليسوا في حاجة إلى أكثر من ذلك، لارتباط (الولاء والبراء) بأصل الإيمان، كما قدمناه.

وإن قصدوا (الولاء والبراء) الخاطيء الذي هو مظهر من مظاهر تطرف الإفراط فيه فليس من الإنصاف أن يُحمل هذا المعتد الصحيح خربة خطأ المخطئين فيه، ولا أن نقابل تطرفهم بتطرف في الطرف الآخر.

الثاني: مهاجمة مظاهر (الولاء والبراء) الشرعية الصحيحة، ومحاولة تذويبها، بإشاعة عادات الكفار وتقاليدهم بين المسلمين^(١).

لقد كان لعقيدة (الولاء والبراء) في نصوص الكتاب والسنة ذلك الحظ الوافر الذي لا يكاد يغلبه وفوراً ووضوحاً إلا نصوص التوحيد! بل إن نصوص التوحيد نفسها هي من نصوص (الولاء والبراء)!! وشرع الله لنا أحكاماً كثيرة، مبنية على النهي عن التشبه بالكفار، بل على الأمر بمخالفتهم، وذلك أيضاً في نصوص وافرة، وصنف العلماء في جمعها وفقها كتباً عديدة، قديماً وحديثاً^(٢).

وما هذه الأحكام الإلهية إلا لغرض ترسيخ (البراء) من الكفار في قلوب المسلمين، وجعله واقعاً عملياً ومعنى حياً في المجتمع المسلم.

حيث إن المعتد إذا لم يكن له واقع في الحياة، فإنه لا يعدو أن يكون أنكاراً خوفاً، وخيالات ليس لها أي ثمرة^(٣).

فطبيق مظاهر (الولاء والبراء) الصحيحة شرعاً لا مناص من التزامه والعمل به، وإلا كنا قد شابهنا اليهود الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

١ - المصدر السابق، ص ١٦٣.

٢ - الإسلام يتحدى، ظفر الدين خان، ص ٣١١.

٣ - المصدر السابق، ص ١٦٣.

فكيف يرضى مسلمٌ لمجتمعه أن يذوب في المجتمعات الأخرى، وأن يتخلع من
حضارته وتاريخه؟ ! هل هذا من صدق الانتماء لأمتنا؟ ! أم أنه دليل العمالة للأعداء؟ !!

معنى الولاء و البراء الذي مرغه أصحاب الفضيلة بالتراب

روى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه على أن « تصنع لكل مسلم، وتبرأ من الكافر »^(١)، وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس قال إن رسول الله ﷺ قال: « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعادة في الله، والحب في الله والبغض في الله »^(٢)، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٣) في الرسائل الشخصية " ولكن أخبروهم أن الحب والبغض، والموالاة والمعادة، لا يصير للرجل دين إلا بما، فلا ينفعهم ترك الشرك، ولا ينفعهم قول (لا إله إلا الله) حتى يبغضوا الله " ^(٤).

١ - مسند الإمام أحمد ٤/٣٥٧.

٢ - المعجم الكبير ١١/٢١٥.

٣ - محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النحدي : زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب . ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز ، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها . وزار الشام . ودخل البصرة فأودى فيها . وعاد إلى نجد ، فسكن (حريملاء) وكان أبوه قاضيها بعد العيينة . ثم انتقل إلى العيينة ، ناهجا منهج السلف الصالح ، داعيا إلى التوحيد الخالص وتبذ البدع وتخطيم ما علق بالاسلام من أوهام . وارتاب أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر إلى دعوته فناصره ، ثم خذله ، ففقد الدرعية (بنجد) سنة ١١٥٧ هـ ، فخلعها أميرها محمد بن سعود بالاكرام ، وقبل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز ، وقاتلوا من خلفه ، واتسع نطاق ملكهم فاستولوا على شرق الجزيرة كله ، ثم كان لهم حانب عظيم مسن اليمن . وملكوا مكة والمدينة وقبائل الحجاز . وقاربوا الشام ببلوغهم (المزريب) . وكانت دعوته ، وقد جهر بها سنة ١١٤٣ هـ) ١٧٣٠ م (الشعلة الاولى لليقظة الحديثة في العالم الاسلامي كله : تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها ، فظهر الألويسي الكبير في بغداد ، وجمال الدين الافغاني بأفغانستان ، وعبد عبيد محضر ، وجمال الدين القاسمي بالشام ، وخير الدين التونسي بتونس ، وصدیق حسن خان في بهوبال ، وأمير علي في كلكتة ، ولعت أسماء آخرين . وعرف من والاه وشد أزره في قلب الجزيرة بأهل التوحيد (إخوان من أطاع الله) وسامم خصومهم بالوهابيين (نسبة إليه) وشاعت التسمية الأخيرة عند الأوربيين فدخلت معجماتهم الحديثة ، وأخطأ بعضهم فجعلها (مذهبا) حديثا في الاسلام ، تبعها لما افتراه خصومه، وكانت وفاته في (الدرعية) سنة ١٢٠٦ هـ وحفدائه اليوم يعرفون ببيت (الشيخ) وهم مقام رفيع عند آل سعود . وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة ، منها (كتاب التوحيد) ورسالة (كشف الشبهات) و (تفسير الفاتحة) و (أصول الإيمان) و (تفسير شهادة أن لا إله إلا الله) و (معرفة العبد ربه ودينه ونبيه) . مجلة الزهراء ٣ : ٤١٧ . وحاضر العالم الاسلامي ، الطبعة الاولى : انظر فهرسته . وأبجد العلوم ٨٧١ وابن بشر ١ : ٦ و ٨٩ وفيه نسبه ، وانه توفي عن نحو ٩٢ سنة . وحلية البشر - ح . وفيه : مولده سنة ١١١١ هـ . والمنقطف ٢٧ : ٢٩٥ .

٤ - الرسائل الشخصية، محمد بن عبد الوهاب، ص ٢٦٧.

معنى الموالاتة: قال الزبيدي "هي المحبة بغض النظر عن درجة هذا الحب ومرتبته، فكل من أحببته وأعطيته ابتداءً من غير مكافأة فقد أوليته، وواليته، والمعنى أي أدبته إلى نفسك" (١).

وتأتي أيضاً بمعنى النصرة، وتأتي كلمة (أولياء) بمعنى الخاصة والبطانة، وأيضاً بمعنى الاتخاذ والتجانس

أما التولي: قال الجوهرى " هو تقديم كامل المحبة والنصرة للمتولى بحيث يكون المتولى مع المتولى كالظل مع الجسم " (٢)

فالتولي بمعنى الاتخاذ والاتباع المطلق، وبمعنى الانقطاع الكامل في نصرة المتبع وتقريبه وتأنيده، وبأني بمعنى الاتباع، وبمعنى التفويض.

وكل تولي موالاتة وليس العكس، والتولي أحص من الموالاتة فكل تولي كفر الموالاتة منها ما هو كفر ومنها ما هو دون ذلك، على اختلاف بين العلماء في التفريق.

ومعنى العداوة: هي الشعور المتمكن في القلب في قصد الإضرار وحب الانتقام (٣). والعدو: ضد الولي، والجمع أعداء وجمع الجمع أعادي، وهو ضد الصديق أيضاً، والعدو، والعداوة، والأعداء، والعدوان، كلها ورد استعمالها في القرآن، وتأت المعادة في أغلب استعمالاتها، ويراد بها البغض والكراهية وحب الانتقام، عكس الموالاتة تماماً، والتي تدل في أغلب استعمالاتها على المحبة والمودة والمتابعة والنصرة والقربة، وبذلك فالموالاتة والمعادة بهذا المعنى المتقدم ضدان لا يجتمعان، فوجود أحدهما ينفي الآخر لزوماً في حق ذات معينة.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب " اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى ﴿لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

١ - (تاج العروس) ٤٠١/١٠.

٢ - (الصحاح) ٢٥٣/٦.

٣ - معجم المصطلحات الفلسفية، مادة (عدا).

رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿١﴾ فَمَا صفة الكفر بالطاغوت، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم " (١).

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب " أبلغوهم أن المعادة ملة إبراهيم الخليل، ونحن مأمورون في متابعتها، قال تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ إلى قوله ﴿ حَتَّىٰ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ (٣).

ثم قال " واذكروا لهم، أن الواجب على الرجل، أن يعلم عياله وأهل بيته، الحب في الله والبغض في الله، والموالة في الله والمعادة في الله، مثل تعليم الوضوء والصلاة، لأنه لا صحة لإسلام المرء، إلا بصحة الصلاة، ولا صحة لإسلامه أيضاً إلا بصحة الموالة والمعادة في الله " (٤).

وسئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (٥) عن معنى لا إله إلا الله وعن معنى الطاغوت الذي أمرنا الله باجتنابه والكفر به فقال " (الإله) هو المألوه الذي تأله القلوب وتحميه، وقد دل صريح القرآن على معنى لا إله إلا الله وأنه المعبود كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمه إِنَّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ ﴾ (٦).

قال المفسرون: هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده، والمعنى، جعل هذه الموالة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية إبراهيم، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم، بعضهم عن بعض، وهي كلمة (لا إله إلا الله) فتبين أن موالة الله بعبادته، والبراءة من كل معبود سواه هو معنى (لا إله إلا الله).

١ - النحل: ٣٦.

٢ - مجموعة التوحيد (ص ٩).

٣ - المنتحة: ٤.

٤ - (الرسائل الشخصية) ص ٢٣٢.

٥ - عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين: فقيه الديار النجدية في عصره. ولد في الروضة (من قرى سدير) ورحل إلى الشام، وعاد، فولى قضاء الطائف، ثم قضاء عيثة وبلدان المقصم سنة ١٢٤٨ هـ. له "مجموعة رسائل وفقاري - ط" توفي سنة ١٢٨٢ هـ. عقد الدرر ١٨ و ٦٠ وهدية العارفين ١: ٤٩١

٦ - الزعرور: ٢٦ - ٢٨.

وعلى ذلك فمن أباح الشرك، أو تولى المشركين، وذبح عنهم أو عادي الموحدين وتبرأ منهم، فهو ممن أسقط حرمة (لا إله إلا الله) ولم يعظمها ولا قام بحققها، ولو زعم أنه مسلم، وأنه من أهلها القائلين بحرمتها " (١) أهد.

وفي رسالة من عبد الرحمن بن حسن و علي بن حسين أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وإبراهيم بن سيف إلى بعض الإخوان قالوا فيها: " إن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ولا يحصل ذلك إلا بالبراءة من الشرك والمشركين باطناً وظاهراً كما ذكر الله عن إمام الحنفاء عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِيَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ (٢).

ومن الأدلة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِيَّيَّي بَرِّئُوا مِمَّا تُشْرِكُونَ ، إِيَّيَّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِيَّيَّي أُبْرِتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧).

١ - (الدرر السنية) ٢/٤٣٣ أو ٩/٣٢٥.

٢ - الزحرف: ٢٦-٢٧.

٣ - الأنعام: ٧٨-٧٩.

٤ - البقرة: ١٣٥.

٥ - آل عمران: ٦٧.

٦ - آل عمران: ٩٥.

٧ - الأنعام: ١٤.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيماً مِثْلَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْحَمْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبَعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤).

وقال: ﴿مُبَيِّنَ إِلَيْهِ وَأَقْوَمَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦).

فتأمل تلك الآيات، ثم انظر كيف أكد الباري جل وعلا على رسالة والمؤمنين بالثني عشرة آية في البراءة من المشركين ومدحهم بتلك الصفة، وهذا كله يدل بلا ريب على أن الله أوجب على المؤمنين البراءة من كل مشرك، وأمر بإظهار العداء، والبغضاء للكفار عامة، وللمحاربين خاصة، وحرم على المؤمنين موالاةهم والركون إليهم.

وهذه البراءة من الكفار، هي حقيقة معني (لا إله إلا الله) ومدلولها، لا مجرد قولها باللسان، من غير نفي لما نفته من صلة بالمشركين، ومن غير إثبات أثبتته من موالاة رب العالمين^(٧).

قال شيخ الإسلام " كفوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ

١ - الأنعام: ١٦٦.

٢ - النحل: ١٢٠.

٣ - النحل: ١٢٣.

٤ - القصص: ٨٧.

٥ - الروم: ٣١.

٦ - يونس: ١٠٥.

٧ - (الدرر السنية) ١٢٨/٢.

كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴿١﴾ فَأَخْبِرْ أَنَّكَ لَا تَجِدُ مُؤْمِنًا يُوَادُّ الْمُخَادِبِينَ لِلَّهِ
ورسوله فإن نفس الإيمان ينافى موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان
انتفى ضده وهو موالاته أعداء الله فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً
على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب، ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿ تَرَى كَثِيرًا
مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ
هُمُ خَالِدُونَ ﴾ (٢) فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف لو
التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَا اتَّخَذُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٣) فدل على أن الإيمان المذكور ينفي
اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من
اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه ومثله قوله تعالى
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (٤) فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمناً (٥).

قال شيخ الإسلام " فإن المؤمنين أولياء الله وبعضهم أولياء بعض والكفار أعداء الله
وأعداء المؤمنين وقد أوجب الموالاته بين المؤمنين وبين أن ذلك من لوازم الإيمان ونهى عن
موالاته الكفار وبين أن ذلك منتفياً في حق المؤمنين " (٦).

يقول ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٧) قال
بجاهد يعني بذلك المنافقين، وقوله ﴿ لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ يعني بذلك موالاتهم
للكافرين وتركهم موالاته المؤمنين التي أعقبتهم نفاقاً في قلوبهم وأسخطت الله عليهم سخطاً
مستمراً إلى يوم القيامة لعادهم ولهذا قال أن سخط الله عليهم وفسر بذلك ما ذمهم به ثم

- ١ - المجادلة: ٢٢.
- ٢ - المائدة: ٨٠.
- ٣ - المائدة: ٨١.
- ٤ - المائدة: ٥١.
- ٥ - (مجموع الفتاوى) ١٧/٧.
- ٦ - (مجموع الفتاوى) ١٩٠/٢٨.
- ٧ - المائدة: ٨٠.

أحبر عنهم أنهم في العذاب خالدون يعني يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(١) أي لو آمنوا حق الإيمان بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا ما ارتكبوه من موالة الكافرين في الباطن ومعاداة المؤمنين بالله والنبي وما أنزل إليه ولكن كثيرا منهم فاسقون أي خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لأيات وحيه وتزييله^(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نُزِّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾^(٣) فهذا النوع من الموالة كان سبباً في ردة أولئك القوم^(٤) .

قلت: وربما يكون بعض الأمر الذي عزموا على طاعتهم به في زماننا هو حرب التطرف والإرهاب المزعوم أو شجب العمليات الإرهابية، والتي وصفت بأنها متطرفة. وقال ابن حزم عن الآية المتقدمة " فجعلهم مرتدين كفاراً بعد علمهم الحق، وبعد أن تبين لهم الهدى بقولهم للكفار ما قالوا فقط، وأحيرنا تعالى أنه يعرف إسرارهم^(٥) . وقال القاسمي عن الآية: " ذلك إشارة إلى ما ذكر من ارتدادهم بأنهم أي لسبب أنهم قالوا أي المنافقون للذين كرهوا ما نزل الله أي لليهود الكارهين لتزول القرآن على رسول الله ﷺ، سنطيعكم في بعض الأمر، أي بعض أموركم أو ما تأمرون به^(٦) . ويقول القرطبي عن هذه الآية: " ﴿وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ مَّا كُنْتُمْ فِئْتَهُ مِنْهُمْ﴾ فإنه أي يعضدهم على المسلمين، ﴿فِئْتَهُ مِنْهُمْ﴾ بين أن حكمه حكمهم، وهو يمنع إثبات الميراث

١ - المائة: ٨١ .

٢ - (تفسير ابن كثير) ٨٥/٢ .

٣ - عمدة: ٢٥-٢٦ .

٤ - (مجموع الفتاوى) ١٩٣/٢٨ .

٥ - (الفصل) ٢٦٢/٣ .

٦ - (تفسير القاسمي) ٥٦/١٥ .

للمسلم من المرتد، وكان الذي تولاهم ابن أبي، ثم هذا الحكم باق إلى يوم القيامة في قطع الموالاة" (١).

ويقول ابن حزم: "صح أن قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار فقط، وهذا لا يختلف فيه اثنان من المسلمين" (٢).

يقول ابن القيم: "إنه سبحانه قد حكم، ولا أحسن من حكمه أن من تول اليهود والنصارى فهو منهم، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم" (٣).

ويقول القاسمي: "﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي جعلتهم وحكمه حكمهم، وإن زعم أنه مخالف لهم في الدين، فهو بدلالة الحال منهم لدلائلها على كمال الموافقة" (٤).

يقول البيضاوي: "قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ وقال ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي اتخاذهم أولياء، ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي من ولايته في شيء يصح أن يسمى ولاية، فإن موالاة المتعادين لا يجتمعان" (٥).

ويقول الشوكاني عن هذه الآية: "﴿لَا يَتَّخِذِ﴾ فيه النهي عن موالاة الكفار لسبب من الأسباب، وقوله ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في محل الحال: أي متجاوزين المؤمنين إلى الكافرين استقلالاً أو اشتراكاً، ومعنى قوله ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي من ولايته في شيء من الأشياء، بل هو منسلخ عنه بكل حال" (٦).

- ١ - (تفسير القرطبي) ٢١٧/٦.
- ٢ - (المغلي) ٣٥/١٣.
- ٣ - (أحكام أهل الذمة) ٦٧/١.
- ٤ - (تفسير القاسمي) ٢٤٠/٦.
- ٥ - نقلاً عن (الدلائل في حكم موالاة أهل الإنشراك) ص ٥٦ و ٣٩.
- ٦ - (تفسير فتح القدير) ٣٣١/١.

قال أبو السعود (١) " يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (٢) وتعلق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية، فإنه في قوة أن يقال لا تطيعوا فريقاً، فإن هذا الفعل جاء مطلقاً فحذف المتعلق المعمول فيه ليفيد التعميم، فالآية الكريمة تحذر أيما تحذير عن طاعة أهل الكتاب فضلاً عن غيرهم من أصناف الكفار في جميع الأحوال وسائر شؤون الحياة " (٣).

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : " يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُم عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٤) أخطر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقتنعون منهم بدون الكفر، وأخطر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرحص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم، وهذا هو الواقع فإنهم لا يقتنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين " (٥).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٦) : " يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ

١ - أبو السعود (٨٩٨ - ٩٨٢ هـ - ١٤٩٣ - ١٥٧٤ م) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، المولى أسير السعود : مفسر شاعر ، من علماء الترك المستعربين . ولد بقرب القسطنطينية ، ودرس ودرس في بلاد متعددة ، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم اهلبي . وأضيف إليه الاثناء سنة ٩٥٢ هـ . وكان حاضر الذهن سريع البديهة : (كتب الجواب مرارا في يوم واحد على ألف رقة) باللغات العربية والفارسية والتركية ، تبعها لما يكتبه السائل . وهو صاحب التفسير المعروف باسمه . توفي سنة ٩٨٢ هـ .

٢ - آل عمران: ١٠٠ .

٣ - (تفسير أبي السعود) ٥٢٣/١ .

٤ - آل عمران: ١٤٩ .

٥ - (الدلائل في حكم موالاته أهل الإشرار) ص ٢٣ .

٦ - محمد الامين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكني الشنقيطي : مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا) . ولد وتعلم بها . وحج (١٣٦٧) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الاسلامية بالمدينة (١٣٨١) ١٥٠٠ عمكة سنة ١٣٩٣ .

أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١﴾ صرح تعالى بأنهم مشركون في طاعة أولئك الكفار، حينما وافقوهم في تحليل أو تحريم " (٢).

ثم قال: " قال ابن كثير: إن من الفساد في الأرض اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ مَرْسَادًا كَبِيرًا ﴾ (٣) فقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .. الآية ﴾ " .

ثم قال: " (فصل) وهاهنا أمور يجب التنبيه عليها، وتعيين الاعتناء بها لئتم لفاعلها مجانبة دين المشركين:

الأمر الأول: ترك اتباع أهوائهم، وقد هيى الله تعالى عن اتباعها، قال تعالى: ﴿ وَكُنْ تَرَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِن أُتْبِعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٤) ، قال شيخ الإسلام فانظر كيف قال في الخبر ﴿ مِلَّتَهُمْ ﴾ وقال في النهي ﴿ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ، لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً، والزرح وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير.

الأمر الثاني: معصيتهم فيما أمروا به فإن الله تعالى هيى عن طاعة الكافرين وأحبر أن المسلمين إن أطاعوهم ردوهم عن الإيمان إلى الكفر والخسارة، فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْهُ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٥) ، وقال تعالى ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ .

الأمر الثالث: ترك الركون إلى الكفرة والظالمين وقد هيى الله عن ذلك فقال ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ فنهى سبحانه وتعالى عن الركون إلى الظلمة وتوعد ذلك بتأسيس من النار وعدم النصر،

١ - الأنعام: ١٢١ .

٢ - أضواء البيان ٨٣/٤ .

٣ - الأنفال: ٧٣ .

٤ - البقرة: ١٢٠ .

٥ - الكهف: ٢٨ .

والشرك أعظم أنواع الظلم، كما قال تعالى ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فمن ركن إلى أهل الشرك أي مال إليهم ورضي بشيء من أعمالهم، فإنه مستحق لأن يعذبه الله بالنار وأن يجذله في الدنيا والآخرة وقال تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ نَبِّئْتَنَّاكَ لَفَظَدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾^(١) فأخبر سبحانه وتعالى أنه لولا تنبيته لرسوله ﷺ لركن إلى المشركين شيئاً قليلاً، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً، ولكن الله ثبته فلم يركن إليهم بل عاداهم وقطع اليد منهم، ولكن إذا كان الخطاب للنبي ﷺ مع عصمته بهذه الشدة فغيره أول بلحق هذا الوعيد به.

الأمر الرابع: ترك موادة أعداء الله، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُوَلِّيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾^(٢)، قال شيخ الإسلام فأخبر سبحانه وتعالى، أنه لا يوجد مؤمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ولا يوجد مؤمن يواد كافراً، فمن وآد كافراً فليس بمؤمن، قلت: فإذا كان الله قد نفى الإيمان عن من وآد أباه وأخاه وعشيرته إذا كانوا محادين لله ورسوله فمن وآد الكفار الأبعدين فهو أولى بأن لا يكون مؤمناً.

وباجمل هذه هي نصوص العلماء في هذه المسألة العظيمة، التي لم أنقل إلا نزرأ يسيراً مما كتبه فيها، ولكني أظن أن بما نقلته كفاية، حتى يعلم الناس في هذا الزمان أنهم أهملوا أصل الولاء والبراء، ولم يرفعوا به رأساً وجهلوا أنه من الدين، حتى وصلنا إلى يقين مفاده لو أن قلوب الناس عمرت بحب الله لما اتسعت لما يناقض محبة الله ومحبة ما يجب ومن يجب، ولكن القلوب أصبحت كالحجارة بل أشد قسوة، فالمخلوقات العظيمة لم تتحمل قول الكافرين فضلاً عن مودتهم وموالاتهم ومناصرتهم والوقوف معهم وتعزيتهم والتأسف لمصائبهم، فعندما قال الكفار بعض الأقوال في حق الله كادت أن تزول وتهتد، قال تعالى ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً، لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، أن دعوا للرحمن ولداً، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾

١ - الإسراء: ٧٤.

٢ - المحادلة: ٢٢.

(١) ، فانظر كيف كادت هذه المخلوقات العظيمة أن تتحول وتزول بسبب مقولة الكافرين الشنيعة على الله، فهم أهل بهت وكفر ميين، قالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (٢) وقالوا ﴿يَذُ اللَّهُ مَقُولَةٌ﴾ (٣) وقالوا ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ أَيْنَ اللَّهُ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (٤) وقالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (٥) وقالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٦) هذا قولهم في حق الله فقط، أما أقوالهم في حق رسول الله ﷺ فكثيرة جداً، وأقوالهم في حق أنبياء الله وصحابة رسوله الكريم لا تعد ولا تحصى.

كل هذه المقولات العظيمة الشنيعة في حق الله التي كادت لأجلها السموات أن ينفطرن وكادت لها الأرض أن تتزلزل وتنشق وكادت لها الجبال أن تنهد، لا زال الكفار من يهود ونصارى وغيرهم يعتقدون ذلك ويرددونه، بل ويرددون من القول ما هو أشد منه وأبشع، ورغم كل هذا تجد من المسلمين من يجهم ويناصرهم ويحزن لجزئهم ويفرح لفرحهم ويقف معهم إذا ألت بهم عقوبة من الله، فأصبحت قلوب المسلمين أشد قسوة من الجبال الصم.

ولو أن القلوب أحبت الله حق الحب، ورضيت بالإسلام حق الرضى، لما أطاق أن تسمع أصوات الكافرين أو تنظر إليهم، فضلاً عن تعزيتهم والتبرع بهم بالدم ومواسقتهم ومساعدتهم ومظاهرتهم ضد المسلمين والوقوف بجانبهم في حربهم ضد الإرهاب (الجهاد)، فإن كل هذه الأفعال لا تصدر إلا عن قلب معرض لا يجب الله ولا يعادي من عادى حبيبه، ولا يعرف معنى لا إله إلا الله ولا يعمل بما، فمن سب الله عندهم كمن مدحه، ومن كفر كمن آمن، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١ - مريم: ٨٨-٩٢.

٢ - آل عمران: ١٨١.

٣ - المائدة: ٦٤.

٤ - التوبة: ٣٠.

٥ - المائدة: ٧٣.

معنى مظاهر الكفار التي جهلها أصحاب الفضيلة

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عد نواقض الإسلام " الثامن مظاهر المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

قال في مختار الصحاح : " الظهير المعين ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (٢) و الظاهر ضد الباطن و ظهر الشيء، تبين وظهر على فلان غلبه وباهما خضع و أظهره الله على عدوه، و أظهر الشيء بينه وأظهر سار في وقت الظهر و المظاهرة المعاونة و التظاهر التعاون و استظهر به استعان به و الظهارة بالكسر ضد البطانة" (٣)

قال صاحب التعاريف : "التأييد من الأيد وهو القوة كأنه يأخذ مع يده في الشيء الذي يقويه به كأخذ قوة المظاهرة من الظهر لأن الظهر موضع قوة الشيء في ذاته واليد موضع قوة تناوله لغيره قاله الحارثي" (٤)

وقال: " التظاهر تكلف المظاهرة وهو تسند القوة كأنه استناد ظهر إلى ظهر " (٥).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً: " اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفاً منهم، ومدارة لهم، ومداهنة لدفع شرهم، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويغضبهم، ويجب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة، واستدعي بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل، وأعانهم عليه بالنصرة والمال، والواهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعد ما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله !، فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وهو الذي يستولي عليه

١ - عقيدة الموحدين ص ٤٥٧. والآية من سورة المائدة: آية ٥١.

٢ - التحريم: ٤.

٣ - مختار الصحاح ١/١٧١.

المشركون فيقولون له اكفر، أو أفعل كذا وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان، وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً أنه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا؟ وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده ^(١).

ثم ذكر واحد وعشرين دليلاً جاء في الثالث عشر قوله: " قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْسُكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءِ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ ^(٢) فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة من الكفار والظالمين موجب لمسيس النار، ولم يفرق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره، فكيف بمن اتخذ الركون إليهم ديناً ورأياً حسناً وأعلمهم بما قدر عليه من مال وأري، وأحب زوال التوحيد وأهله، واستيلاء أهل الشرك عليهم؟ فإن هذا أعظم الكفر والركون"

وقال في الدليل الرابع عشر " قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٣) فحكم تعالى حكماً لا يبدل أن من رجع عن دينه إلى الكفر، فهو كافر، سواء كان له عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل أم لا، وسواء كفر بباطنها أم بظاهرها دون باطنه، وسواء كفر بفعله ومقاله، أو بأحدهما دون الآخر، وسواء كان طامعاً في دنيا يناها من المشركين أم لا فهو كافر على كل حال إلا المكره، وهو في لغتنا: المعضوب، فإذا أكره الإنسان على الكفر وقيل له: اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك، أو أخذته المشركون فضربوه ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم، جاز له موافقتهم في الظاهر، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، أي ثابتاً عليه معتقداً له، فأما إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرهاً.

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه في الصورة الأولى - أي قولهم اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك - لا يكون مكرهاً حتى يعذبه المشركون، فإنه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو

١ - مجموعة التوحيد ١/٣٠٢.

٢ - هود: ١١٣.

٣ - النحل: ١٠٦.

مريض، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فما زال يعتذر ويقول حديث عمار ^(١) وقال الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُمِرَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ^(٢) فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر فقال يحيى: لا يقبل عذاراً.

فلما خرج يحيى قال أحمد يحتج بحديث عمار، وحديث عمار: مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضربوني وأنتم قيل لكم: نريد أن نضربكم، فقال يحيى: والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله تعالى منك.

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر، وإن كانوا يقطعون على الحق ويقولون: ما فعلنا هذا إلا خوفاً، فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم.

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك، أو الجهل بالتوحيد، أو بغض الدين، أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك خطأ من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين وعلى رضا رب العالمين، فقال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٣) فكفرهم تعالى، وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتدرون بمحبة الدنيا، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة هم الذي طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأنهم هم الغافلون، ثم أخبر خيراً مؤكداً محققاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون.

١ - عمار بن ياسر بن عامر الكنازي المدحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان، صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهنم به. هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحداً والخندق وبيعة الرضوان. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقبه "الطيب المطيب". وفي الحديث: ما خير عمار بسين أمسين إلا اختار أرضدهما. وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام (بناه في المدينة وسماه قباء) وولاد عمر الكوفة، فأقام زمنًا وعزله عنها. وشهد الجمل وصفين مع علي. وقتل في الثانية سنة ٣٧هـ، وعمره ثلاث وتسعون سنة. له ٦٢ حديثاً. الاستيعاب، هامش الإصابة ٢: ٤٦٩ والإصابة: ٥٧٠٩ والطبري ٦: ٢١ وحلية الأولياء ١: ١٣٩ والسالمي ١: ٢٣٤ وذيل المذيل ١١ وصفة الصفوة ١: ١٧٥.

٢ - النحل: ١٠٦.

٣ - النحل: ١٠٧.

قال الشيخ حمد بن عتيق ^(١) : بعد أن ذكر حال الأمة في زمانه وتتابع الفتن ودخول المشركين إلى أرض المسلمين قال: " وما ذكره من الافتتان قد رأينا ما هو نظيره، أو أعظم منه في هذه الأزمان، وكذلك انقسم الناس أقسام. أحدها: ناصر لدين الإسلام، وساعٍ في ذلك بكل جهده، وهم القليلون عدداً الأعظمون عند الله أجراً.

القسم الثاني: حاذلاً لأهل الإسلام، تارك لعوتهم.

القسم الثالث: خارج عن شريعة الإسلام بمظاهرة حزب المشركين ومناصحتهم، وقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « من أعان صاحب باطل ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة نبيه » ^(٢). وقال رحمه الله " وأما المسألة الثالثة وهي ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين، وإظهار الطاعة لهم، فاعلم أن إظهار الموافقة للمشركين ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يوافقهم في الظاهر والباطن فينقاد لهم بظاهره، ويميل إليهم ويوادمهم بباطنه، فهذا كافر خارج من الإسلام، سواء كان مكرهاً على ذلك أو لم يكن، وهو ممن قال الله فيه ﴿ وَلَكِنْ مِّنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٣).

الحالة الثانية: أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن مع مخالفته لهم في الظاهر، فهذا كافر أيضاً، ولكن إذا عمل بالإسلام ظاهراً عصم ماله ودمه، وهو المنافق.

الحالة الثالثة: أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن، وهو على وجهين: أحدهما: أن يفعل ذلك لكونه في سلطنتهم مع ضررهم وتقييدهم له، ويهددونه بالقتل، فيقولون له: إما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا، وإلا قتلناك، فإنه والحالة هذه يجوز

١ - حمد بن علي بن محمد بن عتيق: قاض حنبلي من علماء نجد. ولد في بلدة الرليفي. وتفقه في الرياض. وولي قضاء الحلوة ثم قضاء الانلاج إلى أن توفي. له كتب مختصرة مطبوعة، منها (إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد) و (بيان النجاة والفكاك، من مولاة المرتدين وأهل الاشرار) و (الدفاع، عن أهل السنة والاتباع) كلها رسائل في الدعوة إلى التوحيد، توفي سنة ١٣٠١هـ. وتذكرة أولي النهي ١: ٢٥٩ ومشاهير علماء نجد ٢٤٤.

٢ - مجموعة التوحيد ١/٣٢٤.

٣ - النحل: ١٠٦.

له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، كما جرى لعمار حين أنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وكما قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا مِنْهُمْ نِعَاةٌ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(١) فالآيتان دللتا على الحكم كما نبه عن ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران.

الوجه الثاني: أن موافقتهم في الظاهر مع مخالفتهم في الباطن، وهو ليس في سلطانهم، وإنما حمل على ذلك إما طمع في رياسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال، أو خوف مما يحدث في المال، فإنه في هذه الحال يكون مرتداً ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن، وهو ممن قال الله فيهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) فأخبرهم أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بغضه، ولا محبة الباطل، وإنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين.

هذا معنى كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وأما ما يعتقد كثير من الناس عذراً، فإنه تزيين الشيطان وتسويله، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له، ظن أنه يجوز له بذلك إظهار الموافقة للمشركين، والالتقياد لهم، وآخر منهم إذا زين له الشيطان طمعاً دنيوياً، تخيل أنه يجوز له موافقة للمشركين لأجل ذلك، وشبه على الجهال بأنه مكره وقد ذكر العلماء صفة الإكراه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكره، فليس المعتبر في كلمات الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص في غير موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قيد، ولا يكون الكلام إكراهاً، وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنة فلها أن ترجع على أمها لا لقب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراهاً ولفظه في موضع آخر: لأنه

١ - آل عمران: ٢٨.

٢ - النحل: ١٠٧.

أكرهها، ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر، فإن الأسير إن نحشي الكفار أن لا يزوجوه، وأن يحولوا بينه وبين امرأته، لم يبح له التكلم بكلمة الكفر^(١) أهد.

والمقصود منه أن الإكراه على كلمة الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قتل، وأن الكلام لا يكون إكراهاً، وكذلك الخوف من أن يحول الكفار بينه وبين زوجته لا يكون إكراهاً، فإذا علمت ذلك وعرفت ما وقع من كثير من الناس، تبين لك قول النبي ﷺ (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ)^(٢) وقد عاد غريباً وأغرب منه من يعرفه على الحقيقة، وبالله التوفيق " أهد كلامه رحمه الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين، مع كونهم يوصون ويضلون ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلاً للمسلمين؟"^(٣).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : " إن الأدلة على كفر المسلم إذا أشرك بالله أو صار مع المشركين على المسلمين - ولو لم يشرك - أكثر من أن تحصر من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم المعتمدين "^(٤).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في ذكر الأدلة على كفر من والى أهل الإشراك قال: " الدليل السادس قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾^(٥) أي في أي فريق كنتم، أي المسلمين أم في فريق المشركين؟ فاعترفوا عن كسوفهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف، فلم تعذرهم الملائكة، وقالوا لهم: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين وصاروا مع المشركين، وفي فريقهم وجماعتهم هذا مع أن الآية نزلت في أناس من

١ - مجموعة الترجيح ١/٣٦٤.

٢ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في الإيمان ١٣١/١ رقم ١٤٦.

٣ - مجموع الفتاوى ٢٨/٥٣٩.

٤ - الرسائل الشخصية ص ٢٧٢.

٥ - النساء: ٩٧.

أهل مكة أسلموا واحتسبوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم فخرجوا خائفين، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسفوا، وقالوا قتلنا إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام فخلعوا ربقتهم من أعناقهم، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم، ودخولاً في طاعتهم، وآوهم ونصروهم وخذلوا أهل التوحيد، واتبعوا غير سبيلهم وخطوهم وظهر فيهم سبهم وشتمهم وغيبيهم والاستهزاء بهم وتسفيه رأيهم في شأنهم على التوحيد والصبر عليه وعلى الجهاد فيه، وعاونهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً واختياراً لا اضطراراً، فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحاً بالوطن وخوفاً من الكفار وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين" (١).

وجاء في الدرر السنوية: عد فيها أئمة الدعوة النجدية ثلاثة أمور توجب جهاد من اتصف بها منها " الأمر الثالث: مما يوجب الجهاد لمن اتصف به مظاهره المشركين، وإعانتهم على المسلمين بيد أو لسان أو بقلب أو بمال، فهذا كفر مخرج من الإسلام، فمن أعان المشركين على المسلمين، وأمد المشركين من ماله بما يستعينون به على حرب المسلمين اختياراً منه فقد كفر" (٢).

و يقول الشيخ عبد العزيز بن باز (٣) رحمه الله أيضاً: " وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من المساعدة فهو

١ - مجموعة التوحيد ص ٢٣٦.

٢ - الدرر السنوية ٢٩١/٩.

٣ - عبد العزيز بن باز

ولد في المملكة العربية السعودية عام ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م. وحفظ القرآن الكريم في صغره، ثم بدأ في تلقى العلوم الشرعية والعربية على أيدي كبار العلماء والمشايخ المختصين في العلوم الدينية واللغة العربية حتى نال ما نال من معرفة.

وقد أصبح قاضياً في الحرج عشرين عاماً، ثم مدرساً للتوحيد والفقه والحديث في المعهد العلمي، ثم في كلية الشريعة في الرياض، حوالي عشر سنوات، وأصبح نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وفي عام ١٣٩٥ هـ عُين رئيساً عاماً لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة وزير، ثم أصبح مفتياً عاماً للبلاد. وكان في جميع أعماله مثال العالم التقى الذي يسير على نهج السلف الصالحين.

كافر مثلهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١)

ومن الأدلة التي يفتخ بها المظاهر للكنفار ويستدلون بها على أن المظاهرة ليست
كفر مخرج من الملة قصة حاطب في الصحيحين عندما بعث رسالة إلى مشركي مكة
يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ولما وقعت رسالته بيد رسول الله ﷺ قال له: (يا
حاطب ما هذا؟) قال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش يقول
كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون
أهلهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم بدا يحمون قرابي
ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله ﷺ (أما إنه قد
صدقكم) فقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال (إنه قد شهد بدرا
وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)
فأنزل الله السورة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ إلى قوله ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾^(٢).
فهذه القصة وهي أقوى حججهم ليس فيها دليل على عدم كفر المظاهرة، ولكن
أقول:

- وهو رئيس لعدد من الهيئات الإسلامية أو عضو فيها ، وفي طليعة تلك الهيئات: المجلس التأسيسي لرابطة العالم
الإسلامي ، والمجلس الأعلى للمساجد ، والهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة ، والمجلس الاستشاري للدعوة
العالمية للشباب الإسلامي.

ومن أهم خدمات الشيخ عبد العزيز للإسلام وقوفه إلى جانب حركات الجهاد الإسلامي، ومساعدته للفقهاء
بالدعوة الإسلامية ، ودعمه للمشروعات العمرانية في العالم الإسلامي، وقد جعل الكثير من وقته ؛ ليلاً ونهاراً ، هبة
للناس ؛ إفتاء ، وإرشاداً، وحلاً لمشاكلهم الخاصة والعامة ، وبالإضافة إلى ما سبق فإن للشيخ عبد العزيز الكثير من
الأعمال العلمية والفتاوى المنشورة المفيدة في مختلف العلوم الشرعية.

فاز رحمه الله بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

توفي رحمه الله يوم الخميس ١/٢٧/١٤٢٠هـ.

١ - المادة: ٥١.

٢ - الممتحنة: ١.

أولاً: هذه القصة دليل على عدم كفر المتأول لأن حاطباً تأول جواز ذلك وفعله، وقال الرسول ﷺ في حقه وفي حق أهل بدر ما قال دليلاً على أن هذه المعركة كفرت عنه الكفر الذي ارتكبه بالتأويل علماً أن التأويل من موانع التكفير عند أهل السنة والجماعة، وقد أخطأ من قال إن معركة بدر تكفر عن أصحابها الكفر، بل إنها مكفرة للتأويل الفاسد الذي ارتكبه حاطب ﷺ.

وثانياً: لو تنازلنا معهم فإن أشهر الأقوال لأهل العلم في مثل هذه القصة أنهم قالوا إن قول الرسول ﷺ « إن الله قد اطلع على أهل بدر.. » دليل على خصوصية أهل بدر بذلك وليست لأحد بعدهم^(١).

قال الشوكاني: " قوله: (وما يدريك لعل الله.. الخ) هذه بشارة عظيمة لأهل بدر رضوان الله عليهم لم تقع لغيرهم.

وقيل إن صيغة الأمر في قوله اعملوا للتشريف والتكريم فالمراد عدم المؤاخذة بما يصدر منهم بعد ذلك وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت نحو ذنوبهم السالفة وتأهلوا لأن يغفر الله لهم الذنوب اللاحقة إن وقعت أي كل ما عملتموه بعد هذه الواقعة من أي عمل كان فهو مغفور " ^(٢).

ثالثاً: قالوا إن عذر حاطب في عدم كفره بالمظاهرة جاء بوحى من الله لأن النبي ﷺ عندما اعتذر له حاطب ﷺ قال (أما إنه قد صدقكم) فعلم الرسول ﷺ بالوحي عذره وليس ذلك لأحد بعد الرسول ﷺ.

رابعاً: قال العلماء إن عذر حاطب أيضاً في عدم كفره يظهر من رسالته التي بعث بها للمشركين فكانت أشبه بالدعوة لهم وتخويفهم من رسول الله ﷺ والفت في قواهم، ذكر يحيى بن سلام في تفسيره أن لفظ كتاب حاطب للمشركين كان بقوله " أما بعد يا معشر قريش فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأبخر له وعده فانظروا لأنفسكم والسلام " ^(٣).

١ - فتاوى ابن باز (١ / ٢٧٤) .

٢ - نيل الأوطار ٨ / ١٥٤ .

٣ - البداية والنهاية ٤ / ٢٨٤ .

فلاحتجاج بقصة حاطب في جواز المظاهرة باطل وإثم عظيم، فالمظاهرة كفر صريح بين لا خلاف في ذلك، وكيف ترد النصوص الواضحة والأدلة القاطعة من الكتاب والسنة، تمثل تلك القصة التي لم يجمع العلماء بل لم يتفقوا على دلالتها! فالمصير إلى البين الواضح من قول الله ورسوله أوجب.

وبعدما عرفنا معنى المظاهرة ومعنى الولاء والبراء أصبح من الضروري أن نقف لنستطلع فتوى شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي الصادرة في تاريخ ١/ رجب/ ١٤٢٢هـ وتنزله على ما بيناه سابقاً من تأصيل شرعي لمسألة الولاء والبراء، فقد سئل عن دور الأزهر في نصرة المظلوم إلى جانب الفقراء والمعتدى عليهم قال: " إن الاعتداء على الآمنين كما حدث في مركز التجارة العالمية في نيويورك هو الإرهاب والظلم والغدر بعينه " (١). وسئل عن المرحوم المحتمل على أفغانستان قال: " من حق كل دولة أن تدافع في وجه من يعتدي عليها، وأن الإسلام مع المظلوم ويقف ضد العدوان والظلم والإرهاب، فإذا وقع العدوان على أي دولة نقف نحن المسلمين إلى جانب من وقع عليه العدوان، بصرف النظر عن كونه أمريكا أو غيرها " (٢).

وشدد على أن " مرتكب الأعمال المتطرفة الإرهابية والقتل يجب أن يحاسب بعد ثبوت جرمه بالدليل القاطع ".

وليس هذا هو الوحيد الذي أبدى هذا الموقف المخزي بل إن مثله كثير ممن لبسوا بردة المشيخة الزائفة.

حيث تجد من الذين ساروا في ذات الدرب الشيخ صالح اللحيدان وهو رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية حتى اتقى بفتوى وصل فيها التسامح المزعوم ذروته حيث قال في تاريخ ١/ ٧/ ١٤٢٢هـ قال:

" الإحسان إلى الآخرين - أي الأمريكيين - ونصرة المظلوم - أي أمريكا - وقهر الظالم - أي الأفغان - بالحق لا بالظلم من أعظم أسباب تقلص الإجرام "

١ - مجلة صوت الأزهر، عدد ٢٣/ ١١/ ٢٠٠٣م.

٢ - مقابلة مع قناة دريم (٢) المصرية، يوم ١/ ٧/ ٢٠٠٤م.

وقال : " إن مد يد العون للمتكوبين في تلك التفجيرات ابتغاء وجه الله جل وعلا هي من الإحسان إلى بني الإنسان وهي أيضاً من وسائل الدعوة إلى الله وبيان سمو الخلق الإسلامي " وعندما سئل عن شرعية إغاثة المتكوبين في مثل هذه الحوادث بالتبرع بالدم وبذل المساعدات المالية ونحو ذلك؟ قال بعد ذكر حديث « في كل كبد رطبة أجر »^(١) وذكر قول الله ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾^(٢) وأن الأسير كان كافراً قال " فالإعانة على سد رمق الكافر ابتغاء وجه الله جل وعلا هي من الإحسان إلى بني الإنسان وهي أيضاً من وسائل الدعوة إلى الله وبيان سمو الخلق الإسلامي وسمو خلق المسلم الذي يدين الله دين الحق فلا حرج ولا إثم بل الأجر يوفى بإذن الله لمن ينصر مظلوماً ولو كان كافراً " (٣).

والسؤال الذي يفرض نفسه:

لماذا لم يصحح الإحسان ممدوحاً إلا للأمريكيين؟!

وأين الإحسان إلى العراقيين وأنتم تحاصروهم منذ عقد ولا يقصف الأبرياء في العراق إلا من دول جوار إسلامية؟! حتى حصولاً لاحتلال لبلد عربي مسلم أصيل.

ما رأيكم فيمن أراد أن يحسن إلى أبرياء اليهود الذين يقتلون من جراء العمليات الاستشهادية؟ ما الفرق بين أبرياء أمريكا وأبرياء اليهود؟

إذا كانت مساعدة الأمريكي إحساناً؟ فأيضاً مساعدة اليهودي إحساناً؟

وإذا كان قتل الأمريكي إرهاباً وتطرفاً؟ فقتل اليهودي إرهاباً أيضاً، أمريكا دولة حربية كما قدمنا، اليهود محاربون إجماعاً، فلماذا يفرق بينهما إما أن تقولوا ببراءة اليهود وهذا ضلال، أو تقولوا بجرم أمريكا وهذا لستم من أهله.

هذا نزر يسير من الفتاوى الانبساطية التي مرغت معنى الولاء والبراء في الوحل لأجل أمريكا، فسكتوا عن التنديد بالإجرام الروسي في الشيشان وسكتوا عن التنديد بالإجرام الهندي في كشمير، وسكتوا عن الإجرام الأمريكي في العراق وفي أندونيسيا

١ - أخرجه مسلم في باب فضل سائر الهائمات المخترمة وإطعامها (٤/ ١٧٦١).

٢ - الإنسان: ٨.

٣ - مقابلة له علي، القناة الفضائية السعودية الأولى، ١٠/٢٥/٢٠٠٤.

وكوسوفا والبوسنة، وسكتوا عن الإحرام الصيبي في تركستان الشرقية، وسكتوا عن الإحرام الإيراني ضد إخواننا السنة في إيران، وسكتوا عن الإحرام الصهيوني ضد إخواننا في فلسطين وسكتوا عن الإحرام الأترزي ضد المسلمين في أرتريا، وسكتوا عن.. وعن.. ولم ينطقوا إلا بإدانة الإرهاب والتطرف ضد أمريكا، ولم ينطقوا إلا بمساعدة الأبرياء في أمريكا!!!!، وكأنه ليس هناك أبرياء إلا (شقر) أمريكا!!، عجباً لعلمهم! فبالله عليكم ألا تعلمون أيها الفقهاء حكم إعانة الحربيين؟ لا سيما الأمريكيون، إن مهما يحتج به هؤلاء الفقهاء من أدلة عامة باطل الاحتجاج بها، لتكون أعظية لهم ليرضوا بها الصليبيين عنهم، لا تفيد في تغيير الأحكام شيء.

ورحم الله الشيخ عبد الله الأهدل عندما سئل في كتابه السيف البتار على من يوالي الكفار وكان السؤال عن حمل البضاعة أو الطعام إلى بلاد النصارى؟ فقال " وأما أن تكون - أي البلاد - دار إسلام استولى عليها الكفار، ووجب علينا مقاومتهم واستنقاذها من أيديهم، فحامل البضائع والميرة إليهم، عاص لله ورسوله مرتكب لكبيرة، فيزجر عن ذلك فإن لم يترجر عزره الحاكم فمن له ولاية من المسلمين ولو بحيسه، ومنعه عن السير إليها، فإن لم يمتنع جاز رد حمله من الطريق محاصرة للكفار، وهو باق على ملك صاحبه، ولا يجوز قتله بل يدافع عن ذلك بالأحسن الذي لا يؤدي إلى مؤلم ومن يعينه على ذلك فهو شريكه في الإثم سواء كانت إعانته بقول أو فعل لحديث « من أعان ظالماً سلطه الله عليه »^(١)، وحديث « من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله »^(٢)

قلت: فإذا كان هذا الحكم في حق من حمل البضائع ليتاجر في البلاد التي استولى عليها الكفار وأهلها مسلمون، فكيف بمن أراد التبرع بالدم والمال والإعانة المطلقة لدار الحرب؟.

فإن العلة التي حُرِّم من أجلها حمل البضائع إلى الدار التي استولى عليها لكفار هي علة تقويتهم إذ الواجب محاصرتهم واستنقاذ بلاد الإسلام منهم، وهذه العلة - أي تقوية

١ - أخرجه ابن عساکر عن ابن مسعود رضي الله عنه في تاريخ دمشق ٢٦٤/١٨.

٢ - أخرجه الطبراني في الأوسط ٢١١/٢.

الكفار - متوفرة في أمريكا فهؤلاء الفقهاء أرادوا إعانة أمريكا بالتبرع لها بالدم والمال وهي بلاد حرب وفي تقويتها أو التعاطف معها زيادة حرب على الإسلام والمسلمين، لا سيما وقد أعلنوا أنهم سيشتون حرباً صليبية على الإسلام وأهله، فمن باب أولى أن تكون هذه الإعانات تقوية لهم على حربهم، وقد حرم الشيخ معونتهم مستدلاً بأدلة حرمة إعانة الظالم، فكيف يحكم إعانة المحارب لله ولأهل دينه؟.

والتعاون مع الحربي وتقويته حرام بالإجماع قال النووي: "وأما بيع السلاح لأهل الحرب فحرام بالإجماع، ولو باعهم إياه لم ينعقد البيع على المذهب الصحيح، وبه قطع جماهير الأصحاب في الطريقتين" (١).

وقد علل شيخ الإسلام حرمة بيع السلاح بعله الإعانة والتقوية، وهذا متوفر في المعونات التي دعا الفقهاء ليذللها إلى المحاربين الأمريكيين.

وقد قال شيخ الإسلام عندما سئل عن "خياط خاط للنصارى سير حرير فيه صليب ذهب فهل عليه إثم في خياطته؟ وهل تكون أجرته حلالاً أم لا؟.

فأجاب نعم إذا أعان الرجل على معصية الله كان آثماً لأنه أعان على الإثم والعدوان ولهذا لعن النبي ﷺ الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والخمولة إليه وياتعها ومشتريها وساقياها وشارها وأكل ثمنها، وأكثر هؤلاء كالعاصر والحامل والساقى إنما هم يعاونون على شربها ولهذا ينهى عن بيع السلاح لمن يقاتل به قتالاً محرماً كقتال المسلمين والقتال في الفتنة فإذا كان هذا في الإعانة على المعاصي فكيف بالإعانة على الكفر وشعائر الكفر؟" (٢).

والقول الآن: هل تنبه فقهاء الرحمة والرفقة أنهم أعانوا أمريكا على الحرب وإن لم تكن الإعانة مادية فمعنوية فقد عزوهم وشحذوا همتهما وشجبا عدوهم.

وقد قرأت لأحد الجهال الذين يزعمون الفقه إجابة على سؤال سأله أحد الناس، هل يجوز تعزية الكفار بالمصائب التي تصيبهم - والسائل يقصد أمريكا والسؤال بعد العمليات بيوم -.

١ - المجموع ٩/٣٣٥.

٢ - الفتاوى ٢٢/١٤١.

فأجاب نعم يجوز تعزيتهم وعيادتهم إذا مرضوا فإن الرسول ﷺ عاد الغلام اليهودي عندما مرض وكان كافراً.. الخ فنواه.

نقول: إن هذا الفقيه لم يعرف الفرق بين اليهودي المعاهد الداخل تحت حكم رسول الله ﷺ، وبين اليهودي أو الصليبي المحارب، فأنزل النصوص في غير محلها، ولم يحقق المناط في محل الفتوى قبل إنزال النص عليها، ولكن نقول لمثل هؤلاء العلماء: لعلكم من الذين قال عنهم الرسول ﷺ بعدما يقبض أهل العلم ويتزع العلم قال: « فاتخذ الناس رؤوساً جهالاً فأتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »^(١)، وكل الفتاوى التي خرجت علينا في شأن الأحداث هي من هذا النوع وأسوأ فالمفتي لا يعرف الفرق بين المعاهد والسلمي والمؤمن والمحارب، فيزول نصوص هذا على هذا ونصوص هذا على هذا، ويتم خلط الحابل بالنابل ويظن أن كل بيضاء شحمة وكل سوداء فحمة، فإن تسر له معرفة الفرق بين هذه الأصناف لم يعرف الواقع الذي يحقق فيه المناط ليزول الأدلة على محلها^(٢).

الحقيقة التي أراها في عقيدة الولاية والبراء تنحصر فيما يلي:

١- أن تعريف (الولاية والبراء) هو: حُبُّ الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، ودينه، والمسلمين، ونصرتهم؛ وُبُغْضُ الطواغيت التي تُعبد من دون الله والكُفْرِ، والكافرين، وعداوتهم.

٢- أن هذا المعتقد دلت النصوص المستفيضة القطعية عليه من القرآن والسنة، وأجمعت عليه الأمة.

٣- أن (الولاية والبراء) معتقد مرتبط بأصل الإيمان، فلا إيمان بتاتا بغير (ولاية وبراء)، ولا يمكن أن يوجد إسلام أو مسلمون بغيره.

٤- أن (الولاية والبراء) ليس خاصاً بالمسلمين، بل كلُّ أتباع مذهب أو دين، لا بُدَّ أن يكون بينهم ولاء، وأن يكون عندهم براء ممن خالفهم.

٥- أن (الولاية والبراء) فِطْرَةٌ رُكِّبَ عليها البشر كلهم، ولا بُدَّ من بقائه على وجه الأرض، ما دام بين الناس اختلاف عقائد ومناهج.

١ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في الفتن ٤/٢٠٥٨، برقم ٢٦٧٣.

٢ - السيف النثار على من يوالي الكفار، عبد الله الأهدل، ص ٢٨.

- ٦- أن (الولاء والبراء) ما دام من دين الإسلام، فلا بُدَّ أنه مُصْطَبِحٌ بِسماحته ورحمته ووسطيته.
- ٧- أن (الولاء والبراء) لا يُعارضُ حُرِّيَّةَ بقاء الكافر الأصلي على دينه، ولا حُرِّيَّةَ في التنقل في بلاد المسلمين (سوى الحرم)، ولا سكنى بلاد المسلمين بصورة دائمة (سوى جزيرة العرب)، ولا يعارض ما يقرره الدين من حُرْمَةِ دماء أهل الذمَّة والمعاهدين وأموالهم وأعراضهم وكرامتهم، ولا يعارض الوصية بهم، ولا الرفق واللطف في معاملتهم (بشرط أن لا يدل ذلك الرفق واللطف على علو الكافر على المسلم)، ولا يعارض بقاء حق ذري القربى الكافرين، ولا يعارض العدل حتى مع المخارِبين.
- ٨- أن (الولاء والبراء) بناءً على ذلك ليس معتقداً يتجملُ منه المسلمون، بل هو مطلبٌ عادل، لا تخلو أمةٌ تريدُ العزةَ لأنبائها من أن تعتقده وتتبناه منهجاً لها.
- ٩- أن التطرف في (الولاء والبراء) خطأً لا يخصُّ (الولاء والبراء)، ولا يخصُّه عند المسلمين وحدهم. فالتطرف ظاهرةٌ لا يخلو منها مجتمع بشري، على أي دين أو مذهب.
- ١٠- أن غلاة (الولاء والبراء) بين جاني إفراطٍ وتفريط.
- ١١- أن غلاة الإفراط سبب تطرفهم في (الولاء والبراء) عدم فهمهم لمناط التكفير فيه، أو عدم ضبطهم للبراء بالضوابط الشرعية في تعاملهم مع غير المسلمين.
- ١٢- أن غلاة التفريط في (الولاء والبراء) سبب تطرفهم بما انعدام الإيمان في قلوبهم، أو جهلهم بحقيقة (الولاء والبراء) الشرعي الصحيح، أو وقوعهم تحت ضغط المذبذبة النفسية أمام الغرب.
- ١٣- العلماء أحق الناس وأولاهم بتقديس واحترام معنى الولاء والبراء في نفوسهم أولاً؛ ليكونوا القدوة والمثل للعامة.
- ١٤- مخزومية الفتاوى المؤيدة لتدنيس مفهوم الولاء والبراء سبب رئيس للتطرف ضد العلماء وعدم الأخذ بأقوالهم.
- ١٥- أهل الحل والعقد مصطلح ناله العلماء أولاً، فالحل والعقد لتأصيل مفهوم الولاء والبراء في هذا العصر يحتاج إلى علماء لا يخشون في الله لومة لائم.

توصيات

- ١- وجوب ترسيخ معتقد (الولاء والبراء) بين المسلمين على الوجه الأكمل ؛ لأنه بغيره لن يبقى للمسلمين باقية، فهو سياجُ أمَانهم من الذوبان في الأديان والعقائد الأخرى.
- ١- وجوب تفقيه المسلمين بحقيقة (الولاء والبراء)، وأنه لا يُعارضُ آدابَ التعامل بالرفق واللطف (المنضبطين بالضابط الشرعي) مع غير المسلمين.
- ٢- ضرورةُ التأكيد على عدم تعارض (الولاء والبراء) مع سماحة الإسلام ورحمته ووسطيته، ونشرُ ذلك في وسائل الإعلام المختلفة.
- ٣- حتمية مواجهة الغرب بحقيقة (الولاء والبراء) الشرعي، فليس فيه ما يُجحد منه المسلمون، ومجاهتهم بأننا لو لم يكن من عدالة هذا المعتقد عندنا إلا أنهم هم يُواجهونا بولائهم لبعضهم وبراءتهم منا لكفى بذلك عدلاً وإنصافاً.
- ٤- ترسيخ مفهوم أن البراء من الكافرين لا يعني ظلمهم والاعتداء عليهم.

المبحث الثاني
آثار ومظاهر ومخاطر التطرف
عند بعض
الجماعات الإسلامية المعاصرة
{ التكفير }

آثار ومظاهر ومخاطر التطرف

عند بعض

الجماعات الإسلامية المعاصرة

لعلّ أبرز هذه المظاهر والآثار.. ظاهرة التكفير والتي تشمل:

- ١- الكفر البواح.
 - ٢- التكفير بالمعصية.
 - ٣- تكفير المعين دون مراعاة للضوابط الشرعية.
 - ٤- تكفير الحكام الذين لا يحكمون الشريعة بإطلاق.
 - ٥- تكفير الأتباع: المحكومين بغير ما أنزل الله.
 - ٦- تكفير الخارج عن الجماعة المسلمة.
 - ٧- مقاطعة الجمعة والجماعات في المساجد.
 - ٨- الدعوة إلى الأمية وتحريم التعليم.
- وهنالك مجالات أخرى غالية، تبنتها بعض الجماعات المتطرفة من ذلك:
- أ- هجرة المجتمعات إلى الجبال والصحاري.
 - ب- عزلة المجتمعات ومفاصلتها.
 - ج- يعتبرون الفترة التي نعيشها الآن كالعهد المكي.
 - د- ذم التقليد وإنكار الإجماع، وإلزام الناس بالاجتهاد.^(١)

وهذه موضوعات طويلة لا مجال للتفصيل فيها في هذا البحث وأكتفي بالإشارة إليها، ومن شاء التفصيل فعليه أن يرجع إلى المراجع التي نشر إليها في ثنايا البحث. وهذه أبرز مظاهر التطرف والعلو المعاصر، تبنتها جماعات قليلة، نتيجة لأسباب كثيرة تحدثنا عنها فيما سبق.

والواقع كان يمكن معالجة هذه الظاهرة، لولا أنها قمعت بقوة، ومن ثم لولا تسليط وسائل الإعلام المعرضة عليها، بغية تشويه صورتها وتنفير الناس من الصحوة الإسلامية المعتدل منها والمتطرف.

(١) انظر العلو في الدين: عبد الرحمن البرهيني، ص ٣٦٠ حتى ص ٤٠٤ و ص ٤٧٦-٥٢٠.

بل لعل الهدف البعيد لأعداء الإسلام يكمن في محاولة إبعاد المسلمين عن دينهم القسوم.
وإلا فما معنى أن يتهم المصلون بالتطرف بمجرد محافظتهم على الصلاة في المساجد؟
وما معنى أن تحارب المرأة المسلمة، إذا أصرت على حجاجها الشرعي، وتعتبر متطرفة
متشددة؟!؟

نجد ذلك واقعاً مريراً في كثير من ديار المسلمين... فلماذا يترك المستهترون يعيشون في
الاجتماعات العامة الفساد باسم الحرية الشخصية، ولا يتاح للمؤمنين أن يمارسوا شعائرتهم
بحرية، ولا أن يعبروا عن معتقداتهم بوضوح؟!؟

لماذا بغض الطرف عن إقامة اليهود دولتهم على أسس دينية توراتية، ويعتبر ذلك تطرفاً
وأصولية عندما ينادي به شباب المسلمين؟!؟

لقد استغلت بعض وسائل الإعلام المحلية والعالمية بعض مظاهر التطرف عند قلة من أتباع
الجماعات الإسلامية المتطرفة، وصورتهم وكأنهم مجموعة من قطاع الطرق، يجب أن يبادوا
بأي شكل، وأن يحذر العالم كله من إرهابهم.

ومن العدل أن نعالج هذا الأمر بموضوعية، نقول: ما لهم وما عليهم من وجهة النظر
الشرعية، عسى أن نساهم في معالجة ذلك ببدوء بعد إقامة الحجة والله يهدي إلى سواء
السييل.

أولاً - الكفر البواح

- ما مفهوم الكفر البواح: الذي يطلقه العديد من المنتسبين إلى الجماعات الإسلامية إلى بعض الأفراد مبررين بذلك قتلهم واغتياهم، بل ومصادرة أموالهم. لقد ذهب هؤلاء^(١) إلى القول أن الكفر البواح هو الخروج عن أحكام الدين ولو في أمر واحد فقط^(٢).

فقد اعتبر هؤلاء أن كل من خالف أحكام الإسلام ولو في قضية واحدة فهو كافر، وإن صلى وصام وأعلن أنه مسلم!! وهذا الذي توصل إليه هؤلاء المعتضون هو من أعظم الفساد في الأرض لأنه إخراج للمسلمين جميعاً من الإسلام بل إخراج لأنفسهم أيضاً منه لأنه لا يوجد فرد ما حاكما كان أو محكوماً إلا وهو مقصر، أو خارج عن بعض أحكام الدين، وقد يكون هذا ضعفاً أو تقصيراً أو جهلاً أو خوفاً أو غير ذلك.. ولو عرف هؤلاء الآثار المدمرة لفقههم المريض في هذه القضية الخطيرة لربما كفوا عن الكلام في العقائد دون روية وتبصر وتعلموا أيضاً أن دراسة العقائد ومسائل الإيمان من أهم ما ينبغي على المسلمين فعله الآن، فليس كل من حمل بعض الحماس الديني، واستطاع أن ينقل بعض الأحاديث والآيات قد أصبح فقيهاً بها، وهذه أعظم مشكلاتنا في الوقت الحاضر: أنصاف وأرباب المتعلمين الذين يستعجلون الفتوى وخاصة في الأمور العقائدية الخطيرة!^(٣)

والآن أصبح من الضروري أن نحدد بشكل دقيق مفهوم (الكفر البواح) وفق رؤية شرعية منهجية؛ ذلك أن مفهوم (الكفر البواح) الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي يرويه مسلم عن جنادة بن أبي أمية^(٤)، قال دخلنا على عبادة بن

١ - المقصود هؤلاء.. جماعة التكفير والمهجرة، وكذلك جماعة البيان الحق في المغرب العربي، إذ ذهب قائد التكفير والمهجرة إلى القول: (إن الكفر البواح اليوم أصبح السمة الأساسية لعموم الشعوب العربية اليوم).

٢ - كتاب المهجرة، شكري مصطفى، ص ١١٣.

٣ - حقائق عن التطرف، عبد الفهار سيد رفعت، ص ١١٧.

٤ - جنادة بن أبي أمية مالك الأزدي الزهراني: قائد بحري، صحابي. من كبار الغزاة في العصر الأموي. كان قائد غزوات البحر أيام معاوية كلها، وهو ممن شهد فتح مصر. ودخل جزيرة رودس فاتحاً سنة ٥٣ هـ. وتوفي بالشام سنة ٨٠ هـ. الاستيعاب ١: ٢٤٢. وتهديب ابن عساكر ٣: ٤٠٨. وجمهرة الانساب ٣٦٤. (٢) وفيات الاعيان ١: ١١٧.

الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به، سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال: إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان) (١) فالبواح هو الظهور والإعلان وهو ضد الحفاء وبالرغم من أن الإسلام قد أمرنا أن نحكم للمسلم بالإسلام بأي ظاهر يدل على ذلك فإنه قد شدد جدا علينا أن نُخرج مسلما من جماعة المسلمين إلا بيقين مطلق لا يقبل الشك أبدا، فنحن نحكم بالإسلام للشخص إذا رأيناه يعمل أي عمل يدل على الإسلام، كالشهادتين والصلاة، ففي صحيح مسلم عن عتيان بن مالك (٢) أنه قال: (أصابني في بصري بعض الشيء فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أحب أن تاتين فتصلي في منزلي، فأخذته مصلي، قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله من أصحابه فدخل وهو يصلي في منزلي وأصحابه يتحدثون بينهم، ثم أstoodوا عظم ذلك وكبره إلى مالك بن دختهم، (أي أنهم اتهموا هذا الرجل بالنفاق وسوء الأفعال)، قالوا: -أي الصحابة- ودوا أنه دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلك، أو أصابه شر.. فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قالوا: إنه يقول ذلك وما هو في قلبه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه» (٣)، وهذا نص واضح في أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى أصحابه عن الحكم بنفاق رجل ظهرت لهم منه أفعاله القبيحة، مادام أنه يشهد أن لا إله إلا الله.

١ - أخرجه مسلم باب وجوب طاعة الأئمة (١٤٧٠/٣).

٢ - عتيان بن مالك بن عمرو بن العجلان الانصاري الخزرجي السلمي: صحابي، من البدرين. آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عمر. وكان ضعيف البصر ثم عمي. ومات في خلافة معاوية حوالي سنة ٥٠هـ. وبعد في أهل المدينة. له عشرة أحاديث. الاصابة: ت ٥٣٩٨ وقذوب التهذيب ٧: ٩٣.

٣ - أخرجه مسلم في الإيمان (٦١/١).

وكذلك جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا قوما انتظر إلى صلاة الفجر، فإن سمع أذاناً كف عنهم، وإن لم يسمع أذاناً هاجمهم^(١)، وهذا واضح أيضاً أن الحكم بالإسلام يثبت للقوم إذا أعلنوا شريعة من شعائر الإسلام، وهي الأذان، وأنهم يأخذوا بعض حقوق المسلمين، وهي عدم جواز الهجوم عليهم وقتالهم، وكذلك جاء النص القرآني في سورة الفتح الذي يعلن الله فيه أنه صرف المسلمين عن قتال الكفار في غزوة الحديبية لأن بحكمة مسلمين مستترين، قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّوْا رِجَالَ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءَ مُؤْمِنَاتٍ لَمْ يَعْلَمُوهُنَّ أَنْ تَطَّوْرَهُنَّ فَتَصِيبِكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٢)، أي وتنجي هؤلاء المؤمنون وتميزوا وخرجوا عن مكة ولم يبق فيها إلا المشركون الخالص لسلطانكم عليهم.. وهذا إعلان من الله لنا أن المؤمن - ولو كان مستترا أيضا - له كرامة المؤمنين في عدم جواز البطش بقومه، إلا إذا خرج من بين ظهرانيهم، فكيف بالذين يريدون الفتن في بلاد المسلمين، وأن يقتل المسلم أخاه، والحال أن هذه البلاد تقام فيها الصلاة وسائر العبادات؟! والمهم من كل ذلك أن الحكم بالإسلام إنما هو للظاهر، وكف اليد عن المسلم حق له وإن لم يقل لا إله إلا الله إلا تحت السيف كما جاء في الحديث الصحيح عن أسامة بن زيد^(٣)، قال: (يعتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرة فصحبنا القوم فهدمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشينا قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه وطعنته برمح حتى قتلته، فلما قدمنا (إلى المدينة) بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلته، فقال: « يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ » .. قلت: يا رسول الله

١ - أخرجه البخاري في الأذان، باب ما يحق بالإذان من الدماء (٢٢١/١).

٢ - الفتح: ٢٥.

٣ - أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة غزف، أبو محمد: صحابي جليل. ولد بمكة، ونشأ على الإسلام (لأن أباه كان من أول الناس إسلاما) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا جما وينظر إليه نظره إلى سبطه الحسن والحسين. وهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأمره رسول الله، قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفرا موقفا. ولما توفي رسول الله رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن، المرة، وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف، في آخر خلافة معاوية. له في كتب الحديث ١٢٨ حديثا، وفي تاريخ ابن عساکر أن رسول الله ﷺ استعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر. توفي سنة ٥٤هـ. طبقات ابن سعد ٤: ٤٢. وتهديب ابن عساکر ٢: ٣٩١ - ٣٩٩ والإصابة ١: ٢٩.

كان متعودا. قال: هلا شققت عن قلبه! فما زال يكررها حتى تمتيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(١).

وكذلك جاء مثل هذا عن المقداد بن الأسود^(٢) أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: [أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار فاقتلتنا، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله. أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتله، فإن قتله فإنه بمنزلة من قبل أن تقتله، وإنك بمنزلة من قبل أن يقول كلمته التي قال]^(٣) ومعنى هذا أن المسلم يكفر إذا قتل مسلما ومن مات مظلوما بعد أن قال لا إله إلا الله فهو في الجنة.

ومعنى هذا كله، أن الحكم بالإسلام لشخص ما يتحقق إذا أظهر شيئا من الإسلام، وأنه يُحكم له بذلك، ويأخذ أحكام الإسلام من وجوب الكف عن دمه وماله وعرضه، وأنه لا يجوز الحكم بتاتا بأنه منافق، وإن أظهر بعض أعمال المنافقين، لأن النفاق قضية قلبية لا يطلع عليها إلا الله سبحانه.. وأن القرائن التي قد توحي بأن شخصا ما أعلن الإسلام لحاجة في نفسه، أو لمنفعة مادية لرغبة أو رهبة، لا يجوز التعويل عليها مطلقا.

١ - رواد مسلم ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ٩٦/١ برقم ٩٦.

٢ - المقداد بن الأسود: المقداد بن عمرو ، ويعرف بابن الأسود ، الكندي البهراقي الحضرمي ، أبو معبد ، أو أبو عمرو : صحابي ، من الابطال . هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام . وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله . وكان في الجاهلية من سكان حضرموت . واسم أبيه عمرو ابن ثعلبة البهراقي الكندي . ووقع بين المقداد وابن شمر بن حمر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة ، فنباه الأسود بن عسد بغوث الزهري ، فصار يقال له (المقداد بن الأسود) إلى أن نزلت آية (ادعوهم لأبائهم) فعاد يسمى (المقداد بن عمرو) وشهد بدرًا وغيرها . وسكن المدينة . وتوفي على مقربة منها ، فحمل إليها ودفن فيها سنة ٣٣هـ . له ٤٨ حديثا . الاصابة : ت ٨١٨٥ وتذويب ١٠ : ٢٨٥ وصفة الصفوة ١ : ١٦٧ وحلية ١ : ١٧٢ .

٣ - متفق عليه، البخاري باب شهود الملائكة بدرًا ١٤٧٤/٤ برقم ٣٧٩٤ ، ومسلم باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ٩٠/١ برقم ٩٦ .

ثانياً- التكفير بالمعصية^(١)

ابتداء من الحوارج قديماً وحتى جماعة الهجرة والتكفير حديثاً يقولون بهذه الفكرة حيث كانت هذه الزعة من أخطر بدع الحوارج، ومن أشد آرائهم ومعتقداتهم، التي قتلوا من أجلها كثيراً من المسلمين، وأباحوا بسببها إراقة دماء كبار الصحابة رضي الله عنهم. وعند النظر في الواقع المعاصر يتبين لنا أن هناك من يكفر المسلم بسبب وقوعه في المعاصي، ويرى أن كل عاصي كافر.

يقول أحد زعمائهم: (إن كلمة عاصي هي اسم من أسماء الكافر، وتساوي كلمة كافر تماماً، ومرجع ذلك إلى قضية الأسماء، فليس من دين الله أن يسمى المرء في آن واحد مسلماً وكافراً).^(٢)

ويقول هؤلاء: إن مرتكبي الكبائر كفار، وإن صاموا وصلوا وزعموا أنهم مسلمون. ويشرح ابن تيمية رحمه الله هذه الصفة عند الحوارج وأهل البدع فيقول: (إنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار كفر، ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك جمهور الرافضة، وجمهور المعتزلة والجهمية، وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقهاء ومتكلميهم).^(٣)

ويتبين لنا تطرف الذين يكفرون بالمعاصي من النصوص الكثيرة وآراء علماء السلف.

التأصيل الشرعي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٤).

وقد بوّأ الإمام البخاري في صحيحه فقال: (باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا الشرك، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنك امرؤ فيك جاهلية»

(١) انظر الغلو في الدين: ص ٢٦٥-٢٨٨. والحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو: ص ١٥٧-٢٠٠.

(٢) كتاب الهجرة: ماهر بكري، وهو ابن أخت شكري مصطفى، ص ٧٢.

(٣) الفتاوى: لابن تيمية، ٧٣/١٩.

٤ - النساء: ٤٨.

(١) لأحد أصحابه وقد جاء في شرح الطحاوية قول الإمام الطحاوي: (ولا تكفر أحداً من أهل القبلة بدين ما لم يستحله، ولا تقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عملته) (٢) فالاستحلال شرط أساسي لتكفير أهل المعاصي.

وفصل الإمام النووي رحمه الله هذا الأمر فقال:

(اعلم أن مذهب أهل الحق، أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بدين، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم برده وكفره، إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة أو نحوه، فإن استمر بعد أن يُعرَف حكم برده) (٣).

(وإذا قلنا إن أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب وإنما نريد به المعاصي كالزنا وشرب الخمر.

وأما المياني - يعني أركان الإسلام الأربعة بعد الشهادتين - ففي تكفير تاركها نزاع مشهور) (٤).

وطبيعي أن هذا لا يعني التهوين من خطورة الإصرار على المعاصي، إذ أن المعاصي بريد الكفر، ويخشى على صاحبها من سوء الخاتمة.

قال صلى الله عليه وسلم: « إياكم ومحقرات الذنوب، فإنن يجتمعن على الرجل حتى يهلكته » (٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: « إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع صفق قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه » ، وفي رواية حتى تغلسف

(١) رواه البخاري: ١٤/١ كتاب الإيمان، ومسلم: ٢٨٢/٣ كتاب الإيمان، وانظر: فتح الباري، كتاب الإيمان، ج١/٨٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: ص ٣٥٥، طبع مؤسسة الرسالة بيروت، وطبعة المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: ج١، ص ١٥٠.

(٤) الفتاوى: لابن تيمية.

(٥) صحيح الجامع الصغير: حديث رقم (٢٦٨٧).

قلبه، فذلك الران الذي قال الله تعالى فيه ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

إلا أن هذا شيء والحكم على مرتكب المعصية بالكفر شيء آخر^(٢).

١ - المطففين: ١٤.

(٢) أخرجه الترمذي: ٤٣٤/٤، وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه: ١٤١٨/٢، وحسنه الألباني ((الجامع الصحيح: ١٦٦٦)).

ثالثاً- تكفير المعين دون مراعاة للضوابط الشرعية^(١)

إن من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة: التفريق في أمر التكفير بين الإطلاق والتعيين، فالنصوص الواردة بالتكفير لمن عمل أعمالاً معينة مطلقة، قد يلغى حكمها لعدم قيام الشروط وانتفاء الموانع ولا فرق في ذلك بين الأصول والفروع، فإنه وإن كان القول تكذيباً لله وللرسول صلى الله عليه وسلم، لكن قد يكون القائل حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، فمثل هذا لا يكفر بمجرد ما جحدته حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت منها أو عارضها عند معارض آخر أو جب تأويلها وإن كان مخطئاً.^(٢)

فأهل السنة يقولون بالتلازم بين الظاهر والباطن، لكن مع توفر شروط وانتفاء موانع... فهم يعتبرون العمل والنية معاً، ويجعلون التحقق منهما معاً - بضوابط شرعية - شرطاً في الحكم على المعين، ولا يكفي في الحكم على المعين مجرد العمل الظاهر بإطلاق. كما لا يكفي في الحكم عليه مجرد الباطن في حال العلم به - ولا يكون ذلك إلا بوجي من الله وقد انقطع الوحي - بل لا بد مع العمل الظاهر من التحقق من القصد...^(٣)

فهناك حالات أربع لا بد من التفريق بينها وعدم لبس بعضها ببعض:^(٤)

الحالة الأولى: أن يكون القصد مكفراً لكن لا يدل عليه العمل الظاهر: وذلك كأعمال المنافقين التي هي في الظاهر طاعات مع أنهم كفار في الباطن لعدم إخلاصهم لله فيها. ولذلك لم يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم على المنافقين الذين كان يعلم حقيقة أمرهم بالكفر الظاهر.. وكان يعاملهم معاملة المسلمين في أحكام الدنيا من النكاح والإرث وما شابه ذلك.

(١) انظر في هذا الموضوع: الغلو في الدين: ص ٣١١-٣١٢. وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة: عبد الله القرني ص ٢١٠-٢٢٨.

(٢) الفتاوى: لابن تيمية، ج ٣، ص ٢٣١، ج ١٠، ص ٣٧٢.

(٣) وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة: د. عبد الله القرني، ص ٢١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ.

(٤) انظر تفصيلاً هذه الحالات: وضوابط التكفير: القرني، ص ٢١١-٢٢١.

الحالة الثانية: وذلك كَسَبَ الله أو رسوله أو دينه، فإن ذلك كفر ظاهر ولا يمكن أن يصدر عن مؤمن يحب الله ورسوله ودينه: فإن السب بغض وكرهية، ولا يكون إيمان أبداً في قلب من لم يحب الله ورسوله ودينه، ولا ينظر هنا إلى استحلاله أو عدمه، فإن السب كفر بذاته، وهو دال دلالة قطعية على قصد من تلبس به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده. هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل) (١).

وهذا بين بطلان منهج المرجحة (٢) في حقيقة العلاقة بين الظاهر والباطن، إذ يلزمهم أن يكون ما تقدم من سب الله ورسوله ودينه أو داس المصحف احتمال أن يكون مؤمناً. الحالة الثالثة: أن يكون الفعل الظاهر محتملاً للكفر وعدمه: إذ لا يكون قاطعاً في الدلالة على أنه كفر وأمثلة ذلك هي:

فعل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ومكاتبته لقريش بأمر مسير الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين إليهم لفتح مكة، فإنه في عموم موالاة للكافرين، لكن ليس فعله قاطعاً في الدلالة على موالاتهم على دينهم، فكان ما فعله حاطب بعد تبين النبي صلى الله عليه وسلم عن حاله إنما هو معصية وليس بكفر، لذلك كان شهوده بدمراً مكفراً لتلك السيئة. فحكم رسول الله فيه كان بالظاهر لا بأمر باطن، وظاهره ليس كفراً بل معصية تتمثل الكفر، ومثل هذا لا بد فيه من التبين عن حال المعين.

الحالة الرابعة: أن يقوم بالمعنى ما هو كفر قطعاً، لكن يمنع من تكفيره الاحتمال في قصده: إن من لم تبلغه الحججة الرسالية ببعض الأمور قد يكذب بها أو يستحلها فلا يكفر لأنه لم يتحقق فيه الرد للشرعية - فمجرد وصف الفعل أنه تكذيب أو استحلال أو كفر لا يعني

(١) الصارم السلول على شام الرسول: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٥١٧.

٢ - فرقة إسلامية لا تحكم على أحد من المسلمين بشيء، بل يرجعون الحكم إلى الله يوم القيامة، وهم يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة. يقال: إن أول من أسس الإرجاء غيلان الدمشقي، وهناك من يقول: الحسن بن محمد بن الحنفية. الملل والنحل للشهرستاني ص ١٣٩، والفرق الإسلامية ص ٢١٩.

إلحاق وصف الكفر بالمعين، حتى تقوم عليه الحجة فيما خالف فيه، فإن أصر بعد ذلك حكم بكفره لنقضه لمبدأ الالتزام بالشرعية.

ويدل على ذلك ما رواه حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله، فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف ففعلوا به، فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال ما حملني عليه إلا مخافتك فغفر له » (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا دُري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكنه كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك، والتأول من أهل الاجتهاد والحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من ذلك) (٢).

ومما يدخل تحت هذه القاعدة وهي الإعذار بالجهل والتأول فيما لا يعلم، حادثة قدامة بن مظعون رضي الله عنه (٣) عندما شرب الخمر مستحلاً لها لشبهة عرضت له، وهي أن التحريم عام خصصته آية المائدة ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا ﴾ (٤).

واتفق عمر رضي الله عنه والصحابة على أن قدامة وأصحابه إذا اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصرروا على استحلالها قتلوا (٥) وقد جلد قدامة رضي الله عنه. وعلى هذا كان عمل السلف رضوان الله عليهم، في التفريق بين التكفير المطلق، وتكفير المعين. فلم يكفر الإمام أحمد رحمه الله كل من دعا إلى القول بخلق القرآن بعينه، مع قوله إن القول بخلق القرآن كفر.

(١) رواه البخاري: ١٢٦/٨، كتاب الرقائق، باب الخوف من الله.

(٢) الفتاوى: ج٣، ص٢٣١.

٣ - قدامة بن مظعون بن حبيب الجمحي القرشي: صحابي، وال، من مهاجرة الحبشة. شهد بسندرا وأحدنا والحندي وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمله عمر على البحرين، ثم عزله لشربه الخمر، وأقام عليه الحد في المدينة توفي سنة ٣٦هـ. والإصابة: ت ٧٠٩٠ والبلاذري ٨٩.

٤ - المائدة: ٩٢.

(٥) الفتاوى: ج١١، ص٤٠٣.

ولم يكفر الإمام ابن تيمية الذين جادلوه من الجهمية في عصره مع أن قولهم كفر^(١)، وكثير من المنتظرين وقعوا في تكفير أناس بأعيانهم دون نظر ومراعاة للضوابط الشرعية، متناسين أن للمسلم حرمة قال صلى الله عليه وسلم: « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »^(٢).

(وقد جاءت السنة بعدم لعن الفاسق المعين، وإنما جاءت بلعن الأنواع، إذ لعن الله السارق يسرق البيضة، فقطع يده، ولعن الله آكل الربا وموكله، ولعن الخلل والخلل له، ولعن الله الخمر وعاصرها.. وذهب طائفة من الفقهاء إلى جواز لعن المعين...)^(٣).

والأولى من ذلك هو الابتعاد عن تكفير المعين لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، لأن التكفير مزلق خطير، ولا يجوز للمسلم أن يُقَدِّم عليه إلا ببرهان واضح. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾^(٤).

وجاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء به أحدهما »^(٥).

فوظيفة المسلم أن يدعو على بصيرة، وما أمرنا أن نحكم على ما في سرائر الخلق، فمن نطق بالشهادتين يحكم بإسلامه ما لم يقل أو يعمل عملاً يخرج عن دائرة الإسلام. وإن فعل شيئاً من ذلك يحكم بكفره ولا حرج.

(وإن الحكم على الناس بالإسلام أو الكفر ليس هو الذي سيحل القضية، ولا هو السدي سيحل الناس يعبرون موقفهم)^(٦).

فقد نقول عن دولة من الدول كالمند مثلاً أو تركيا أو إسرائيل إنها دولة علمانية كافرة، لكن هل ينطبق ذلك على كل أفرادها وفيهم المسلمون وغيرهم؟!^(٧)

(١) انظر ضوابط التكفير: ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في الإيمان ١/١٨٧، برقم ٣١٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: ج ٢، ص ٥٤.

٤ - النساء: ٩٤.

(٥) البخاري: ٣٢/٨ كتاب الأدب، ومسلم: ٧٩/١ كتاب الإيمان.

(٦) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب، ص ١٨٣.

(٧) التكفير: الدكتور نعمان السامرائي، ص ١٣٥.

وقد يصح أن نصف المجتمع الذي تحكمه شريعة الله، ويعيش تحت مظلة الجاهلية بأنه جاهلي.
لكن لا يصح أن نحكم على أفراده بأعيانهم بالكفر أو الجاهلية.
يجب الاحتياط في مثل هذه المسائل، وأن نفرق بين الدولة والمجتمع والفرد.

رابعاً- تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله بإطلاق

ورد في القرآن الكريم التصريح بأن الحكم بغير ما أنزل الله كفر قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧] وللعلماء آراء في تفسير هذه الآيات.^(١)

والحكم بغير ما أنزل الله منه ما هو كفر عمل، ومنه ما هو كفر اعتقاد يقول ابن أبي العز الحنفي^(٢) مفضلاً أحوال الحاكم:

(إنه إن اعتقد - أي الحاكم - أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، أو أنه محسب فيه أو استهان به، مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله. ثم عدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويسمى كافراً كافراً مجازياً أو كفاً أصغر)^(٣).

وزاد الشيخ محمد بن إبراهيم^(٤) الأمر تفصيلاً، فأوضح أحوال الحاكم وبين مذهب أهل السنة نختصر منه ما يناسب المقام.

قال رحمه الله إن الآية تتناول الكفر بين كفر الاعتقاد وكفر العمل.

(١) النظر في الدين وأبعاده السلبية، رجاء إسماعيل العربي، ص ٢٤١.

٢ - علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق. وامتنح بسبب اعتراضه على فصيحة لابن أبيك الدمشقي. له كتب، منها "التبعية على مشكلات الهابة" فقه، و"النور اللامع فيما يعمل به في الجامع" أي جامع بني أمية، توفي سنة ٧٩٢هـ. الدرر الكامنة ٣: ٨٧ وفي تلويح بنسبته "معداً" ثم قال: "والصواب علي والله أعلم". وهو في هدية العارفين ١: ٧٢٦ "ابن العز" وفي شذرات الذهب ٦: ٣٢٦ "محمد ابن علي".

(٣) شرح الطحاوية: ص ٣٠٢.

٤ - هو الشيخ الإمام المقني، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، فقيه محدث فرضي، ولد سنة ١٣١١هـ، بالرياض، وبها تعلم حتى تصدر للتدريس والإفتاء، فأصبح مفتي الديار السعودية ورئيس قضايتها، له العديد من المؤلفات الهامة والنافعة.

كما أسس جامعتين إسلاميتين وعددا من المعاهد العلمية والشرعية على طول أراضي المملكة السعودية، توفي رحمه الله سنة ١٣٨٩هـ. الأعلام ٦/٥: ٣٠٦.

فأما الأول فهو أنواع: النوع الأول: أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله فهذا جحود لما أنزل الله... ولا نزاع بين أهل العلم أن من جحد أصلاً من أصول الدين، وفرعاً مجعاً عليه.. فإنه كافر الكفر الأكبر الناقل عن الملة. ومن ذلك: أن يعتقد أن حكم غير الله أحسن وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم... وهذا لا ريب أنه كفر.

ومن ذلك إذا اعتقد الحاكم أن حكم القوانين مثل حكم الله، وذلك كمن سبقه في كونه كافر الكفر الناقل عن الملة، ومن ذلك إذا اعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله، ومن ذلك جعل محاكم غير شرعية مراجعها كلها من غير الشرع من القوانين الملققة من شرائع شتى.. فأى كفر فوق هذا الكفر!!

وأما القسم الثاني: كفر العمل وهو الذي لا يخرج من الملة، وذلك أن تحمل الحاكم شبهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ وبجانب الهوى، فهذا وإن لم يخرج عن الملة، فإنه معصية عظيمة أكبر من الكبائر كالربا وشرب الخمر...^(١)

فالحكم بغير ما أنزل الله من أشد الأسباب التي أدت إلى ردة فعل عنيفة، أذانت كل من يخرج عن حكم الشريعة وحكمت بكفره، ثم جاءت أحكام أخرى تالية.. تبعاً لهذه الظاهرة.

إن الدعوة إلى تحكيم شرع الله واجب على كل مسلم، وقد يوب العلماء في قضية الخروج على الحاكم الكافر: لأن إمامته لا تصح ابتداءً. قال ابن المنذر: (أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم أن الكافر لا ولاية له على مسلم بحال).^(٢)

وقال ابن حجر (إنه ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم في ذلك، فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعله الإثم، ومن عجز وجبت عليه الحجرة عمن تلسك الأرض).^(٣)

(١) انظر تحكيم القوانين: للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ص ٤-٧.

(٢) نقلاً عن ابن القيم: أحكام أهل الذمة: ص ٢٣٧.

(٣) فتح الباري: ج ١٣، ص ١٢٣.

إلا أن ذلك يتولاه أهل الحل والعقد، لأن الخروج له خطورته، وقد سبب فتناً كثيرة في تاريخ هذه الأمة.

وعلى ضوء ما تقدم يتبين لنا أن أصحاب التطرف والغلو المعاصر وقمعوا في الخلل في موضعين:

أ- إطلاق القول في تكفير الحكام دون نظر للتفصيل الذي أورده العلماء.
ب- تكفير المعين منهم، دون نظر لما قد يكون عليه من جهل أو إكراه أو إيمان بحكم الله عز وجل، مع وجود بعض الأعداء التي تنقل حكم هذا الفعل من الكفر المخرج عن الملة إلى الكفر غير المخرج عن الملة.^(١)

ويتبين لنا حدود التطرف والغلو في هذه المسألة فيما يأتي:

١- الخارج على الإمام العادل يعتبر متطرفاً.

٢- الخارج على الإمام الكافر لا يعد متطرفاً.

إلا أن يكون وحيداً أو معه آحاد من الناس، فيعترون مشددين على أنفسهم إذ حملوها ما لا تطيق، والخروج هنا ليس تطرفاً من حيث الخروج نفسه، وإنما من جهة كيفيته ووقته، فهو تطرف في منهج العمل.^(٢)

ومما تجدر الإشارة إليه أن الداعين إلى الحاكمية اليوم يصرون على ضرورة تطبيق الحكم الشرعي، بل يقولون بالسيادة المطلقة لحكم الله التي هي من لوازم الإسلام، ومن أول مقتضيات الشهادات.

بينما كان الخوارج لا يرون تحكيم الرجال في دين الله، حتى لو كانوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأياً كان الأمر فإن قضية تكفير الحكام عامة، اتخذت ذريعة من قبل أعداء الإسلام، ليشنوا حملة تحصد شباب الصحوة الإسلامية في كل مكان، دون تمييز بين المعتدل منهم أو الغالي... وإن التركيز على التربية العقديّة هو الأساس، حتى إذا عادت الأمة إلى دينها، وصفت عقيدتها، هانت التكاليف، ونخت المآسي.

(١) الغلو في الدين: ص ٢٩٢.

(٢) المرجع السابق: ص ٤٣٦.

خامساً- تكفير الأتباع المحكومين بغير ما أنزل الله

من التطرف والعلو التكفير دون دليل واضح..

وقد كفر بعضهم: الشعوب المسلمة اليوم بدعوى اتباعها لمن يحكم بغير ما أنزل الله، وطاعتها لهم حتى قالوا: (إن المسلم يرتد كافراً مشركاً متى أطاع من لم يحكم بما أنزل الله واتبعه، والطاعة والاتباع يكونان - حسبما قالوا - بالعمل دون النظر إلى النية والاعتقاد)^(١).

لقد حكم هؤلاء - أي جماعة المحرة والتكفير - بأن عدم الاعتراض الظاهر على من يحكمون غير الشريعة من القوانين الوضعية دليل كاف على الرضا في الباطن، وأنهم بذلك قد شايعوا حكامهم وتابعوهم على إبعاد تحكيم الشريعة. وأن ذلك هو الأصل فيهم حتى يظهر منهم ما يدل على خلافه بعد التبين.

ونتيجة هذا القول فإن من لم يتبين إسلامه، ولم يهاجر في مثل هذه الظروف، يكون كافراً لا ولاية بينه وبين المسلمين.^(٢)

والحقيقة أن الأتباع الذين يحكمون من قبل رؤسائهم بغير ما أنزل الله يختلفون حسب موقفهم ونياتهم من ذلك الحكم. وقد قسمهم العلماء إلى قسمين:

القسم الأول: المطيعون لحكامهم وهم نوعان:

أ- العالمون بأن متبوعهم قد بدلوا دين الله، فمتبعوهم على التبديل، ويعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لهؤلاء المتبوعين، مع علمهم بمخالفتهم للإسلام، فهذا كفر بالله عز وجل وقد جعله الله شركاً.^(٣) قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾^(٤)، وذلك بسبب طاعتهم لهم في الأمر والنهي بغير ما أنزل الله...

(١) الغلو في الدين: ص ٢٩٦.

(٢) ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة: عبدالله بن محمد القرن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ،

ص ٢٦٩، نقلاً عن حسن المضيبي، دعاة لا قضاة، ص ١٥٥-١٥٦.

(٣) انظر: الفتاوى: لابن تيمية، ج ٧، ص ٧٠.

٤ - التوبة: ٣١.

ب- النوع الثاني: المطيعون مع إيمانهم واعتقادهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال، ولكنهم أطاعوه في معصية الله، كما يفعل المسلم عند قيامه بالمعاصي، مع اعتقاده بأنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، فقد ثبت عن رسول الله أنه قال: « إنما الطاعة في المعروف »^(١).

إلا أن مجرد الطاعة في العمل لا يكون ما تكفير، إنما يكون التكفير في الطاعة مع الاعتقاد. يقول أبو بكر بن العربي^(٢): (إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً إذا أطاعه في اعتقاده، الذي هو محل الكفر والإيمان، فإذا أطاعه في الفعل، وعقده مستمر على التوحيد والتصديق، فهو عاصي، فافهموا ذلك في كل موضع)^(٣).

القسم الثاني: هم المنكرون والكارهون، غير الراضين، فهؤلاء غير آئمين بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن أن يكونوا كافرين. قال صلى الله عليه وسلم: « يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع »^(٤). فالإنكار واجب حسب الاستطاعة، وفي الكراهية سلامة، والكفر لا يكون إلا بالرضا والمشايعة والأتباع.

(١) رواد البخاري: ٧٩/٩ كتاب الأحكام، ومسلم: ١٤٦٥/٣ كتاب الإمارة.

٢ - أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الشيبلي المالكي، قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتاباً في الحديث والفقه والاصول والتفسير والادب والتاريخ. رولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها سنة ٤٥٣هـ. وفيات الاعيان ١ : ٤٨٩ ونفع الطب ١ : ٣٤٠ والمغرب في حلى المغرب ١ : ٢٤٩ وقضاة الاندلس ١٠٥.

(٣) أحكام القرآن: أبو بكر محمد عبدالله: ج٢، ص٧٤٣، تحقيق علي محمد البحاري، ط دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٤) رواد مسلم: ١٤٨١/٣، كتاب الإمارة.

سادساً- تكفير الخارج عن الجماعة المسلمة^(١)

لقد أمر الله عز وجل بالاجتماع ونهى عن التفرق والاختلاف:

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾^(٢).

وقد تكاثرت الأحاديث الحاضرة على الجماعة والمخذرة من مفارقتها ومخالفتها ومن ذلك:
- الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة »^(٣).
- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه »^(٤).
والنصوص في لزوم الجماعة كثيرة، وقد تتبع بعض أهل العلم هذه الأحاديث وأقوال السلف في بيان معنى الجماعة وبينوا المقصود بالجماعة.^(٥)
- المقصود بالجماعة:

ويمكن إيجازها على خمسة أقوال:

- ١- إن الجماعة: هي السواد الأعظم من أهل الإسلام.
 - ٢- الجماعة هي: أئمة العلم والمجتهدين.
 - ٣- إن الجماعة: هم الصحابة رضوان الله عليهم على وجه الخصوص.
 - ٤- إنها تعني أهل الإسلام في مقابل الكفار.
- ومداد هذه الأقوال كلها على معنى الاتباع ولذلك فإن الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهاد هم المقصودين.
- ٥- القول الخامس يعني أن الجماعة، هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على الإمام الشرعي.

(١) انظر: الغلو في الدين: ص ١٩٨-٢١٧.

٢ - آل عمران: ١٠٣.

(٣) رواه البخاري (٦/٩) كتاب الديان، ومسلم (١٣٠٢/٣) كتاب القسامة.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤) وأحمد (١٣٠/٤) والحاكم (١١٧/١-١١٨).

(٥) الشاطبي في الاعتصام: ج٢، ص ٢٦٠-٢٦٥. وينظر: ابن حجر في الفتح: ج١٣، ص ٣٧.

(وعليه فإن الجماعة المذكورة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن حصرها في واحدة من الجماعات الإسلامية القائمة الآن والمعروفة بأسمائها وقادتها ونظمها، فاعتبار جماعة من هذه الجماعات هي جماعة المسلمين، واعتبار الخارج منها كافراً، أو مفارقاً للجماعة، كل ذلك تعسف لا مبرر له).^(١)

فالجماعة في العمل الإسلامي تعد وسيلة للدعوة إلى الله عز وجل ولا يضير المسلم أن يختار من هذه الجماعات ما يراها أقرب إلى الحق والصواب.

وقد وقع التطرف في مفهوم الجماعة في العصر الحديث، حيث اعتقد بعض الناس أن جماعتهم هي جماعة المسلمين، وجعلوا كل حديث ورد في النهي عن مفارقة الجماعة منزلاً على جماعتهم الخاصة، ومن ذلك ما يراه الشيخ سعيد حوى رحمه الله من أن جماعته هي أقرب الجماعات على الإطلاق لأن تكون جماعة المسلمين.^(٢)

ومن وقع في التطرف في مفهوم الجماعة ما تدعيه جماعة شكري مصطفى من أنها جماعة المسلمين، بل يسمونها بهذا الاسم، (ويعتقدون أنها جماعة آخر الزمان المحبسة قدرأ، المعلومة عند الله، والمكتوبة في اللوح المحفوظ).^(٣)

ويقول أيضاً: (إذا كنا الجماعة المسلمة، وإذا اتفق على أننا الجماعة المسلمة المعنية في آخر الزمان، والتي ما إن تظهر حتى تظل ظاهرة غالبية لا يضرها من خالفها حتى يقاتل آخرها الدجال أو حتى تقوم الساعة).^(٤)

كما أنهم يعتقدون أن جماعتهم هي جماعة الحق، يقول أحد قادتهم^(٥): (نحن جماعة الحق، ومن عدانا فليس بمسلم).

وقد أفضى بهم هذا التطرف في مفهوم الجماعة إلى قتل من تركوا جماعتهم واعتبارهم مرتدين بهذا الخروج.^(٦)

(١) جعفر شيخ إدريس من مقال له في مجلة المسلم المعاصر، عدد ١٣، ص ٨.

(٢) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين: ص ٢١.

(٣) بنظر: التوسمات: (مخطوط) لشكري مصطفى.

(٤) التوسمات: ص ٣٨.

(٥) هو المكشي بأبي مصعب، بنظر: ذكرياتي مع جماعة المسلمين: ص ٧٤.

(٦) بنظر: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو: ص ٣١٤. وذكرياتي مع جماعة المسلمين: ص ٦٥ وما بعدها.

وفي حوار دار بين عبد الرحمن أبي الخير، ورجل آخر من جماعة شكري مصطفى. قال الآخر:

() فهم لم يصلوا على الشيخ صالح سرية وكارم الأناضولي وهما من جماعة أخرى (تدعى الفنية العسكرية) لأنهما رفضا أن يبايعا الجماعة، ونحن جماعة الحق، ومن عدانا فليس بمسلم، ولا يجوز أن تتعدد الجماعة المسلمة، ولذلك فإن هذه الجماعة تسمى الخارجين عنها مرتدين).^(١)

لقد أخطأ هؤلاء في إنزال الأحاديث التي تتحدث عن جماعة المسلمين على جماعتهم الخاصة، مخالفين إجماع العلماء وإنه حتى الخروج على جماعة المسلمين على الشكل الذي أوردوه لا يعد كفراً.

ومن هنا نخطئ الغلاة والمتطرفون في بدعتهم هذه، ووقعوا في مخالفات لا مبرر لها، وحكموا على المسلمين ما عداهم بالكفر.

(١) ينظر: ذكرياتي مع جماعة المسلمين: عبد الرحمن أبو الخير ص ٩٣-٩٥، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٠هـ.

سابعاً- مقاطعة الجمعة والجماعة في المسجد

يرى بعض أهل التطرف والغلو أن فريضة الجمعة لها شروط إذا توافرت أقيمت الفريضة، وإلا توقفنا عنها حتى تستوفى شروطها، وشروطها في إقامة الجمعة التمكين فلا جمعة في الاستضعاف.^(١)

ولم يسبقهم إلى ذلك عملياً إلا الرافضة، حيث يرون إيقاف إقامتها إلى ما بعد أن يمكن الله لهم في الأرض.

(وقد زعم بعضهم أن المساجد القائمة الآن في الأرض مساجد ضرار باستثناء أربعة مساجد فقط، هي المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد قباء، وعليه فلا يجوز الصلاة في غير هذه المساجد الأربعة)^(٢).

ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات، لا يدعون الجمعة والجماعة، كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم.^(٣)

أما صلاة الجمعة: فقد شددت الأحاديث على ضرورة إقامتها، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليطعن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »^(٤).

وقال: « من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر طبع الله على قلبه »^(٥).

والجمعة فريضة باتفاق الأئمة.^(٦)

أما الإمامة في صلاة الجمعة، فقد اختلف الفقهاء في وجوب تقليدها: (فذهب أبو حنيفة وأهل العراق إلى أن صلاة الجمعة من الولايات الواجبات، وأن صلاة الجمعة لا تصح إلا

(١) التكفير والمحرة وجهاً لوجه: رجب مذكور، ص ١٠٩-٢٠٠، مكتبة الدين القيم، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١٢٣.

(٣) الفتاوى: لابن تيمية ج٣-ص ٢٨٠.

٤ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في الأدب ٥٩١/٢، برقم ٨٦٥.

٥ - أخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ٤٥٠).

(٦) الفتاوى لابن تيمية ج٣-ص ٢٨٠.

بمضور السلطان أو من يستنيه فيها) ، (وذهب الشافعي وفقهاء الحجاز.. أن حضور السلطان ليس بشرط فيها، فإن أقامها المصلون على شرائطها، انعقدت وصحت) .^(١) أما صلاة الجماعة: فهي واجبة عند كثير من العلماء، بل عند أكثر السلف، وهمل هسي شرط في صحة الصلاة على قولين:

أقواهما كما في سنن الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من سمع النداء فلم يجب من غير عذر فلا صلاة له »^(٢) .
وعند طائفة من العلماء أنها واجبة على الكفاية.

(وأحد الأقوال) أنها سنة مؤكدة - ولا نزاع بين العلماء أن من جعل صلاته وحده أفضل من صلاته في جماعة فإنه ضال مبتدع، مخالف لدين المسلمين.
وهذه البدع يذم أصحابها، ويعرف أن الله لا يتقبلها، وإن كان قصدهم العبادة، كما أنه لا يقبل عبادة الرهبان) .^(٣)

وقد يحتج أهل التطرف بأن الصلاة خلف مجهول الحال، وفي دار يعتبرونها دار حرب وكفر لا تصح. بينما يرى العلماء أن (الصلاة خلف المستور جائزة باتساق علماء المسلمين، ومن قال إن الصلاة محرمة أو باطلة خلف من لا يعرف حاله فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان قد شرب الخمر وصلى صلاة الصبح أربعاً، وحده عثمان بن عفان على ذلك) .^(٤)

هذا وإن المبتدعة لا ينظرون إلا من زاوية واحدة، تتسم بضيق الأفق غالباً.
فالمسلم الداعية إلى الله، يتغني الأجر، وما عند الله، ويحافظ على العبادات، كما دعت إليها أحكام الشرع.

(١) الأحكام السلطانية: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، ص ١٣٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢ - سنن الترمذي برقم (٢١٧).

(٣) الفتاوى: لابن تيمية، ج ١١، ص ٦١٥-٦١٦.

(٤) الفتاوى: لابن تيمية، ج ٣، ص ٢٨٠-٢٨١.

فَلَمْ يَضِيعْ مِضَاعِفَةُ الْحَسَنَاتِ بِسَبَبِ تَخَلُّفِهِ عَنِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ؟ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَرْدِ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً » (١).

وقد حثت الأحاديث النبوية على ملازمة الصلوات مع الجماعة، ولم يرخص في التخلف عنها إلا لصاحب عذر، كمرض ونحوه، وما رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعمى في تركها، وما كان يتخلف عن صلاة الجماعة إلا منافق معلوم النفاق.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (من سره أن يلقي الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هـؤلاء الصلوات) ، (ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) (٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم صلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذنوب من الغنم القاصية ») (٣).

وأخيراً إن التمسك بهذه الدعوى - أي ترك الجمعة والجماعات في المساجد - ذريعة لأن يفرح أعداء الدين إذا أغلقت المساجد وهجرت صلاة الجماعة، وعطلت صلاة المسلمين في المساجد. وذلك لأن المسجد مدرسة يخرج منها المؤمنون علماء وتقى وجهاداً. والمساجد منابر فيها تنافح الفرس، ليحاطب الدعوة جمهور المسلمين من فوق منابرها، في الأعياد والجمع.

وهي الوسيلة المثلى من أجل لقاء المصلين مع بعضهم، وحتى يتفقدوا أمورهم، وليتذكروا ويتناصحو.

إن تعطيل الجمعة والجماعة غلو مناف للنصوص الشرعية وأقوال العلماء. وهو مناف لروح الدعوة، وطبيعة هذا الدين. مخالف لما سار عليه جمهور المسلمين عبر تاريخهم الطويل، كما أن هذه البدعة لم تجد آذاناً صاغية من جمهور المسلمين حتى اليوم (٤).

(١) رواد مسلم في الصلاة ٢٦٦/١ برقم (٦٤٩).

(٢) رواد مسلم في الصلاة ٢٧٢/١ برقم (٦٥٤).

(٣) رواد أبو داود بإسناد حسن ٧٧/٢، والنسائي ٦٥٤/٣ وإسناده جيد.

٤ - مناسبة التطرف المعاصر، ولاء عبد الرحمن القيسي، ص ٨٦.

ثامناً- تحريم التعليم والدعوة إلى الأمية^(١)

هي دعوة شاذة لا ريب، وخاصة أننا نعلم مدى حرص الإسلام على طلب العلم فسأل تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم: « طلب العلم فريضة على كل مسلم »^(٣).

فالعلوم الشرعية والعربية محمودة ضرورية، والعلوم التي يحتاجها البشر في أمور حياتهم ليست مذمومة، بل هي محمودة مطلوب من الناس أن يحققوا لأنفسهم الكفاية فيها، إنما تدمر إذا أضرت بالناس وانحرفت عن مقاصدها.

وقد جاءت الشريعة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم بما يدل على مشروعية تعلم العلوم البشرية، من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يستعلم كتاب اليهود (حتى كتب للنبي كتبه، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه)^(٤).

واتخذ صلى الله عليه وسلم الكتاب، منهم الخلفاء الراشدون، كما أمر بعض أسرى قريش يوم بدر أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة فداء لهم من الأسر.^(٥) إلا أن تحريم تعلم العلوم البشرية، هو تحريم لما أحله الله وهو تطرف وغلو في الدين، وقد وقع في هذا بعض المعاصرين.

يقول شكري مصطفى في سياق عرضه لجماعة آخر الزمان: (إن جماعة الحق في آخر الزمان خير أمة سوف تخرج للناس مرة ثانية، سيمنتها وعمومها أمة أمية لأنها تدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: « .. نحن أمة أمية »^(٦) .

وفي كتاب الخلافة يقول: (من كان يظن أن تكاليف بناء المدينة الحديثة لا تتعارض مع تكاليف العبادة، وأنه كان يمكن لعلماء الغرب وبناء المدينة أن يكونوا عباداً لله في نفس

(١) انظر تفصيلاً لهذا الموضوع: الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو: محمد سرور زين العابدين (ص ٢٣٨-٢٥٠)

طبعة دار الأرقم ١٤٠٧هـ، والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة: عبد الرحمن اللويحي ص ٤٤٤-٤٥٧.

٢ - طه: ١١٤.

٣ - أخرجه الطبراني في الأوسط (٨ / ١).

(٤) ذكره البخاري معلقاً (٦٤/٩ الأحكام)، والحافظ في الفتح (١٦١/١٣).

(٥) الغلو في الدين: ص ٤٤٤-٤٤٨ بإجاز.

(٦) التوسمات: ص ١٦.

الوقت، من كان يظن ذلك فليشهد على نفسه أولاً بقلة الحياء، وصفاقة الوجه، ثم يفعل بعد ذلك ما شاء»^(١).

ومما يجدر ذكره أن تحريم الدراسة لم يكن قاصراً على كليات الطب والهندسة واللغات الأجنبية، وإنما كان يشمل الجامعات والمعاهد الإسلامية.. لأنها تدخل ضمن إطار مساجد الضرار، فأستاذتها منافقون بل ومرتدون لأنهم يؤمنون بأن هنالك كفرة لا يخرج عن الملة»^(٢).

ويعتمدون على الحديث: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا» يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين.

ويسرف في الخطأ من يعتقد أن رسول الله دعا في هذا الحديث إلى تكريس الأمية للأسباب التالية:^(٣)

١- بين صلى الله عليه وسلم أننا لا نحتاج في أمر الهلال إلى كتاب ولا حساب، كما كانت تفعل الأمم السابقة، فالشهر يكون تارة تسعة وعشرين، وتارة ثلاثين، والفارق بينهما هي الرؤية فقط، وما تزال الرؤية أفضل من الاعتماد على الكتاب والحساب.

٢- وصف صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الحالة التي كان عليها العرب الذين بعثه الله فيهم، وليس فيه ما يدعو إلى تحريم الكتابة والقراءة.

قال ابن حجر العسقلاني: (المراد - أي الأميون - أهل الإسلام الذين بحضرتهم عند تلك المقالة، وهو محمول على أكثرهم أو المراد نفسه صلى الله عليه وسلم).^(٤)

ولم يكن الصحابة جميعاً أميين، فلقد كان بينهم كتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد ومعاوية.. وكانوا رضي الله عنهم يكتبون السوحي والعهود.. وقد أمر زيد بن ثابت - كما علمنا - أن يتعلم لغة يهود فتعلمها ﷺ في خمسة عشر يوماً.. وفي هذا دليل على ضرورة تعلم اللغات الأجنبية عند الحاجة إلى ذلك.

(١) الخلافة: نقلاً عن الحكم بغير ما أنزل الله محمد سرور زين العابدين ص ٢٣٧.

(٢) الحكم بغير ما أنزل الله: ص ٢٣٨.

(٣) الحكم بغير ما أنزل الله: ص ٢٤١-٢٤٢ بإيجاز.

(٤) فتح الباري: ٥/٢٨ ط الحلبي.

ولم يعد المسلمون أميين بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقد فقه أصحابه في دين الله، وعلمهم الكتاب والحكمة، فكانوا خير أمة أخرجت للناس..
ولو دعت هذه الجماعة - الجماعة الإسلامية - إلى إعادة النظر في مناهج التعليم التي وضع أسسها أعداء الإسلام، أو لو قالوا: إن القائمين على معظم الجامعات في عالمنا الإسلامي، حرصوا على إبعاد علوم الشريعة الإسلامية من المناهج المقررة في الكليات العلمية، ودراسة اللغات الأجنبية، لقلنا إن هذا الكلام لاشك فيه.
أما أن يقولوا بحزمة الدراسة في مختلف الجامعات والمعاهد العلمية، وأن الدارسين فيها كفرة باعوا آخراهم بدنياهم، فهذا مناف للعقول، وإنه لمن المؤكد أن اليهود والنصارى سيقصون طرباً لهذه الخرافات، وأن أعداء الإسلام سوف يجدون في انتشار مثل هذه الأفكار آمالاً عريضة طالما عملوا لها خلال قرون، وأية خدمة أكبر ممن إبعثنا شباب الإسلام عن المدارس والجامعات ونشر روح التخلف والامية بينهم؟^(١)

(١) الحكم بغير ما أنزل الله: ص ١٤١، ص ٢٥٠.

المبحث الثالث
فتاوى وشبهات
لبعض المتطرفين المعاصرين

فتاوى وشبهات لبعض المتطرفين المعاصرين

انطلاقاً من أهمية مواصلة البحث عن مجالات التطرف عند المتطرفين بشكل عام أحييت أن أدون في هذا المبحث بعض الشبهات التي تناولها المتطرفون مع غير المسلمين متمسكين بنصوص ظاهرة تدعّم أفكارهم، ولقد وجدت العديد من الفتاوى في هذا الميدان، ولكن الاختصار أوجب في هذا المقام، فجاء البحث لمناقشة شيئين اثنين هما:

أ - شبهة إخراج المشركين من جزيرة العرب.

ب - مسألة التترس.



أولاً - شبهة إخراج المشركين من جزيرة العرب

وهي الشبهة التي تمسك بها أصحاب التطرف والعلو، كما جاء على لسان شكري مصطفى إذ يقول: (إن إخراج المشركين اليوم جزيرة العرب دين في الرقاب واجب وفساذه والسعي له تطبيقاً لشرعية الإسلام، فأخراج المشركين من جزيرة العرب عبادة تقترب لها إلى الله، وأيا كان طريق إخراجهم، فالواجب إخراجهم، حتى لو كان قتلاً أو تمثيلاً^(١))
والتي تنادي بإخراج المشركين عموماً من جزيرة العرب، بل والسعي إلى قتلهم، وصولاً حتى التمثيل بهم، مستدلين بحديث النبي ﷺ: « أخرجوا المشركين من أرض العرب »^(٢).
الرد الفقهي على هذه الشبهة:

أنواع الكفار في الإسلام وأحكامهم:

الكفار على أربعة أقسام:

ذميون، ومعاهدون، ومستأمنون، وحرييون وتعريفهم هو:

الذمي: هو من أقام بدار الإسلام إقامة دائمة بأمان مؤبد.

والعهد: هو عقد بين المسلمين وأهل الحرب على ترك القتال مدّة معلومة. فالمعاهد: هو من أهل البلد المتعاقد معهم.

وأهل الحرب: هم أهل بلاد الكفر التي لم يجر بينهم وبين المسلمين عهد وأما المستأمن: فهو الحربي الذي يدخل دار الإسلام بأمان مؤقت لأمر يقتضيه^(٣). فالفرق بين الحربي والمعاهد أن الحربي ليس بينه وبين المسلمين عهد ولا صلح، بخلاف المعاهد والفرق بين الذمي والمستأمن أن الذمي هو من يقيم إقامة دائمة بأمان مؤبد، أما المستأمن فحربي دخل بلاد الإسلام لغرض متى انتهى ذلك الغرض خرج لبلده والمعاهد والذمي والمستأمن جميعهم معصوم الدم، لا يجوز الاعتداء عليهم ولا التعرض لهم قال تعالى: ﴿ فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾^(٤)
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة

١ - التوسعات، ص ١٩٣.

٢ - أخرجه البخاري، في الجهاد، باب جوائز الوعد (١١١١/٣)، ومسلم في الجهاد أيضاً باب ترك التوسعة لمن ليس له شيء، بوضي فيه (١٢٥٨/٣).

٣ - المدع ٣/٣١٣، ٣٩٨ كشف القناع ٣/١٠٠.

٤ - التوبة: ٤.

وإن ربحها توجد من مسيرة أربعين عاماً» (١).

ثم أن الكفر ليس موجباً للقتل بكل حال؛ لأدلة كثيرة:

١/ قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢)

٢/ ما شرع من تخيير الكفار بين الإسلام وبذل الجزية والقتال.

٣/ النهي عن قتل من لا شأن له بالقتال، كالنساء والصبيان وكبار السن والمستقطعين للعبادة الذين لا يشاركون المقاتلين بالفعل أو الرأي.

أما الاستدلال بحديث: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) فالإجابة عنه من

وجوه:

الوجه الأول

هذا الحديث لا يدل على جواز قتل من في جزيرة العرب من اليهود والنصارى والمشركين البتة، لا بدلالة منطوقه ولا بدلالة مفهومه ولا يدل كذلك على انتقاض عهد من دخل جزيرة العرب من اليهود والنصارى لجرد الدخول، ولم نجد من قال بذلك من أهل العلم رعاية ما فيه: الأمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وهو أمر موكول إلى إمام المسلمين، ولو كان فاجراً

ولا يلزم من الأمر بإخراجهم إباحتهم قتلهم إذا بقوا فيها، فهم قد دخلوها بعهد وأمان، حتى على فرض بطلان العهد؛ لأجل الأمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، فإن الكافر الحربي لو دخل بلاد المسلمين وهو يظن أنه مستأمن بأمان أو عهد لم يجز قتله حتى يبلغ مأمنه أو يُعلمه الإمام أو نائبه بأنه لا أمان له.

حكى العلماء في الفقه أنه إذا أشير إلى الحربي بشيء غير الأمان فظنه أماناً، فهو أمان، وكل شيء يراه العدو من الكفار أنه أمان فهو أمان، ومن ذلك إذا اشتراه ليقته فلا يقتله؛ لأنه إذا اشتراه فقد أمّنه، قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله:

١ - سبق تخرجه ص ٣٨٠.

٢ - البقرة: ٢٥٦.

فهذا يقتضي انعقاده بما يعتقد، وإن لم يقصده المسلم، ولا صدر منه ما يدل عليه" (١)
كما أن الأمان يجوز من الإمام الأعظم للكفار، ومن سائر المسلمين لأحاديث الكفار،
"ويصح الأمان من مسلم عاقل مختار غير سكران ولو قنا -أي عبداً- أو أنثى بلا ضرورة من
إمام لجميع المشركين ومن أمير لأهل بلدة ومن كل أحد لقافلة وحصن صغيرين" (٢) فيصح
الأمان لهؤلاء الكفار من الإمام ومن سائر المسلمين.

الوجه الثاني

لا يُسَلَّم بقول من قال بأن هؤلاء لا عهد لهم ولا أمان ولا ذمة فقد قال الشافعي رحمه
الله: (فرض الله عز وجل قتال غير أهل الكتاب حتى يسلموا، وأهل الكتاب حتى يعطوا الجزية،
وقال تعالى: ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسُعْيَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (٣) فهذا
فرض الله على المسلمين ما أطلقوه، ولا بأس أن يكفوا عن قتال الفريقين من المشركين وأن
يهادوهم، وقد كفى رسول الله ﷺ عن كثير من أهل الأوثان، بلا مهادنة مثل بني تميم وربيعة
وأسد وطى، حتى كانوا هم الذين أسلموا وهاذن الرسول ﷺ ناساً، ووادع حين قدم المدينة
يهوداً على غير ما خرج أخذه منهم) (٤)

قال ابن تيمية رحمه الله: (ويجوز عقدها أي الهدنة مطلقاً ومؤقتاً، والمؤقت لازم من
الطرفين يجب الوفاء به ما لم ينقضه العدو، ولا ينقض بمجرد خوف الخيانة في أظهر قول
العلماء، وأما المطلق فهو عقد جائز يعمل الإمام فيه بالمصلحة) (٥).

وقال ابن القيم رحمه الله (والقول الثاني هو الصواب أنه يجوز عقدها مطلقاً ومؤقتاً،
فإذا كان مؤقتاً جاز أن تجعل لازمة ولو جعلت لازمة جعلت جائزة بحيث يجوز لكل منهما
فسخها متى شاء كالشركة والوكالة والمضاربة ونحوها جاز ذلك، لكن بشرط أن ينبذ إليهم
على سواء، ويجوز عقدها مطلقة وإذا كانت مطلقة لا يمكن أن تكون لازمة التأييد بل متى شاء
نقضها، وذلك أن الأصل في العقود أن تعقد على أي صفة كانت فيها المصلحة والمصلحة قد

١ - مجموع الفتاوى ج ٢٨

٢ - الروض المربع ج ٤ ص ٢٩٦

٣ - البقرة : ٢٨٦

٤ - الأم ج ٤ ص ١٨٨

٥ - الاختيارات ٤٥٥

تكون في هذا وهذا، وعامة عهود النبي ﷺ كانت كذلك مطلقة غير مقيدة، جائزة غير لازمة، منها عهده مع أهل خيبر مع أن خيبر فتحت وصارت للمسلمين، ولكن سكانها كانوا هم اليهود^(١).

الوجه الثالث :

أن الأمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب يُحمل على ما إذا لم يخرج المسلمون إليهم في عمل لا يحسنه غيرهم، أو لا يُستغنى عن خيراتهم فيها ويدل لذلك إقرار النبي ﷺ لليهود على الإقامة بخيبر ليعملوا بالفلاحة، لعجز الصحابة وانشغالهم عن ذلك ولذا أبقاهم أبو بكر ﷺ طيلة حياته، وسيدنا عمر ﷺ صدرأ من خلافته؛ لحاجة المسلمين إليهم. ولما كثر عدد المسلمين في آخر عهد عمر، وقاموا بشأن الفلاحة والزراعة؛ استغنوا عن اليهود ونقض بعضهم ذمته فأجلاهم عمر رضي الله عنه إلى الشام.

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله^(٢) بعد ما ساق مصالحة رسول الله ﷺ لليهود خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع ما بدا لرسول الله أن يقيهم: (فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه غالوا في المسلمين وغشوه ورموا ابن عمر من فوق بيته ففدعوا يده. فقال عمر رضي الله عنه من كان له سهم من خيبر فليخرص حتى يقسمها بينهم، فقال رئيسهم: لا تخرجنا ودعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله، فقال عمر لرئيسهم: أترأه سقط عني قول رسول الله ﷺ لك: « كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً ». وقسمها عمر رضي الله عنه بين من كان شهد خيبر يوم الحديبية).

قال ابن تيمية رحمه الله: (لما فتح النبي ﷺ خيبر أعطاهم لليهود يعملونما فلاحاً لعجز الصحابة عن فلاحتها؛ لأن ذلك يحتاج إلى سكانها، وكان الذين فتحوها أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا نحو ألف وأربعمائة، وانضم إليهم أهل سفينة جعفر، فهؤلاء هم الذين قسم النبي ﷺ بينهم أرض خيبر، فلو أقام طائفة من هؤلاء فيها لفلاحتها تعطلت مصالح الدين التي لا يقوم بها غيرهم يعني الجهاد فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتحت البلاد، وكثر المسلمون، واستغنوا عن اليهود فأجلوهم وكان النبي ﷺ قد قال: "نقركم

فيها ما شئنا". وفي رواية "ما أفركم الله". وأمر بإجلائهم عند موته ﷺ فقال: "أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب". ولهذا ذهب طائفة من العلماء كمحمد بن حرير الطبري إلى أن الكفار لا يقرون في بلاد المسلمين يقصد الجزيرة بالجزيرة، إلا إذا كان المسلمون محتاجين إليهم، فإذا استغنوا عنهم أحلوهم كأهل خيبر، وفي المسألة نزاع ليس هذا موضعه (١)

وقال ابن القيم رحمه الله: بعد أن ذكر أن الكفار: إما أهل حرب أو أهل عهد، وأن أهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة وأهل أمان، قال عن أهل الأمان -: "وأما المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام رسل، وتجار، ومستحجرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن فإن شاءوا دخلوا فيه، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها، وحكم هؤلاء ألا يهاجوا، ولا يقتلوا ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يعرض على المستحجر منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألق به.

ولم يعرض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان (٢)

وفي قصة مقتل سيدنا عمر رضي الله عنه الطويلة، وفيه أنه لما قُتل أمر ابن عباس أن ينظر من الذي قتله، فلما أخبره أنه أبو لؤلؤة قال عمر: (قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكسر العلوج (٣) بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال أي ابن عباس: إن شئت فعلت! أي إن شئت قتلنا، قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلكم وحجوا حجكم!...) (٤)

فهذا الصنيع من سيدنا عمر رضي الله عنه وهو الذي أجلا اليهود إلى تيماء وأريحا دليل على أنه فهم من الأمر بالإخراج أنه إخراج خاص بالمواطنين، وأما المقيمون من هؤلاء إقامة غير دائمة، أو الواردون على المدينة وهي من الجزيرة بالإجماع فلا يشملهم النهي ولم يكن سيدنا عمر ﷺ وهو من هو في قوته في دين الله ليحامل العباس أو ابنه في بقاء العلوج وهو يرى أن ذلك محرم، ولكنه كان يرى أن ذلك أي عدم استقدامهم أولى، ولكنه لم يلزم به، مع أنه إمام هدى، وأمير المؤمنين، وأحد الخلفاء الراشدين، ومثله لإمامته

١ - مجموع الفتاوى ٢٨/٨٨-٨٩

٢ - أحكام أهل الذمة ٤٧٦/٢

٣ - العلوج: الرجال الكبار الضحام من الكفار.

٤ - انظر فتح الباري ج ٧ ص ٦٤

العامّة يسوغ له أن يأمر بما يرى مصلحته، وإن كانت المسألة من مسائل الاجتهاد، ويجب السمع والطاعة له، ومع ذلك لم يفعل عمر من ذلك شيئاً!
فأي برهان أوضح من هذا على دلالة حديث الأمر بإخراج اليهود والنصارى السذي كان سيدنا عمر رضي الله عنه أحد رواته كما ثبت في صحيح مسلم.

كما يشهد لهذا قول جابر بن عبد الله رضي الله عنه ^(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ الآية ^(٢) قال: (إلا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الذمة أي له عقد أمان مع المسلمين، وليس المقصود أهل الذمة بالاصطلاح الفقهي المعروف فتحمل إذاً دلالة حديث إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب على المنع من استيطان المشركين لجزيرة العرب، لا إقامتهم فيها للعمل المؤقت، أو التجارة كما هو شأن الكفار الوافدين لاسيما أن الكفار في البلاد في الجملة أهل وفادة وليسوا من أهل الإقامة، وهذا لا يسوغ الدخول لكل وافد من الكفار، فإن هذا يُمنع بمناط آخر، لكن من احتاجه المسلمون ساغ وفوده، وقد قاله النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته التي فيها ذكر إخراجهم: « وأجيزو الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » ^(٣) وكأنه تنبيه على الجمع بين الحكيمين، وأنه لا تعارض بينهما. ولهذا فسّلن عمر لما أخرج اليهود؛ استند إلى الحديث، لكنه مع ذلك ترك بعض أعيان الكفار من الرقيس وغيرهم لم يخرجهم فتأمل هذا.

الوجه الرابع:

أن القول بانتقاض عهد كل مشرك لأجل إقامته في جزيرة العرب يلزم منه أن تكون دماء الكفار من غير الأمريكيين تحديداً مهددة وأموالهم مباحة؛ فليس انتقاض العهد بالإقامة في الجزيرة مخصوصاً بالنصارى الأمريكان والأوربيين وحدهم فيلزم من القول بإهدار دماء نصارى الأمريكان والأوربيين القول بإهدار دماء وإباحة أموال نصارى الدول الأخرى، إذ جميعهم نصارى مشركون، وهم في الحكم سواء. ولا شك أن القول بانتقاض عهد كل مشرك لأجل إقامته في جزيرة العرب، ومن ثم إهدار دمه وإباحة ماله يفضي إلى فوضى واضطراب وظلم. ومما

١ - رواه ابن خزيمة في صحيحه، ٢٢٣/٣.

٢ - سورة التوبة: ٢٨.

٣ - أخرجه البخاري، في الجهاد، باب جوائز الوفد (١١١/٣)، ومسلم في الجهاد أيضاً باب ترك الوصية لمن

يعجب له أنه على مدار عشرات السنين لم يثر هذا الأمر ليكون سبباً لقتال أهل الأمان مع وجودهم بين ظهرانينا. إن هذا ظاهر في أن مسألة جزيرة العرب لم تكن مسألة أصلية لدى هؤلاء، وإنما استدعيت لتقوية الموقف الحاد من هذه التفحيرات.

الوجه الخامس :

أن كفر الحاكم ليس موجباً لبطان عقد الأمان؛ لأن الكافر دخل بلد الإسلام على أن الحاكم نافذ الكلمة وله الولاية والسلطة

والأمان ليس من الأمور التي لا تقام إلا بأمر الأمير وحده، ولا يشترط فيها تمام شروط الولاية بل الثابت عكس ذلك؛ لحديث علي بن أبي طالب في قول النبي ﷺ عن المؤمنين: (يسعى بذمتهم أدناهم)^(١) وكذلك أمان أم هانئ للمشركين: « قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ، »^(٢)

ولذا نص العلماء على أن الأمان يصح من كل مسلم ولو عبداً أو أنتى ومهما يكن من شيء؛ فقد اختلف العلماء في المقصود بإخراجهم وهي مسألة محل اجتهاد هذا طرف منه، كما أن هناك خلافاً معروفاً في تحديد معنى وحدود الجزيرة العربية فمنهم من جعلها مكة والمدینة ومنهم من زاد عليها ولكل أدلته القوية في اجتهاده لكن يبقى احترام رأي العلماء وتسويقهم والوقوف عند أقوالهم إذا صح مع أحدهم الدليل.

١ - أخرجه الحاكم في المستدرک ١٥٣/٢ .

٢ - رواه البخاري ١٤١/١ في التيمم، باب إذا صلى في الثوب الواحد، ومسلم ٤٩٦/١ باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر .

ثانياً - مسألة الترس

هناك من يقيس قتل المسلمين في عمليات التفجير التي تحدث في العديد من البلدان العربية والإسلامية، وحتى الأوربية على قتل المسلمين إذا ترس بهم الكفار، كما فعل أبو مصعب الزرقاوي^(١) في بيان له في العراق إذ يقول (إن إخراج المختل من أرضنا واجب شرعي حتى لو ترس بالمسلمين من شعب العراق، فإنهم شهداء عند الله إن ماتوا)^(٢).

١ - أحمد فضيل الخلايلة الملقب بأبي مصعب الزرقاوي ولد ونشأ في حي شعبي على أطراف حي الكسارات في مدينة الزرقاء الأردنية، وهو الرجل الذي قفز إلى الموقع الأول في لائحة من تسميهم أمريكا بالإرهابيين المطلوبين.

وأبو مصعب الزرقاوي هو أب لأربعة أطفال أكبرهم الطفلة أمة وعمرها ١٢ سنة، ورضة وعمرها ٩ سنوات، محمد وهو الولد الذكر وعمره ٧ سنوات، والصغير مصعب وعمره ٥ سنوات.

وتقول صحيفة "الدستور" إن أحمد فضيل الخلايلة، ٣٨ عاماً، متزوج من زوجتين "أم محمد" المقيمة في حي الكسارات في الزرقاء، والزوجة الثانية وهي ذات أصول فلسطينية ولا يعرف عنها أبناء الزرقاء سوى أنها لحقت به إلى أفغانستان.

وقد درس الزرقاوي حتى الصف الثاني الثانوي وحصل على معدل ٨٧% في نهاية العام الدراسي لكنه لم يكمل الثانوية العامة لاعتبارات غير واضحة.

درس الابتدائية في مدرسة الملك طلال بن عبد الله والتحق بالمرحلة الثانوية في ثانوية الزرقاء، وعمل لمدة قصيرة لا تتعدى شهراً واحداً في بلدية الزرقاء- في قسم الصيانة لكنه ترك العمل بعد أن طلب منه والده ذلك.

عاش في بداية حياته بعيداً عن الدين ثم ما لبث أن انقلبت أحواله وتعلق بالدين ودعا اخوته للتخلص من جهاز التلفزيون باعتباره مفسدة للحيل.

بعد خروجه من السجن في العفو الملكي في عام ١٩٩٩ حيث قضى جزءاً من مدة الحكم الصادر ضده، تقدر بـ ٨ سنوات، من أصل ١٥ عاماً مع الأشغال الشاقة، غادر الخلايلة إلى أفغانستان، ومنذ ذلك التاريخ لم يره أي فرد من أفراد أسرته.

وعرف عنه أنه متشدد فهو يرفض إدخال أطفاله إلى المدرسة ويفضل تعليمهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. اهد من حديث زوجته لشبكة CNN.

وهو قياسٌ مع الفارق من عدة وجوه، أبدؤها شرحاً وتفصيلاً لتبين حقيقة الخطأ الذي وقع به المتطرفون بمثل هذه الفتوى.

الوجه الأول

ما قرره أهل العلم من أن قتل المسلمين المتترس بهم لا يجوز إلا بشرط أن يُحاف على المسلمين الآخرين الضرر بترك قتال الكفار فإذا لم يحصل ضرر بترك قتال الكفار في حال التترس بقي حكم قتل المتترس بهم على الأصل وهو التحريم. فحوازه إذاً لأجل الضرورة، وليس بإطلاق وهذا الشرط لا بد منه إذ الحكم كونه إعمال لقاعدة دفع الضرر العام بارتكاب ضرر خاص^(١)

قال القرطبي رحمه الله: (قد يجوز قتل الترس وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية، ولا يتأتى لعاقل أن يقول لا يقتل الترس في هذه الصورة بوجه، لأنه يلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين)^(٢)

أما لو قتل المسلمون المتترس بهم دون خوف ضرر على المسلمين ببقاء الكفار، فإننا أبطلنا القاعدة التي بني عليها الحكم بالجواز فقتل المسلمين ضرر ارتكب لا لدفع ضرر عام بل لمجرد قتل كُفار قال ابن تيمية رحمه الله:

(ولهذا اتفق الفقهاء على أنه متى لم يمكن دفع الضرر عن المسلمين إلا بما يفضي إلى قتل أولئك المتترس بهم جاز ذلك)^(٣)

فأين هذه الضرورة في قتل المسلمين الذين يسكنون النصارى في تلك المجمعات

١ - الأشباه والنظائر ص ٩٦
٢ - الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٨٧
٣ - مجموع الفتاوى ج ٢٠ ص ٥٢.

فتبين من هذه الأوجه أن قياس المسلمين الذين يساكنون الكفار في المجتمعات السكنية على مسألة التترسّ قياسٌ غير صحيح، ويبعد كل البعد عن روح الشريعة الإسلامية الداعية إلى حفظ النفس والمال والأمان.

المبحث الرابع
دور الأعداء
في تضخيم ظاهرة التطرف عند المسلمين

دور الأعداء في تضخيم ظاهرة التطرف عند المسلمين
من الصعب أن تدرس ظاهرة التطرف في العالم الإسلامي دون الوقوف على
حقيقة أعداء الإسلام والمسلمين في تأجيج هذه الظاهرة وتسييسها بشكل ظاهر لتشتويه
حقيقة الإسلام والمسلمين، ولعل أبرز الذين لهم دور في تضخيم ظاهرة التطرف هم بشكل
عام:

أ — دور الدوائر الغربية.

ب — دور إسرائيل.

ج — دور العلمانيين.



١- دور الدوائر الغربية

لقد ساهمت صحف الغرب في تضخيم هذه الظاهرة، حتى أخافت العالم من خطر الزحف الأصولي عليه، وها هي وسائل إعلامهم في أوروبا وأمريكا ما تزال تدق نواقيس الخطر لتخفق الصحوة الإسلامية، وتحارب عودة المسلمين إلى دينهم الحنيف. (لقد استخدم الغرب مصطلح (الأصولية) للتيل من الصحوة الإسلامية عموماً، وأهل الغلو خاصة).^(١)

يقول أحد الباحثين الغربيين: (إن كلمة الأصولية تعتبر غير محبة للنفس.. فهي عبارة، تقترن عادة بالعداء والازدراء وتدل على ضيق الأفق والتعصب الأعمى، وتدل على الرعة المناهضة للتقدم، والرعة الطائفية كذلك).^(٢)

لقد نقل الغربيون هذا المصطلح، ووصموا به طائفة من المسلمين اعتباراً من عنام (١٩٧٥م) إذ شهدت هذه الفترة تنامي الصحوة الإسلامية، وظهور مظاهر التسدين، كالحجاب واللحية والدعوة إلى تطبيق الشريعة، مما جعل الغرب يعيش في حالة من القلق، إلى درجة دفعت بعض الباحثين إلى وصفها بأنها حالة مرضية.^(٣)

ويؤكد بعض الكتاب أن اصطلاح (التطرف) الذي يقابل مصطلح (الأصولية) استعمل في إسرائيل، في الصحف والإذاعة، ووصم المتمسكين بالإسلام جميعاً بالتطرف، مما يشعر بأن اليهود هم أول من استخدم هذا المصطلح.

وعلى أية حال: فسواء أكان السابقون لنشر هذا المصطلح هم اليهود أم (ظاهرة الأصولية الإسلامية) متأثراً في تسميته هذه بالخلفية الموجودة عند الغربيين عن ظاهرة الأصولية النصرانية.^(٤)

(١) انظر في هذا الموضوع: الغلو في الدين: اللويح، ص١٧٢ إلى ص١٨٦.

(٢) معجم مقارنة الأديان: ص٢٩٢ نقلاً عن المرجع السابق، ص١٧٢.

(٣) الإسلام والقوى الدولية: ص٧، د. حامد ربيع، دار الموقف العربي ١٩٨١م.

(٤) الغلو في الدين: باختصار وتصرف، ص١٧٥، ١٨٢.

ويتلخص مفهوم التطرف - أو ما يسمى بالأصولية الإسلامية - عندهم فيما

يأتي:

١- إن الغربيين يهتمون بالظاهرة الإسلامية باعتبارها ناحية سياسية أكثر منها

ظاهرة دينية ويدل على ذلك:

* أن الجانب السياسي للتطرف هو الأكثر استثناءً بالبحث في موضوع التطرف.

٢- أن تطبيق الشريعة والدعوة إليها، يعد من أبرز ملامح التطرف عندهم، سواء

أكان ذلك التطبيق في الجانب السلوكي للأفراد أم في الجانب الاجتماعي للأمة كلها.

٣- أن الدعوة إلى عدم فصل الدين عن الحياة تعتبر لديهم من التطرف المؤدي إلى

الإرهاب!؟

٤- أن الأخذ الحرفي بأوامر القرآن والالتزام بها من التطرف الواجب التنبه له.

٥- أن من أظهر أعمال المتطرفين مزاولة أعمال العنف. والغريبيون يسوون في ذلك

بين: الجهاد ضد الكفار، والعنف والإرهاب غير المشروع.^(١)

ويلاحظ هنا مدى التحامل أو التجاهل لحقيقة الإسلام الذي لا يفصل بين الدين

والسياسة في تاريخه كله.

(وحقيق بالغربيين حينما يستتكرون ما يسمونه (إدخال الدين في السياسة) ألا

يقعوا في التناقض بإغفالهم لظاهرة مناهة في الشعوب الأوروبية المتقدمة، حيث أثبتت

الدراسات الفكرية والميدانية، ازدياد تأثير تلك الشعوب بالعامل الديني عند وضع قراراتها

السياسية المصيرية، بالرغم من أن النصرانية عقيدة روحانية لا تتدخل في التنظيم السياسي

لحياة الفرد والجماعة، بل هناك أحزاب عديدة في الدول الأوروبية تنتسب إلى المسيحية)

^(٢) ولها توجهات نصرانية واضحة في برامجها.

ومن الخطأ الفاحش القول (بأن تطبيق الشريعة أو الدعوة إلى ذلك من التطرف،

إذ أن الشريعة الإسلامية جاءت بما فيه خير البشرية وإسعادها، وليس بين الإسلام

والنصرانية الخرفة شبه، إذ لو طبقت النصرانية المخرفة في الحياة الإنسانية لكان في ذلك

(١) المرجع السابق: ص ١٨٢.

(٢) آراء في الصحة الإسلامية: د. محمد محمود ربيع ص ٢١ ط عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

إعتاداً بالناس، وما كانت نشأة العلمانية في الغرب إلا هروباً من جحيم الحياة النصرانية التي أراد البابوات ورجال الكنيسة تطبيقها).^(١)

فالحلفية التاريخية الموجودة في أذهان الغربيين تجعلهم إذا سمعوا بالأصولية، تمثلئ أذهانهم رعباً ونفرة بسبب المعاملات الممجة التي اقرتها إخوانهم النصارى باسم السدين، حيث حورت الإنسانية والتقدم العلمي، فاختر هذا المصطلح وإسقاطه على المسلمين أو على طائفة منهم لا يخلو من غرض ولا مبرر له أصلاً.^(٢)

تقول المستشرقة الإيطالية (إيزابيلا كاميرا دافيلتو)^(٣): (إن قضية الأصولية الإسلامية واجهت تضخيماً مبالغاً فيه من قبل أجهزة الإعلام الغربي، فالغرب كان وما يزال بحاجة إلى اختراع عدو حتى يضمن لنفسه خطأً دفاعياً... فلعمد كان هذا العدو متمثلاً في الشيوعية التي يتبناها المعسكر الشرقي، وعندما امارت الشيوعية برز لدى الغرب التساؤل التالي: من سيكون عدونا المقبل؟! وإذا به يسحب من خزنة تراكم عليها غبار الزمن صورة العدو التاريخي القديم المتمثل في العالم الإسلامي. لكن الغرب كان أيضاً بحاجة إلى وسيلة لإقناع مواطنيه بمصادقية هذا الاكتشاف - الجديد القديم - لذا كان طبيعياً أن يحاول ترسيخ ملامح (البعج) من خلال تقديم الأصولية الإسلامية في صورة العدو العنيف والمنطرف، واستخدم لتقديم هذه الصورة كل ما يمكن أن يمت إلى العالم الإسلامي بصلة. ثم تابعت حديثها قائلة: (فنحن وعلى الرغم من وجود مظاهر أصولية كثيرة في الديانة المسيحية أو الديانات الأخرى في الغرب، لا نسمع حديثاً عن عنف هذه المظاهر الأصولية، في حين نرى هذا المنطق يطبق على العالم العربي... إن الغرب لا يرغب في تقديم صورة حقيقية في وسائل إعلامية.. يكفي أن ترى نشرات الأخبار عندما تتحدث عن الظاهرة الأصولية ومظاهرها العنيفة، تصور الناس وهم يؤدون شعائر دينية، أو يصلون في المساجد ثم تربط بين هذه الصور وظاهرة التطرف والعنف الإسلامي) ثم تقول: (ترى

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب ص ٩-٧٠.

(٢) انظر: الغلو في الدين: اللويحي، ص ١٩٠.

(٣) عن مجلة البيان العدد (٧٤) شوال / ١٤١٤هـ، ص ٧٤-٧٨، من مقال بعنوان: حين يستنطق الشهود، الدكتور عبد الله عمر سلطان.

لماذا لم تفكر محطات التلفزيون في الحديث عن الظاهرة الأصولية من خلال الربط بينها وبين مشهد آلاف الذين يؤمنون ساحة القديس بطرس في الفاتيكان ككل يسوم أحد للاستماع إلى قداس الأحد الذي يقيمه البابا (يوحنا بولس الثاني)؟! وأولئك الذين يقفون أمام حائط المبكى (البراق) في القدس؟!!

ثم من أجاز لهؤلاء الصحفيين أن يطلقوا على بشر عاديين يؤدون شعائرهم الدينية صفة الأصولية؟!!

وجاء في المقال السابق أيضاً: (وبالتعريف الغربي للأصولية صار من يتحدث اللغة العربية أو يطالب برفع الأذان، أو يعتقد بعروبة الجزائر هو أصولي).

والآن علينا أن نستمع إلى مفكر غربي آخر يصور تحامل الغرب على المسحوة الإسلامية إذ يقول:

(الغرب ينظر للمسلمين باحتقار حتى ولو كانوا عملاء، فما بالك بالأصوليين؟! فهذه الحركات الأصولية تمثل مصدر إزعاج للغرب، وهو غير قادر ولا راغب في مناقشة طموحاته).^(١)

إن الحق أعمى الغربيين عن قول الحقيقة، وقلائل هم المنصفون من أمثال من سبق. وإلا فلماذا لا تكتب صحفهم عن التطرف بين المذاهب النصرانية والحروب بين أهلها؟ وما هي الحرب الدائرة بين الكاثوليك والبروتستانت في إيرلندا الشمالية من النماذج الحية، وما هو حقد الأرثوذكس من الصرب وإرهابهم خير دليل على ما نقول. وقد أسفرت الدراسات التي قامت بها بعض المؤسسات الأمريكية عن وجود (٣٧٠) منظمة إرهابية متطرفة في العالم، وقد وقع (٤٣%) من عمليات التطرف والإرهاب هذه في دول أوروبا الغربية، و٢٢% منها في أمريكا اللاتينية، و٦% منها في الولايات المتحدة، وفي الشرق الأوسط ١٥% فلماذا لا يشار إلى ذلك في صحفهم ومجلاتهم؟!!

(١) سلفاتورى بوتو: من مقال البيان السابق، ص ٧٨.

ثانياً- دور إسرائيل

من الصعب تجاوز ظاهرة التطرف في العالم الإسلامي دون المرور والوقوف على حقيقة دور إسرائيل في تأصيل هذه الظاهرة وتسويتها وإبرازها للعالم الغربي من منطلق أن لإسرائيل دوراً كبيراً في تزوير الحقائق وتضخيم ما يسمى بقضية التطرف الإسلامي، ذلك لأنها تعتبر الصخرة الإسلامية والالتفاف حول الطروحات الإسلامية من التطرف.^(١) (على أن ٤٠% من أهالي فلسطين في الأراضي المحتلة باتوا يؤيدون (حماس) ويرون ضرورة استبدال إسرائيل بحكم إسلامي)^(٢)، وهذا ما حصل وشاهده العالم في الانتخابات الأخيرة في فلسطين، وفوز حماس الساحق في هذه الانتخابات. كل ذلك جعل إسرائيل تضع التيارات الإسلامية على قائمة أعدائها في محاولة منها لضرب هذا التيار.

وقد بدأت تاجر لتسويق (الخطر الأصولي) - في العام الماضي - عندما ظل الرئيس الإسرائيلي الأسبق (حاييم هرتسوغ) يكرر ويشير إلى هذا الخطر القادم، وإلى ضرورة تصدي المجتمع الدولي له. وذلك خلال جولته الأخيرة في دول أوروبا. ففي زيارته إلى بريطانيا (حمل حملة شعواء على الاتجاه الإسلامي المتعصب معتبراً أنه يشكل أكبر خطر على العالم الحر).^(٣)

وقال في بولندا: (إن الأصولية الإسلامية وتجدد العداء للسامية لا يزالان يهددان الشعب اليهودي، وإن هذا المرض لا يشكل خطراً على الشعب اليهودي فقط، ولكن على الإنسانية عموماً).^(٤)

ثم صرح كذلك في بولندا قائلاً: (إن الحركات الإسلامية المتطرفة لا تهدد الشرق الأوسط وحده، وإنما تنتشر بسرعة في العالم كله، وأضاف أن هذه الظاهرة التي يتجاهلها الغرب حتى الآن تشكل الخطر الرئيسي الذي يواجهه العالم حالياً، وقال: إن حركة

(١) مجلة الإيكونوميست: ١٩/١٢/١٩٩٢م.

(٢) جريدة الحياة: ٢٦/٢/١٩٩٣م.

(٣) وكالة رويتر: ٢٨/٥/١٩٩٢م.

(٤) وكالات الأنباء: ٤/٣/١٩٩٣م.

(حماس) تعتبر القوة النافذة الرئيسية لعملية السلام في الشرق الأوسط، وأن النزاع العربي الإسرائيلي مهما كثرت تعقيداته، فإنه ليس هذه القوة النافذة).^(١)

هكذا يدق رئيس دولة إسرائيل ناقوس الخطر من الإرهاب والأصولية، من شعب شرذمة وطرد من وطنه، وكأن دولته ما قامت على عنف وتطرف وإرهاب ونزعة دينية حاكمة، وكأنه لا يعلم مجازر صبرا وشاتيلا وتل الزعتر للسكان الآمنين في مخيماتهم، أكان من السلام المتفعل أن يقتل عشرات المصلين في المسجد الإبراهيمي في يوم من أيام رمضان وهم سحود صائمون!؟

وينفس الطريقة قام رئيس الوزراء الإسرائيلي (إسحاق رابين) بجولة لأوروبا وأمريكا، وحذر في العديد من خطباته من خطر المد الأصولي في العالم، ودعا إلى ضرورة الوقوف أمام هذا المد. فقد قال في أحد تصريحاته: (إن الخطر الحقيقي الذي يواجه إسرائيل اليوم هو خطر الأصولية، وإن إبعاد نشاط حماس سيؤدي دون شك إلى تطويع حوار السلام، وإلى تقوية الفلسطينيين المعتدلين).^(٢)

وقال خلال زيارته لبريطانيا: (إن الإسلام الأصولي ينتشر خارج منطقة الشرق الأوسط، وأن على العالم تقليد إسرائيل في حرمانها ضد هذا التيار).^(٣)

وقال في تصريح آخر: (إن العالم الغربي والعالم أجمع سيدفع الثمن باهظاً إذا لم يتم إيقاف السرطان الإسلامي).^(٤)

وتعدت هذه الحملة الظالمة رجال السياسة، إلى رجال الفكر يقول باري رويين^(٥) الأستاذ في جامعة تل أبيب:

(١) جريدة الحياة: ١٩٩٣/٣/٢٥.

(٢) وكالات الأنباء: ١٩٩٣/٣/٢٦.

(٣) الحياة: ١٩٩٣/٣/٢٨.

(٤) مجلة النيوزويك: ١٩٩٣/١/٢٠.

٥ - منظر يهودي من مواليد تل أبيب، ١٩٥٨م، برأس منظمة حثوره التوراتية المنظرية، من أشهر أقواله: (إن الله أخطأ عندما خلق العرب).

خرج مع مجموعة من أعضاء منظمته إلى حائط المبكى ليقيم قرابين الشكر لاعتقال إسرائيل لرعيهم حماس المرحوم الشيخ أحمد ياسين. مجلة الهدف الإسلامية، العدد (١٦) ٢٠٠٤. فلسطين.

(إن إنهاء الحرب الباردة، وحرب الخليج لم يقللا من خطر الأصولية الإسلامية، وإن على إدارة كلينتون أن تتعلم بسرعة أن الأصولية الإسلامية الثورية والإرهاب الدولي تجعلان قوى الرادكالية التي تهدد إسرائيل والمعتدلين العرب والولايات المتحدة بدرجة متساوية).^(١)

إن هذه التصريحات تمثل تياراً عاماً وتوجهاً واضحاً لدى الحكومة الإسرائيلية نحو سياسة معينة تهدف إلى أهداف خبيثة. منها استعداد العالم بأسره على المد الإسلامي، ومنها إظهار إسرائيل بأنها تلعب دوراً بارزاً ومهماً في القضاء عليه. وقد أرادت من انتهاء الحرب الباردة أن تكون الشرطي بالوكالة في المنطقة، لتضمن استمرار الدعم الأمريكي، والغربي لها، مستغلة شعور الخوف المتأصل في نفوس الشعوب الغربية من الإسلام.

وهذا ما أشار إليه الكاتب اليهودي (سول موديل) بقوله: (إن هناك خطراً جديداً بدأ يحل محل الخطر الشيوعي، هذا الخطر هو الأصولية الإسلامية، وربما يكون أمراً محبذاً أن تقوم إسرائيل مرة أخرى بالعمل كدفاع متقدم للغرب، ولكن في هذه المرة ضد التيار الضخم المتصاعد للإسلام القاتل..)

إن هذا الشكل من الأصولية الإسلامية يكتسح اليوم الشرق الأوسط مهدداً استقرار نظم عربية كثيرة مثل مصر والأردن والسودان وليبيا والجزائر وتونس حتى أفغانستان وباكستان، ومحرضاً على العنف الإرهابي ضد إسرائيل، بل إن هذه الأصولية قد بدأت تضع عينها على ضحاياها في العالم المسيحي الغربي.^(٢)

في ظل هذا التضخيم الإعلامي الملف بالتحذير من خطر الأصولية الإسلامية، تحول الأمر إلى عنوان يوحي في صدر صفحات الصحف الغربية وأمريكا خاصة لإقناع الإدارة الأمريكية بتكليف إسرائيل بالقيام بدور رئيسي في محاربة هذه الموجة، والتصدي لها، هذا هو الهدف الأول.

(١) صحيفة الواشنطن بوست: ١٩٩٣/١/٢٠.

(٢) حريدة الحياة: ١٩٩٣/٣/٢٤.

والهدف الثاني من هذه الحملة هو إشعار الدول العربية بأنها تعيش هي وإسرائيل أزمة واحدة، ولذلك فلا بد من توحيد الجهود الإسرائيلية العربية للوقوف أمام التيار الأصولي.

كذلك فإنها تشعرهم بأن الصحوة الإسلامية هي الخطر الحقيقي على الأنظمة العربية.. وعليه فعلى الجميع أن يقفوا صفاً واحداً في وجه هذا التيار، ولذا فلا بد من أن تعجل الدول العربية كلها لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل.

وفي هذا الصدد يقول إسحاق نافون^(١): (إن الدول العربية تواجه نفس الخطر الذي تواجهه إسرائيل، وإنما تتعامل معه بنفس القوة).^(٢)

١ - يهودي متطرف من ألمانيا، ترأس صحيفة يديعوت أحرنوت بين عام ١٩٧٦-١٩٨٢ م، مؤسس فكرة سياسة الأرض المحروقة ضد العرب الفلسطينيين. له العديد من المؤلفات الداعمة لسياسة إسرائيل العنصرية. مجلة الهدف الإسلامية العدد (٢٢) ٢٠٠٥ م، دار فلسطين.

(٢) وول ستريت جورنال: ١٩٩٣/٧/٧ م.

ثالثاً- دور العلمانيين

إن العلمانيين هم أكثر الناس استخداماً لمصطلح التطرف ضد الصحوۃ الإسلامية، دون أن يلتزموا بالموضوعية.

وكثيراً ما يوظف هذا المصطلح للتفجير من يلتزم بالسنة في صلاته ولباسه، وممن يتجنب المحرمات، ومن المرأة المسلمة إذا أصرت على لباسها وحجابها، وضد الذين يتادون بالحكم الإسلامي، وتطبيق الشريعة الإسلامية، ومن كل من يدعو لمخالفة المشركين في هديهم وسلوكهم.^(١)

العلمانيون هم المرأة التي تعكس ما يريده أعداء الأمة من اليهود والنصارى، ولذلك فهم يتبنون كل ما من شأنه إبعاد هيمنة الإسلام على حياة المسلمين.

إنهم نتاج الكيد الصليبي الذي وجه ضد الإسلام منذ أكثر من قرن من الزمان، وهم لا يدركون ذلك.. بسبب ما أحدث في نفوسهم من مسح وتشويه، إذ ركبوا في مصانع الغزو الصليبي بحيث يرون الإسلام عدواً لهم لا بد من محاربه.

لذلك فهم يعتقدون أنهم في مواقفهم ضد الإسلام، وضد تحكيم الشريعة منطلقون من ذوات أنفسهم، وبدوافعهم الخاصة، ولكن ألا يستوقفهم ذلك التوافق العجيب بين مواقفهم ومواقف الغرب تجاه الإسلام..ز. في تنحية الشريعة واعتبار أن الإسلام السياسي هو الخطر الجديد الذي يهدد العالم؟^(٢)

قد قامت الأحزاب العلمانية في بلادنا، وجعلت من نفسها قيماً على ما يزعمونه (بالشريعة الدستورية) فحكمت بعقلية بوليسية مناوئة للأمة ولعقيدها، وضربت بالحديد والنار كل دعاة الفكرة الإسلامية، واعتزقهم أعداء، ليس لهم حق الدعوة إلى تحكيم شريعة الله في وضع النهار، في الوقت الذي فتحت فيه المجال لكل منهاج علماني، حتى ولو كان ماركسياً.^(٣)

(١) انظر: التطرف الديني: د. صلاح الصاوي، الأفاق الدولية للإعلام سنة ١٤١٣هـ.

(٢) العلمانيون والإسلام: الأستاذ محمد قطب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الوطن.

(٣) مجلة البيان: العدد (٧٩) الافتتاحية.

لقد جعلها العلمانيون حرباً معلنة في السنوات الأخيرة ضد الإسلام نفسه، ناهيك عن المتمسكين بمدية.

(ويرتبط ذلك بتصاعد الحرب من جانب القوى المحلية والأجنبية ضد الحركات الإسلامية، حيث فقدت هذه القوى توازنها وصرها في الفترات الأخيرة، وقررت أن تكون الحرب علنية، ليس فقط ضد التيارات الإسلامية، ولكن ضد الإسلام ذاته، من خلال وجوده الدستوري في أنظمة الدول العربية، وكذلك من خلال وجوده الموسمي في هيئات تعليمية أو ثقافية واجتماعية).^(١)

هذا وما فتئ العلمانيون يخططون من أجل إجهاض الصحوة الإسلامية، والدعوة إلى مبادئهم عبر الندوات المختلفة.

من ذلك الندوة التي أقامتها مجلة فكر للدراسات والأبحاث وقد شارك فيها أقطاب الاتجاه العلماني، وصرحت المجلة نفسها بأن المشاركين فيها يمثلون الاتجاه العلماني.^(٢)

لقد ركز المجتمعون على محورين اثنين من محاور التطرف في نظرهم هما:
أ- تسييس الدين.

ب- تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة.
وكل عمل يدخل تحت أحد هذين الجانبين فهو من التطرف عندهم. وهذه بعض تصريحات القوم:

* يقول د. فرج فودة في تفسيره لظاهرة التطرف الديني في هذه الندوة: (إن الهدف الأساسي للتيار الإسلامي الديني هو هدف سياسي، مضمونه إقامة دولة دينية إسلامية وهو هدف شديد الغموض لأنهم جميعاً يتحاشونه، ويحصرّون الحوار دائماً في الهدف المعلن، وهو تطبيق الشريعة الإسلامية)^(٣) فإقامة دولة إسلامية باتت تهمّة، وهدفاً شديد الغموض لدى أساطين العلمانية.

(١) السابق: ص ٩٦/ العدد (٧٩).

(٢) انظر: العلو في الدين: عبد الرحمن اللويحي، ص ١٦٠-١٦٨.

(٣) مجلة فكر: العدد (٨) ندوة التطرف ص ٣٤.

* ويتفق محمد سعيد العشماوي مع هذا الطرح، فيكتب كتاباً بعنوان (الإسلام السياسي) ويخصص للحدوث عن تسييس الدين وتطبيق الشريعة، باعتبار أهمّ ما من التطرف والغلو، وأن الإسلام دين عبادة لا علاقة له بالسياسة، وكانت معظم ردوده في هذا الكتاب على ما أسماه تيار تسييس الدين بالعنف والتطرف).^(١)

أما الدعوة إلى تطبيق الشريعة فهو المعلم الثاني الدال على الغلو والتطرف في مفهومهم. يقول أحد المشاركين في الندوة: (إن أصحاب التيار كانوا ومازالوا يخلطون بين الدعوة إلى الإسلام كدين وعقيدة وأخلاق، وبين الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية كمجموعة من النصوص التي تنظم المعاملات الاجتماعية بين الناس).

ولذلك يرى (أن من المهام الرئيسية الملقاة على عاتق العقلايين في مصر والعالم العربي الدعوة إلى الفصل بين الإسلام والشريعة الإسلامية).^(٢)

فالعلمانيون يعممون الغلو والتطرف، ويصمون به كسل السدعاة إلى الإسلام، ويؤكدون وقوفهم ضد كل ما تطرحه التيارات الإسلامية التي لا يرون فيها الاعتدال.. بل الجميع في نظرهم إما غلاة جداً أو غلاة فقط.^(٣)

وهذا ما يؤكد مدير الندوة في جلستها الثانية عندما يقول: (إن ما ينبغي أن نواجهه هو التطرف، أي هذه الجماعات الدينية المتطرفة، وهذا موضوع اللقاء).^(٤)

* والحقيقة إن قضية الفصل بين الدين والسياسة يعتبر مؤامرة كبيرة، يراد بها الكيد لهذا الدين، أو الخروج على تعاليمه.

يقول رئيس المجمع الفقهي في مكة المكرمة:

(إن هذه الدعوة الآتية - فصل الدين عن السياسة - في حقيقتها عزل الدين عن الحياة، ورأد للناس وهم أحياء، وما حقيقة وصل الدين بالسياسة إلا السدعوة إلى الله،

(١) ينظر الصفحات ٣٩، ٤٥، ٥٨، ٦٤ من كتابه الإسلام السياسي نقلاً عن الغلو في الدين، ص ١٦٤.

(٢) مجلة فكر: ندوة التطرف ص ٤١، ٤٩. د. نور فرحات.

(٣) الغلو في الدين: اللويحق ص ١٦٨.

(٤) مجلة فكر: عدد (٨) ص ٨٢، د. فؤاد زكريا.

وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على مد الإسلام وجزر الكفر والكافرين).^(١)

وإذا عاب الغرب والتيار العلماني إدخال السياسة في الدين، فلماذا لم يعيبوا ذلك على الصارى والأقباط الذين تقضي تعاليم دينهم المحرف بهذا الفصل؟. وقد أصبح التيار الذي يتزعمه البابا شنودة ينادي بأن تكون للكنيسة ذاتيتها في مواجهة الدولة ومؤسساتها. ومع ذلك لم يوصم بالتطرف والعلو، مما يدل على أن تيار التطرف عند المسلمين قد هُوِلَ وضُخِمَ.^(٢)

ومع أن تيار التطرف عند الأقباط كان متقدماً في وجوده على تيار التطرف عند المسلمين، وأنه منذ أواخر (١٩٤٠م) ظهر تنظيم يحمل اسم (جماعة الأمة القبطية)، وبدأ يوزع بعض المنشورات التي تطالب بالحكم الذاتي للأقباط، وفي عام ١٩٥٤م أقدم أربعة شبان من الأقباط بمحوم مسلح على المقر البابوي فاقتموه بقوة السلاح واحتجزوا البابا وأجبروه على إعلان تنازله.^(٣)

ومع ذلك مرت الحادثة دون أن تدق نواقيس الخطر، وأين من هذه الحادثة قضية اغتيال الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله!؟

* يتبين لنا بعد كل هذا أن التطرف عند فئة قليلة من المسلمين استُغِلَّ وضُخِمَ ليقضي على المسلمين عموماً وعلى تعاليم الإسلام نفسه.

فقد ضُخِمَ الإعلام الغربي الصهيوني والصليبي هذه الظاهرة، بيتغي من وراء ذلك:

أ- إرضاء نزعة الحقد الموجودة لديهم على الإسلام وأهله.

ب- تضليل الرأي العام العالمي حتى لا يتعاطف مع المسلمين وقضاياهم المبررة في

هذا القرن.

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية: الشيخ بكر أبو زيد ص ٧٢ وما بعدها.

(٢) حريف الغضب: محمد حسين هيكل ج ٢، (ص ٤٠٥، ٤٠٦)، دار طلاس، القاهرة.

(٣) انظر: الغلو في الدين: اللوتيني، ص ١٣٦-١٤٠.

وها نحن نلاحظ أن وسائل الإعلام المحلية والعالمية باتت تصور الدعاة حتى المعتدلين منهم، وكأنهم متهمون يُطارَدون باسم التطرف والأصولية، والله غالب على أمره ولو كره الكافرون.



الفصل السادس
العلاج



فيروس التطرف

- إن الحديث عن علاج للتطرف لا بد أن ينطلق من مفهوم واحد وهو أن التطرف كالمريض أو الفيروس وأكثر الناس تعرضاً له غير المحصنين أو قليلو المناعة.
- فالمتطرفون عادة شباب غاضبون مهووسون يفتقدون التفاهم ولا يمتلكون اللغة المشتركة ويكرهون الحوار مع الآخر ويتسمون بضيق الأفق وضيق الصدر وعدم الرغبة في الحوار لأن المتطرف يمتلك فكر وحيد الجانب فهو لا يرغب بسماع وجهة النظر الأخرى لأنه راضي بما لديه وكل قوم بما لديهم فرحون.
- فهذا الشخص لا يمكن إلا أن يكون متشدداً فهو يكره الاعتدال في كل شيء من المأكّل ومن الملبس والعلاقات الاجتماعية، وشخصيته أقرب إلى الشخصية المرضية قراراتها متطرفة وتصرفاتها متشددة فهم لا يستطيعون أن يتعايشوا أفراداً أسوياء والوجود بالنسبة لهم هو التطرف (أنا أنطرف إذا أنا موجود) أو يكون بالوقوف خارج الصف أو السعي إلى التفرد من خلال عدم الاعتراف بكل الصف سواء هذا الصف معدل أو غير معتدل.
- واحظر ما لدى المتطرف هو القدرة الفائقة على جذب الجماهير البسيطة التي لا تمتلك الوعي الكافي أو تنحصر بالعاليم الدينية المطلوبة، وذلك من خلال ما يمتلكه المتطرفون من أفكار بسيطة وصغيرة يسهل استيعابها من قبل الجمهور العريض الذي لا يلمه البرامج أو الفلسفات العميقة، فالفكر المتطرف يختصر كل الأيديولوجيات بمجموعة صغيرة من الأفكار القصيرة السهلة وذلك يلائم الجماهير الواسعة، وذلك كاستخدام مصطلح الجهاد بمعانيه السطحية مثلاً، ونعتقد أن تحمل المسؤوليات الكبرى في اتساع أفكار التطرف والتشدد هو الطرق المتعلقة بالمناهج التعليمية بشكل رئيس، إذ أن أغلب المناهج التعليمية والتدرسية في أغلب مراحلها تحتوي على مواد متطرفة تدعو إلى التطرف وتثير الطائفية فضلاً عن الأفكار التكفيرية حيث يوجد في بعض الكتب أفكاراً تعتمد على تكفير الأشخاص وتضع قطاعاً كبيراً من المسلمين في خانة الشرك وبالتالي تعمل على استصغار واحتقار

وقفة تأملية ومدروسة من قبل المسؤولين في وزارات التربية والتعليم العالمي لإعادة النظر في بعض هذه المناهج.

- ونحن في هذا الفصل المتعلق بالسبل الكفيلة لعلاج التطرف لا ندعي أن القضاء على التطرف يأتي بمجرد بحث يكتب أو موضوع صحفي يخطه كاتب أو بتصريح ضد التطرف والإرهاب واستعمال العنف أو بيان يندد بتلك الظاهرة أو بخطبة على المنبر فكل ذلك لا يمكن أن يحل أو يعالج هذه الظاهرة الخطيرة والتي أقم الإسلام بما وهو بريء منها براءة الذنب من دم يوسف ، فإن كل ذلك يقسى في دائرة التنظير دون المساس بالواقع المعاش الذي يتبنى التطرف ويجعله فحماً وسلوكاً بجميع توجهاته.

- لذلك كان لزاماً أن نحدد الأسباب أولاً وهذا ما حدث في الفصول السابقة ثم نسلط الضوء على المفاصل الحقيقية الواجب مراعاتها في العلاج والتي أحدها في هذا الفصل تنحصر في:

- المبحث الأول: كيف تعالج هذه الظاهرة؟

- المبحث الثاني: أثر الإيمان بالله وشريعته في علاج التطرف.

- المبحث الثالث: الجهات والمؤسسات التي لا بد أن تعنى بالتعامل مع التطرف.

• العلماء والدعاة.

• الأسرة.

• المدرسة.

• المؤسسات الاجتماعية.

• المؤسسات الإعلامية.

• المؤسسات الأمنية.

- المبحث الرابع: توصيات ونتائج خاصة لعلاج ظاهرة التطرف.

- على أن كل مبحث من المباحث السابقة الذكر تشكل منهجاً متكاملماً يردف بعضه بعضاً للوصول إلى الغاية المنشودة وهي العلاج والإصلاح بإذن الله تعالى.

المبحث الأول
كيف تعالج هذه الظاهرة؟

والآن.. كيف تعالج هذه الظاهرة؟

إن علاج هذه المشكلة ليست بالأمر السهل، وإن تفاديتها يكمن وراء تفادي الأسباب التي أدت إلى هذا التطرف.

إنها المهمة صعبة ومشتركة تقع على عاتق جميع فئات المجتمع.

(ولا بد أن نفرق بين نوعين من التطرف:

أ- التطرف الذي هو فعلاً تطرف في الدين، وتجاوز للحد، كتطرف بعض الجماعات الموجودة الآن في بعض أقطار المسلمين.

ب- ما تسميه أجهزة الإعلام - غريبها وشرقها - غلواً أو تطرفاً، أو أصولية، وهو في الواقع دعوة إلى الله وإلى دينه، وتحكيم شريعة الله، والعمل بالكتاب والسنة. (١)

نتحدث عن النوع الأول، ونصرف النظر عن التهويش الإعلامي. فمن أهم أسباب تفادي هذه الظاهرة:

١- الاعتصام بالكتاب والسنة، ونشر عقيدة السلف:

أمر الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بالاعتصام بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد حذر من الفرقة واتباع الأهواء، وكذا فعل رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ (٢).

وقال جل من قائل:

﴿إِنَّ الدِّينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْنَا مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (٣).

(١) مجلة البيان: العدد (٦٧)، ص ٢٠، وليد الصباحي.

٢- آل عمران: ١٠٣.

٣- الأنعام: ١٥٩.

وقال صلى الله عليه وسلم: « تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنتي » .^(١)

وقد بينت الأحاديث كذلك حتمية افتراق هذه الأمة إلى فرق، وسيصيهاها ما أصاب بني إسرائيل من التمزق والتحزب والتفرق، وبين صلى الله عليه وسلم، أن العاصم من هذا كله هو التمسك بكتاب الله وسنته المحيطة، وبما أجمع عليه سلف هذه الأمة. قال صلى الله عليه وسلم: « لا تزال طائفة من أمتي قائمة على أمر الله لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » .^(٢) فمن أراد النجاة والفوز، فعليه أن يعتصم بما اعتصم به السلف الصالح من التمسك بكتاب الله وسنة رسوله.

ومن تأمل في مظاهر التطرف الموجودة في العصر الحديث، يتبين له أن تلك المظاهر خارجة عن مذهب أهل السنة والجماعة، وعن المعتقد الشرعي الصحيح، وعليه فإن نشر العقيدة الصحيحة وتدريبها في المدارس والجامعات والمساجد، وتدارس أهل الدعوة لها ووضعها في مناهجهم، سيحقق للمجتمع المسلم الحصانة من التطرف بإذنه تعالى.^(٣)

٢- نشر العلم الشرعي:

يتميز دعاة التطرف بقصور باعهم في مجال العلوم الشرعية، وينصب اهتمامهم على الدعوة، وذخيرتهم فيها الحماس والغيرة، دون علم شرعي. لذا يجب نشر العلوم الشرعية، ومعرفة الدليل، بين الشباب، وأن تعقد لهم دورات خاصة لهذا الغرض، يشرف عليها علماء أكفاء، ذوو علم وإخلاص.^(٤) ومن أوجب الواجبات على المسلم بعد أن يشهد شهادة الحق، هو الاشتغال بالعلم الشرعي لمعرفة ما أوجبه الله عليه من أمور دينية ؛ (فما لا يتم الواجب إلا به.. فهو

(١) رواه أبو داود في المناسك.. وهو صحيح بنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٧٦١.

(٢) رواه البخاري في العلم: رقم (١٧١١) باب من برد الله به خيراً.

(٣) انظر: ظاهرة التكفير: الأمين محمد أحمد، من ص ١٨٩-١٩٤.

(٤) العلي في الدين: اللويحي، ص ٥٣٢.

واجب»^(١). « وإن العلماء ورثة الأنبياء... ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة »^(٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « يا أيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ». ^(٣)

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة).^(٤)
ولابد من ضبط مناهج التعليم، وربطها بدين هذه الأمة وتاريخها حاضرها ومستقبلها، حتى يتخرج جيل مؤمن يعرف دينه حقاً.
وإن تكثيف المواد الشرعية والإسلامية، هو الذي ينتج العلم الشرعي الصحيح الواقعي من الانحراف ولا ريب.^(٥)

٣- إحياء دور العلماء:

يعتبر غياب دور العلماء عن الساحة - في كثير من البلاد الإسلامية غياباً كلياً أو نسبياً، من ضمن أسباب التطرف، فلا بد إذن من إعادة دورهم، ويعتمد ذلك على:
* أن ينيرى العلماء لهذا الدور بالإخلاص لله، والقيام بواجبهم تجاه ولاة الأمر بانساضحة، وتجاه عموم المجتمع بالتربية والتوجيه، وتجاه فئة الشباب بالتربية والعناية. وأن يتعد العلماء عن كل ما يحدش مقام العلماء وكرامتهم، من الحرص على الدنيا والتكالب عليها.

* وأن يأخذ ولاة الأمر برأي العلماء، ويستشيرهم، وأن يوكلوا إليهم مهمة معالجة مظاهر الانحراف والتطرف.

* وأن يأخذ المجتمع (الشباب خاصة) برأي العلماء ويفتاواهم الشرعية.

١ - الفوائد والفوائد الأصولية، علي بن عباس الحنبلي، ص ٩٤.

٢ - أخرجه مسلم في العلم، باب العلماء ورثة الأنبياء برقم (٢٦٩٩).

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم ٣٩/١ برقم ٧١.

(٤) شرح السنة: للإمام الغوي ٢٧٩/١.

(٥) مجلة البيان: عدد ٦٧، ص ٢٣، عبد الحميد هينو.

وإذا تحقق دور العلماء في المجتمع، فإن هذا المجتمع سوف يكتسب حصانة من مظاهر الانحراف والتطرف.^(١)

* ولابد من إعادة الثقة بين العلماء والحكام والشباب، على أسس سليمة من وعي لواقع الأمة، وتمسك بشريعتها السماوية.

وإن أية محاولة لمعالجة التطرف لابد أن تنطلق من أرضية صحيحة، وهي الدين الوسط، وأن لا نعالج بعض مظاهر التطرف كالعنف، ثم نحمل الجذور الحقيقية للتطرف. هذا وإن تمكين العلماء الربانيين من القيام بواجبهم وفتح السبل لكلمتهم، والسماح بمرورها إعلامياً، وأن يشكل العالم الشرعي مرجعية حقيقية للجميع مما يساعد في القضاء على ظاهرة التطرف.

(والعلماء الذين - أعنيهم - هم العلماء الربانيون الجريئون في قول الحق، المحبون لخير هذه الأمة، الآمرون بالمعروف والنهون عن المنكر، والمحاسبون للولاء، الناصحون لهم بالحق.. لا يبخشون أحداً إلا الله سبحانه، ولا يسكتون عن حق واجب إذاعته، ولا يكتفون حكماً شرعياً في قضية، سواء أكانت متعلقة بشؤون الأمة أم بعلاقات الدولة^(٢). إن علماء المسلمين هم الذين كانوا يقودون حملات الجهاد، ويرفعون رايات الإصلاح، ويدافعون عن حقوق أمتهم، فلم يترؤوا في مساجدهم، أو منازلهم، أو يقتصروا على تدريس طلابهم، وإفتاء الناس في قضاياهم الخاصة من طلاق ووضوء وصلاة، وبيع وشراء وغيرها، مع أهمية ذلك كله، بل كانوا يعلمون أن مسؤوليتهم أكبر من ذلك بكثير..^(٣)).

٤- تحكيم شرع الله ونبذ القوانين الوضعية:

إن إبعاد الإسلام عن الساحة - في معظم بلاد المسلمين - وحصره في جانب العبادات والأحوال الشخصية، والخضوع إلى شرع الكفار والملحد، من أهم أسباب فساد العقائد والتصورات، وظهور كثير من البدع والمخالفات، كبدعة التكفير وغيرها.

(١) انظر: العلو في الدين: اللويحي، ص ٥٣٢-٥٣٣.

٢ - العلماء والدور المنتظر، عبد الله عزت الدائم، ص ٩٣.

(٣) مجلة البيان: العدد (٧٩) عام ١٩٩٤م، من مقال: العلماء ومسؤولية البلاغ، عبد اللطيف الوبال.

إن التطرف المعاصر كان بسبب تحكيم القوانين الوضعية، وما عليه المسلمون اليوم من ذل وتمزق لا يمكن أن يزول إلا بالرجوع إلى شرع الله، وقد جاء في الأثر عن الإمام مالك رحمه الله قوله: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وهو الإسلام. هذا وإن إعادة الأمة الإسلامية إلى رشدها، وإعادة الإسلام إلى الساحة في معظم ديار المسلمين، يحتاج إلى صدق وإخلاص وعمل متواصل، إلى صبر وعلم وفقه، لأن ذلك لا يتم إلا بتحكيم شرع الله في الشؤون كلها، ولا بد للصدعاة والعلماء والجماعات الإسلامية أن تركز على:

- العمل لتصحيح عقائد المسلمين وتصوراتهم، وعلى مفهوم وحقيقة لا إله إلا الله.

- والعمل على إعداد قوة لتمكين هذا الدين في الأرض، وإزالة قوى الشر السيئ تحول دون ذلك.^(١)

لقد كانت مشكلة التطرف المعاصر رد فعل لأوضاع خاطئة - كالحكم بغير ما أنزل الله - فهؤلاء يطالبون بتصحيح الأوضاع الخاطئة.

هذا وإن المطالب المشروعة التي يطالبون بها، يشترك معهم فيها كثير من المنصفين لأمتهم، بغض النظر عن أسلوب المتطرفين الخاطيء في تصحيح هذه الأوضاع.^(٢)

٥- محاوراة أهل التطرف:

ينبغي إقامة الحوار البناء مع المتطرفين، على أسس شرعية، فقد سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوب المحاوراة مع المتطرفين، ودحض شبهاتهم إذ رد على ذي الخويصرة بقوله: « ويحك من يعدل إن لم يعدل » كما حاور علي عليه السلام الخوارج، وحاورهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وهو أسلوب ناصح لأن نور الحق ساطع، ولكن لا بد من ضوابط لهذا الحوار:

أ- أن يكون مبنياً على الثقة، فيكون العالم المناقش والمحاور محل ثقة المتهمين بالتطرف.

(١) انظر: ظاهرة التكفير: الأمين الحاج محمد أحمد، ص ٢٠٥ وما بعدها.

(٢) التلو في الدين: عبد الرحمن اللويحي، ص ٥٣٦.

ب- أن يعامل المتهمون بالتطرف على أنهم متهمون، لا أنهم مدانون يقفون في ساحة محكمة.

ج- أن يتوفر للطرفين حرية الحوار، فلا يملى على العالم جوانب الحوار، ولا يكون حوار المتهمين بالتطرف في ظل القوة والعنف.

د- أن يكون القصد من الحوار البحث عن الحق، وليس جمع أدلة لإدانة المتهمين بالتطرف.^(١)

كما ينبغي البعد عن العنف في معالجة التطرف، لأن ذلك لم يُخَدِ حتى الآن، فالعنف لا ينتج إلا العنف، وإذا استنفدت الوسائل كلها في العلاج، فلا بد أن يتولى المحاكمة العلماء والقضاة الشرعيون.

(فالضغط والإرهاب والتعسف لا يزيد التطرف إلا مضاعفة وقوة وإصراراً، وهذا الضغط يعتبر من أكبر المسوغات لأولئك المتطرفين.

وإننا نعلم أن في إسرائيل مثلاً أحزاباً أصولية، متطرفة متشددة، فماذا فعلت إسرائيل تجاه هذه الأحزاب!؟

لقد شاركت في الحكم رغم خلافها مع الأحزاب الحاكمة. إن الدعوات لا تحارب بالقهر والعسف والملاحقة).^(٢) إذا أردنا حلاً جاداً لقضية التطرف وما يتبعها من عنف.

٦- البعد عن الازدواجية والتناقض:

إن ذلك ضروري لمن يريد معالجة التطرف، وقد وقع فيها كثير من المعاصرين، فبينما ترتفع الأصوات في بعض المجالات والصحف وتفتح الملفات الصحفية (كمجلس النقاب) باعتباره مظهراً من مظاهر التطرف - كما يزعمون - لا نرى من يستنكر ظاهرة العري في الشوارع، وعلى الشواطئ وظواهر الانحلال في المجتمع المسلم بمحجة الحرية الشخصية؟).^(٣)

(١) العلو في الدين: عبد الرحمن اللويحي، ص ٥٣٣-٥٣٤.

(٢) مجلة البيان: العدد (٦٧)، ص ٢١-٢٢.

(٣) العلو في الدين: اللويحي، ص ٥٣٧-٥٣٨.

ومما يؤسف له أن الإعلام العربي عندما يتحدث عن الدعوة الإسلامية باسم
التطرف والأصولية، يتخلى عن الموضوعية ويتناقض وينحاز، فلا يعرض إلا رأياً واحداً،
ولا يعرض إلا جانباً واحداً من الحقيقة.^(١)

وهذه الازدواجية أدت إلى إضرار النار في قلوب المعتدلين فضلاً عن الغلاة، فلو
كثر المنصفون والناهون عن المنكرات لكان الأمر.

(ولو أن الإنسان وقف موقفاً إيجابياً من المنكرين للدين، والمتحللين من أحكامه،
وغير ما يراه من المنكر بيده أو بلسانه، ما وجدت عندنا ظاهرة التطرف في الدين، ولو
وجدت - لسبب أو لآخر - لكانت أخف وطأة مما ظهرت به).^(٢)

فالواجب على المسلمين البعد عن الخلط بين الصحوة والتطرف، وأن يجذروا مسن
أساليب الأعداء التي تترى ضرب الصحوة الإسلامية تحت ستار ضرب التطرف، فإن
التطرف في المجتمعات المسلمة المعاصرة قليل الحجم، ومن الظلم أن يسحب الحكم على
الكثرة التي تمثل تيار الاعتدال، ليشمل معظم تيار الصحوة الإسلامية في العصر الحديث.

(١) مجلة البيان: العدد (٦٧)، ص ٢٣.

(٢) الصحوة الإسلامية بين المحرود والتطرف: د. يوسف القرضاوي، ص ١٤٠.

المبحث الثاني
أثر الإيمان بالله وشريعته في علاج التطرف

أثر الإيمان بالله وشريعته في علاج التطرف

جاء الإسلام والبشرية تتخبط في ركام هائل من العقائد والتصورات ، والفلسفات ، والأساطير ، والأفكار ، والأوهام ، والشعائر والتقاليد يحتلظ فيها الحق بالباطل ، والدين بالخرافة ، والفلسفة بالأسطورة .

والحياة الإنسانية بتأثير هذا الركام الهائل ، تتخبط في فساد وإخلال ، وفي ظلم وذل ، وفي شقاء وتعاسة ، لا تليق بالإنسان ، بل لا تليق بقطيع من الحيوان^(١).

فجاء الإسلام وكرم الإنسان ورفعته بالإيمان الصحيح ، وقومه بالمنهج الشرعي الشامل ، فعاشت البشرية في ظل الإسلام أرفى حياتها وأسعد قرونها ، وها نحن أولاء اليوم نعيش في القرن الخامس عشر الهجري ، لكن الغلبة فيه لأهل الباطل ، وذلك بسبب بعد المسلمين عن منهج الإيمان الصحيح .

إننا نعيش في عصر علا وبغى فيه اليهود ، وقد ذكرها الله لنا في أم الكتاب . فلقد انحرفوا عن الإيمان بالله ، وهي أهم قضية تمم الإنسان ، فأدى ذلك إلى البغي والفساد في الأرض وإرهابهم للعالم ، ولو آمنوا بالله حقاً لعظموا الخالق ورحموا الخلق ، والإيمان الصحيح هو منهجتنا فنحن أرحم الخلق بالخلق ، وأرهبهم للخالق ، وهذا إنما هو بفضل عقيدتنا التي هدانا الله لها ، فما هي ؟

عقيدتنا : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

فنؤمن بربوبية الله تعالى ؛ أي : بأنه الإله الحق وكل معبود سواه باطل .

ونؤمن بأسمائه وصفاته ؛ أي : له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا .

ونؤمن بوحدانيته في ذلك ؛ أي : بأنه لا شريك له في ربوبيته ، ولا في ألوهيته ، ولا في أسمائه وصفاته ، قال الله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾^(٢).

وشرح أركان الإيمان وذكر أدلتها مما يطول به البحث ، ولكن نذكر ثمرات هذا الإيمان الذي لو تحقق لأصلح الفساد الاعتقادي الذي يتخبط فيه العالم والذي من نتاجه

١ - انظر : خصائص النصور الإسلامي، سيد قطب، ص (٢٢).

٢ - مريم: ٦٥.

التطرف والإرهاب العالمي الذي تعاني منه البشرية . إن المؤمن حين يترى على الإيمان الصحيح لا يقع في سلوك التطرف أو الإرهاب ، وذلك بما تملكه هذه العقيدة من سلطان على الفكر والإرادة ، له أكبر الأثر في تهذيب سلوكه وتصرفاته ، فتجعله حافظاً لحقوق الله تعالى وحقوق عباده ، وسأذكر باختصار بعض ثمرات أركان الإيمان :

فالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجهين للقيام بأمره واجتناب نهيه ، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

والإيمان بالملائكة يثمر العلم بعظمة خالقهم ، وشكره تعالى على عنايته بعباده ، كما أن الإيمان بالملائكة الذين يكتبون أعمال الإنسان له أثره في استقامة السلوك حتى لا تكتب على المؤمن إلا ما هو خير ، فيتعد بذلك عن الشر والجريمة .

والإيمان بالكسب السماوية المترلة من عند الله تعالى ، وأنها كلام الله ووحيه الذي ينبغي اتباعه ، يجعل المؤمن على طاعة والتزام ، ويربي فيه ضميره ونفسه اللوامة التي تحمله على الخير وتباعد بينه وبين الشر .

والإيمان بالرسول عليهم السلام ، وهم القدوة الكاملة من البشر ، يجعل المؤمن بهم على محبتهم وتوقيرهم والتأسي بهم في الطاعة والخير والصلاح ، والبعد عن كل ما يتناقض مع الإيمان واستقامة السلوك والمنهج .

والإيمان باليوم الآخر وما فيه حقائق ، إنما هو تربية للشعور الحقيقي بالمسؤولية ، وتحقيق للأخلاق الفاضلة المطلقة في سلوكنا وحياتنا ، تحقيقاً فعلياً مستمراً ، ثابتاً غير متقلب ، بلا نفاق ولا رياء . وكذلك له أثره في انضباط جميع الدوافع والغرائز والتحكم في هذه القوى الغريزية الجامحة ، خوفاً من الله تعالى وطمعاً في جنته .

والإيمان بالقدر له أثره في الاعتماد على الله تعالى ، وراحة النفس ، وطرد الإعجاب بما عند حصول المراد ، وطرد القلق والضر عند فواته ، وهو يحمل صاحبه بعد وقوع الأقدار على أخذ العبرة والدرس ، والتوبة من الخطأ والذنب .

هذه بعض ثمرات أركان الإيمان على سبيل الإشارة لا الحصر^(١). ويمكن القول بأن الإيمان إجمالاً هو :

أُسُّ الفضائل ، ولحام الرذائل ، وقوام الضمائر ، وسند العرائم في الشدائد ، وبئسهم الصبر عند المصائب ، وعماد الرضى والقناعة بالأقدار ، ونور الأمل في الصدور ، وسكُنُ النفوس إذا أوحشتها الحياة ، وعزاء القلوب إذا نزل الموت ، أو قُرُت أيامه ، والعروة الوثقى بين الإنسانية ومثلها الكريمة^(٢).

والمقارنة بين آثار هذه العقيدة الصحيحة ، وبين آثار العقيدة اليهودية ، يظهر البون الشاسع والواسع ، بين الفكر التدميري في العقيدة اليهودية والذي تصدقه الممارسة العملية في أرض الواقع ، وبين عقيدة الإسلام وشريعته ، إنهم يُلصقون بالإسلام تممة التطرف والإرهاب ليخوفوا الناس منه وينفروهم عنه ، بعد أن رأوا أنه يكتسح القلوب ويُلجم العقول بعقيدته وشريعته ، لقد سبق الإسلام جميع القوانين في محاربة التطرف والإرهاب . وحماية المجتمعات من شروره ، وفي مقدمة ذلك حفظ الإنسان وحماية حياته وعرضه وماله ودينه وعقله من خلال حدود واضحة منع الإسلام من تجاوزها : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٣) وهذا توجيه لعموم البشر .

وتحقيقاً لهذا التكريم منع الإسلام بغى الإنسان على أخيه الإنسان وحرّم كل عمل يلحق الظلم به : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(٤).

وشنع على الذين يؤذون الناس في أرجاء الأرض ولم يحدد ذلك في ديار المسلمين : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾

١ - انظر: (أصول التربية الإسلامية) للنحلوي ص (٧٢) وما بعد، و(عقيدة أهل السنة والجماعة) للشيخ ابن عثيمين ص (٤٥-٤٨)، و(آثار العقيدة الإسلامية في احتفاء الجريمة) ص (١٦٦-١٦٧)، وغيرها كثير مما كتب عن آثار الإسلام.

٢ - قصة الإيمان للشيخ تديم الجسر ص (٤٤٠).

٣ - البقرة: ٢٢٩.

٤ - الأعراف: ٣٣.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ ﴾^(١).

وفي دين الإسلام توجيه للفرد والجماعة للاعتدال واحتشاث نوازع الجنوح والتطرف ، وما يؤدي إليهما من غلو في الدين ، لأن في ذلك مهلكة أكيدة « إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين »^(٢).

وعالج الإسلام نوازع الشر المؤدية إلى التطرف والتخويف والإرهاب والترويع والقتل بغير حق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يروغ مسلماً »^(٣)، وقال عليه الصلاة والسلام « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه »^(٤).

وقد أوصى الله بمعاملة أهل الذمة بالقسط والعدل فجعل لهم حقوقاً ووضع عليهم واجبات ، ومنحهم الأمان في ديار المسلمين ، وأوجب الدية والكفارة على قتل أحدكم خطأ : ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾^(٥).

وحرّم قتل الذمي الذي يعيش في ديار المسلمين « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة »^(٦).

ولم يته الله المسلمين عن الإحسان لغيرهم وبرهم إذا لم يقاتلوهم ويخرجوهم من ديارهم : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٧).

١ - البقرة: ٢٠٥-٢٠٦.

٢ - رواه أحمد (٢١٥/١)، والنسائي في المناسك (٣٠٢٩).

٣ - أخرجه أبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، وأحمد (٣٦٢/٥).

٤ - رواه مسلم في البر والفضلة والأداب (٢٦١٦)، والترمذي في الفتن (٢١٦٢).

٥ - النساء: ٩٢.

٦ - رواه البخاري في الجزية (٢٩٩٩٥)، وأحمد (١٨٦/٢).

٧ - الممتحنة: ٨.

وأوجب سبحانه وتعالى العدل في التعامل مع أهل الذمة والمستأمنين وغيرهم من غير المسلمين: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

إنه لمن أظلم الظلم أن توصف شريعة كهذه بالتطرف والإرهاب، أين مثل هذه التشريعات في التوراة المحرفة، بل وجدنا فيها الحث على القتل والتدمير والظلم! بينما في الإسلام نجد الرحمة والمحبة والسلام تشهد بذلك تعاليم هذا الدين وأحكام شريعته الحنيفية السمحة، وتاريخ المسلمين الصادق الزهري. قال تعالى مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢). وقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣) وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤). وقال لأصحابه: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» (٥). وقال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه» (٦)، وقال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه» (٧) وقال: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» (٨).

هذا عدل الإسلام ورحمته ولكنهم صم بكم عمي لا يفقهون !!
فإن قيل: ما يحدث في بلادكم من عمليات إرهابية متطرفة يخالف هذا.
قلنا: الجواب: إن هؤلاء شرذمة قليلون لا يمثلون الإسلام ولديهم انحرافات فكرية قادتهم إلى الغلو والتطرف. إضافة إلى كونها في غالبها ردود أفعال على ما يحيق بالمسلمين

١ - المائدة: ٨.

٢ - الأنبياء: ١٠٧.

٣ - الأعراف: ١٩٩.

٤ - التوبة: ١٢٨.

٥ - رواه البخاري في الوضوء (٢١٧)، والترمذي في الطهارة (١٤٧)، والسنائي في الطهارة أيضاً (٥٦).

٦ - رواه البخاري في استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٥٢٨)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٩٣).

٧ - رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٩٤)، وأبو داود في الأدب (٤٨٠٨).

٨ - رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٩٢)، وأبو داود في الأدب (٤٨٠٩).

في كل مكان ولاسيما في فلسطين من ظلم عالمي يخالفون فيه ما يدعون من الحريات
وحقوق الإنسان وتقرير مصائر الشعوب .
ولقد واجه الإسلام حملات التطرف قديمًا كالحوارج والحركات الباطنية وجيوش
الصليبيين وغيرها وسيظل راسخًا أبنًا أمام حملات التطرف والإرهاب المعاصرة من الداخل
والخارج .

المبحث الثالث
الجهات والمؤسسات
التي لا بد أن تعنى بالتعامل مع التطرف

الجهات والمؤسسات

التي لا بد أن تعنى بالتعامل مع التطرف

إن الحديث عن علاج لظاهرة التطرف يقودنا تباعاً إلى الحديث عن الجهات التي لا بد أن تعنى بالتعامل مع التطرف والمتطرفين؛ انطلاقاً من أهمية التكامل والتعاون والتعاقد فيما بينها - أي الجهات والمؤسسات - للوصول إلى إنتاج تكاملي تعارفي يخلص الشباب المسلم من المفاهيم الخاطئة للولوج إلى الفكر السليم والسوي، ولقد تفرست في هذه الجهات ووجدت أنها تنحصر فيما يلي:

- ١- العلماء والدعاة.
- ٢- الأسرة.
- ٣- المدرسة.
- ٤- المؤسسات الاجتماعية.
- ٥- المؤسسات الإعلامية.
- ٦- المؤسسات الأمنية.

أولاً: العلماء والدعاة

وظيفة العلماء والدعاة

لقد أكرم الله - سبحانه وتعالى - هذه الأمة بالعلماء والدعاة، وأعلى من شأنهم، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، وقد أصبح لزاماً عليهم ومن صلب عملهم دعوة الناس إلى طريق الحق والخير والعدل.

سيبيلهم في ذلك: اللين والرشاد وغزارة العلم الصحيح من الكتاب والسنة؛ فالحق - سبحانه وتعالى - أمر موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالتوجه إلى فرعون مصر: ﴿أذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٢) وكما قال عز من قائل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٣).

وفي مجال الحكمة والسداد والأخذ بأسباب الإقناع هناك تدرج منهجي، وأسلوب عميق في التعامل مع الآخرين للدعوة بينه الله عز وجل في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٤)، وهذه الآية من الأصول التي يحرص عليها الدعاة الصالحون؛ لأنها تتضمن ثلاث درجات من العمل الدعوي:

تبدأ بالحكمة - ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - وكلمة الحكمة تضم ألواناً كثيرة من المعارف الإنسانية، وقد جاء في تفسير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي هذه الآية الكريمة في دروسه المعروفة: (النصح ثقيل، فلا تنصبه جيلًا، والخفايا مرة فاستمعوا لها خفة البيان، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يخاطب لا يسمي أشخاصاً بعينهم، بل يقول: (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا).

١ - فاطر: ٢٨.

٢ - طه: ٤٣-٤٤.

٣ - البقرة: ٨٣.

٤ - النحل: ١٢٥.

ومن هذا المنطلق.. فإن الداعية في عصرنا الحديث مطالب أكثر من أي وقت مضى بتوحي الحكمة والتريث في إطلاق الأحكام، وعدم التعرض للناس بالأذى^(١)؛ لأن النتيجة ستكون عكسية عندما يشعر المخاطب بأن الداعية يتكبر عليه ويوجهه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، أما الموعظة الحسنة.. فتستوجب على الداعية أن يلم بالكتاب، والسنة، وأمثال العرب، وقصص الأمم السابقة إلاماً يؤهله لعمله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

ثم تأتي مرحلة الجدل الذي وصفه المولى عز وجل بالتي هي أحسن، ذلك أن مسار الجدل قد تقود إلى بعض الحدة في التنازل والبحث، ومقارعة الحجة بالحجة، لذلك أمر الله أن يكون الجدل وفق معايير معينة، ضبطها بالحسن، فلا يشتط الداعية، ولا يلجأ إلى هذا الأسلوب إلا بعد أن يتمكن من أدواته، ويحكم عواطفه، ويلجم لسانه عن الإساءة للآخرين مهما كان بعدهم عن طريق الحق والرشد، وعليه أن يسدد ويقارب إلى أن يصل إلى مبتغاه، مستعيناً بالصبر والأناة وسعة الصدر وحسن الخلق، مصداقاً لقول الله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأُنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣).

ومن الأمور التي أصبحت عامل هدم كبير وخطير في جدار العمل الدعوي: انفلات مسألة الفتوى، فقد تصدر كثير من الشباب لموضوع الفتوى بغير علم، إلا من أشرطة استمعوا إليها، أو حلقات علم حضروها، أو كتيبات اطلعوا عليها، ثم تشددوا وغلوا وتطرفوا في آرائهم وأفكارهم، حتى وصل بعضهم إلى مرحلة تكفير كل من خالفهم الرأي، وهؤلاء هم أخطر فئة على المجتمع وأمنه واستقراره؛ لأنهم مثل الفعل المتعدي، فقد ضلوا وأضلوا، والنتيجة انسياق عدد من الشباب خلفهم دون علم أو هدى من كتاب منير، فقد أصبحت الواجهة والمكانة الاجتماعية التي يتيحها التصدي للفتوى أهم من محتواها، وعمق التفكير في آثارها ومدلولاتها، لذا ينبغي عدم التفاضي عن هذا الأمر الجلل

١ - تفسير القرآن العظيم، للشيخ محمد متسولي الشعراوي، مقالات في مجلة عقيدتي، عدد ١٥٦،

٢٣/١١/١٩٩٤م.

٢ - يوسف: ١١١.

٣ - ١١١: ١١١.

في الوقت الذي نجد بين أيدينا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا» (١).

ومما لا شك فيه: أن الداعية - الذي يتصف بالعلم والحكمة والصلاح، والقُدوة في نفسه وبين أهله، والإخلاص في العمل، والتواضع، وعدم المداينة - سيكون خير دليل لمجتمعه، وأحسبه من الناس الذين قال فيهم الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

وهذا يرسم ربنا - سبحانه وتعالى - صورة الداعية إلى الله، ويصف روحه ولفظه، وحديثه وأدبه وأسلوبه في دعوته الخيرة النيرة (٣)، وهي صفات باقية إلى يوم القيامة، محفوظة بما حفظ الله به القرآن العظيم، وسوف يسهم مثل هذا الداعية في تربية جيل معاف من أمراض الغلو والتطرف، التي تؤدي إلى الإرهاب، الذي هو في كل الأحوال وسيلة وليس غاية في ذاته، فإذا كانت الأهداف نبيلة وبعيدة عن التشويه والجهل. فإن الوسائل المفضية إليها حتماً ستكون نظيفة الظاهر والباطن، وبذلك تنتفي حالة التطرف، وما يتعلق به من غلو يوصل إلى العنف، المؤدي إلى الإرهاب بشكل عام.

١ - أخرجه البخاري في الحج (١٦٥٢)، وأحمد (٢٣٠/١).

٢ - فصلت: ٣٣.

٣ - بين الدعاة والرعاة - محمد محمود الصواف - مؤسسة الرسالة ١٩٩٧م.

ثانياً: الأسرة

وظيفة الأسرة

لقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً كبيراً، وجعلها الخلية الأولى في المجتمع، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة من شؤونها إلا وأوضحها بما لا يدع مجالاً للشك: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾^(١).

إن الأسرة في الإسلام هي المحضن الطبيعي للناشئة الصاعدة فيها، تشب على مشاعر المحبة والرحمة والتكافل - وركائز الإسلام هي هذه المشاعر الثلاثة جميعاً - لتصبح هذه الركائز جزءاً من طبيعتها، وخلقاً أصيلاً يكيف ويضبط سلوكها ليعنى على أساسها مجتمع التقوى والعمل الصالح^(٢).

وعلى رغم تشابك العلاقات الأسرية، إلا أننا في هذا المقام نسعى لإلقاء الضوء على علاقة الوالدين بالأبناء، وهي علاقة أطرها الحق - سبحانه وتعالى - في قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾^(٤).

ولقد تكفل الإسلام ببيان أحكام الأسرة، مع الإشارة إلى أسرار التشريع مفصلة تارة، وبمجملة أخرى، في آيات وسور متعددة وأحاديث كثيرة، من إرث ووصية ونكاح وطلاق، وبين أسباب الألفة ووسائل حسن المعاشرة، وشيد صرح المحبة بين أفرادها على تأسيس حقوق معلومة، في دائرة محدودة، فمضى روعيت تلك الحدود.. عاشت الأسرة في أرغد عيش وأهنأ حياة.

وحذر من هدم الأسرة، وحث على تماسكها واتحادها، ونفر عن كل ما يدعو إلى تفكك عراها^(٥).

١ - الروم: ٢١.

٢ - حنيفة الإسلام - د. عبد الحادي بو طالب - أفريقيا الشرق ١٩٩٨م.

٣ - الإسراء: ٢٣.

٤ - لقمان: ١٤.

٥ - ... في نظام الأسرة - السيد محمد بن علي المالك الحسيني - ١٣٩٨هـ.

فإذا قام الأبوان بدورهما كاملاً في تنشئة أبنائهما على تشرب روح التعاليم الإسلامية، وحرصاً على تفادي عناصر التفكك الأسري.. فإن هذه الخلية ستكون صالحة، وتنتج رجالاً ونساء صالحين، يسهمون في إسعاد أنفسهم وتقدم مجتمعاتهم نحو الأفضل، ومن هنا تبرز لنا الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١).

وهذا تخرج البشرية من طور الفردية إلى رحابة الإنسانية، لتدخلها من أوسع أبوابها، وهو باب التعارف، الذي يقود إلى التعاون والتآزر، وحرية الحركة والتنقل والفكر والتجارة وغيرها من المصالح المرسله بين الناس.

وبضمان صلاح أفراد الأسرة.. فإن المجتمع كله سوف ينحو إلى الصلاح، وتنحسر مسببات العنف والآفات التي تنخر في المجتمع وتسهم في ارتفاع هجمة الإرهاب والتطرف.

وبطبيعة الحال فهناك مسببات أخرى أدت إلى زيادة ظاهرة التطرف والعنف والإرهاب في مختلف المجتمعات، على الرغم من أن البناء الأسري قد ظل على حاله دون زعزعة، على امتداد عشرات - بل مئات - السنين، وهذه حقيقة مسلم بها، إلا أن إسهام الأسرة يأتي بتعرض أبنائها إلى طائفة من الأفكار الغريبة التي لم تكن متاحة من قبل، فدخلت القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت قد شكل تدخلًا سافرًا في خصوصية الأسرة المسلمة.

ومع إيماننا بأهمية هذه العناصر وفائدتها.. إلا أنها أثبتت من الوهلة الأولى أنها سلاح ذو حدين، إذا أسيء استخدامها فإنها تؤدي إلى نتائج وخيمة، وإذا أحسن التعامل معها والاستفادة من محزونها المعرفي فإنها كثر لا غنى عنه لكل أسرة، وبالتالي فإن دور الوالدين يزداد أهمية بمراعاة هذه العناصر الجديدة التي وفدت إلى بيوتنا، ولا بد من تكريس المزيد من الوقت لمتابعة نشاطات الأبناء والحرص على عدم انجرافهم مع التيارات التي تسعى في الأرض فساداً، علماً بأن الأسرة المسلمة مستهدفة بطريقة سافرة، وهناك جهات كثيرة تسعى لتفويضها حتى يفسح لها المجال لمزيد من التخريب داخل المجتمع الإسلامي، وبالتالي

فإن غسل عقول بعض الشباب والدفع بهم إلى أتون التطرف والإرهاب.. قد تم بالتأكيد بعيداً عن رقابة الأسرة، التي يفترض أن تكون على معرفة تامة بتحركات أبنائها وبناتها، وعلى إدراك كامل بعلاقاتهم الاجتماعية، والجهات التي يستقون منها أفكارهم، حتى لا يفاجأ الوالدان بتبدل عادات أبنائهما بعد تكرار تواصلهم مع بعض الجهات المشبوهة.

وكثيراً ما تقع الكارثة ويستفحل الأمر قبل تداركه، لذا ينبغي على الأسرة أن تعي دورها جيداً، وتعمل وفق منهج التربية الإسلامية، وتحمل كامل المسؤولية من كل فرد، وكما جاء في الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته »^(١).

وتعكس أهمية المسؤولية الملقاة على عاتق الوالدين، وتنبثق أهمية القدوة الصالحة؛ إذ ينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه، فما أجهل أن تفتتح مفاهيم ومشاعر جيل جديد قادر على تحمل المسؤولية، مدرك ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، حتى تستقيم الحياة على مرتكزات متينة من العلاقات الاجتماعية المثمرة .

١- رواه البخاري (١٨٢٩) ومسلم (١٥٣٦) وابن ماجه (١٨٢٩).

وظيفة المدرسة

إن المجتمعات الحديثة اتجهت بوظيفة المدرسة من مجرد مؤسسة للتعليم إلى مؤسسة تعليمية ذات وظيفة اجتماعية مسايرة لتطورات الحياة الاجتماعية، كما أصبحت المدرسة توصف بأنها مجتمع صغير، وبأنها أحد الأجهزة الاجتماعية يدرّب طلابه على العمل المحلي وعلى تحمل المسؤولية، حيث يتمثل التلاميذ معني القانون وفكرة الحق والواجب، بل أصبح بعضهم يصف المدرسة بأنها: مؤسسة تنظيمية تقوم على خدمة المجتمع ودراسة البيئة والتعرف عليها والوقوف على مواردها واحتياجاتها، واشتراك الأهالي في تمويل المشروعات وتنفيذها؛ لأن المؤسسة الوحيدة التي ترتبط بجميع أفراد البيئة هي المدرسة.

وهكذا تطورت وظيفة المدرسة كمؤسسة اجتماعية إلى المساهمة في أعمال المجتمع الكبير، بعد أن كانت منعزلة عنه، وأتاحت للآباء والأمهات أن يدخلوها ليتشارروا في مصالح أبنائهم ومصالح المدرسة^(١).

إن التوسع الذي شهدته المدرسة لكونها مؤسسة اجتماعية رائدة قل نظيرها في المجتمعات المعاصرة يدعو إلى محاولة سرّ غور هذه المنشأة الخطيرة وتشريح دورها؛ فالبيت - بغض النظر عن قيامه بدوره وواجباته - يدفع بالأبناء إلى بوابة المدرسة، حيث تتكفل أجهزة التربية والتعليم بالقيام بصقل تلك العقول الغضة، وتلقينها أسس الفضائل من خلال المناهج الدراسية؛ ليكونوا مواطنين صالحين في مستقبل أيامهم، فهي مصنع الرجال والسيدات، الذين سوف يقودون زمام المجتمع في يوم ما، وتلك حتمية الحياة وصورورها الأزلية، وتكمن الخطورة في استغلال هذه العقول الصغيرة وتوجيهها إلى مسارات تتعدى بها عن جادة الطريق السوي، وأعني قيام بعض من لهم علاقة بالعملية التعليمية بغرس أفكارهم الخاصة ومفاهيمهم، وما يعتقدون أنه صواب من وجهة نظرهم فقط، والإصرار على تلقين الطلاب تلك الأفكار، والتركيز على أنها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مع أنها أفكار خاضعة للأخذ والرد، متناسين قول الإمام الشافعي رحمه الله: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب .

١ - تنمية ثقافة الطفل - عبد الوهاب يوسف - دار الفكر - دمشق ٢٠٠٢م.

إننا أمام إشكالية انحراف البعض بمسيرة التعليم، بالرغم من الضوابط المنهجية التي تفرضها الجهات المعنية، ذلك أن علاقة الطالب بأستاذه لا تنحصر في الصف الدراسي فقط، بل تعداه كما هو معلوم إلى النشاطات غير الصفية، وهي مجال خصب وبيئة صالحة لتفريخ الكثير من الأفكار الغربية، والتوجهات التي تسعى إلى فرض نفسها بأساليب أقلها العنف والتطرف والشدّة، والنتيجة: أن ينحرف سلوك الطالب تجاه أقرانه؛ ليفرض عليهم أفكاره التي استقاها دون تثبيت من بعض أساتذته، فهو لا يملك أدوات التثبيت؛ لأنه غير مطلع على المصادر التي تتناول الموضوعات الخلافية وتنظر فيها بعين التدبير، والعمل على إخضاعها لموازين الكتاب والسنة وأقوال العلماء وأهل الاجتهاد.

وللأسف يخرج هذا الجيل - وهم قلة والحمد لله - وقد حمل بذرة العنف والإرهاب والتطرف ويكون دينه بين الناس، فهو عندما يغادر المدرسة المجتمع الصغير.. يجد نفسه وجهاً لوجه أمام مجتمع كبير يجمع كل ألوان الطيف الثقافي والفكري والديني بمختلف مذاهبه، بينما يكون متشبهاً بأفكار لا يترشح عنها، ويرى أنها الحق ولا شيء غيره، ومع ذلك تكتنف عقله هالة من القدسية تجاه ما يؤمن به، وبحسب أن مفاتيح الجنان معلقة بتنفيذ أفكاره على أرض الواقع، حتى إذا ما اصطدمت بالنظام أو الدولة رفض بكل التعاليم الدينية التي تدعو إلى التسامح وعدم التطرف والغلو ونبتد التطرف، فهو ربما لم يسمع بها أو أنها تتناقى مع معتقداته الفاسدة الضالّة، وهكذا تجد هذه الفئة المنحرفة نفسها في جيوب منعزلة، وتعمل في الظلام لتنفيذ مآربها، وتصل الكارثة إلى قمة المساءة عندما يتزترع هؤلاء الظلاميون بالمتفجرات ليغتالوا الفرحة في عيون الأطفال الأبرياء، ظناً منهم أن ذلك من الدين، والدينُ منه براء .

ومن أبرز مقومات عمل المدرسة وظيفة الضبط الاجتماعي⁽¹⁾، وهي خاصية تجمع بين المنزل والمدرسة، فالأسرة تعمل على ردع عناصر الخروج عن سلوكيات التربية الدينية في طاعة الوالدين وبرهما، والتفكير من العقوق؛ لكونه من كبائر الذنوب. وعلى الجانب الآخر تسعى المدرسة لضبط علاقة الطالب بالمجتمع الصغير وفق أنظمة ولوائح تضمن الحقوق والواجبات، وهذا تدريب عملي على ممارسة الانضباط

نفسه في المجتمع الكبير بين الفرد ومن حوله، في العمل والبيت ومع الدولة بمختلف مؤسساتها، كل ذلك وفق أنظمة وقوانين تنظم هذه العلاقة، وترعى مصالح الجميع، علماً بأنه يتم التمهيد لكل ذلك من خلال إتاحة الفرصة للتلاميذ لكي يتدربوا على استخدام عقولهم وأفكارهم، واستنباط حلول للمشكلات التي تعترضهم، بعيداً عن العنف والإرهاب.

كما أن الجمعيات الأدبية والمنابر الخطابية وغيرها من وسائل التعبير عن النفس ذات أثر كبير في تذويب الفوارق بين التجمعات الطلابية، ويجب أن تسير هذه المنظومة في إطار بعيد عن تدخل الكبار، إلا من قبيل التوجيه عن بعد، ولكنها حتماً سوف تفسد فساداً كبيراً إذا تبنت أفكار الآخرين وأصبحت تغذيها بأسلوب يمنع عنها الاحتكاك بالأفكار الأخرى، مع رفض الآخر والعمل على عزله وإنكار حقه في التعبير عن ذاته، وهذه هي البذرة الأولى والأكثر خطورة في إذكاء روح العدوانية والعنف والتطرف والإرهاب.

رابعاً: المؤسسات الاجتماعية

وظيفة المؤسسات الاجتماعية

تختلف المؤسسات الاجتماعية - أو ما يسمى بمؤسسات المجتمع المدني - من بلد لآخر، وفقاً لعادات وتقاليد ذلك البلد ودرجة انفتاحه وأحده بأسباب التطور والشفافية في التعامل مع مختلف الناشطين الذين ينظمون العمل الطوعي.

والحديث عن وظيفة المؤسسات الاجتماعية يتجدد بتحدد الحاجة إلى تلك المؤسسات التي لا يمكن حصرها، نظراً لإمكانية تولدها وتكاثرها بصورة غير طبيعية، فالحاجة تؤدي إلى إيجاد المزيد من هذه المؤسسات، وبعضها قد يصحح غير ذي جدوى، فيختفي من الساحة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المؤسسات تنقسم إلى قسمين رئيسين:

- مؤسسات اجتماعية حكومية، منها السجون والإصلاحات الخاصة بالأحداث المنحرفين، وغيرها.
- ومؤسسات ثقافية مثل الأندية الأدبية والمساجد، وجمعيات حماية البيئة وغيرها، وأخرى أهلية.

فيما تتسع قاعدة المؤسسات الاجتماعية الأهلية لتشمل جمعيات البر، وجمعيات رعاية الأطفال المعوقين، والأندية الرياضية، وجمعيات رعاية الأيتام، وغيرها من أوجه العمل الخيري، التي تظل في مد وجزر حسب الحاجة إلى خدماتها.

وأحسب أن من أهم هذه المؤسسات على الإطلاق: المسجد الذي كان مركز دائرة المجتمع، حيث كان محل عبادة، بالإضافة إلى عقد ألوية الجيوش والقضاء، وعقد اللقاءات ذات الشأن في تقرير مصير الأمة، وإقامة حلقات العلم وتحفيظ القرآن الكريم وإبرام عقود النكاح، بالإضافة إلى أنه ساحة مباركة للتعارف بين الناس والتواصل بينهم ومعرفة أحوالهم والاطمئنان على المعارف والأصدقاء، وكلها مناشط خير وبركة، وقد عم نفعها كثيراً، وللأسف انحسرت هذه المناشط فأصبحت المساجد في كثير من المدن عبارة عن دور عبادة، بينما اختفت سائر النشاطات الأخرى، وكثيراً ما ترى المصلين ينصرفون كل في طريق دون أن ينبس أحدهم بكلمة واحدة مع الآخر، وفي تصوري أن بعض الخلل

قد طرأ على وظيفة المسجد فأصبح على ما هو عليه الآن، وهذا يتطلب من الجهات المعنية دراسة هذه الظاهرة، ومحاولة إيجاد الحلول التي تعود بالمسجد تدريجياً إلى دوره التاريخي في بناء المجتمع.

ومن ناحية أخرى فقد استغلت بعض العناصر الضالة المساجد أسوأ استغلال لاصطياد الشباب وغيرهم من المتحمسين، الذين تم تحويلهم إلى قنابل بشرية قابلة للانفجار في أية لحظة، وبعضهم خرج من المساجد إلى حيث فجر نفسه إيماناً راسخاً منه بأن العمل الذي يقوم به هو في خدمة الدين، وأنه سوف يوصله إلى مرضاة الله، ولا شك أن الفراغ الذي عان منه المسجد - الذي هو مؤسسة اجتماعية ذات وزن ومسؤولية ووظيفة حادة في خدمة المجتمع - قد أدت إلى تشويه رسالته، فأصبحت الفئات الضالة المضلة ترتع بين جنبات المساجد وأروقعتها دون رقيب، فخرج من بين جنباته الطاهرة بعض دعاة الإرهاب وترويع الأمنين، وتلك حقيقة لا ننكرها رغم مرارتنا، وهي مؤشر إلى ضرورة الاستفادة من هذه المؤسسات، للارتفاع برصيد الخدمات الجليلة التي تقدمها للمجتمع وفق الصورة الزاهية التي عرفناها عبر التاريخ .

وهناك مؤسسة اجتماعية لا تقل أهمية عن غيرها، وأعني بها مؤسسة الحي السكني، فالإسلام قد اهتم بحسن الجوار، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ما زال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه »^(١) ، هذه الوشائع التي تنمو بين الجيران وتصهر مشاعرهم وتوجهاتهم وتقرب بينهم.. ذات أثر كبير في تحسين المجتمع وتنقيته من الشوائب والدخلاء الذين قد يتورطون في بعض أعمال الشغب، فيهب أهل الحي بصورة حضارية منظمة لوضع حد لمثل تلك الممارسات غير المنضبطة، تحت مظلة الجهات الرسمية لحل الخلافات بين بعضهم بعضاً، بعيداً عنها وعن المرافق القضائية بما يحفظ بينهم ودهم وتأزرهم من جهة، ويخفف الضغوط على المرافق الرسمية من جهة أخرى، وبهذا يخلو الحي - وبالتالي المجتمع كله - من عناصر السوء التي قد تقود إلى الانحراف والتطرف والغلو والتخريب والإرهاب، فكل فرد في الحي يعد نفسه جندياً لخدمة بقية الأفراد، ولكن هذا الدور قد انحسر أيضاً، شأنه شأن الدور الذي كان منوطاً بالمسجد،

١ - أخرجه البخاري في الأدب (٥٦٦٩)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٢٥).

وبما لا شك فيه أن هناك أسباباً موضوعية أدت إلى هذا التدهور، بيد أنها أسباب يمكن معالجتها بقليل من الاهتمام والصر، حتى يعود للحى بإذن الله نشاطه المعهود، ودوره المهم في خدمة الناس بوصفه واحداً من أهم مؤسسات المجتمع .

وبطبيعة الحال فإن المجتمع يضم جميع ألوان الطيف، وهناك من الأفراد من امتحنهم الله سبحانه وتعالى ببعض الأمراض المزمنة، وبعضهم من ذوي الاحتياجات الخاصة، لذلك نشطت جمعيات اختصت بمثل هذه الحالات؛ منها جمعيات أصدقاء المرضى بصفة عامة، وجمعية أصدقاء مرضى السكر بفروعها المختلفة، وجمعية أصدقاء القلب الخيرية، وجمعية الأطفال المعاقين بفروعها المختلفة، وكثير من المراكز الخاصة التي تعنى بذوي الاحتياجات الخاصة، مثل جمعيات البر المنتشرة في جميع المدن العربية والإسلامية، وهذه الجمعيات تشكل ظاهرة طيبة، وهي تعبير عملي عن التضامن والتآزر والتكافل الذي دعا إليه الدين الحنيف، « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال إلى الله تعالى فقال: من أدخل على مؤمن سروراً، إما أن أطعمه من جوع، وإما قضى عنه ديناً، وإما بنفسه كربة من كرب الدنيا.. نفس الله عنه كرب الآخرة، ومن أنظر موسراً أو تجاوز عن معسر أظله الله يوم لا ظل إلا ظله، ومن مشى مع أخيه في ناحية القرية لتبنت حاجته.. ثبت الله عز وجل قدمه يوم تتفقد الأقدام، ولأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته.. أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين، وأشار بإصبعه ^(١) ».

هذه هي الروح الإسلامية الحقة التي تنحسد من خلال المؤسسات الاجتماعية، وهي في التحليل النهائي تساعد في إيجاد روح التماسك بين المواطنين، وترزيل بعض الغبن الذي قد يعلق بالنفوس، وتسهم في حل ضائقة حلت بفرد من أفراد المجتمع دون أن تساعد ظروفه في حلها، أو إيجاد مخرج منها، مع حفظ ماء وجهه، إنها من أسمى صور الخير والمعروف بين الناس، وبإندياحها تقفل الطريق على كثير من الذين قد يصبطادون في الماء العكر لتأليب الناس بعضهم على بعض، وإثراء مناخ الكراهية بين الناس ومختلف الطبقات، وإيجاد بؤر يعيش فيها الإرهاب والتفول على أرواح وحقوق الآخرين .

أما المؤسسات الاجتماعية الحكومية.. فهي تعمل وفق أطر محددة، ولها آلياتها المتعارف عليها في إصلاح وتقويم سلوكيات الذين يجيدون عن جادة الطريق بدرجة أو أخرى، ومن المؤسسات الاجتماعية الحكومية ذات الأثر المباشر في صيانة المجتمع: الإدارة العامة لمكافحة المخدرات، فهذه السموم لم تكن معروفة إلى وقت قريب، قد استشرت للأسف بين الشباب، ووجدت من يغذيها من مهريين ومروجين، كما تنوعت مصادرها، وأصبحت تهدد استقرار المجتمع بصورة جدية، الأمر الذي يستدعي تضافر الجهود بين جميع المواطنين والجهات المختصة لاقتلاع شأفة هذا الداء الخطير، الذي يؤدي إلى تدمير جزء مهم من المجتمع، ويضع المدمنين على طريق النهاية، مع سهولة استغلالهم من قبل عناصر المتطرفين والإرهابيين لتنفيذ بعض عملياتهم البغيضة، مما يشمل عرقلة مسيرة المجتمع القاصدة نحو الرفاهية والخير والحق والعدل .

خامساً: المؤسسات الإعلامية

وظيفة المؤسسات الإعلامية

تتبع أهمية المؤسسات الإعلامية من أنما أصبحت الصوت المسموع لدى جميع أفراد المجتمع، وهي التي جعلت العالم قرية صغيرة تنتقل بينها الأخبار بسرعة البرق، فهي مؤسسات ضخمة ذات ميزانيات كبيرة، تمكنها في أغلب الأحيان من أداء دورها بكل يسر وسهولة، كما أنما لا تقتصر على شكل معين في التواصل مع المتلقي، فتجد فيها الإعلام المقروء والمسموع، والذي بالصوت والصورة، وبهذا أحكمت قبضتها على الإنسان في كل زمان ومكان، حلاً وترحالاً، وفي التجمعات الحضرية كما في البوادي والقفار، كما أصبحت تلك المؤسسات من أهم وسائل الترفيه المتاحة لمعظم المواطنين؛ فهي تدخل بيوتهم بدون استئذان، وتخطبهم بدرجة واحدة من الخطاب الذي قد يستوعبه الكبير، ويستعصي فهمه على الصغير.

ولكن هذه الوسائل - ومن أهمها الفضائيات - قد جعلت من الإعلان مورداً مهماً، وأهم بيئة النجاح فيها الإعلان هي بيئة الترفيه، فانصرف كثير من الناس خاصة فئة الشباب عن متابعة الكتب الجادة، وأصبح الكتاب غريباً في معظم البيوت، ومن الشباب من أصابته هذه الفضائيات بالغبثان فانصرف عنها باحثاً عن قيم أخرى ينشبت بها، فكان أن تحول بدرجة ليجد نفسه أسير منظري الفكر الظلامي الذي يُكفر كل من خالفه الرأي، فينظر إلى المجتمع على أنه كافر، ويجب مجاهدته وقتل أفرادهِ وتدمير موارده.

إن الأثر الذي تركه المؤسسات الإعلامية لا يقتصر فقط على ما تبثه خلال ساعات اليوم والليل، بل يتعدى ذلك إلى ممارسة دور الموجه؛ حيث تحاول كل جهة غرس قيمها ومفاهيمها وأفكارها ونظرياتها في عقول المتلقين، وصولاً إلى أهداف مريحة سلفاً.

وليس غريباً أن يكون من بين تلك الأهداف الإضرار ببعض الأنظمة والدول عبر برامج سافرة أو مستترة، تسعى إلى تقويض الأمن والأمان والاستقرار الاجتماعي، ومن خلال دس السم في الدسم تتحرك بعض المؤسسات الإعلامية المشبوهة وذات التوجهات الخطيرة إلى محاولة إقناع الشباب - وهم الفئة المستهدفة في الغالب الأعم - بضرورة التغيير القسري لآليات المجتمع والدولة، فمنها ما ينسج من خياله، ومنها ما يمزج الواقع

بالأكاذيب والأوهام، ويتجدد من يضع الزيت على النار ليزداد أوارها وتمتد إلى أقصى درجة ممكنة، وهي في سيرها الحثيث نحو التخريب تستقطب الدعم من كل من هب ودب، بل لا تستحي أن تتعامل مع العدو اللدود وتمد يدها إلى الصهيونية العالمية للحصول على المعونات المادية والتقنية التي تمكنها من نشر شرورها، وكم من فتى ضال وقع فريسة بعض الإذاعات والفضائيات التي تبث سمومها من خارج الحدود، فتصل إلى القاصي والداني، فيقع بين برائتها من لم تكن له حصانة كافية في البيت أو المدرسة أو غيرها من مؤسسات المجتمع المدني، وتصل المأساة مداها عندما يحاول هؤلاء البسطاء تنظيم أنفسهم، ويتم تحريكهم من وراء ستار للقيام بأعمال شغب وتنفيذ مخططات إرهابية تزعزع أمن الوطن والمواطنين .

ومن المؤسسات الإعلامية التي انتشرت بقوة خلال السنوات الأخيرة: شبكة الإنترنت، التي أضحت تلبى احتياجات كل من سعى إليها، ومع أننا لا ننكر أهميتها في سرعة الوصول إلى المعلومة والإبحار في مواقعها المختلفة، إنما بحر لا ساحل له من العطاء المتنوع، ولا يعيبها أنها تحمل في تيارها الجارف الحثث والطحالب والأشجار النخرة، فالأمر متروك لخصافة المستخدم الذي يستثمر وقته لما فيه خير وفائدة نفسه ومجتمعه، وأحسب أنه من الأهمية بمكان تربية النشء على الوسائل المثلى للاستفادة من هذه التقنية، وتفادي سلباتها قدر الإمكان، وغرس قيم الفضيلة والحياء، وقيمة الوقت بين الشباب، وتكريس كل ذلك لخدمة الأهداف السامية التي تتطلع إليها كل أمة تسعى لكي تجد لها مكاناً تحت الشمس .

ولا أنسى في هذا السياق ما للمسرح من أهمية، فهو أداة إعلامية وثقافية رائدة، وما للفنون بصفة عامة من دور مهم في ترقية المشاعر والأحاسيس، والابتعاد بما عن مستنقعات الرذيلة والتطرف والعنف والإرهاب، وتغيير المتلقين من أساليب أهل الزيغ والضلال، وتصويرهم بالواقع العملي الذي تنطلق منه خفافيش الظلام؛ لتعيث في الأرض فساداً، ذلك أن المسرح يستطيع أن يخاطب المتلقي بطريقة أكثر شفافية وقرباً، وينقل إليه قطعة من الواقع المعيش، لتتجدد أمامه على خشبة المسرح.

وكم يكون جميلاً أن يمنح المسرح حقه الطبيعي في الازدهار مثل سائر وسائل
التثقيف والتنوعية الأخرى؛ فهو مؤسسة ذات فاعلية كبيرة، ويستطيع أن يؤدي دوراً مميّزاً
في هذا المعطف الذي نمر به، ويرسم علامات مضيئة على طريق الانعتاق من الغيش الذي
تثيره بعض التيارات الفكرية الضالة .

سادساً: المؤسسات الأمنية

وظيفة المؤسسات الأمنية

﴿ إِنبَأْنِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٤٠﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٤١﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْتَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤٢﴾ ﴾^(١)

بما لا شك فيه أن الأمن بمعناه الواسع ومقاصده السامية هو أساس كل تنظيم؛ لأنه العمود الفقري للحياة الإنسانية كلها، وأساس الحضارة والمدنية والتقدم، والازدهار في سائر فروع المعارف البشرية والفنون والآداب والتجارة والسياحة، وأداء المناسك والشعائر الدينية، وقد أوكلت إلى الجهات الأمنية مهمات الحفاظ على هذه المكتسبات القيمة، فهي مثقلة بكثير من المهام الكبيرة المناطة بها تحقيقها؛ حفاظاً على الأمن والأمان اللذان هما عصب الحياة ومنبع حركتها ومصب إنجازاتها .

والمتتبع لتطور وزارة الداخلية - التي تقع تحت مظلتها جميع الأجهزة الأمنية - يجد أنها تشتمل على أقسام عديدة؛ منها الأمن العام، وسلاح الحدود، وخفر السواحل، والمباحث العامة، والدفاع المدني، والإدارة العامة للحوازات، والأحوال المدنية، والحقوق المدنية، وإدارة المرور، بالإضافة إلى كليات وأكاديميات وأنشطة تدريبية تقنية ورياضية مختلفة، وأنشئت كذلك قوة المراسم وقوة الطوارئ، وحرس السفارات، وحرس الموانئ، والسجلات الجنائية، والمعامل الجنائية، والإدارة العامة للسجون، والإنتربول^(٢).

إن النشاطات الأمنية أصبحت معروفة لدى العام والخاص، فمن المعلوم أن مهمة قوات الأمن هي المحافظة على النظام، وصيانة الأمن العام، وحماية الأرواح والأعراض والأموال، ومن مسؤوليات رجال الأمن: التأكد من استمرارية النشاط العادي للمجتمع بسلام، ولذلك فمن واجبه أن يضبطوا ويقبضوا على أولئك الأفراد من أعضاء المجتمع الذين لا يتحاربون مع رغبات مجتمعهم في استمرار الهدوء والاستقرار، ومنع الاضطرابات^(٣).

١ - قرينش: ٤-٢ .

٢ - الأمن في البلاد العربية - الفريق يحيى المعلمي - ١٩٨١ م بتصرف.

٣ - الأمن والتخطيط - اللواء يحيى المعلمي، ص ١١٥ .

ومهمة الضبط التي تقوم قوات الأمن بما تتعلق بصفة مبدئية بأولئك الأشخاص الخارجين على المجتمع، ولا يتسنى السيطرة الكاملة على هؤلاء حتى يوضع شرطي على كل زاوية من زوايا الشوارع، ولكن المجتمع يحتاج إلى ظروف تقلل الاضطراب والفوضى، وهذه الظروف ينبغي أن تتوافر في إطار التقاليد والعادات الاجتماعية، والأنظمة التي تعمل على خدمة المجتمع والحفاظة عليه.

وقوات الأمن في المجتمعات المتقدمة تعد مسؤولة عن المجتمع، وتعمل على خدمته، ولكي تواجه قوات الأمن مسؤولياتها.. فإنها يجب أن تضطلع بأربع مهمات: ضبط الجريمة - منع الجريمة - تنظيم السلوك - الاستعداد للخدمة⁽¹⁾.

المبحث الرابع
توصيات ونتائج خاصة لعلاج ظاهرة التطرف

توصيات ونتائج خاصة لعلاج ظاهرة التطرف

- ١- أهمية الوضوح والشفافية والصراحة في طرح قضايا التطرف والتكفير والعنف والغلو وأسبابها، والاعتراف بوجودها وآثارها، ولا سيما بعد أن شاعت هذه الأمور عبر وسائل الإعلام والإنترنت ومجالس الناس الخاصة والعامة.
- ٢- يجب عدم الخلط بين القضايا التي لها أصول شرعية، وبين ما فيه مخالفة للشرع، فالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء ونحوها كلها أصول عقدية معتبرة شرعاً بشروطها، فيجب بيان الخطأ في تفسيرها وفهمها، وعدم الخلط بينها وبين التطرف الديني والتكفير والعنف والإرهاب والغلو، ولا سيما في الخطاب الرسمي للدولة، وفي الخطاب الإعلامي الذي يمثلها.
- فليس كل أهل التطرف والغلو والتكفير خوارج. وليس كل مكفر جهادياً، وليس كل مجاهد مكفرًا، والخلط بينهم أدى إلى تعاطف بعضهم مع بعض وإلى التباس الأمور على كثير من الناس، وإلى تعاطف آخرين معهم كذلك.
- ٣- كشف مواطن الإشكال واللبس والعموض في القضايا الحساسة، وإعلان الوجهة الشرعية فيها، وتأصيل ما لم يتم تأصيله شرعاً بفتاوى العلماء، وخصوصاً قضايا الأنظمة والعلاقات الدولية والبنوك، وبعض المواقف والقرارات التي هي مظنة المخالفة الشرعية، أو الشائعات حول هذه الأمور ونحوها، فتأصل الأمور ويكشف الزيف علناً وبصراحة ووضوح، وليس من العيب أن تدافع الدولة عن نفسها بالحجة والبرهان، بل هو عين الحق والقوة والشجاعة والصواب، فتحذر جميع المسائل المشككة شرعاً، وتربط بأصولها وقواعدها وأدلتها وفتاوى العلماء.
- ٤- ثم يتبع ذلك أهمية استقراء شبهات المتطرفين والغلاة ودعوايهم وتليساقتهم أو الأمور المنتسبة عليهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم والتعرف على رؤوسهم ومرجعياتهم، ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي، والحوار الجاد مع المنظرين والمتبوعين منهم.
- ٥- أما وسائل العلاج والحوار التي يمكن تفعيلها أو إنشاؤها والمقترحات حول ذلك، فمنها:

أولاً: طرح برامج وخطط علمية مدروسة ومحددة ومرجحة بعناية لعلاج ظواهر التطرف والغلو بالحوار والمناقشة والحجة والتربية وبالبرامج العلمية والإعلامية والتربوية والاجتماعية قريبة المدى وبعيدة المدى.

فمن الجانب العقدي والفقهي يجب أن تسهم الجامعات والمؤسسات التربوية كأقسام العقيدة والفقه والكتاب والسنة والثقافة، ومراكز البحث ومراكز خدمة المجتمع، في كل الجامعات، لأنها كلها توجد فيها تخصصات شرعية قوية ومحترمة، وتُدعم البحوث والدراسات والمواقف الإيجابية بموافز - فكما وعدت الدولة بجوائز كبيرة لمن يسهم في التعرف على الغلاة، يجب أن تعلن مثل ذلك لمن يقنع ويهتدي على يده أحدهم أو فئات منهم كذلك! وهذا أقرب للعافية والسلام ودرء الفتنة، ويتبع ذلك:

ثانياً: استنهاض هم العلماء والدعاة والمفكرين والمربين للإسهام في حل المشكلة وتخفيف آثارها والحد من انتشارها بأكثر مما هو حاصل وبكل الوسائل المتاحة - والتقصير في هذا حاصل - فمثلاً لا نعرف أي خطوة رسمية جادة في اللقاء المباشر مع أساتذة الجامعات، والقضاة والدعاة من قبل المسؤولين في الدولة - اللهم إلا النادر - للتشاور والتعاون في حل هذه المشكلات الكبرى.

فيجب على الجميع طرح المشكلة بوسائل الإعلام، ومؤسسات التربية والتعليم، بأسلوب علمي مدروس، لا بما يحصل في بعض اللقاءات والبرامج والإسهامات (شبه العفوية) وغير المعدة إعداداً جيداً أو التي غالباً تكون كما يقول المثل: (افتح فمك يرزقك الله!).

ثالثاً: التأكيد على أهل الحل والعقد وعلية القوم في المجتمع في ممارسة دورهم الريادي للانفتاح على الناس وضيئطهم بالمرجعية الدينية والقبلية والاجتماعية والرسمية.

وأول ذلك: العلماء وكبار المسؤولين في كل منطقة يجب لزاماً التأكيد عليهم بفتح أبوابهم للشباب وعامة المجتمع، وأن يُخصص كل واحد منهم وقتاً يومياً أو أسبوعياً، يستقبل فيه الناس ويجاورهم، ويُخصص للشباب المنافع وقتاً يجاورهم ويرفق بهم ويرشدهم، وأشهد أن غالب الشباب المنافع الذي قد يتعاطف مع الغلاة مستعدون للرجوع للحق، إذا تم حوارهم برفق وسعة صدر وحلم وتذكير بالأصول الشرعية، وهذا

مجرد ونجاح، لكن العلماء غالبا مشغولون عن هذه المهمة، فانصرف كثير من الشباب إلى نضائيات والإنترنت ودعاة السوء والفتنة والتيارات المعادية، والله حسبنا ونعم الوكيل.

رابعاً: يجب إنشاء مراكز وجمعيات ومؤسسات متخصصة رسمية وغير رسمية، تعنى بهذه الأمور يكون فيها باحثون ومتخصصون متفرعون يعكفون على البحث والدراسة والخبرة. وتوفر لهم الإمكانيات اللازمة والوسائل العلمية والإعلامية وغيرها. خامساً: حبذا لو كان في أجهزة الدولة ومؤسساتها المعنية مراكز وإدارات متخصصة في العقيدة والفكر والتيارات المعاصرة كالدخالية - والشورى - والتربية والتعمير، والتعليم العالي، والثقافة والإعلام، والصحف، والعمل والشؤون الاجتماعية، والشؤون الإسلامية، والإفتاء، وما كان موجوداً منها يطور ويفعل ويدعم ليؤدي الدور الواجب في هذه الظروف.

سادساً: توسيع دائرة الفتوى والمفتين نوعاً وعدداً وطريقة، وإنشاء دوائر للفتوى في كل المناطق واسعة الصلاحيات كبيرة الإمكانيات تتصدى لحاجات المجتمع ومشكلاته وإشكلاته الكبيرة والكثيرة والخطيرة، وكذلك الدعوة والشؤون الإسلامية.

فالناس في معظم البلاد العربية والإسلامية لا تزال تفتهم بعلمائهم جيدة على رغم ما حدث لها من صدع كبير، لكن لم تتوافر للعلماء الإمكانيات والوسائل المتطورة لسد حاجة الناس، ولا يزال عدد الذين يسمح لهم بالفتوى على نطاق إعلامي محدود جداً.

سابعاً: كبار المسؤولين من المدنيين والعسكريين بحاجة ملحة إلى دورات مركزة في أصول الدين وثوابه ومسئماته، وأصول التطرف واتجاهاته، والقواعد الشرعية حول الحاكم والبيعة والسمع والطاعة والجماعة، وضروريات الأحكام، ونحو ذلك مما يؤدي الجهل به إلى الاستهانة والاستهجان لمقام المسؤول والخط من قدره.

ثامناً: مهم جداً التأكيد (مرة أخرى) على التفريق بين أحكام الدين في الجهاد بشروطه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء بضوابطهما الشرعية، وبين التشدد والغلو والتطرف الذي يحدث باسم هذه الأصول الشرعية العظيمة؛ لأن الخلط

وتجاوز هذه الأصول من قبل البعض، والتنكر لها من بعض وسائل الإعلام والكتّاب يؤدي إلى استفزاز الناس، ويتذرع به أهل الفتنة والتطرف.

تاسعا: أهمية تفعيل دور رئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الموجودة في بعض الدول العربية والإسلامية، والسعي لإيجادها في بعض الدول الإسلامية أصلاً لا تطبيقاً، وكذلك الارتقاء بمستواها من حيث الوظائف والإدارة، والوسائل والإمكانات والدراسات.

وهذا مما سيقضي على كثير من دعاوى المتطرفين.

عاشرا: حول الفئة المتطرفة واستصلاحها:

أغلب أفراد الغلاة من المتدينين ذوي العاطفة والغيرة والحماس، لكنهم ينقصهم عمق الفقه، والحكمة والصبر والتجارب، واستهوتهم التيارات والأهواء، وأرى حيالهم:

أ - الحوار المباشر ما أمكن من قبل العلماء والدعاة والدولة، ولو في السجون.

ب- توجيه رسائل وبحوث علمية مؤصلة (ومطويات) تطرح بكل الوسائل المتاحة ولا سيما الإنترنت، وتكون من متخصصين حديرين، وتعالج القضايا الكبرى بأسلوب ميسر، ويتبع ذلك:

ج- الإكثار من الإصدارات والندوات والدورات والمحاضرات واللقاءات في علاج التطرف والعلو، وأن تكون هناك برامج ثابتة في الإعلام ولا سيما - إذاعة القرآن - لأن بعض المتطرفين يسمعونها وكذلك بعض القنوات المحسوبة على التدين، والتي تستقطب شريحة لا بأس بها من الناس.

د - الإسراع بالإذن للجمعيات الخيرية والمؤسسات التطوعية لأنها تستوعب كثيرا من طاقات الشباب وتسد فراغهم وتمتص عواطفهم.

هـ- يجب تسديد الخطاب الديني الرسمي وشبه الرسمي وتحذيره في قرارات الدولة وبياناتها ووسائل الإعلام ؛ لأن أغلب صياغات الخطاب الديني وأساليبه غير جيدة ولا محترمة، وبعضها يثير السخرية، ولذا أقترح أن لا يصدر خطاب أو بيان رسمي أو قرار له علاقة بالشرع والدين حتى يعرض على مستشارين شرعيين.

و- كما نجد الدولة والعلماء والمفكرون في معالجة مظاهر التطرف والعلو والعنف - يجب بالمقابل الجد في معالجة المظاهر المعاكسة من الطعن في العقيدة والأخلاق والسلف الصالح، من قبل بعض مرضى القلوب والعقول في صحفنا المحلية، الذين يستفزون كل مسلم عادي، فضلا عن المتدين والغيور. وأظنه من الضحك على الذقون أن يكون الأمر مجرد تبديل رئيس التحرير، أو طرد صحفي أو ما شابه، وتبقى العديد من الصحف تحوي مقالات تخالف بدهيات الدين. وهذا مما يؤكد ضرورة وجود متخصصين في هذه الأمور في الصحف المحلية ووسائل الإعلام.

الحادي عشر: أمور يحسن التنبيه لها في معالجة التطرف والعلو أو ما يسمى

(التطرف الديني) منها:

* أن أعظم سبب لوجود التطرف في العصر الحاضر، هو التطرف المعاكس في رفض الدين أو التساهل والإعراض عنه وعدم الجدية في علاج النوعين بتوازن.
* يجب في هذه الحال التفريق (بوضوح) بين التمسك بالدين والسنة (وهو حق) وبين العلو والتطرف (وهو باطل).

* أن التطرف (التطرف الديني) لا يمكن علاجه علاجاً حاسماً إلاّ بأمرين، وهما:
١- الحوار الجاد والمجادلة والتي هي أحسن، ومن خلال النصوص الشرعية والقواعد المعتمدة من قبل الراسخين والمتخصصين الذين يحترمهم الحوار ويعترف بجدارتهم.
٢- ثم الجد والحزم في معالجة أسباب التطرف، بعد إقامة الحجة وكشف مواطن الانحراف بجلاء.

* أن أكثر ما يثيره أهل التطرف (التطرف الديني) مجي على أوهم وظنون وشائعات، وتليبس، ثم أدى ذلك إلى التهajer والقطيعة بينهم وبين العلماء والمفكرين ورجال الدولة.

* فالحل هو كشف الحقائق، والشفافية والحوار الجاد واللقاء المباشر وفتح الأبواب بضوابط.

* يجب أن تضبط التعددية (وحرية) الرأي التي ظهرت الدعوة إليها أخيراً بالضوابط الشرعية؛ بحيث تكون التعددية في الاجتهادات لا في العقيدة والمسلّمات

والتوابت، ولا تكون ترويقاً للفرق والبدع والأهواء ؛ فالبلد بلد الإسلام والسنة ويجب أن تبقى كذلك.
وأرى أن تجاوز هذه التوابت من قبل بعض الجاهلين كان من أسباب تصاعد التطرف والغلو وذرائعه.

الخلاصة

ها أنذا ألقى عصا التسيار، فأصل إلى نهاية هذا البحث الذي أمضيت في قراءة موضوعاته زمناً ليس بالقليل، فخرت جوانبه بعد سرها، ونظمت أطرافه بعد جمعها، وأختم بأن أدون أهم النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات التي أرى أهميتها.

- نتائج البحث:

١- التطرف في حقيقته حركة في اتجاه القاعدة الشرعية والأوامر الإلهية، ولكنها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حددها الشارع، فهو مبالغة في الالتزام، بالدين، وليس خروجاً عنه في الأصل، بل هو نابع من الرغبة في الالتزام به.

٢- تشابه دلالات لفظ التطرف في أغلب لغات العالم، إذ تعني في دلالتها اعتقاد الطرف أو الجانب الأقصى من الخط.

٣- أن للتطرف مصطلحات مقاربة كالغلو والعنف والإرهاب والتشدد أو التنطع، وأن بينها وبين التطرف تشابه من عدة وجوه أهمها:

أ - إما أنها مرادفة لها.

ب - أو بينها وبين لفظة التطرف عموم وخصوص.

ج - أو أنها تمثل أوصافاً ومظاهر للتطرف.

٤ - أن التطرف الديني ظاهرة شاذة وموجودة لدى جميع الأديان والشرائع السماوية السابقة، فهو موجود عند اليهود كما عند النصارى، ولم ينبج منها المسيح أو الهندوس، وتحدث عنها المصريون القدماء، وكذلك الرومان.

فهي ظاهرة عالمية مشتركة، تشترك بها شعوب الأرض جميعاً، وليست حكراً على العالم الإسلامي فقط.

٥ - أن للتطرف جذوراً تاريخية، فقد وجدت فرق وطوائف غالية ومتطرفة في تاريخ المسلمين، وقد استفاد الغلاة المتطرفون المعاصرون من التطرف القديم بتأييد حجاجهم وتقوية أدلتهم. وكان هناك امتداد بين غلاة الخوارج في القديم وبين غلاة التطرف المعاصرين.

٦- أن للتطرف جذوراً فكرية تتمثل في جانبين:

أ - معاهد الآراء، وهذا يظهر في قضية الحاكمية التي طرقتها أبو الأعلى المودودي وظهرت حلية في كتابات سيد قطب، حيث يمكن إرجاع التطرف المعاصر إلى الخسلاف الواقع في المسألة، وإلى الفهم الخاطئ لهذه القضية، وإلى ظهور الحكم بغير ما أنزل الله في بلاد المسلمين.

ب - المنهج الذي استخدمه المتطرفون للوصول إلى آرائهم، حيث تسبب عسوج ذلك المنهج وانحرافه، مما أدى إلى انحراف النتائج.

٧- أن للتطرف جذوراً نفسية، وهذه الجذور جانبين:

أ - رد الفعل، حيث زحرت المجتمعات الإسلامية المعاصرة بكثير من القسوانتين والأنظمة والتصرفات المناهية للدين، والمناقضة لقيم المجتمع، مما أحدث رد فعل عند بعض أبناء المجتمع مقابلة للفعل.

ب - القابلية للتطرف: إذ كانت نفوس من وقعوا في التطرف قابلة له، لضعف العلم الشرعي، ولقوة تأثير الفعل المناهق للشرع الذي يروونه في مجتمعاتهم.

٨- جعل الإسلام الحرية حقاً من الحقوق الطبيعية للإنسان، فسلا قيمة لحياة الإنسان بدون الحرية، وحيث يفقد المرء حرته، يموت داخلياً، وإن كان في الظاهر يعيش ويأكل ويشرب ويعمل ويسعى في الأرض.

٩- حرية الفكر والاعتقاد محل احترام وإجلال في العالم الإسلامي نابعة عن أن الحرية الفكرية معيار دقيق لنهضة الأمم، فالأمة التي ترعى الفكر وحرته تسود، والذين يحرقونه ويطاردونه يذلون ويخسرون.

١٠ - خاطب القرآن أهل الأديان السماوية السابقة، وهم اليهود والنصارى بألطف العبارات وأجمل الألفاظ، فكان وصفهم دائماً بلفظ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ وخاطبهم أيضاً بلفظ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ .. وهذا الخطاب فيه الاحترام الكبير، فهو يقول لهم: يا أصحاب العلم والمعرفة، يا أهل المخطوطات المقدسة السماوية.

١١- أن هناك شهادات في العالم الغربي تشهد بسماحة الإسلام وعدله واحترامه لحقوق وعقائد الغير، وهي كثيرة ومتعددة.

- ١٢- أن الإسلام دين الوسطية والعدل، لذلك فإنه ينهى عن الانحرافين: الإفراط والتفريط.
- ١٣- أن الإسلام دين اليسر، فهذه سمته الواضحة، وعلامته الفارقة، كما أنه دين التيسير، ولذلك أمر بالتيسير على الناس والرفق بهم واللين في دعوتهم.
- ١٤- أن الإسلام دين التسامح، إذ يدعو الدين إلى اللين في إبلاغ الدعوة، بل يدعو إلى التسامح حتى مع الأعداء، وعدم الاعتداء والتعتيل والغدر.
- ١٥- أن للتطرف أسباباً دقيقة مباشرة وغير مباشرة، وأخرى تتعلق بالأسباب العلمية للتطرف والتي تدور حول الجهل بمفاصل التشريع عموماً.
- هذه الأسباب بتسليط الضوء عليها ودراستها دراسة تحليل وبيان وعمق تكون النجاة والطريق الصحيح لشباب هذه الأمة؛ إذ إن معرفة هذه الأسباب لبنة أولى لتحسينها وبناء جيل معتدل بعيد كل البعد عن الإفراط والتفريط.
- ١٦- أنه بالمقارنة مع حجم التطرف في العالم وحجم التطرف عند الأديان والنيارات في بعض البلاد .. تبين أن مشكلة التطرف عند المسلمين قد هزلت وضُحمت بشكل كبير، وحظيت - لغرض من الإعلام الغربي - بكثير من العناية والمتابعة.
- ١٧- أن للأعداء دوراً رئيساً في تضخيم ظاهرة التطرف في العالم الإسلامي، وذلك بقصد النيل من الصحة الإسلامية الضاربة في التوسع والانتشار.
- ١٨- أن ظاهرة التطرف ظاهرة ذات أبعاد ومختلفة، فهي مشكلة شرعية دينية، وهي سياسية، وهي اجتماعية، وكذلك أمنية، فالإسلام دين شامل، وفهمها على أنها مشكلة أمنية خلل خطير.
- ١٩- إن مشكلة التطرف مشكلة فردية في جانب كبير منها، وذلك إذا نظرنا إلى جانب التطرف الجزئي العملي، وهي مشكلة جماعية إذا نظرنا إلى جانب التطرف الكلي الاعتقادي.
- ٢٠- إن من أبرز مخاطر التطرف التكفير، وذلك بإقصاء أفراد أو جماعات عن ملة الدين الحنيف واختيار التكفير المنهج الأسهل في الحكم على الناس، فدراسة مفاهيم تتعلق في التكفير منها:

١- الكفر البواح.

٢- التكفير بالمعصية.

٣- تكفير المعين دون مراعاة للضوابط الشرعية.

٤- تكفير الحكام الذين لا يحكمون الشريعة بإطلاق.

٥- تكفير الأتباع: المحكومين بغير ما أنزل الله.

٦- تكفير الخارج عن الجماعة المسلمة.

٧- مقاطعة الجمعة والجماعات في المساجد.

٨- الدعوة إلى الأمية وتحريم التعليم.

فدراسة هذه المفاهيم ضروري جداً لمعرفة أفكار هذه الطائفة والرد على شبهاتها.

٢١- علاج التطرف هو أولاً في لجم القوة وإلزامها باحترام القيم، أما المزيد من

الغطرسة والتطرف .. فلن تولد إلا ردود فعل أعنف، وهذا هو غذاء الإرهاب.

إن الحرب على التطرف والإرهاب ستصبح أكبر عملية دعم وتسعير له لو تفاضت

عن القيم، وهذا للأسف هو ما يحدث في الكثير من الحالات .. فالجيوش تقصف المدنيين

لقتل متطرف، وتعتقل المواطنين وتمارس عليهم التعذيب لتكتشف المتطرف.... وهكذا

ينجح المتطرف في جر خصمه إلى تعذيبه، فالتطرف هو ردة فعل وليس فعلاً، فإزالة الفعل

يكون زوالاً لهذه الردة، فالتطرف هو جواب البغي، وليس نقيضه، إنه جواب مرضي

وشاذ ولا يتجاوز الأزمة، ومع ذلك لا يمكن إدانة التطرف بدون إدانة مسببه ومولده،

وعندما نريد محاربة التطرف لا يجب أن نكسر أسبابه.

٢٢- لعلاج التطرف تعاون وثيق بين العديد من الجهات والمؤسسات المباشرة

على حياة الأفراد .. بدءاً من العلماء في المساجد إلى الأسرة ... وانتهاء بمؤسسات الإعلام

والجهات الأمنية، فالكامل ملزم بالتعاون البناء للقضاء على هذه الظاهرة.

٢٣- أثر الإيمان في معالجة ظاهرة التطرف أثر فعال وواقع معاش يجب أن لا

يغفل، بل يدعم ويوثق بدراسات متخصصة وهامة.

وخلصه النتائج في هذا البحث

أن التطرف ظاهرة عالمية عانت منها كثير من المجتمعات الكافرة والمسلمة، وذاقت ويلاته واكتوت بناره، وما زالت تعاني وتمنى أن تعيش بمنا ورغد عيشاً بعيداً عنه.
فالتطرف .. شر كله .. وخراب آثاره .. وأحزان ويلاته .. وفساد تبعاته..
فالتطرف منحرف التفكير، مريض النفس، شارد الذهن، متدي الإحساس، مزاجي
منسخط، مهزوم الشخصية، سليط اللسان، كذوب على أمة، حاسد نجاحها، كاره
سموها وعلو شرفها.

التوصيات

إن علاج مشكلة التطرف مهمة مشتركة لجميع شرائح المجتمع، بدءاً من الحكام وانتهاءً بالمتطرفين أو المتهمين بالتطرف، وسأذكر فيما يلي جملة التوصيات التي أرى لزوم اتخاذها لعلاج التطرف:

أولاً - نشر عقيدة السلف:

إن المتأمل في مظاهر التطرف الموجودة في العصر الحديث يتبين أن تلك المظاهر خارجة عن مذهب أهل السنة والجماعة، وعن المعتقد الشرعي الصحيح. وعليه فإن نشر العقيدة الصحيحة، وتدريبها في المدارس والجامعات والمساجد وتدارس أهل الدعوة لها، ووضعها ضمن مناهجهم.. يحقق للمجتمع المسلم الحصانة من التطرف، ولكن ضمن أسلوب وادع ومدروس، قوامه التثني للمنهج الذي يدرّس، والتعاون الوثيق بين جهات التدريس كاملة، بدءاً من الأستاذ، ووصولاً إلى الوزراء.

ثانياً - نشر العلم الشرعي:

إن المتأملين بالوقوع في التطرف في العصر الحديث يتميزون بفقد العلم الشرعي أو قصوره، وينصب اهتمامهم على الدعوة، وذخيرتهم فيها الحماس والغيرة دون العلم الشرعي. ولذلك فإن أوصي بنشر العلم الشرعي وتكوين هيئات علمية وما يسمى بالجامعات المفتوحة، ومراكز خدمة المجتمع في الجامعات الإسلامية، ليدرس الشباب العلم الشرعي، وتعتقد لهم الدورات الشرعية التي يقوم عليها علماء أكفاء ذوو ثقة في نفوس الشباب، وذوو علم وإخلاص، عندئذ سوف يقل الجهل في صفوف الشباب المسلم، وتضح حقائق الشرع التي غيبت عن أذهان الكثير من هؤلاء الشباب.

ثالثاً - إحياء دور العلماء:

وقد تم الحديث عنه بشكل مفصل عند الحديث عن كيفية معالجة هذه الظاهرة.

رابعاً - دفن الهوة بين العلماء والحكام والشباب:

إن من أكبر المضلات في مشكلة التطرف: أن هناك فجوة بين العلماء والحكام من جهة، والشباب من جهة أخرى، وإن دفن تلك الهوة بينهم واجب حتى تتحقق الثقة وتبنى المحبة التي تحت ظلها تحل جميع المشكلات، إذ عندما يتق الشباب بولي الأمر من حاكم أو

عالم .. فإنه سيسمع ويطيع، وعندما يثق ولي الأمر من حاكم أو عالم بالشباب .. فإنه سيفتح قلبه له ويحل مشكلاته ويزيل شكائته، هذا التمازج في العلاقة ما بين العلماء والحكام والشباب أصبح حاجة ملحة في هذا العصر للوقوف كسد متيع في وجه الأخطار الخدقة بالعالم الإسلامي من كل حذب وصوب.

خامساً - الحكم بشرع الله :

إنه قد تبين جلياً أن الحكم بغير شرع الله كان من جذور التطرف الرئيسية؛ إذ معظم مظاهر التطرف راجعة إليه، ولذلك فإنه يجب على حكام المسلمين الحكم بشرع الله في سائر جوانب الحياة، فتوضع السياسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأمنية والإعلامية وغيرها في ضوء الشرع، ثم يراقب تنفيذ تلك السياسات وتطبيقها.

سادساً - التعامل مع المشكلة من جذورها:

إن كثيراً من محاولات معالجة التطرف تنصب على بعض المظاهر، كالعنف، وتغفل الجانب الأهم في معالجة التطرف وهو التركيز على جذور التطرف، لتكون المعالجة معالجة فعالة، ولتقطع المشكلة من أساسها، فتجف آبارها وتغور منابعها.

سابعاً - الانطلاق من أرضية سليمة:

إن عدداً غير قليل من المعالجين للتطرف متطرفون، فهم منطرفون في الجانب المقابل، وهو العلماني الذي ينطلق أصحابه من وجهة علمانية، ولا يرون الاعتدال إلا في موافقة آرائهم، ولذلك فإن أية محاولة لمعالجة التطرف يجب أن تنطلق من أرضية صحيحة، وهي الدين الوسط، وبهذا يمكن أن تتحقق مصداقية المعالجة ويصل المعالج إلى نتائج جيدة.

ثامناً - إزالة الشكاية:

إنه بدراسة مشكلة التطرف تبين أن هذه المشكلة جذوراً نفسية تمثل رد فعل لأوضاع خاطئة - كالحكم بغير ما أنزل الله - ولذلك فإن المتطرفين يشتكون ويطالبون بتصحيح تلك الأوضاع، ويعبرون عن مطالبهم بأسلوب غير شرعي. والمطالب المشروعة التي يطالبون بها يشترك فيها معهم كل من يريد لأمة ولبلاده وللناس الخير، وإن كان هناك فرق في أسلوب المطالبة، ولذلك فإني أرى من أكبر الطرق

وأقرها لإنهاء مشكلة التطرف: إزالة الشكاية وقطع الجذور، خصوصاً وأن كثيراً من الأوضاع التي يطالب بتصحيحها المتطرفون أوضاع خاطئة بالفعل.

تاسعاً - إعادة بناء المجتمع:

إن المظاهر غير الإسلامية التي عمت كثيراً من بلاد المسلمين كانت رافداً كبيراً من روافد التطرف وجذراً رئيساً من جذوره، وسبباً لاستفزاز الحليم فضلاً عن غيره، ولذلك فإن من الواجب على المسلمين رعاية ورعية أن يعيدوا بناء مجتمعاتهم على أساس من الدين السليم، وأن تدرس جميع جوانب الانحراف وتعالج في ضوء الشرع، فإنه بإعادة هذا البناء يكون البناء الصحيح والمهادن حقاً.

عاشراً - عدم استخدام العنف في معالجة التطرف:

إن من الواضح من تجربة معالجة التطرف في العصر الحديث، أن العنف لم يجد نفعاً في علاج التطرف، بل كان سبباً لظهور تيارات تطرف، ولذلك فإن أوصي بالآلا يستخدم العنف والقوة في معالجة التطرف، لأن ذلك يفضي إلى أضرار وخيمة وأخطار عظيمة، وإذا استفدت جميع الوسائل في معالجة التطرف ولم يبق إلا العقوبة .. فإنه يجب أن يكون الحكم بما للعلماء والقضاة الشرعيين، وأن تكون العقوبة خاصة لا أن نعم، كما هو الواقع في بعض البلاد الإسلامية، والتي تعتمد وتوصل مفهوم الانتقام والتمسك بالمبادئ الخاطئة.

حادي عشر - الحوار الموصل إلى الديمقراطية:

علينا أن نعالج التطرف بالمزيد من الديمقراطية، وأن نعالج التعصب بالمزيد من الحوار، وأن نعالج العنف بالخالص من الكبت والفقر والحرمان، وهذه هي النتيجة المثلى التي وصل إليها الدكتور محمود عكام^(١) في تعريفه للديمقراطية، إذ ذهب بصفتها بأنها حرية مثقفة، وثقافة حرة أو محررة، وتعددية وطنية، أو وطنية واحدة في تشكيلات يخفها

١ - الدكتور محمود علي عكام، من مواليد حلب في سوريا، عام ١٩٥٢م، عالم فقيه مفكر، محاضر في كليات التربية والحقوق بجامعة حلب، والمستشار الشرعي في اللجنة القانونية للهيئة السورية لشؤون الأسرة، محاضر ومشارك في مؤتمرات وندوات عالمية، والمشرّف العام على (الموسوعة الإسلامية الميسرة) التي أنجزت وصدرت بالتعاون بين دار صحارى ودار فصلت عام ١٩٨٨م.
له العديد من المؤلفات الفلسفية والفكرية والفقهية والتربوية.

العدل، تنجلي هذه وتلك في نجة متحققة بما فهما وممارسة، وتعد السياسة المحل الأهم للديمقراطية^(١).

وبعد ذلك على الشعوب التي نالت حقوقها وحصلت كرامتها أن تعيد النظر بترائها، وثقافتها، وتنقيتها مما يحملانه من رواسب تقوض أسس الحوار والتفاهم العالمي والاندماج الكوني.

ثاني عشر - المصالحة بين القيادات والشعوب:

إن هذه المصالحة هي الوسيلة الدفاعية الوحيدة والأخيرة ضد التطرف فبمّا ووصفاً والتي يجب أن تفعل بشكل صحيح فالحاكم ما وجد حاكماً إلا ليرعى مصالح العباد فإذا أحل بذلك كانت الطامة، وبدأ التحزب الطائفي ضده .

فعلاقة الحاكم بالشعب علاقة بناء وتكميل لا علاقة سلب وتهميش لذلك نرى لزماً على الحكام مراعاة مصالح العباد من منطلق كمال العقيدة والدين والحاجات الاجتماعية والاقتصادية، مروراً بالأمن الذي وجد ليحمي لا ليسلب، ليراعي لا ليعترض على العباد ومصالحهم.

ولا بد من قول أخير:

هذا الكتاب جهد بشري معرض للصحة والصواب، وقد اجتهدت قدر استطاعتي في أن أسلك البحث العلمي فيه، من تقسيم مواضيعه لفصول ومباحث ومسائل، ومع توثيق النصوص وإعادة مراجعتها، وعزو الآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث بشكل موجز، إلا أنني لا أدعي الكمال .. فهناك نقص، فإن كان فهو مسني ومن الشيطان، وأستغفر الله منه، وإن كان صواباً فهو من الله وحده الذي أسأله أن ينفع بالكتاب انفاصي والداين، العالم والعامي، الرجل والمرأة، الشاب والفتاة.

وإني في ختام هذا البحث أتني بحمد الله ﷻ الذي بنعمته تم الصالحات، وأسئله له الحمد في الأولى والأخيرة، وله الحكم وإليه ترجع الأمور، وأؤكد أني في هذا البحث قد

١ - عن معاصرة للدكتور محمود عكام، بعنوان (هل الديمقراطية مطلب إسلامي)، ألقاها في حوبر في دمشق يوم ٢٠٠٦/١/١٢م.

خفت وإن ظن أني قد أكثر، واختصرت وإن ظن أني قد أطلت، فما أعرضت عنه
صفحة أكثر بكثير مما ذكرت.

وإني أهيب بكل واقف على هذا البحث أن يسدد ما به من خلل، وأن يستر ما
فيه من زلل، فلقد علمت الأوائل أنه ليس فيه من العلم إلا القليل، وكتب بقلم كليل.
فاللهم لا تعذب يداً كتبت، تريد نفي تحريف الغالين، وانتحال المبطلين عن دينك،
ولا لساناً أراد الذب والدفاع عن شريعتك، ولا تحرمني بفضلك خير ما عندك بشر ما
عندي.

والحمد لله رب العالمين

سفير أحمد الجراد

الفهارس الفنية للكتاب

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث.
- ٣- فهرس الأعلام المترجمة.
- ٤- فهرس الأبيات الشعرية.
- ٥- فهرس المراجع والمصادر.
- ٦- فهرس الأبحاث والموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
٣٠٨	٦	اهدنا الصراط المستقيم	الفاحة
١٦٩	٢١	يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم	البقرة
٤٨	٤٠	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ	البقرة
١٨٧	١١١	وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ	البقرة
٣٣٠، ١١٦	١٢٠	وَلَنْ نَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى	البقرة
٣٢٤، ١٨٩	١٣٥	وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا	البقرة
٣١١، ٢٠٣، ١٩٩	١٤٣	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	البقرة
٢٢٢	١٤٣	لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ	البقرة
٢١٢	١٨٥	شَهْرٍ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ	البقرة
٣١١	١٨٥	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ	البقرة
٣١٤	١٩٠	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ	البقرة
٣٤	١٩١	وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ	البقرة
٢٠٣	٢٠١	ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة	البقرة
٤٢٠	٢٠٥	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا	البقرة
٤٢٠	٢٢٩	وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	البقرة
١٦٥، ١٦١، ٥٢	٢٥٦	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ	البقرة
١٨١، ١٨٠، ١٦٦			
٣٨١، ٣١١، ١٨٢			
١٦٧	٢٦٠	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنحِي الموتى	البقرة
٢١٥	٢٧٦	يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ	البقرة
٢١٦	٢٨٠	وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ	البقرة
٣٨٢	٢٨٦	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا	البقرة
٣٠٦، ٣٢٨	٢٨	لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ	آل عمران

٣٣٧،٣٠٧	٢٨	آل عمران	إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةَ
١٨٨	٦٤	آل عمران	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ
٧٤	٧٥	آل عمران	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ
٢٧٧	٨٦	آل عمران	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
٢١٢	٩٧	آل عمران	وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
٣٣٠،٣٢٩	١٠٠	آل عمران	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا
٤١٠،٣٦٩،٢٨٩	١٠٣	آل عمران	وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
١٧٣	١١٣	آل عمران	ليسوا سواء، من أهل الكتاب أمة قائمة
٣٢٩	١٤٩	آل عمران	يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا
٢٢٢	١٥٩	آل عمران	وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ
٤٢٧	١٥٩	آل عمران	وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّصُوتَا مِنْ
			حَوْلِكَ
٣٣٢	١٨١	آل عمران	إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
١٥٤	٣٥	النساء	وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ
			أَهْلِهِ
٣٥٦،٢٧٩	٤٨	النساء	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
			ذَلِكَ
٢٤٥	٥٩	النساء	فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
			وَالرَّسُولِ
٤٢١	٩٢	النساء	وَأِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ
٣٦٢	٩٤	النساء	وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ
			مُؤْمِنًا
٣٣٨	٩٧	النساء	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَلَمِي أَنفُسِهِمْ
٣٣٨	٩٧	النساء	أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا
٢٠٩	١٠١	النساء	وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ

٢٦٨	١١٤	وَمَنْ نَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ	النساء
٤١٠٣٩٠٢٩	١٧١	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ	النساء
٢٠٨	٦	وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ	المائدة
٤٢٢	٨	وَلَا يَحْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا	المائدة
٣٣٢	١٧	إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	المائدة
٢١٧	٣٢	مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ	المائدة
٣٦٤	٤٤	وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ	المائدة
		الكَافِرُونَ	
٢١٧	٤٥	وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ	المائدة
١٤٩٠١٤٨	٥٠	أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ	المائدة
٣٤٠٠٣٣٣٠٣٢٦	٥١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ	المائدة
		وَالنَّصَارَىٰ	
٣٢٨٠٣٢٧٠٣٠٨	٥١	وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَبِئْسَ مَا فِيهِمْ	المائدة
٣٠٥	٥٥	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا	المائدة
٣٣٢	٧٣	إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ	المائدة
٢٨٧	٧٥	مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ	المائدة
		قَبْلِهِ الرُّسُلُ	
٤١	٧٧	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ	المائدة
		الْحَقِّ	
٤١٠٣٩٠٢٩	٧٧	لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ	المائدة
٣٢٦	٨٠	تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا	المائدة
٣٢٧٠٣٢٦	٨١	وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ	المائدة
١٧٤	٨٢	وَلِتُحَدِّثُوا أَخْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا	المائدة
٢٩٤٠٢٩٣٠٢٠٤٠٥١	٨٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ	المائدة
		اللَّهُ لَكُمْ	

٣٦١	٩٢	لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا	المائدة
٣٢٤	١٤	قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	الأنعام
٢٦٧، ٢٣٤، ١٥٤، ١٤	٥٧	إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ	الأنعام
٨			
٢٢٨	١١٩	وَقَدْ فَضَّلْنَا لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ	الأنعام
٢١٧	١٥١	وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَمَا كُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	الأنعام
٢٢٤	١٥٣	وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ	الأنعام
٤١٠، ٢٤٢	١٥٩	إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ	الأنعام
٢٠٤	٣١	يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تَسْرِفُوا	الأعراف
٢٠٦	٣٢	قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ	الأعراف
٤٢٠	٣٣	قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ	الأعراف
٢٠٦	٥٤	أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ	الأعراف
٤٢٢	١٩٩	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	الأعراف
٥٠	٥٨	وَأَيُّكُمْ خَافَ مِنْ قَوْمِ حَيَّاتِهِ فَنَبِيٌّ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ	الأنفال

٥٠٠٤٩	٦٠	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ	الأنفال
٥٠	٦١	وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا	الأنفال
٣٨٠	٤	فَاتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ	التوبة
٣٨٥	٢٨	إِنَّمَا الْمَشْرُكُونَ بَجْسٍ	التوبة
٣٦٧	٣١	اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ	التوبة
٣١٢	٤٠	إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	التوبة
٤٢٢	١٢٨	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ	التوبة
٣٠٥	٧١	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	التوبة
١٨٠،١٦٧	٩٩	ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً	يونس
٤٢	١١٢	فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	هود
٤٢٧	١١١	لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ	يوسف
٤٩٠،٤٨	٥١	وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ	النحل
٥٠٠٤٩	٥١	فَأَيُّيَ فَرُّهُنَّ	النحل
٣٢٢	٦٣	ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واحتسبوا الطاعات	النحل
٤١٩	٩٧	مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَجْزِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً	النحل
٣٣٦	١٠٦	ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب	النحل
٣٣٧،٣٣٥	١٠٦	إلا من أكره وقيله مطمئن بالإيمان	النحل

٣٢٥	١٢٠	النحل إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين
٣٢٥	١٢٣	النحل ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين
٤٢٦، ١٨٢، ٦٦	١٢٥	النحل ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
٤٢٩	٢٣	الإسراء وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
٢١٨	٣٣	الإسراء وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا
١٦٦	٧٠	الإسراء ولقد كرّمنا بني آدم
٤١٨	٦٥	مریم رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا
٤٢٦	٤٣	طه اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى
٤٤، ٤١	٨٨	طه وَلَا تَطْعَمُوا فِيهِ فَيَجِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
٣٧٥	١١٤	طه وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا
٤٨	٩٠	الأنبياء وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ
٤٢٢، ٣١١	١٠٧	الأنبياء وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
١٩٧	١٧	الحج إن الذين آمنوا، والذين هادوا، والصابئين والنصارى
٣١١	٧٨	الحج وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
٢٢٠	٤	النور وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ
٢١٩	١٩	النور إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الدِّينِ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

١٥٢	٥٥	وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ	النور
٢٢١	٦٧	وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا	الفرقان
٤٧	٣٢	مِنَ الرَّهْبِ	القصص
٢٠٥	٧٧	وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا	القصص
١٢٢	٨٥	إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ	القصص
١٨٨، ٥٢	١٤٦	وَلَا تُحَادِثُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	العنكبوت
٤٢٩	٢١	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا	الروم
٤٢٩	١٤	أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ	لقمان
٣١٣	١٥	وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا	لقمان
١٤٨	٣٦	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ	الأحزاب
١٦٩	٢٨	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا	سبأ
٤٢٦، ٢٦٠	٢٨	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادَةِ الْعُلَمَاءِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ	فاطر
		غَفُورٌ	
١٥٥	٢٦	يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ	ص
		فَاخْتَكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ	
٢٧٩	٥٣	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ	الزمر
٤٢٨	٣٣	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ	فصلت
		صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ	
٢٢٣	٣٠	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ	الشورى

٣٢٤،٣٢٣	١٢٦	وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون	الزخرف
٣٢٧	٢٥	إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم	محمد
٣٨٩	٢٥	هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	الفتح
٢٧٧	٩	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا	الحجرات
٣٠٦	١٠	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ	الحجرات
٤٣٠	١٣	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	الحجرات
٣٠	٢٣	إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ	النجم
٢٨٧	٢٧	وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ	الحديد
		رِضْوَانِ اللَّهِ	
١٢٨	١٦	كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ	الحشر
		قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ	
٣٤٠	١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي	المتحنة
٤٢١،٣١٤،١٧٥،٥١	٨	لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي	المتحنة
		الدِّينِ	
٢٠٠	٢٨	قَالَ أَوْسَطُهُمْ	القلم
٢١٥	٢٠	وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا	المزمل
٣٤٣	٨	ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً	الإنسان
		وأسيراً	
٣٥٨	١٤	كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	المطففين
١٦٧	٢١	فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر	الغاشية
٤٤٢	٢	إِبِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ	قريش
١٦٦،٥٢	٦	لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ	الكافرون

- أَبَايُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ..... ٣٠٨
- اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ..... ٣١٤
- أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ..... ٣٨٠
- أَذِ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ اتَّعَمْتُمْ، وَلَا تَخْنُ مِنْ حَانَكَ..... ٣١٤
- أَذْوَمُهَا وَإِنْ قُلَّ..... ٢٩٦
- إِذَا تَبَاعَعَ الرَّجُلَانِ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا..... ٢١٥
- إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ رَأَى فِي نَعْلَيْهِ قَدْرًا أَوْ أَدَى فَلْيَمْسَحْهُ..... ٢٠٧
- إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ.. فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا..... ٣٦٢+٣٠١ + ٢٣٦
- أَعْطَيْتَ حِمْسًا لَمْ يَعْطِئْ أَحَدٌ قَبْلِي..... ٢٠٩+١٦٩
- أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ..... ١٦٣
- افْعَلُوا وَلَا حَرَجَ..... ٢١٣
- أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِيكَ عَشْرِينَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ..... ٢٠٩
- اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَعْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ..... ٤٢
- اكَفَلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ..... ٢٩٦
- أَلَا مِنْ ظَلَمٍ مَعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ..... ١٧٧
- أَمَا إِنِّي أَحْشَاكُمُ اللَّهُ وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ..... ٢٠٥
- إِنَّ الرَّفِيقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ..... ٤٢٢
- إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ سُودَاءٌ..... ٣٥٧
- إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ، وَيَرْضَى بِهِ..... ٤٢٢+٦٦
- إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكْمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ..... ١٥٥
- إِنَّ الْمَاءَ لَا يَنْجِسُهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا غَلَبَ عَلَى..... ٢٠٧
- إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي إِذَا أَصَبْتُ اللَّحْمَ..... ٢٩٣

- ٢٢١+٢٠٤ إن لبدنك عليك حقاً
- ٢٨٦ إِنَّ مَا اتَّخَوْفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ
- ١٣٥ إن من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم
- ٢٩٥+٢٠٦ إن هذا الدين يُسر، فأرغلوها فيه برفق
- ٣٧٦ إنا أمة أُمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا
- ٤٠ أنفُسها أغلأها ثمنا وأنفَعها عند أهلها
- ٣٥٦ إنك امرؤ فيك جاهلية
- ٣١٣ إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً
- ٣٦٨ إنما الطاعة في المعروف
- ٤٢٢ إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين
- ٢٩٤ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالتَّشْدِيدِ، شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
- ٣١٢ إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد
- ٢١٠ إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي
- ٤٠ أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان
- ١٦٦ أول ما خلق الله العقل قال له أقبل، فأقبل
- ٤٢١، ٢٩ إياكم والعلو في الدين
- ٣٥٧ إياكم ومحقرات الذنوب
- ٣١٢ أيما رجل آمن رجلاً على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء
- ٢٧٥ الْإِيمَانُ يَضَعُ وَيُسَبِّعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
- ٤٢٨ أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم
- ٢١٢ أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا

هجرة الوصل

- ٤٢ القط لي حصي
- ٢٠٤ اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ١٦١
المؤمن للمؤمن كالنيان يشدّ بضعه بعضاً ٣٠٧
المسلم أحرّ المسلم: لا يظلمه، ولا يُسَلِّمُه ٣٠٧

ب

نَشْرُ أَنتَ أَنْتَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ٢٧٠

ت

تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً ٤١١

د

دعوه وهريقوا على يوله سجّلا من ماء ٢٠٧

ذ

ذكر فنة القاعد فيها حير من القائم ٢٧٢

ر

رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى ٢١٥

س

سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: « إيمان بالله ٢١٤
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ٣٦٢، ٢٧٧

ص

صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ٢٧٤

صلي أمك ٣١٣

ط

طلب العلم فريضة على كل مسلم..... ٣٧٥

ع

عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي ٢٧١

ف

فاتخذ الناس رؤوساً جهالاً ٣٤٦

فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف.. فائق ثوبك على وجهك بيوه بالملك وإلهه... ٢٤١

فما سقط السماء والعيون أو كان عتريا العشر ٢١١

ق

قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ ٣٨٦

قد أذنت ١٨٩

قم فأحبه ١٨٩

ك

كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً ٢١٦

كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله ٣٦١ ، ٣٠١ ، ٢٣٧

كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ٤٣١ + ١٧٩

كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام ٣٨٣

ل

- لا تزال طائفة من أممي قائمة على أمر الله لا يضرهم من خذلهم، ٤١١
- لا تقتله ٣٥٥
- لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع ١٨٢
- لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يجب الله ورسوله ٢٩٧
- لا حرج ٢١٣
- لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ١٦٥
- لا وصال ٢١١
- لا يحتكر إلا خاطئ ٢١٦
- لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث ٣٦٩
- لا يجل لمسلم أن يروع مسلمًا ٤٢١
- لا يفتلن منهم أحدًا إلا بفداء أو ضربه عنق ٣١٧
- لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم ٢١٧
- لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليتهم وأنفسهم إلا من ظلم وأنتم ١٨٢
- لن يشاد هذا الدين أحد .. إلا غلبه ٦٣
- لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها ٢٧
- ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ٦٦
- لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوْ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ ٢٧٤
- لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليطنين الله على قلوبهم ٣٧٢

م

- ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ٤٣٦
- ما عفا رجل إلا زاده الله به عزا ٢١٨
- ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم صلاة ٣٧٤
- مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ نَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَيَّ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ٢٧٠

- ٢١٨..... ما من مسلم يصاب بشيء في جسده فيتصدق به إلا رفعه الله.
- ٣٠٧..... مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ.
- ٤٣٧..... من أدخل على مؤمن سرورا.....
- ١٧٧..... من أذى ذمياً فأنا خصمه.....
- ٢١٨..... من أصيب بدم أو خيل.....
- ٣٣٦..... من أعان صاحب باطل ليدحض باطله حقاً.....
- ٢١٥..... من أقال مسلماً أقاله الله عثرته يوم القيامة.....
- ٣٧٢..... من ترك ثلاث جمع تماوناً من غير عذر طبع الله على قلبه.....
- ٢١٣..... من حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه.....
- ٢١٦..... من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغلبه عليهم.....
- ٣٠١..... من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه.....
- ٢١٦..... من سره أن ينجي الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه.....
- ٣٦٩..... من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه.....
- ٤٢١..... من قتل معاهدًا لم يرح راحة الجنة.....
- ٣٨١+٣١٢..... من قتل معاهدًا لم يرح راحة الجنة.....
- ٤٢٢..... من يجرم الرفق يجرم الخير كله.....
- ٦٥..... مهلاً يا عائشة عليك بالرفق.....

ن

- ٣٧٥..... نحن أمة أمية.....
- ٣٨٤..... نفركم فيها ما شئنا.....

هـ

- ١٨٦..... هذه أمتة من الله، ومحمد النبي رسول الله إلى يوحنا بن روية.....
- ٢٨٧..... هَلَاكَ الْمُنْتَظَمُونَ.....

هَلُمَّ الْفُطْ لِي ٢٨٦
هو الطهور ماؤه الحل ميتته ٢٠٧

و

وأجيزو الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ٣٨٥
والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ٢١٤
والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ٣٠٧
ولا تكن عبد الله القاتل ٢٧٢
ولا يغير أسقف من أسقفية، ولا راهب من رهبانته ١٨٢
ولنجران وحاشيتها حوار الله وذمة محمد النبي ١٧٩
ويحك من يعدل إن لم يعدل ٤١٤
ويملك من يعدل إذا لم يعدل؟! ٢٣٣

ي

يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوِ اتَّبَعْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ حَطَّابًا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ٢٧٠
يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ ٣٥٤
يا أيها الناس تعلموا ٤١٢
يا حاطب ما هذا؟ ٣٤٠+٣١٦
يا رسول الله، إني زنيت. فأعرض عنه ٢٢٠
يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ٦٦
يا معاذ، أفنان أنت ٢١٠
يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ٣٦٨
يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ٢٦٦

فهرس الأعلام المترجمة في حواشي الكتاب

أ

- الآجري = محمد بن الحسين
أحمد بن محمد ٢٩٥
أرييل شارون..... ٩٠
أسامة بن زيد ١٢٦
أسماء بنت أبي بكر ٣١٣
الأوزاعي ١٧٨
إنجال آلون..... ٧٨

ب

- البراك ١٣١
أبو بكر بن العربي..... ٣٦٨
أبو بكر التقي ١٢٩

ت

- توماس كاريل..... ١٩٣
ابن تيمية ٣٠

ث

- ثابت بن قيس ١٨٩

ج

- جابر بن عبد الله ٢٠٩
جرير بن عطية ١٣٢
الخصاص ٢٥

الجلال السيوطي ٩٩
حنادة بن أمية ٣٥٢
حوستاف لوبون ١٩٢
الجهري ٣٨

ح

ابن الحاجب ١٧٢
حافظ بن أبي بلتعة ٣١٦
الحباب بن المنذر ١٦٤
ابن حجر العسقلاني ٤٣
حذيفة بن اليمان ٢٢١
الحسن البصري ٤٤
حطان بن ظبيان ١٣٣
حكيم بن حيلة العبدي ١٢٥
حمد بن عتيق ٣٣٦
ابن حنبل ٤٢
حنين بن إسحاق ١٨٤

خ

الخطابي ٢٨٨
الخليل بن أحمد ١٨٤
الخوارزمي ١٨٥

د

أبو دارد ٢٤١

ذ

أبو ذر الغفاري ٤٠

الذهبي = محمد بن أحمد

ذو الخويصرة ٢٧١

ذو الرمة ٣٩

ر

ربيع بن حراش ١٢٨

الربيع بن زياد ٢٩٤

ز

الزبرقان بن بدر التميمي ١٩٠

الزبيدي ٣٨

س

ابن سبأ ١٢٢

أبو السعود ٣٢٩

أبو سعيد الخدري ١٣٥

أم سليم ١٢٨

سعد بن معاذ ١٥٥

سليمان بن محمد بن عبد الوهاب ٤٣

سهل بن بيضاء ٣١٧

سيبويه ١٨٤

سيد بن قطب ١٥٠

ش

شريح بن هانئ ١٥٥

الشريف حسين ١٠١

الشنقطي ٣٢٩

الشوكاني ٤٩

ص

صالح بن علي ١٧٨
 صلاح الدين الأيوبي = يوسف بن أيوب

ط

الطبري ١٨١
 طرفة بن العبد ٦٣

ع

عبد الله الراسي ١٣٧
 عبد الله بن الزبير ١٢٩
 عبد الله بن خباب ٢٧٢
 عبد الله بن سعد بن أبي سرح ١٢٤
 عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ٣٢٣
 عبد الله بن عمرو بن العاص ٢١٣
 عتاب بن أسيد ١٢٦
 عتبان بن مالك ٣٥٣
 عثمان بن عفان ١٢١
 عثمان بن مظعون ٢٠٥
 عطارد بن حاجب ١٨٩
 علي بن أبي طالب ١٢١

- ٣٣٥.....عمار بن ياسر
١٢٥.....عمر بن الخطاب
٤٤.....عمر بن عبد العزيز
١٣١.....عمرو بن بكر التميمي

غ

- ١٢٣.....الغافقي بن حرب العكي

ف

- ٢٥.....ابن فارس
١٤٣.....فؤاد زكريا
٢٠١.....فهمي هويدي
٣٨.....الفيروزآبادي

ق

- ٢٧٨.....ابن قيم الجوزية
٣٦١.....قدامة بن مطعون
٣١.....القرطبي

ك

- ٢٧.....ابن كثير
١٢٣.....كنانة بن بشر السحبي

ل

- ٤١.....ليبد بن ربيعة

م

- ١٣١.....ابن ملحمة

- ٢٦ ابن منظور:
- ٣٨٧ أبو مصعب الزرقاوي
- ٦٦ مالك بن أنس
- ٢٢٦ مالك بن نبي
- ٢٩٨ محمد بن أحمد الذهبي
- ٢٧٣ محمد بن الحسين الآجري
- ٣٢١ محمد بن عبد الوهاب
- ٣٨ مرتضى الزبيدي
- ٤٥ مطرف بن عبد الله
- ١٣٢ المغيرة بن شعبة
- ٢٥ المسوي

ن

- ٤٠ النعمان بن بشير
- النوي = يحيى بن شرف

هـ

- ١٢٩ أبو هريرة
- ١٧٧ هارون الرشيد
- ٧١ هرتزل

ي

- ٢٦٦ يحيى بن شرف
- ١٨٥ يحيى بن عدي بن
- ١٧٧ أبو يوسف
- ١٠١ يوسف بن أيوب
- ٢٤٦ يوسف القرضاوي

فهرس القواى الشعرىة

- ١٠٠..... بطول علىه للدين النحب
- ٣٣..... لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ
- ٢٦..... حبوط لأبدي اللامسات ركوض
- ١٠٤..... عصر تطرف بالهوى وترندقا
- ٣٢٤٤٥٠٢٢١..... كِلا طرفي قصْدِ الأمورِ ذميمٌ
- ٩٨..... فلا يفر بطيب العيش إنسان
- ١٣٤..... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
- ٣٩..... ويزداد حتى لم نجد ما نزيدها
- ٤١..... وتقطعت بعد الكلال حذافها

فهرس المراجع والمصادر المستفاد منها في إعداد هذا البحث

١. - العلماء والدور المنتظر، عبد الله عزت الدائم، مكتبة مدبولي، مصر.
٢. - معجم المصطلحات الفلسفية، دار المنجد، بيروت.
٣. الأبعاد النفسية للمتطرفين، وائل الشوفي، دار الشروق، القاهرة.
٤. الأبناء وصراع المصطلحات، حنان ناصر اللواتي، دار المحجون، لبنان.
٥. الاتجاهات الأيدلوجية في أدب الأطفال العربي، د. ستار عبد اللطيف، دار نفضة مصر، ط ٢.
٦. الاتجاهات التعصبية، معتز عبد الله، العبيكان، الرياض.
٧. الاتفاقية العربية، لمكافحة الإرهاب.
٨. أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، د. عثمان جمعة طميرية، دار الأندلس- الحضرء، جده، ط ١٤٢١، ١هـ.
٩. أثر المعاصي على الفرد والمجتمع، لابن عثيمين، مؤسسة العبيكان، الرياض.
١٠. الإجماع في التفسير، محمد بن عبد العزيز الحضيري.
١١. الإحسان في تقريب، صحيح ابن حبان، لابن بلبان، دار الفكر، بيروت.
١٢. أحكام الذميين والمستأمنين، د عبد الكرم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٣. الأحكام السلطانية، الماوردي- دار الكتب العلمية- بيروت.
١٤. أحكام القرآن، أبو بكر محمد عبد الله، تحقيق علي محمد البحراوي، دار الفكر، بيروت- لبنان.
١٥. أحكام القرآن، للحصاص، دار الفكر بيروت.
١٦. أحكام أهل الذمة، لابن القيم، دار ابن حزم، بيروت.
١٧. أخبار العصر محمد عبد الله عنان، دار الروابي، مصر، ط ٢.
١٨. اختلاف المفكرين، محمد عبد الله رايح، دار البيان، الإمارات، ط ١.
١٩. الاختبارات، ابن تيمية، دار المعرفة بيروت.
٢٠. أخطبوط العصر، محمد عبيد الرحمي، دار الوفاء، دمشق.

٢١. أدب الإسلام في نظام الأسرة، السيد محمد بن علوي المالكي الحسيني
١٣٩٨هـ.
٢٢. أدب الطلب ومنتهى الأرب، دار ابن حزم بيروت.
٢٣. آراء في الصحوة الإسلامية، د. محمد محمود ربيع، دار عالم الكتب، القاهرة
١٤٠٥هـ.
٢٤. الإرهاب الدولي وفقا لقواعد القانون الدولي العام، نبيل حلمي، دار
النهضة العربية القاهرة.
٢٥. الإرهاب الدولي، حشمت درويش، دار الحياة، القاهرة.
٢٦. الإرهاب الدولي، د. محمد عزيز شكري، دار الفكر المعاصر، بيروت،
١٤٢٣هـ.
٢٧. الإرهاب واقع وحياة، محمد ناصر الدين الوائلي، تونس، دار المجد للكتاب
الإسلامية، ط ١.
٢٨. الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية، أحمد أبو الروس، المكتب
الجامعي الحديث، الإسكندرية.
٢٩. الإرهاب والدين في الولايات المتحدة الأمريكية، جيمس جي نوفاك.
٣٠. الإرهاب والعنف السياسي، محمد يسري دعيس.
٣١. الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم كيلاني، دار الشروق القاهرة.
٣٢. الإرهاب، فرج فوده، دار مصر الجديدة، ط ١، ١٩٨٨م.
٣٣. أساس البلاغة للمختصر، دار الفكر بيروت.
٣٤. الاستهزاء بالدين وأهله، محمد بن سعيد القحطاني، دار الوطن الرياض.
٣٥. الإسلام السياسي، محمد سعيد العشماوي، مكتبة مديوني الصغير القاهرة.
٣٦. الإسلام شريعة لكل زمان، محمد أبو الوفا، دار الشروق، القاهرة.
٣٧. الإسلام منهج ودولة، عبد الله عبد المجيد طهماز، منشورات أمانة
العاصمة، القاهرة.
٣٨. الإسلام والغرب قراءة من الداخل، منصور الواحد، العبيكان، الرياض.

٣٩. الإسلام والغرب، صراع من أجل البقاء، وحيد حامد ناصيف، من منشورات جامعة الدول العربية.
٤٠. الإسلام والقوى الدولية، د. حامد ربيع، دار الموقف العربي ١٩٨١م.
٤١. الإسلام والمدنية، محمد أمين الشماسي، دار الفاروق، جدة، ط٢.
٤٢. الإسلام وبناء الحضارة، قاسم التيهان، دار ابن تيمز، اليمن.
٤٣. الإسلام وتربية الإنسان القيادي، عبد الرحيم عجاف، دار المحبة، قطر.
٤٤. الإسلام وفقه الأقليات، عبد الله ناصر الدوسري، دار المعرفة، الأردن، عمان.
٤٥. الإسلام يتحدى، طفر الدين بخان، دار المباركفوري، الهند.
٤٦. الأشباه والنظائر، للسيوطي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٤٧. أصول الدين.
٤٨. الأصولية في العالم العربي، ريتشارد هرير، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار الوفاء.
٤٩. الأصولية في العالم العربي، هاريزر دكميجان، دار العصر، القاهرة.
٥٠. أضواء البيان، للشنقيطي. دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥١. الاعتصام، الشاطبي، تدقيق خالد عبد الفتاح شبليل، مؤسسة الكتب الثقافية.
٥٢. الإعلام والمركة الحاسمة، وليد السحمراني، دار التجديد، الأردن، عمان.
٥٣. الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط٥.
٥٤. إفريقيا المسلمة، المسيويونة موري، ترجمة محمد أحمد العقاد، دار النهضة، مصر.
٥٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالقة أصحاب الجحيم، لابن تيمية. دار الكتب العلمية بيروت.
٥٦. اقرؤوا الإسلام جيدا، توماس كاريل، ترجمة عبد الحميد السراج، دار الأمين، بيروت.

٥٧. آلام المسلمين في الهند، أبو الأعلى المودودي، دارالشؤون، ط ٣.
٥٨. الأُم، الشافعي. دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥٩. الأمن في البلاد العربية، الفريق يحيى المعلمي ١٩٨١م.
٦٠. الأمن والتخطيط، يحيى المعلمي، العبيكان، الرياض.
٦١. الأمن والخوف في صناعة التطرف، عبد المحسن العلي، دار ابن حزم، دمشق، ط ١.
٦٢. إيطاليا الاستعمارية حقائق وأباطيل، عبد الرحمن عزام، دار فلسطين العربية، الأردن.
٦٣. الإيمان الأوسط، دار ابن الجوزي، الدمام.
٦٤. بدائع الصنائع، دار الفكر، بيروت.
٦٥. البداية والنهاية، لابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٦. بين الدعوة والرعاة، محمد محمود الصواف، مؤسسة الرسالة .
٦٧. تاج العروس، للزبيدي، دار الجيل، بيروت.
٦٨. تاريخ الإسلام. مؤسسة الرسالة/الشركة المتحدة بيروت.
٦٩. تاريخ الأمم والملوك للطبري. دار الكتب العلمية بيروت.
٧٠. التاريخ الأندلسي، د. عبد الرحمن المحي، منشورات مصطفى الباي، مصر.
٧١. تاريخ الثورة الفرنسية، أليير سوبول، ترجمة جورج كوسي، مركز الحضارة العربية القاهرة.
٧٢. تاريخ الحروب الصليبية، ميشود، ترجمة عبد الرحمن الحقيق، دار النهضة، القاهرة.
٧٣. تاريخ الخلفاء، السيوطي، محمد محيي الدين عبد الحميد- طبعة القاهرة.
٧٤. تاريخ الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، العبيكان، الرياض.
٧٥. تاريخ الرسل والملوك، للطبري، دار المعارف القاهرة.
٧٦. التاريخ السياسي، رؤوف بك، الحياة، مصر.
٧٧. التاريخ الصغير، للبخاري، دار المعرفة، بيروت.

٧٨. التاريخ يتحدث عن التطرف الأمريكي، ديفيد بار بون، ترجمة عبد الهادي النحلاوي، دار القلم، ط١، دمشق.
٧٩. التاريخ يتحدث عن المدينة العالمية - حسين محمد آل بارشني، دار المنجد، القاهرة، الطبعة الثالثة.
٨٠. تحكيم القوانين، محمد بن إبراهيم. دار البيارق، عمان.
٨١. تدوين الدستور الإسلامي، المودودي، دار الفكر، بيروت.
٨٢. تطبيق السياسة في الدول العربية، محمد ناصر الحكيم، دار الكتاب العربي، القاهرة.
٨٣. التطرف الديني وأبعاده السلبية، رجاء إسماعيل العربي، أكاديمية الشرطة، القاهرة، مصر.
٨٤. التطرف الديني وأبعاده - كمال أبو المنجد، مطبوعات مؤتمر أكاديمية الشرطة، القاهرة.
٨٥. التطرف الديني، د. صلاح الصاوي، الأمانة الدولية للإعلام ١٤١٣هـ.
٨٦. تطرف الشباب العربي، محمد عزت دعبس، دار الوراق، القاهرة.
٨٧. التطرف غير الجرمية، كمال أبو المنجد، العبيكان، الرياض.
٨٨. التطرف في الدين وأبعاده، محمد سعيد العشماوي، البيارق، القاهرة.
٨٩. تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٠. تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩١. تفسير الطبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩٢. تفسير القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٣. التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٤. تفسير المراغي، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٨٥م.
٩٥. تفسير فتح القدير، للشوكاني، دار الكتاب العربي.
٩٦. تكفير الغرب، محمد عزت المهادي، دار الحنفية، بغداد.

٩٧. التكفير في حياة المسلمين، ناصر الدين الدمرداش، دار النهضة، مصر، القاهرة.
٩٨. التكفير والهجرة وجهاً لوجه، رجب مختار مذكور، العصر، القاهرة.
٩٩. التكفير، جذوره، أسبابه، مبرراته، د. نعمان السامرائي، دار المنارة، جدة.
١٠٠. تكملة فتح القدير، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠١. تليس إبليس، ابن الجوزي، دار القلم، بيروت.
١٠٢. التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٢م.
١٠٣. تنمية ثقافة الطفل، عبد الوهاب يوسف، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢م.
١٠٤. تهذيب التهذيب، دار ابن حزم، بيروت.
١٠٥. تهذيب اللغة، للأزهري، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٠٦. التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي - تحقيق محمد رضوان - دار الفكر.
١٠٧. تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي - دمشق - سوريا.
١٠٨. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٠٩. الجزائر حثف الاستعمار، الكاتب الفرنسي (ليون فيكس).
١١٠. جمهورية البوسنة والهرسك قلب أوروبا الإسلامي، د. أحمد بن علي غمراز وحسين عمر سباهتش، دار الأرض للنشر والخدمات الإعلامية.
١١١. حاضر العالم الإسلامي، شكيب أرسلان، دار الفكر العربي القاهرة.
١١٢. الحالات النفسية للمتطرفين، محمد كرد علي، دار الأوتل، الأردن، عمان ط٢.
١١٣. حالة المسلمين الهنود، د. سيد خالد، بحوث مؤتمر الأقليات المسلمة في العالم.
١١٤. حذار من التدين المغشوش، محمد الغزالي، منشورات البايعي، مصر.

- ١١٥ . الحرية في الإسلام، هناء الغامدي، دار الرياض، ط٣.
- ١١٦ . حصاد الإرهاب، د. ناصر الزهراني، العبيكان، الرياض.
- ١١٧ . حصاد الغرور، محمد التليسي، دار العلم للملايين.
- ١١٨ . الحضارات المتكاملة عبر التاريخ، لويس ماسنيون، ترجمة ميسون السدرازي، دار المجد، جدة.
- ١١٩ . حضارة العرب، غوستاف لوبون، دار الشروق، مصر.
- ١٢٠ . الحق المر ما أحلاه، وليد محمد أمين النابلسي، دار غزة، فلسطين.
- ١٢١ . حقائق عن التطرف، عبد القهار سيد رفعت، دار الوائلة، القاهرة، مصر، ط٢.
- ١٢٢ . حقائق يجب أن تعرف لهنري واكيم، ترجمة عيسى خالد محمد، دار الناشر العربي، مصر.
- ١٢٣ . حقيقة الإرهاب المفاهيم والجذور، د. مطيع الله بن دخيل الصرهيد الحربي.
- ١٢٤ . حقيقة الإسلام، د. عبد الهادي بو طالب، إفريقيا الشرق ١٩٩٨م.
- ١٢٥ . حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، الشيخ بكر أبو زيد، دار ابن الجوزي الدمام.
- ١٢٦ . الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، محمد سرور زين العابدين، دار الأرقم.
- ١٢٧ . الحكم وقضية تكفير المسلم، سالم الهنساوي، مؤسسة الرسالة/الشركة المتحدة بيروت.
- ١٢٨ . الحوار أبعاد وإمكانيات ودلالات، محمد حسين، جملة المنطق.
- ١٢٩ . حوار لا مواجهة، أحمد كمال أبو المجد، دار الشروق القاهرة.
- ١٣٠ . خدعة هر مجدون، د. محمد إسماعيل المقدم، دار بلنسية الرياض.
- ١٣١ . الخراج، القاضي أبو يوسف، دار الشروق القاهرة.
- ١٣٢ . خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، دار الشروق القاهرة.
- ١٣٣ . الخطاب والأيدلوجيا، محمد حافظ دياب، دار الطليعة بيروت.
- ١٣٤ . الخلافة، شكري مصطفى، دار السعادة، مصر.

١٣٥. الخليج، ٢٣/٥/٢٠٠٤م بقلم، د. عبد الهادي بو طالب.
١٣٦. الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ناصر العقل. دار القاسم للنشر الرياض.
١٣٧. الخوارج عقيدة سياسية، محمد أبو بكر الزايد، دار الضائع، الإمارات، ط٢، دبي.
١٣٨. الدر المختار، دار الكتب العلمية بيروت.
١٣٩. دراسات حول صدام الحضارات، موسى زاهر أفندي، جدة.
١٤٠. دراسات في السياسة الشرعية، مصطفى محمد الزيات، مُضة مصر، القاهرة.
١٤١. الدرر السنوية. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة.
١٤٢. دعاة لا قضاة، حسن الهضيبي، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٤٣. الدلائل في حكم موالة أهل الشرك، البيضاوي.
١٤٤. الدلائل في حكم موالة أهل الشرك، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب. دار عمار عمان.
١٤٥. الديارات، للشابشي، دار السعادة، القاهرة.
١٤٦. الديانات في إفريقيا السوداء، هوبر ديتان، ترجمة هناء وليد العافقي، دار البيارق، تونس.
١٤٧. ذكرياتي مع جماعة المسلمين، عبد الرحمن أبو الخير، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت.
١٤٨. الرسائل الشخصية، محمد بن عبد الوهاب، العبيكان، الرياض، ط٣.
١٤٩. رسالة الإعلام المنجية، محمد أمين الشريف، دار العلم للملايين.
١٥٠. رسالة الحسنية.
١٥١. الرسالة القرصية، دار ابن حزم بيروت.
١٥٢. روائع البيان في تفسير القرآن، للطبطبائي، دار الشورى، قم.

١٥٣. الروض المربع، بشرح زاد المستقنع، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٥٤. سفر تقنية، دار الكتاب المقدس، بيروت.
١٥٥. سفر يشوع، دار الكتاب المقدس، بيروت.
١٥٦. سقوط الأندلس، د. ناصر بن سليمان العمر، طبعة دار الوطن، الرياض.
١٥٧. سنن ابن ماجه، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥٨. سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥٩. سنن الدارمي، دار ابن حزم، بيروت.
١٦٠. سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦١. السياسة الشرعية في بيان المقاصد الإسلامية، محمد أمين بن سالم الأهدل، منشورات الدعوة العالمية لندوة شباب الإسلام، الكويت، ط١.
١٦٢. سير أعلام النبلاء، دار الفكر بيروت.
١٦٣. السيرة النبوية لابن هشام، دار الكتب العلمية بيروت.
١٦٤. السيف النثار على من يوالي الكفار، عبد الله الأهدل، دار المحجة، جدة.
١٦٥. شرح السنة البغوي، المكتب الإسلامي بيروت.
١٦٦. شرح الطحاوية، تحقيق عبد الله الترمي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت.
١٦٧. شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، مكتبة الرشد الرياض.
١٦٨. شرح القواعد الفقهية، لأحمد الزرقا، دار القلم، دمشق.
١٦٩. شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتب العلمية بيروت.
١٧٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الكتب العلمية بيروت.
١٧١. الشريعة الإلهية، عمر الأشقر، دار النفائس عمان.
١٧٢. الشريعة، الإمام الآجري، دار الفيحاء دمشق.
١٧٣. شمس العرب تسطع على الغرب، زغريد هونكة، دار القيس، الكويت.
١٧٤. الشيوعية والتطرف، محمد فتحي بازيد، دار المعرفة، بيروت.

١٧٥. الصارم المسلول على شاتم الرسول، دار ابن حزم بيروت.
١٧٦. الصحاح، الجوهري. دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٧٧. الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٧٨. صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت.
١٧٩. صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.
١٨٠. صراع الحضارات بين الشرق والغرب، رينيه غونو، ترجمة وليد القاسم بن علي، دار الوعد، تونس، ط١.
١٨١. ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، د. عبد الله القسري، مؤسسة الرسالة.
١٨٢. طبقات ابن سعد، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
١٨٣. طبيعة وحجم المشكلات الاقتصادية للمسلمين المهتود، من بحوث مؤتمر الأقليات المسلمة في العالم، د. أبو ذر كمال الدين.
١٨٤. طريف الغضب، محمد حسنين هيكل، دار طلاس، القاهرة.
١٨٥. ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي. سفر بن عبد الرحمن الحسولي، دار اليباق، عمان.
١٨٦. ظاهرة الإرهاب، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر.
١٨٧. ظاهرة التكفير، تاريخها، فطرها، أسبابها، الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، مكة المكرمة.
١٨٨. العقل وصناعة الإنسان، علي أحمد الرفاعي، دار العلم، لبنان.
١٨٩. عقيدة الموحدين، محمد بن عبد الوهاب، دار ابن القيم، جدة.
١٩٠. العقيدة الواسطية، ابن تيمية شرح المراس. دار المحجرة للنشر والتوزيع الحبر.
١٩١. عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، محمد آل عمر، مجلة البيان.
١٩٢. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د. سعد الدين صالح، مكتبة الصحابة، جدة.

١٩٣. العلماء والسلطان، الوليد بن عايد الجعفري، دار اليمامة، السودان.
١٩٤. العلمانية والإسلام في البلاد العربية، محمد ياسين الأخرس، دار ابن رشد، الأردن.
١٩٥. العلمانية ومفصّلتنا الحديثة، محمد عمارة، دار الرشاد القاهرة.
١٩٦. العلمانيون والإسلام، محمد قطب، ط١، دار الوطن، ١٤١٤هـ.
١٩٧. العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية، د: غيازي حسين، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
١٩٨. الغرب يشيد بالإسلام ديناً، عبد الحميد علي السراج، دار لأمين، بيروت.
١٩٩. العلو في الدين، عبد الرحمن اللويحي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٠٠. فتاوى ابن باز. دار الوطن الرياض.
٢٠١. الفتاوى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية بيروت.
٢٠٢. فتح الباري، ابن حجر، المكتبة العصرية بيروت.
٢٠٣. فتح القدير، للشوكاني، المكتبة العصرية بيروت.
٢٠٤. فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن عثيمين، الجريسي الرياض.
٢٠٥. فتوح البلدان.
٢٠٦. فحوة الأخلاق والثقافة، أمير مير علم، دار طلاس للطباعة، دمشق.
٢٠٧. فرض الإرادة، ويل ديوراكي، ترجمة سامر عبد العزيز مخيون، دار المحبة الإسلامية، القاهرة.
٢٠٨. الفروق والفرق.
٢٠٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، طبعة مصر.
٢١٠. الفقر والغنى، محمد سرور بن عياض العزي، الإمارات، دبي.
٢١١. فولتير والحياة السياسية. أردوهان دايفين، ترجمة وائل منصور، دار الشلاح، مصر.
٢١٢. القاموس الفلسفي، دار بيروت العربية، ط٢.
٢١٣. القاموس المحيط. دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢١٤. قصة الاضطهاد الديني.
٢١٥. قصة الإيمان، نديم الجسر، الدار العربية، بيروت، لبنان.
٢١٦. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام. مؤسسة الريان بيروت.
٢١٧. القومية والغزو الفكري، محمد جلال كشتك.
٢١٨. الكافي.
٢١٩. كشف القناع. دار البشائر الإسلامية بيروت.
٢٢٠. الكثر المرصود في قواعد التلمود، د. أعسطس هلنج - ترجمة يوسف حنا نصر الله، بيروت، ١٩٦٨م، ط٢.
٢٢١. كيف نفهم التطرف الديني، د: إدريس الكتاني، الكويت، ١٩٨٧م.
٢٢٢. لسان العرب، ابن منصور، بيروت، دار العاصمة، ١٩٥٦م.
٢٢٣. لمحات عن الإرهاب في العصر الحديث، وليد نعمان الساعدي، دارالبيان، دبي.
٢٢٤. المجلد، لابن فارس، الوفاء، القاهرة.
٢٢٥. المجموع للنووي، دار الفكر بيروت.
٢٢٦. مجموعة التوحيد، حمد بن عتيق.
٢٢٧. المحجة في سيرة الدلجة ابن رجب الحنبلي دار البشائر الإسلامية بيروت.
٢٢٨. محددات التطرف الديني في مصر، سمير أحمد، مجلة المستقبل.
٢٢٩. المحرر الوجيز، لابن عطية، دار الفكر العربي القاهرة.
٢٣٠. المحلى، لابن حزم، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الجمهورية العربية القاهرة، مصر، ١٣٨٧هـ.
٢٣١. مختصر مسلم للمنذري. دار الأرقم، بيروت.
٢٣٢. مدارج السالكين. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣٣. المدخل على دعوة الإخوان المسلمين، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٢٣٤. مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، محمد علي قطب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٢٣٥. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة.
٢٣٦. مراتب الإجماع، لابن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٢٣٧. المركز الإعلامي الفلسطيني.
٢٣٨. مسند الإمام أحمد ابن حنبل. دار الجيل، بيروت.
٢٣٩. المسند المستخرج على صحيح مسلم، أبو نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية بيروت.
٢٤٠. مشكل الآثار، الطحاوي، دار صادر بيروت.
٢٤١. المصباح المنير. المكتبة العصرية بيروت.
٢٤٢. مصر القديمة - عبد الله سيد عبد العال، دار هضبة مصر، ط ٢.
٢٤٣. مصنف عبد الرزاق. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٤٤. مظاهر التطرف، عبد الله الشدواني، العبيكان، الرياض.
٢٤٥. مظاهر الغلو والتشدد في حركة طالبان، محمد تقي شيخ الإسلام منجدي، دار الوعد، تونس، ط ١.
٢٤٦. معالم السنن، للخطابي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤٧. معالم في الطريق، سيد قطب، دار الثقافة، الدار البيضاء.
٢٤٨. معجم البلدان. دار صادر، بيروت.
٢٤٩. معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية.
٢٥٠. معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، ١٩٧٠.
٢٥١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. الدار الإسلامية بيروت.
٢٥٢. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، خليل أحمد خليل، دار الفكر اللبناني بيروت.
٢٥٣. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس. دار الفكر العربي القاهرة.

- ٢٥٤ . معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د. عبد الستار فتح الله السيد. دار الدعوة الإسكندرية.
- ٢٥٥ . مفهوم الولاء والبراء عند أهل السنة والجماعة، محمد سرور بن ناصيف العيد الله، العبيكان، الرياض.
- ٢٥٦ . مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، د. محمد الشرقاوي، دار الجليل بيروت.
- ٢٥٧ . مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، دار القلم دمشق.
- ٢٥٨ . المقالات المخطوطة، فهمي هويدي، دار الشروق، مصر.
- ٢٥٩ . مقدمة سيكولوجيا الإرهاب وجرائم العنف، فؤاد زكريا.
- ٢٦٠ . المقصور والممدود، للفراء. دار فتيبة بيروت، دمشق.
- ٢٦١ . مقومات التصور، سيد قطب. دار الشروق القاهرة.
- ٢٦٢ . مكانة المرأة في الإسلام، الهادي بن ياسين الغارمي، دار القيس، المغرب.
- ٢٦٣ . مكتبة الدين القيم، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
- ٢٦٤ . الملل والنحل، للشهرستاني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- ٢٦٥ . مناسبة التطرف المعاصر، ولاء عبد الرحمن القيسي، دار الوفاء، مصر.
- ٢٦٦ . المتحد، دار الشروق، بيروت.
- ٢٦٧ . منهاج السنة لابن تيمية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض.
- ٢٦٨ . منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، الشيخ سليمان بن سحمان.
- ٢٦٩ . مواطنون لا ذميون، د. هويدي دار الشروق القاهرة.
- ٢٧٠ . الموافقات، الشاطبي. دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٢٧١ . موجز القرآن غير الأديان، عبد الكريم زيدان. مؤسسة الرسالة/الشركة المتحدة بيروت.
- ٢٧٢ . الموسوعة العربية الميسرة، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٢٧٣ . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

- ٢٧٤ . موسوعة اليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري.
- ٢٧٥ . موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٢٧٦ . ميزان الاعتدال، الحافظ الذهبي. المكتب الإسلامي بيروت.
- ٢٧٧ . النبي والفرعون، جيلز كيبل، ترجمة أحمد حضر، مكتبة مديبولي، القاهرة، مصر، ١٤٠٩-١٩٨٨م.
- ٢٧٨ . نفع الطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني. دار احياء التراث العربي بيروت.
- ٢٧٩ . نهاية الأندلس، د. محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.
- ٢٨٠ . المحجرة، ماهر بكري.
- ٢٨١ . هذه سماحة الإسلام، هناء الصفدي، دار الشروق، القاهرة.
- ٢٨٢ . هذه هي الجزائر، أحمد توفيق المدني.
- ٢٨٣ . هل الديمقراطية مطلب إسلامي، د. محمود عكام.
- ٢٨٤ . الوابل الصيب لابن قيم . دار ابن حزم-بيروت.
- ٢٨٥ . واقع الاحتلال الفرنسي في سوريا، محمد أمين المهدي، دار الناشر العربي، بيروت.
- ٢٨٦ . واقع الإرهاب في الوطن العربي.
- ٢٨٧ . واقعنا المعاصر، محمد قطب، دار الشروق القاهرة.
- ٢٨٨ . وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، عبد العزيز بن باز. دار القاسم للنشر-الرياض.
- ٢٨٩ . الوجيز للواحدي، دار القلم، دمشق.
- ٢٩٠ . ولادة الخير، محمد المباركفوري، دار المحجرة، باكستان.

الدوريات

- ٢٩١ . صحيفة الأندبندنت.
- ٢٩٢ . صحيفة الأهرام.

٢٩٣. صحيفة الإيكون مونث.
٢٩٤. صحيفة البيان.
٢٩٥. صحيفة الحياة.
٢٩٦. صحيفة الوطن السعودية.
٢٩٧. صحيفة نيوزوي والغارديان.
٢٩٨. صحيفة نيويورك تايمز.
٢٩٩. مجلة الأمن، وزارة الداخلية السعودية.
٣٠٠. مجلة البحوث الإسلامية، جدة.
٣٠١. مجلة البيان.
٣٠٢. مجلة الدبلوماسية.
٣٠٣. مجلة الرابطة.
٣٠٤. مجلة الفكر.
٣٠٥. مجلة المرأة.
٣٠٦. مجلة المسلم المعاصر.
٣٠٧. مجلة المعلوماتية الدولية، مركز المعلومات القومي.
٣٠٨. مجلة المنار.
٣٠٩. مجلة الهدف الإسلامية.
٣١٠. مجلة بنو ستشمان سوسيتي.
٣١١. مجلة تايم.
٣١٢. مجلة صوت الأزهر.
٣١٣. مجلة مسلمي الهند.
٣١٤. وكالات الأنباء.
٣١٥. وكالة رويترز.
٣١٦. وول ستريت جورنال.

فهرس مواضيع الكتاب
المقدمة وتشمل على

- ١- الاستفتاح..... ٢
- ٢- موضوع البحث..... ٢
- ٣- أهداف البحث..... ٤
- ٤- أهمية الموضوع..... ٥
- ٥- أسباب اختيار الموضوع..... ٦
- ٦- خطة البحث..... ٧
- ٧- منهج البحث..... ١٠
- ٨- مصادر البحث..... ١٣
- ٩- الصعوبات التي واجهت الباحث..... ١٥
- ١٠- شكر وتقدير..... ١٧

الفصل الأول

وهو فصل تمهيدي

ويشتمل على ثلاثة مباحث

- ٢٤..... المبحث الأول: التطرف ومصطلحات مقاربة
- ٢٥..... التطرف لغة
- ٢٦..... التطرف شرعا
- ٣٠..... التطرف اصطلاحا
- ٣١..... دلالة التطرف في بعض لغات العالم

الغلو

- ٣٨..... الغلو لغة
- ٤١..... الغلو في الشرع
- ٤٥..... علاقة الغلو بالتطرف

الإرهاب

- الإرهاب لغة..... ٤٧
- الإرهاب في القرآن والسنة..... ٤٨
- تعدد المفاهيم حول مصطلح الإرهاب..... ٥٣
- تعريف المعجمات والقواميس للإرهاب..... ٥٤
- أ - تعريف الأمم المتحدة للإرهاب..... ٥٤
- ب - تعريف خبراء الأمم المتحدة..... ٥٤
- ج - تعريف القانون الدولي..... ٥٤
- د - تعريف الخارجية الأمريكية..... ٥٤
- هـ - تعريف الاتفاقية العربية..... ٥٥
- و - تعريف المجمع الفقهي الإسلامي..... ٥٥
- ز - تعريف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر..... ٥٥
- مناقشة التعريفات..... ٥٦
- عناصر الإرهاب..... ٥٧
- التعريفات القريبة من الصواب..... ٥٧
- التعريف المقترح للإرهاب..... ٥٨
- الشرح العام للتعريف..... ٥٨
- علاقة الإرهاب بالتطرف..... ٦٢

التشدد

- التشدد لغة..... ٦٣
- التشدد اصطلاحاً..... ٦٣
- العلاقة بين التشدد والتطرف..... ٦٤

العنف

- العنف لغة..... ٦٥
- العنف في الشرع..... ٦٥

العنف في الاصطلاح.....	٦٦
علاقة العنف بالتطرف.....	٦٧
التطرف الديني عند اليهود.....	٦٨
أسفار اليهود والتطرف:.....	٦٩
عقيدة التمييز العنصري عند اليهود.....	٧٤
عقيدة أرض الميعاد عند اليهود.....	٧٤
أثر عقائد اليهود على الإرهاب والتطرف العالمي.....	٧٥
التطرف عند اليهود.....	٩٠
اتصال الحاضر بالماضي.....	٩٣
التطرف عند النصارى.....	٩٣
سيادة الإرهاب في العالم النصراني.....	٩٣
سيادة التطرف في فرنسا:.....	٩٣
ثانيا - سيادة التطرف والإرهاب في الولايات المتحدة الأمريكية :.....	٩٤
نماذج من التطرف النصراني عبر التاريخ:.....	٩٥
١- مأساة المسلمين في الأندلس:.....	٩٥
٢- الحروب الصليبية في القدم والحديث:.....	٩٩
لقد تمثلت محنة البوسنة المسلمة في:.....	١٠٧
أ- طمس التراث والشخصية الإسلامية:.....	١٠٧
ب- وحشية الصرب وأحقادهم الدفينة:.....	١٠٨
ج- التآمر الصليبي والموقف الدولي المتخاذل:.....	١١١
التطرف عند قدماء المصريين والرومان.....	١١٧
الهند وتيارات التطرف فيها.....	١٣٨
المبحث الثالث: جذور التطرف الديني.....	١٢١
أ - الجذور التاريخية.....	١٢١
أ - مقتل عثمان بن عفان ؓ.....	١٢٢

- ب - مقتل علي بن أبي طالب عليه السلام ١٣٠
 ظاهرة التكفير عند الخوارج ١٣٧
 موقف أهل السنة والجماعة من تطرف الخوارج ١٣٨
 هل لجماعات التطرف المعاصر صلة بفكر الخوارج ١٣٨
 ب - الجذور النفسية ١٤١
 ج - الجذور الفكرية ١٤٧

الفصل الثاني

الإسلام دين الوسطية والاعتدال في العقيدة والشريعة

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

- المبحث الأول: حرية التفكير والاعتقاد في الإسلام ١٦١
 الاحتفاء بالفكر ١٦١
 حرية الفكر ١٦٢
 المبحث الثاني: الإسلام والشرائع السابقة ١٦٩
 موقف القرآن من الأديان السابقة ١٧٣
 تحقيق في مفهوم أهل الذمة « الذمية » ١٧٥
 موقف الإسلام من غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي ١٧٦
 آ - تأمين الحماية من العدوان الخارجي ١٧٦
 ب- تأمين الحماية الداخلية ١٧٧
 (١ - حماية الدماء والأبدان ١٧٧
 (٢ - حماية الأعراض ١٧٩
 (٣ - حماية الأموال ١٧٩
 (٤ - كفالة بيت المال ١٧٩
 ج- الحريات العامة ١٨٠

- ١٨٠..... (١) - حرية المعتقد.....
- ١٨٣..... (٢) - حرية الفكر والتعلم:.....
- ١٨٦..... (٣) - حرية التنقل:.....
- ١٨٦..... (٤) - حرية العمل والكسب وتولي مناصب الدولة:.....
- ١٨٧..... (٥) - الحرية الاجتماعية:.....
- ١٨٧..... (٦) - حرية التفكير وحق إبداء الرأي:.....
- ١٩١..... (٧) - حقّ التقاضي والحماية القانونية:.....
- ١٩٢..... شهادت العالم العربي في سماحة الإسلام.....
- ١٩٦..... والخلاصة:.....
- ١٩٨..... توصية ورجاء.....
- ١٩٩..... المحث الثالث: الوسطية في العقائد والعبادات والمعاملات.....
- ١٩٩..... الإسلام دين الوسطية.....
- ٢٠٠..... ما هو مفهوم الوسطية في الإسلام؟.....
- ٢٠١..... ماذا يراد بالوسطية في العصر الراهن؟.....
- ٢٠٥..... مجالات الوسطية في الإسلام في مجال العقائد.....
- ٢٠٥..... مجالات الوسطية في الإسلام في العبادات.....
- ٢٠٧..... أ - في الطهارة:.....
- ٢٠٨..... ب - في التيمم:.....
- ٢٠٨..... ج - في الصلاة:.....
- ٢١٠..... د - في الزكاة:.....
- ٢١١..... هـ - في الصيام:.....
- ٢١٢..... و - في الحج:.....
- ٢١٥..... مجالات الوسطية في الإسلام في المعاملات.....
- ٢١٧..... مجالات الوسطية في الإسلام في العقوبات.....
- ٢١٧..... أ - عقوبة قتل النفس:.....

- ب - عقوبة الزنا: ٢١٩
- مجالات الوسطية في الإسلام في الأخلاق والسلوك ٢٢١
- مجالات الوسطية في الإسلام في الاقتصاد ٢٢١
- القواعد الشرعية المستنبطة من النصوص الواردة في البسر ٢٢٨
- ١ - "المشقة تجلب التيسير" ٢٢٨
- ٢ - "الضرورات تبيح المحظورات" ٢٢٨

الفصل الثالث

أسباب التطرف في المجتمع الإسلامي المعاصر

- استهلال ٢٣٢
- ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:
- المبحث الأول: الأسباب المباشرة: ٢٣٥
- أولاً: الفهم الخاطيء لنصوص الكتاب والسنة ٢٣٦
- ثانياً: الكبت الفكري الممارس من قبل السلطات الحاكمة ٢٤٠
- ثالثاً: الفساد العقدي والخلقي في حياة الأمة ٢٤٣
- رابعاً: التعصب للجماعة أو الطائفة ٢٤٥
- خامساً: القصور والتبعية في مناهج التعليم ٢٤٧
- سادساً: شيوع الظلم بشقي صورته وأشكاله ٢٤٨
- المبحث الثاني: الأسباب غير المباشرة: ٢٤٩
- ١ - أسباب اقتصادية ٢٥٠
- ٢ - أسباب سياسية ٢٥٣
- أ - التشكيك ومحاربة الصحوة الإسلامية ٢٥٣
- ب - تضيق دائرة الشورى والديمقراطية أو انعدامها ٢٥٤
- ج - أعداء الأمة وتربصهم بالمسلمين: ٢٥٤
- د - المزايم العسكرية والسياسية: ٢٥٥
- ٣ - أسباب اجتماعية: ٢٥٨

- ٢٦١..... أسباب ثقافية..... ٤-
 ٢٦٢..... أسباب تتعلق بدور الإعلام..... ٥-
 ٢٦٣..... التأثير السلبي لبعض وسائل الإعلام.....
 المبحث الثالث: الأسباب العلمية للتطرف..... ٢٦٥
 ٢٦٧..... الجهل بالقرآن الكريم..... ١-
 ٢٦٩..... الجهل بالسنة المطهرة..... ٢-
 ٢٧١..... الجهل بقدر السلف وأهل العلم..... ٣-
 ٢٧٣..... الجهل بحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال..... ٤-
 ٢٧٧..... الجهل بمراتب الأحكام..... ٦-
 ٢٨١..... الجهل بمراتب الناس..... ٧-

الفصل الرابع

مجالات التطرف

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

- المبحث الأول: التطرف الاعتقادي..... ٢٨٥
 المبحث الثاني: التطرف السلوكي (العمل)..... ٢٩٣
 المبحث الثالث: التطرف في الحكم على الناس..... ٢٩٧

الفصل الخامس

آثار ومظاهر ومخاطر التطرف

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

- استهلال: خطر التكفير..... ٣٠١
 المبحث الأول: حقيقة الولاء والبراء..... ٣٠٤
 تعريف الولاء والبراء في اللغة:..... ٣٠٤

أدلة الولاء والبراء

- أدلته من الكتاب العزيز..... ٣٠٥
 أدلته من السنة..... ٣٠٧

الاستدلال للولاء والبراء بالإجماع	٣٠٨
تعريف الولاء والبراء في الاصطلاح:	٣١٠
توافق (الولاء والبراء) مع سماحة الإسلام	٣١١
أولاً: لا يُجبر أحدٌ من الكفار الأصليين على الدخول في الإسلام.....	٣١١
ثانياً: أن لأهل الذمة التنقل في أي البلاد حيث شاؤوا.....	٣١١
ثالثاً: حفظ العهد الذي بيننا وبين الكفار.....	٣١٢
رابعاً: حرمة دماء أهل الذمة والمعاهدين.....	٣١٢
خامساً: الوصية بأهل الذمة، وصيانة أعراضهم وأموالهم، وحفظ كرامتهم.....	٣١٣
سادساً: أن اختلاف الدين لا يُلغي حقَّ ذوي القربى.....	٣١٣
سابعاً: أن البر والإحسان والعَدْلُ حقٌّ لكل من لم يقاتل المسلمين	٣١٤
مظاهر التطرف في (الولاء والبراء) وبراءته منها	٣١٦
تطرف الإفراط	٣١٦
تطرّف التفريط.....	٣١٨
معنى الولاء و البراء الذي مرغه أصحاب الفضيلة بالتراب	٣٢١
معنى مظاهرة الكفار التي جهلها أصحاب الفضيلة	٣٣٠
الحقيقة التي أراها في عقيدة الولاء والبراء	٣٤٦
توصيات	٣٤٨
المبحث الثاني: آثار ومظاهر ومخاطر التطرف عند بعض الجماعات الإسلامية	
المعاصرة.....	٣٥٠
أولاً- الكفر البواح	٣٥٢
ثانياً- التكفير بالمعصية.....	٣٥٦
ثالثاً- تكفير المعين دون مراعاة للضوابط الشرعية.....	٣٥٩
رابعاً- تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله بإطلاق.....	٣٦٤
خامساً- تكفير الأتباع المحكومين بغير ما أنزل الله.....	٣٦٧
سادساً- تكفير الخارج عن الجماعة المسلمة.....	٣٦٩

سابعاً- مقاطعة الجمعة والجماعة في المسجد.....	٣٧٢
ثامناً- تحريم التعليم والدعوة إلى الأمية.....	٣٧٥
المبحث الثالث: فتاوى وشبهات لبعض المتطرفين المعاصرين.....	٣٧٨
شبهة إخراج المشركين من جزيرة العرب.....	٣٨٠
مسألة التترس.....	٣٨٧
المبحث الرابع: دور الأعداء في تضخيم ظاهرة التطرف عند المسلمين.....	٣٩١
دور الدوائر الغربية.....	٣٩٢
دور إسرائيل.....	٣٩٧
دور العلمانيين.....	٤٠١

الفصل السادس

سبل العلاج

ويتضمن هذا الفصل المباحث التالية:

فيروس التطرف.....	٤٠٧
- المبحث الأول: كيف تعالج هذه الظاهرة؟.....	٤١٠
أهم أسباب تفادي هذه الظاهرة.....	٤١٠
١- الاعتصام بالكتاب والسنة، ونشر عقيدة السلف:.....	٤١٠
٢- نشر العلم الشرعي:.....	٤١١
٣- إحياء دور العلماء:.....	٤١٢
٤- تحكيم شرع الله ونبد القوانين الوضعية:.....	٤١٣
٥- محاوره أهل التطرف:.....	٤١٤
٦- البعد عن الازدواجية والتناقض:.....	٤١٥
- المبحث الثاني: أثر الإيمان بالله وشريعته في علاج التطرف.....	٤١٨
- المبحث الثالث: الجهات والمؤسسات التي لا بد أن تعنى بالتعامل مع التطرف.....	٤٢٤
العلماء والدعاة.....	٤٢٦

٤٢٩.....	الأسرة
٤٣٢.....	المدرسة
٤٣٥.....	المؤسسات الاجتماعية
٤٣٩.....	المؤسسات الإعلامية
٤٤٢.....	المؤسسات الأمنية
٤٤٥.....	- المبحث الرابع: توصيات ونتائج خاصة لعلاج ظاهرة التطرف

الخاتمة

وتتضمن:

٤٥١.....	أ - نتائج البحث التي وصل إليها الباحث
٤٥٦.....	ب - التوصيات
٤٥٦.....	أولاً - نشر عقيدة السلف:
٤٥٦.....	ثانياً - نشر العلم الشرعي:
٤٥٦.....	ثالثاً - إحياء دور العلماء:
٤٥٦.....	رابعاً - دفن الهوة بين العلماء والحكام والشباب:
٤٥٧.....	خامساً - الحكم بشرع الله:
٤٥٧.....	سادساً - التعامل مع المشكلة من جذورها:
٤٥٧.....	سابعاً - الانطلاق من أرضية سليمة:
٤٥٧.....	ثامناً - إزالة الشكايية:
٤٥٨.....	تاسعاً - إعادة بناء المجتمع:
٤٥٨.....	عاشراً - عدم استخدام العنف في معالجة التطرف:
٤٥٨.....	حادي عشر - الحوار الموصل إلى الديمقراطية:
٤٥٩.....	ثاني عشر - المصالحة بين القيادات والشعوب:
٤٥٩.....	ولا بد من قول أخير:

الفهارس الفنية للكتاب

- ١- فهرس الآيات القرآنية. ٤٦٢
- ٢- فهرس الأحاديث. ٤٧٠
- ٣- فهرس الأعلام المترجمة. ٤٧٧
- ٤- فهرس الأبيات الشعرية. ٤٨٣
- ٥- فهرس المراجع والمصادر. ٤٨٤
- ٦- فهرس الأبحاث والموضوعات. ٥٠٠

تمت

بحمد الله